



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير القرآن

(للمعرفة)

المجلد ٢

محمد هادي معرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب

كاتب:

محمد هادى معرفت

نشرت فى الطباعة:

غير محدد.

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	التفسير و المفسرون (للمعرفة) المجلد ٢
١٥	اشارة
١٥	[الجزء الثاني]
١٥	تتمة التفسير نشأته و تطوره
١٥	المرحلة الخامسة التفسير في عهد التدوين
١٥	اشارة
١٥	شكر و تقدير
١٦	التفسير في عهد التدوين
١٧	تدرج التفسير و تلونه
٢٠	النمط الأول التفسير بالمأثور
٢٠	اشارة
٢٠	[أنحاء التفسير بالمأثور]
٢٠	١- تفسير القرآن بالقرآن
٢٢	٢- تفسير القرآن بالسته
٢٣	٣- تفسير القرآن بقول الصحابي
٢٣	٤- تفسير القرآن بقول التابعي
٢٣	آفات التفسير بالمأثور
٢٤	اشارة
٢٤	١- ضعف الأسانيد
٢٤	٢- الوضع في التفسير
٢٤	اشارة
٢٤	أهم أسباب الوضع

- ٣٧ أقسام الوضّاعين
- ٣٩ أقطاب الوضّاعين
- ٤٤ أنحاء الموضوعات
- ٤٨ ٣- الإسرائيليات
- ٤٨ اشارة
- ٤٩ الإسرائيليات فى التفسير و الحديث
- ٥٢ هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟
- ٥٤ مناقشة دلائل الجواز
- ٥٥ أقطاب الروايات الإسرائيلية
- ٥٥ اشارة
- ٥٦ ١- عبد الله بن سلام
- ٥٧ ٢- كعب الأحبار
- ٦٠ ٣- تميم بن أوس الدارى
- ٦٣ ٤- وهب بن منبه
- ٦٣ ٥- محمد بن كعب القرظى
- ٦٣ ٦- عبد الله بن عمرو بن العاص
- ٦٥ ٧- أبو هريرة
- ٦٩ ٨- ابن جريج
- ٦٩ مبدأ نشر الإسرائيليات
- ٧٥ أقسام الإسرائيليات
- ٧٥ اشارة
- ٧٧ ١- أمثلة على الموافقة:
- ٧٨ ٢- أمثلة على المخالفة:
- ٧٨ ٣- أمثلة على المسكوت عنه

- ٧٩ نماذج من إسرائيليات مبنوثة في التفسير
- ٧٩ اشارة
- ٨٠ ١- الإسرائيليات في قصة هاروت و ماروت «١»
- ٨٤ ٢- إسرائيلية في المسوخ من المخلوقات
- ٨٥ ٣- الإسرائيليات في بناء الكعبة: البيت الحرام و الحجر الأسود
- ٨٦ ٤- الإسرائيليات في قصة التابوت
- ٨٨ ٥- الإسرائيليات في قصة قتل داود جالوت
- ٩٠ ٦- الإسرائيليات في قصص الأنبياء و الأمم السابقة
- ٩٠ ٧- ما ورد في قصة آدم عليه السلام
- ٩٣ ٨- الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق
- ٩٥ ٩- الإسرائيليات في قصة التيه
- ٩٧ ١٠- الإسرائيليات في: «المائدة التي طلبها الحواريون»
- ١٠١ ١١- الإسرائيليات في «سؤال موسى ربه الرؤية»
- ١٠٣ ١٢- الإسرائيليات في ألواح التوراة
- ١٠٥ ١٣- إسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما ألقى الألواح
- ١٠٦ ١٤- إسرائيليات و خرافات في بني إسرائيل
- ١٠٧ ١٥- الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم و حواء
- ١١١ ١٦- الإسرائيليات في سفينة نوح
- ١١٣ ١٧- الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام
- ١١٤ ١٨- الإسرائيليات في قوله تعالى: وَ لَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لُؤْلُؤُ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ
- ١١٩ ١٩- الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن
- ١٢٠ ٢٠- الإسرائيليات في شجرة طوبى
- ١٢١ ٢١- الإسرائيليات في إفساد بني إسرائيل
- ١٢٥ ٢٢- الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف

- ٢٣- الإسرائيليات فى قصة ذى القرنين ١٢٦
- ٢٤- الإسرائيليات فى قصة يأجوج و مأجوج ١٢٨
- ٢٥- الإسرائيليات فى قصة بلقيس ملكة سبأ ١٣٠
- ٢٦- الإسرائيليات فى هدية ملكة سبأ لسيدنا سليمان ١٣١
- ٢٧- الإسرائيليات فى قصة الذبيح و أنه إسحاق ١٣٢
- ٢٨- الإسرائيليات فى قصة إلياس عليه السلام ١٣٧
- ٢٩- الإسرائيليات فى قصة داود عليه السلام ١٣٩
- ٣٠- الإسرائيليات فى قصة سليمان عليه السلام ١٤٢
- ٣١- الإسرائيليات فى قصة أيوب عليه السلام ١٤٥
- ٣٢- الإسرائيليات فى قصة إرم ذات العماد ١٤٨
- الإسرائيليات فى تفسير ن و القلم ١٤٠
- أشهر كتب التفسير بالمأثور ١٤٠
- إشارة ١٤٠
- ١- جامع البيان للطبرى ١٤١
- إشارة ١٤١
- منهجه فى التفسير و نقد الآراء ١٤٢
- موقفه تجاه أهل الرأى فى التفسير ١٤٣
- نزعتة التعصبية ١٤٤
- ٢- تفسير العياشى ١٤٥
- إشارة ١٤٥
- منهجه فى التفسير ١٤٦
- ٣- تفسير القمى ١٤٧
- إشارة ١٤٧
- منهجه فى التفسير ١٤٨

- ٤- تفسير الحويزى (نور الثقلين) ١٦٨
- اشارة ١٦٨
- منهجه فى التفسير ١٦٩
- ٥- تفسير البحرانى (البرهان) ١٧٠
- اشارة ١٧٠
- منهجه فى التفسير ١٧٠
- ٦- الدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور ١٧١
- ٧- تفسير البرغانى (بحر العرفان) ١٧١
- اشارة ١٧١
- نمط آخر من التفسير بالمأثور ١٧٢
- ٨- تفسير الصافى ١٧٢
- اشارة ١٧٢
- منهجه فى التفسير ١٧٣
- ٩- تفسير المشهدى (كنز الدقائق و بحر الغرائب) ١٧٣
- ١٠- تفسير ابن كثير ١٧٤
- ١١- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) ١٧٦
- ١٢- تفسير الثعلبى (الكشف و البيان) ١٧٦
- ١٣- تفسير الثعالبى (الجواهر الحسان) ١٧٧
- ١٤- منهج الصادقين ١٧٧
- النمط الثانى التفسير الاجتهادى ١٧٧
- اشارة ١٧٨
- تنوع التفسير الاجتهادى ١٧٩
- اشارة ١٧٩
- التفسير الفقهى (آيات الأحكام) ١٨٠

- ١٨٠ اشارة
- ١٨١ أهم كتب آيات الأحكام
- ١٨١ أحكام القرآن- للجصاص الحنفى
- ١٨٤ أحكام القرآن (المنسوب إلى الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤).
- ١٨٦ أحكام القرآن لكيا الهزاسى الشافعى أيضا
- ١٨٦ أحكام القرآن لابن العربى المالكى
- ١٨٧ أحكام القرآن- للراوندى (فقه القرآن)
- ١٨٨ أحكام القرآن- للسيورى (كنز العرفان فى فقه القرآن)
- ١٨٩ زبدة البيان فى أحكام القرآن للمقدس الأردبيلى
- ١٨٩ مسالك الأفهام- إلى آيات الأحكام للفاضل الجواد الكاظمى
- ١٨٩ قلائد الدرر فى بيان آيات الأحكام بالأثر
- ١٨٩ آيات الأحكام- للسيد الطباطبائى اليزدى
- ١٨٩ التفاسير الجامعة
- ١٨٩ اشارة
- ١٩٠ التبيان- فى تفسير القرآن لأبى جعفر الطوسى (٤٦٠)
- ١٩٠ اشارة
- ١٩٠ التعريف بهذا التفسير
- ١٩١ منهجه فى التفسير
- ١٩٤ مجمع البيان- فى تفسير القرآن لأبى على الطبرسى
- ١٩٤ اشارة
- ١٩٤ منهجه فى التفسير
- ١٩٨ روح الجنان و روح الجنان لأبى الفتوح الرازى
- ١٩٨ اشارة
- ١٩٩ أما منهجه فى التفسير

- ٢٠٣ كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدى
- ٢٠٤ تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)
- ٢٠٤ تفسير الماوردى (النكت و العيون)
- ٢٠٥ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)
- ٢٠٥ اشارة
- ٢٠٧ عنايته بأهل البيت
- ٢١٠ إمام المشككين
- ٢١٦ مباحث تافهة
- ٢١٧ تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)
- ٢١٨ تفسير النسفى (مدارك التنزيل و حقائق التأويل)
- ٢١٩ تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)
- ٢١٩ تفسير الأكوسى (روح المعانى)
- ٢٢٠ تفسير البلاغى (آلاء الرحمن)
- ٢٢١ التفسير فى العصر الحديث
- ٢٢١ اشارة
- ٢٢٢ ألوان التفسير فى العصر الحديث
- ٢٢٢ اشارة
- ٢٢٢ ١- اللون العلمى
- ٢٢٦ ٢- اللون الأدبى الاجتماعى
- ٢٣٩ تفاسير أدبىة
- ٢٣٩ اشارة
- ٢٣٩ الكشّاف
- ٢٤٠ اشارة
- ٢٤٣ اعتماده على التأويل و التمثيل

- ٢٤٦ امتهانه بشأن القراء
- ٢٤٨ تهاجمه على أهل السنة
- ٢٥٠ البحر المحيط
- ٢٥١ معانى القرآن
- ٢٥٢ إملء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات فى جميع القرآن
- ٢٥٤ تفاسير لغوية
- ٢٥٤ اشارة
- ٢٥٥ تفسير المتشابهات
- ٢٥٥ اشارة
- ٢٥٥ ١- متشابه القرآن
- ٢٥٥ ٢- تنزيه القرآن عن المطاعن
- ٢٥٦ ٣- متشابهات القرآن و مختلفه
- ٢٥٦ ٤- أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها
- ٢٥٧ التفاسير الموجزة
- ٢٥٧ اشارة
- ٢٥٧ [١- الوجيز:]
- ٢٥٨ ٢- الأصفى:
- ٢٥٨ [٣- المصقى:]
- ٢٥٨ ٤- التسهيل لعلوم التنزيل،
- ٢٥٩ ٥- تفسير الجلالين،
- ٢٥٩ ٦- التفسير المقارن،
- ٢٥٩ ٧- صفوة التفاسير
- ٢٦٠ ٨- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز
- ٢٦٠ ٩- تقريب القرآن إلى الأذهان

- ٢٦٠ ١٠- النهر الماد من البحر المحيط
- ٢٦١ تفاسير عرفانية (التفسير الرمزي و الإشاري)
- ٢٦١ اشارة
- ٢٦٦ التنوع في التفسير الباطني
- ٢٦٧ أهم تفاسير الصوفية و أهل العرفان
- ٢٦٧ اشارة
- ٢٦٧ ١- تفسير التستري
- ٢٦٩ ٢- حقائق التفسير للتلمي
- ٢٧١ ٣- لطائف الإشارات للقشيري
- ٢٧٣ ٤- كشف الأسرار و عدّة الأبرار (تفسير الميدي) المعروف بتفسير الخواجا عبد الله الأنصاري
- ٢٧٣ اشارة
- ٢٨٠ اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير
- ٢٨٢ ٥- تفسير الخواجا عبد الله الأنصاري
- ٢٨٢ ٦- تفسير ابن عربي
- ٢٨٢ اشارة
- ٢٨٢ هل لابن عربي من تفسير؟
- ٢٨٣ تفاسير منسوبة إلى ابن عربي
- ٢٨٤ التعريف بهذا التفسير
- ٢٩٠ ٧- عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي
- ٢٩٠ ٨- التأويلات النجمية لنجم الدين دايم، و علاء الدولة السمناني
- ٢٩١ الفهارس
- ٢٩١ اشارة
- ٢٩١ فهرس الآيات القرآنية
- ٢٩٥ فهرس الأحاديث

٢٩٧ فهرس الأعلام

٣٠٤ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

التفسير و المفسرون (للمعرفة) المجلد ٢

إشارة

سرشناسه : معرفت هادی
 عنوان و نام پدید آور : التفسير و المفسرون فی ثوبه القشيب تالیف محمد هادی معرفه
 مشخصات نشر : مشهد: الجامعه الرضويه للعلوم الاسلاميه ١٤١٨ ق ١٣٧٧ -
 مشخصات ظاهري : ج.
 شابک : ٣٥٠٠ ريال (دوره) ؛ ١٥٠٠٠٠ ريال (دوره، چاپ چهارم) ؛ ج.١، چاپ چهارم: ٦-٥٥-٧٦٧٣-٩٦٤-٩٧٨ ؛ ١٢٠٠٠٠ ريال
 ج.٢، چاپ سوم: ١-٣٤-٧٦٧٣-٩٦٤-٩٧٨
 یادداشت: عربی
 یادداشت: ج. ١ (چاپ چهارم: ١٤٢٩ ق. = ١٣٨٧).
 یادداشت: ج ٢ (چاپ اول ١٤١٩ ق = ١٣٧٧).
 یادداشت: ج.٢ (چاپ سوم: ١٤٢٨ ق.= ١٣٨٦).
 یادداشت: کتابنامه
 موضوع : مفسران.
 موضوع : تفسیر -- فن
 شناسه افزوده : دانشگاه علوم اسلامی رضوی
 رده بندی کنگره : BP٩١/٥ م٦٦٧٧ ١٣٧٧
 رده بندی دیویی : ٢٩٧/١٧١
 شماره کتابشناسی ملی : م٧٧-١٣٧٦٩

[الجزء الثاني]

تنمة التفسير نشأته و تطوره

المرحلة الخامسة التفسير في عهد التدوين

إشارة

النمط الأول التفسير بالمأثور* أنحاء التفسير بالمأثور:
 ١- تفسير القرآن بالقرآن ٢- تفسير القرآن بالسنة ٣- تفسير القرآن بقول الصحابي ٤- تفسير القرآن بقول التابعي* آفات التفسير
 بالمأثور ١- ضعف الأسانيد ٢- الوضع في التفسير ٣- الإسرائيليات* أشهر كتب التفسير بالمأثور
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩

شكر و تقدير

و يجدر بنا أن نقدر خدمات فتيه و علميه قام بها كل من أصحاب الفضيلة:

نصيري، مرويان، بهادري، اكبرى، مريجكاني، شهركي فلاح، على زاده، حاتمي، شيخ حافظ في إنجاز هذا المشروع الضخم و ساهموا في مراجعته و إخراجاته الفتيه و إعداد فهارسه و تنضيد حروفه المطبعية بالحاسب الإلكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية. فنقدم لهم جزيل شكرنا المتواصل و نبتهل إلى الله أن يوفق الجميع لخدمة الدين و لا سيما أساسه القويم القرآن الكريم إنه تعالى ولى التوفيق.

الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية قسم الدراسات القرآنية

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١

التفسير في عهد التدوين

كان التفسير في عهد نشوئه إنما يتلقى شفاهاً و يحفظ في الصدور، ثم يتناقل نقل الحديث يدا بيد. هكذا كان التفسير على عهد الرسالة، و على عهد الصحابة و التابعين الأول. أما في عهد تابعي التابعين، فجعل يضبط و يثبت في الدفاتر و الألواح؛ و بذلك بدأ عهد تدوين التفسير إلى جنب كتابة الحديث، و ذلك في أواسط القرن الثاني؛ حيث راج تدوين الأحاديث المأثورة عن السلف. و لعل أول من سجل التفسير في الدفاتر و الألواح هو مجاهد بن جبر، توفي سنة (١٠١). يقول ابن أبي مليكة: «رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه. فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كله» (١). و كان أعلم الناس بالتفسير. قال الفضل بن ميمون: «سمعت مجاهدا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة» (٢).

و له تفسير متقطع و مرتب على السور، من سورة البقرة إلى نهاية القرآن. (١) راجع: تفسير الطبري، ج ١، ص ٣١. (٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١٠، ص ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢

يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجیح الثقفي الكوفي، توفي سنة (١٣١) و قد صححه الأئمة و اعتمده أرباب الحديث، و قد طبع أخيراً في باكستان سنة (١٣٦٧ هـ ق) حسبما تقدم في ترجمته.

و يذكر ابن حجر عند ترجمته لعطاء بن دينار المصري- و كان من ثقات المصريين، توفي سنة (١٢٦)- أن له تفسيراً يرويه عن سعيد بن جبیر، قتل سنة (٩٥) و كان في صحيفه. قال: و لا دالة أنه سمع من سعيد بن جبیر. و عن أبي حاتم أنه أخذه من الديوان؛ و ذلك أن عبد الملك بن مروان، توفي سنة (٨٦) سأل سعيداً أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير. فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه، فأرسله عن سعيد (١).

فهذا صريح في أن سعيد بن جبیر جمع تفسير القرآن في كتاب، و هذا الكتاب أخذه عطاء بن دينار. و بما أن سعيد بن جبیر قتل سنة (٩٥) و لا شك أن تأليفه هذا كان قبل موت عبد الملك سنة (٨٦) فهذا التفسير قد كتب و دون قبل هذا الحين.

و يذكر ابن خلكان: أن عمرو بن عبيد- شيخ المعتزلة، توفي سنة (١٤٤)- كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري المتوفى سنة ١١٦ (٢).

و لابن جريج، توفي سنة (١٥٠) تفسير كبير في ثلاثة أجزاء، يرويه بواسطة عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، توفي سنة (٦٨)، و يرويه عنه محمد بن ثور.

و قد صححه الأئمة (٣). و ذكر أحمد بن حنبل: أنه أول من صنّف الكتب (٤). (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ١٩٨-١٩٩، رقم (٣٨٢).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٣، ص ٤٦٢، رقم (٣). (٥).

(٣) الإتقان للسيوطي، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣

و أمثال هذه التفاسير مما كتب على الألواح أو في صحائف ذلك العهد كثير، كانت تقتضيه طبيعة الأخذ و التلقى ذلك الحين، و قد قلّ الاعتماد على الحفظ و الضبط في الصدور.

غير أنّ هذه التفاسير كانت مقتصرة على نقل المعاني و روايتها عن التابعين و الأصحاب، و ثبتها في الدفاتر خشية الضياع، و لم يكن التفسير قد توسّع أو دخله الاجتهاد في شكل ملحوظ.

و لعلّ أوّل من توسّع في التفسير و ضمّ إلى جانب المعاني جوانب آخر و لا-سيما التعرّض لأدب القرآن و ذكر خصائص اللّغة، و اجتهد في ذلك، هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفّى سنة (٢٠٧).

يذكر ابن النديم في «الفهرست» أنّ أبا العباس ثعلب قال: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في معاني القرآن، أنّ عمر بن بكير كان من أصحابه، و كان منقطعاً إلى الحسن بن سهل. فكتب إلى الفراء: أنّ الأمير الحسن بن سهل، ربّما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب. فإن رأيت أنّ تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً، أرجع إليه فعلت. فقال الفراء لأصحابه:

اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً في القرآن، و جعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، و كان في المسجد رجل يؤذّن و يقرأ بالناس في الصلاة. فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسيها، ثمّ نوفي الكتاب كلّه. فقرأ الرجل و يفسّر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله، و لا أحسب أنّ أحداً يزيد عليه «١». (١) الفهرست لابن النديم، ص ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤

و لا شكّ أنّ تفسير الفراء هذا هو أوّل تفسير تعرض لآيات القرآن آية آية، حسب ترتيب المصحف و فسرها على التابع، و توسّع فيه. و كانت التفاسير قبله تقتصر على تفسير المشكل، و بصورة متقطّعة، غير مستوعبة لجميع الآيات على التابع. و قد جنح إلى هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين المصري في «ضحى الإسلام» «١».

و على أيّ تقدير، فإنّ ذلك يعدّ أوّل بذرة غرست للتفسير المدوّن بشكل رتيب. فقد كان القرن الثاني من بدايته إلى نهايته، عهد تطوّر التفسير، من مرحلة تناقله بالحفظ إلى مرحلة كتابته بالثبوت. كما أخذ بالتوسّع و الشمول أيضاً بعد ما كان مقتصرًا على النقل بالمأثور.

و ازداد في القرن الثالث فما بعد، في الأخذ في التنوّع، و تلوّنه بألوان العلوم و المعارف و الثقافات التي كانت دارجّة في تلك العصور.

تدرّج التفسير و تلوّنه

و في هذا الدور أخذ التفسير يخطو من مرحلة إلى أخرى و يزداد توسّعا و تنوّعا. فقد انتقل من دور التفسير بالمأثور إلى دور الاجتهاد العقلي و إعمال النّظر و الرأى، و استنباط معاني القرآن الكريم في ضوء الأدب- أوّلاً- ثمّ في ضوء أنواع العلوم و المعارف التي كان ذلك العهد أهلاً بها، مضافاً إليه بعض النظرات الفلسفية الكلامية، ممّا نشأ على يد أرباب الكلام و ذوى النزعات المذهبية العقائدية، و كانت متنوّعة ذلك العهد. كل ذلك أثر في التفسير، و زاد في حجمه، (١) ضحى الإسلام، ج ٢، ص ١٤٠-١٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥

كما جعله على أنواع و أشكال مختلفة.

فمنهم من اقتصر على أسلوب السلف بالاكتفاء بالتفسير بالمأثور من أقوال الصحابة و كبار التابعين، و منهم من زاد عليه بالتوسّع في اللّغة و الأدب، و منهم من تجاوز إلى معارف آخر من فلسفة و كلام؛ و بذلك تلوّن التفسير حسب ألوان الثقافات الموجودة آنذاك.

ولكل من هذه الألوان والأنحاء التفسيرية مميزات ومشخصاته، بها يمتاز كل نوع من التفسير عن سائر الأنواع، ومنهم من جمع بين هذه الألوان أو بعضها؛ فكانت تفاسير جامعة تتعرض لمختلف أبعاد التفسير، كاللغة والأدب والكلام، إلى جنب المأثور من الأحاديث الواردة ونقل الأقوال. وقد كثر في العهد المتأخر هذا النمط الجامع من التفسير، كما قد زاد عليه المتأخرون جوانب الشؤون الاجتماعية والسياسية التي تعرض لها القرآن، و بسطوا القول فيها حسب حاجة الزمن.

وهكذا تدرج التفسير، واتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة وتحكمت الاصطلاحات العلمية والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار العرفان الصوفي، و آثار النحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً.

وذلك أن كل من برع في فن من فنون العلم والأدب، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي يبرع فيه. فالنحوي تراه لا-هم له إلا الإعراب، وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه. وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافاته، وذلك كالزجاج، والواحدى في «البيسط»، وأبي حيان في «البحر المحيط».

وصاحب العلوم العقلية تراه يعنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما يذكر شبههم والرد عليها، وذلك كالفخر الرازى في كتابه «مفاتيح الغيب».

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦

وصاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلة للفروع الفقهية، والرد على من يخالف مذهبه، وذلك كالجصاص والقرطبي وأمثالهما كثير.

وصاحب التاريخ ليس له شغل إلا القصص، وذكر أخبار السلف، ما صح منها وما لم يصح، وذلك كالثعلبي والخازن وغيرهما. وأصحاب المذاهب الكلامية إنما يحاولون تأويل الظواهر إلى ما يتفق ومذاهبهم في الكلام، ويقصرون الكلام في تفاسيرهم على هذا الجانب؛ حيث يتوسعون فيه، وذلك كالرمانى والجبائى، والقاضى عبد الجبار، والزمخشري والفيض الكاشانى. وأرباب التصوف والعرفان الصوفى إنما يتجهون بكل اتجاهاتهم إلى ناحية تركية الروح وتطهير النفس، والترفع بها إلى ذروة الأخلاق الحميدة، كما يحاولون في استخراج المعانى الإشارية- حسبما يزعمون- من الآيات القرآنية بما يتفق مع مشاربهم، ويتناسب مع رياضاتهم ومواجيدهم في عرفان الذات.

ومن هؤلاء ابن عربى، وأبو عبد الرحمن السلمى، والقشيري في «لطائف الإشارات»، والفيض الكاشانى في أكثر مواضع تفسيره. وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه.

وقد استمرت هذه النزعة العلمية والعقائدية، و راجت في فترة غير قصيرة رواجاً عظيماً، كما راجت في عصر متأخر تفسيرات يحاول أهلها أن يحملوا آيات القرآن كل العلوم ما ظهر منها وما لم يظهر، كأن هذا فيما يبدو وجه وجوه إعجاز القرآن و صلاحيته، لأن يتمشى مع الزمن، فيما زعموا.

أما في عصرنا الحاضر فقد راج اللون الأدبى الاجتماعى على التفسير، و وجدت بعض محاولات علمية، في كثير منها تكلف باهت و غلو ظاهر و سنتكلم عن مختلف هذه الألوان، بما وسع لنا المقال إن شاء الله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧

كان التفسير في اجتيازه تلك المراحل و تطوره مع سير الزمان، قد وجدت له ألوان و ظهرت أشكال، أشرنا إليها. غير أن هذه الأشكال والألوان لم تزل مستمرة، و دام وجودها في كل عصر من الأعصار. و من ثم فإن المفسرين لم يزالوا يتنوعون في التفسير، و تظهر على أيديهم أنواع من التفسير، حسب مختلف براعاتهم في الفنون و العلوم، و تخصصاتهم في أنحاء المعارف و الثقافات؛ و بذلك نستطيع أن نتوع التفسير منذ عهد تدوينه فإلى الآن، إلى أنواع مختلفة:

و لقد كان التفسير فى بدء نشوئه متقطعا و مترتبا حسب ترتيب السور و الآيات. كان المفسر يراجع شيخه فى مواضع من القرآن، كان قد أشكل عليه فهمه، فيسأله عنه و يسجله فى دفتره، مبتدئا من أول القرآن إلى آخره. هذا هو نمط التفسير المأثور عن السلف، المحفوظ بعضه إلى اليوم، كتفسير مجاهد و غيره.

فأول نوع من التفسير الذى جاء إلى الوجود هو «التفسير بالمأثور» و متقطعا، و لكن مرتبا حسب ترتيب السور و الآيات. ثم بعده أخذ فى تشكل أكثر و انسجام أبلغ، مضافا إليه بعض التوسع و التنوع، كما عرفت.

و لكن ظهر إلى جنب هذا النوع من التفسير الترتيب، نوع آخر تعرض للجوانب الفقهيّة أو اللغويّة فقط، تاركا جوانبه الأخرى، و هذا نوع من «التفسير الموضوعى» الذى ظهر إلى عالم الوجود، من أول يومه و لا يزال.

فهذه كتب آيات الأحكام، و كتب غريب القرآن، هى تفاسير موضوعيّة، مقتصرة على جانب فهم الأحكام، و استنباط فروع المسائل من القرآن، و هكذا تفسير ما ورد فى القرآن من غريب الألفاظ.

و هكذا تنوع التفسير من أول يومه إلى تفسير رتيب و تفسير موضوعى، غير أن التفسير الرتيب كان مقتصرا فى الأكثر على المأثور من الأقوال و الآثار،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨

و الموضوعى على الفقه و اللغة فحسب. و زاد المتأخرون جانب النسخ و المنسوخ فى القرآن، و أسباب النزول، و غيرهما من مواضع قرآنيّة، أفردوا لها كتبا تبحث عنها بالخصوص.

و التفسير الرتيب مذ نشأ، نشأ على نمطين: تفسير بمجرد المأثور من الآراء و الأقوال، و تفسير اجتهادى معتمد على الرأى و النظر و الاستدلال العقلانى.

و من هذا النمط الثانى التفاسير التى غلب عليها اللون المذهبى أو الكلامى أو الصوفى العرفانى - و هو من التفسير الباطنى فى مصطلحهم - و كذلك اللغوى و الأدبى و ما شاكل. و هناك من جمع بين هذه الأبعاد المتنوّعة، فجاء تفسيره جامعا لمختلف الجوانب التى تعرّض لها المفسرون المتخصّصون.

و قد شاع هذا النمط الجامع من التفسير فى العصور المتأخّرة، فكانت تفاسير جامعة بين العقل و النقل، مضافا إليه جانب أدب القرآن، أمثال تفسير أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى - من أكبر علماء القرن السادس - و بحق أسمى تفسيره ب «مجمع البيان»؛ حيث كان من أحسن التفاسير و أجمعهم لمختلف جوانب القرآن الكريم. و هكذا تفسير أبى عبد الله محمّد بن أحمد القرطبى - من علماء القرن السابع - المسمّى ب «الجامع لأحكام القرآن»، فإنه تفسير جامع نافع، و غيرهما كثير، و سنتعرّض لها.

و أما التفاسير المقتصرة على مجرد النقل فأقدمها من حيث البسط و الشمول تفسير «جامع البيان» تأليف أبى جعفر محمّد بن جرير الطبرى المتوفّى سنة (٣١٠)، ثم «الدرّ المنثور» لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفّى سنة (٩١١)، و بعدهما تفسير «نور الثقلين» لعبد على بن جمعة العروسى الحوزى المتوفّى سنة (١٠٩١) و «البرهان فى تفسير القرآن» للسيد هاشم بن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩

سليمان البحرانى التوبلى الكتكانى المتوفّى سنة (١١٠٩)، و هذان اقتصرا على المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام. و قد زاد عليهما و بسط الكلام فى هذا النوع من التفسير المولى صالح البرغانى القزوينى المتوفّى سنة (١٢٩٤)، له تفسير كبير معتمد على المأثور من أحاديث أهل البيت عليهم السّلام.

و أما المناهج التفسيرية التى يسلكها المفسر و يتّجه نحوها فى تفسيره للآيات القرآنيّة، فختلف حسب اختلاف اتجاهات المفسرين و أذواقهم، و أيضا حسب معطياتهم و مواهبهم فى العلوم و المعارف و أنحاء الثقافات، فمنهم من لا يعدو النقل، معتقدا أن لا سبيل للعقل فى تفسير كلامه تعالى، و منهم من أجاز للعقل التدخّل فيه، و يرى للرأى و النظر و الاجتهاد مجالا واسعا فى التفسير؛ حيث قوله

تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «١» و قوله تعالى:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٢» فالتدبر في القرآن، و التفكير حول آياته و مفاهيمه مجال واسع، قد فتح القرآن ذاته أبوابه بمصراعين. غير أن بعضهم أسرف في التعقل، و ربما التحق بالتوهم المتكلف فيه.

و على أيّ تقدير، فالمنهج الذي انتهجه المفسرون إما نقلي أو اجتهادي.

و قد عرفنا سبيل النقل و اعتماده على المأثور من الآراء و الأقوال، إما مع شيء من البيان و التوضيح، كما سلكه أبو جعفر الطبري، أو مجرد النقل من غير نظر و بيان، كالذي انتهجه جلال الدين السيوطي و السيد البحراني.

و أما النظرى الاجتهادى فمعمده إما مجرد الرأى الخاص حسب عقيدته (١) محمد / ٢٤.

(٢) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠

و مذهبه، فهذا كأكثر تفاسير أهل الباطن. أو مجموعة مصادر التفسير من المنقول و المعقول، و هذا هو الشائع من التفاسير المعترية الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأول و لا يزال.

و لنذكر هذين النمطين من التفسير، اللذين بدئ بهما منذ أول يومه، و نذكر شيئاً من آفاتهما.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١

النمط الأول التفسير بالمأثور

إشارة

يعتمد التفسير النقلى أو التفسير بالمأثور على ما جاء فى القرآن نفسه من البيان و التفصيل أولاً، ثم على ما

نقل عن المعصوم: النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو الأئمة من خلفائه المرضيين عليهم السلام

، و بعده على المأثور من الصحابة الأخيار و التابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم، مما جاء بيانا و توضيحا لجوانب أبهم من القرآن.

و كان إدراج ما روى عن التابعين فى التفسير بالمأثور، من جهة أن أقدم كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير و غيره اعتمد على

أقوال التابعين و آرائهم فى التفسير، على نحو اعتماده على المأثور من المعصوم. فنراهم قد أوردوا ما نقل عن التابعين إلى جنب

المنقول عن الصحابة، بل إلى جنب أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و سائر الأئمة عليهم السلام.

و لتكلم عن أنحاء التفسير بالمأثور، و مقدار صحته، و مدى اعتباره، فى

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢

عالم التفسير:

[أنحاء التفسير بالمأثور]

١- تفسير القرآن بالقرآن

لا شك أن أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ لأنه

ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض «١»- كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

- حيث ما جاء منه مبهما في موضع منه، قد جاء مفصّلا و مبينا في موضع آخر، بل و في القرآن تبيان لكل شىء جاء مبهما في الشريعة، فلأن يكون تبيانا لنفسه أولى.

و من ذلك جاء

قولهم: «القرآن يفسر بعضه بعضا»

كلام معروف.

و تفسير القرآن بالقرآن على نمطين: منه ما أبهم في موضع و بين في موضع آخر- فكان أحدهما متناسبا مع الآخر تناسبا معنويا أو لفظيا- كما في قوله تعالى:

حم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴿٢﴾ و قد جاء تبين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿٣﴾ و قد بين في سورة البقرة أنها واقعة في شهر رمضان: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿٤﴾.

فقد تبين من مجموع ذلك: أن القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

و من ذلك أيضا قوله تعالى: (١) نهج البلاغة، خ ١٣٣، ص ١٩٢ (صباحي صالح).

(٢) الدخان / ١-٣.

(٣) القدر / ١.

(٤) البقرة / ١٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴿١﴾ ما هذه الحيلولة و كيف هي، و هو تهديد لاذع بأولئك الزائفين المتمردين عن الشريعة و الدين.

و هذا الإبهام يرتفع عند مراجعته قوله تعالى: وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾. فعرفنا أنها نسيان الذات، فالذي يجعل من شريعة الله وراء ظهره، إنما حرم نفسه و نسي حظّه، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل و العمى.

و هكذا قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا. وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ. وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣﴾ ما هو المقصود من «الأرض» هنا في هذه الآية، و كيف يقع نقصانها؟

أما الأرض فالمقصود منها هو العمران منها، و ليس المراد هي الكرة الأرضية.

و يشهد لذلك قوله تعالى بشأن المحاربين المفسدين في الأرض: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا. أَوْ يُصَلَّبُوا. أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ. أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ. ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾. فَإِنَّ النَفْيَ مِنَ الْأَرْضِ، يراد به الإبعاد عن العمران ليظل حيرانا بين البرارى و القفار.

أما كيف يقع النقصان؟

فقد فسّره الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام و كذا ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام بفقد العلماء، و أن عمارة الأرض (١) الأنفال / ٢٤.

(٢) الحشر / ١٩.

(٣) الرعد / ٤١.

(٤) المائدة / ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤

سوف تزول و تندثر عند ذهاب علمائها و خيار أهلها

، وهكذا ورد تفسير الآية بذلك عن ابن عباس «١».

و من هذا النمط أيضا قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا «٢».

ما هذه الأمانة التي كان الإنسان صالحا لحملها، دون سائر المخلوق؟

فجاءت آية أخرى تفسرها بالخلافة: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٣».

ثم ما هذه الخلافة التي منحت للإنسان، و حظى بها هذا المخلوق دون سائر الخلق؟

كانت آية ثالثة تفسر الخلافة بقدرة الإبداع و إمكان التصرف في ساحة الوجود: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ «٤» وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا «٥» فقدره الإنسان التسخيرية و إمكان تصرفه في عالم الوجود، علوه و سفله، هي قدرته الإبداعية التي تمثل قدرة الله الحاكمة على عالم الوجود بذاته المقدسة.

فجاءت كل آية تفسر أختها، و القرآن يفسر بعضه بعضا. (١) راجع: تفسير البرهان للبحراني، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) الأحزاب / ٧٢.

(٣) البقرة / ٣٠.

(٤) لقمان / ٢٠.

(٥) الجاثية / ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥

و النمط الآخر من تفسير القرآن بالقرآن، كان ما جاء فيه البيان غير مرتبط ظاهرا لا- معنويا و لا لفظيا مع موضع الإبهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإبهام.

مثال ذلك، آية السرقة؛ حيث أبهم فيها موضع قطع اليد،

فقد بين الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام أنه من موضع الأشاجع (مفصل أصول الأصابع) مستشهدا لذلك بقوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا «١» حيث إن السارق إنما جنى على نفسه؛ فتعود عقوبته إلى ما يمسه من الأعضاء، و بما أن مواضع السجود لله تعالى، لا يشركه فيها أحد، و راحة الكف من مواضع السجود لله، فلا موضع للقطع فيها «٢».

و جميع الآيات التي بظاهرها التشبيه، يفسرها قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «٣» حيث إنها تنفي التشبيه على الإطلاق، فلا بد هناك في آيات التشبيه من تأويل صحيح

٢- تفسير القرآن بالسنة

لا شك أن مجموعة أحكام الشريعة و فروع مسائلها، جاءت تفاصيل عمّا أبهم في القرآن و أجمل من عموم و إطلاق. و هكذا ما ورد في لسان المعصوم و فعله و تقريره، بيانا لمختلف أبعاد الشريعة، هي بيانات عمّا جاء في القرآن من (١) الجن / ١٨.

(٢) راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٣) الشورى / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦

رءوس الأحكام و الأخلاق و الآداب.

قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «١». فقد كانت وظيفة النبي الأساسية هي بيان و تبين ما جاء في الذكر الحكيم، و كل ما صدر عنه في بيان أبعاد الشريعة، فإنما هو تفسير للقرآن الكريم.

هذا فضلا عما سئل عن معاني القرآن، حيثما أبهم على الصحابة، فبينه لهم في شرح و تبين، على ما أسلفنا في الكلام عن التفسير المأثور عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

و هكذا ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السَّلام تفسيراً لما أبهم أو تفصيلاً لما أجمل في القرآن الكريم. و قد تكلمنا عن دور أهل البيت في التفسير في فصل خاص.

٣- تفسير القرآن بقول الصحابي

و نحن قد تكلمنا عن قيمة تفسير الصحابي الذي تربى في أحضان الرسالة، و قد أخذ العلم مباشرة من منهله العذب السائغ، و كان ممن تفقه على يده الكريمة، و تحت هديه و إرشاده المستقيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فلا بدَّ أنَّهم - أي صحابته الأخيار - أقرب الناس فهما إلى معاني القرآن الحكيم، و أهداهم إلى معالمه الرشيدة.

هذا ابن مسعود يقول: «كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات، لم يجاوزهنَّ حتى (١) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧

يعلم معانيهنَّ و العمل بهنَّ» (١).

و هذا

الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام يقول: «و إنما هو تعلَّم من ذي علم ... علم علمه الله نبيّه فعلمنيه و دعا لي بأن يعيه صدرى و تضطم عليه جوانحي» (٢).

إلى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ على تعليم صحابته و تثقيفهم الثقافة الإسلامية القرآنية الكاملة.

٤- تفسير القرآن بقول التابعي

لا شك أنَّ التابعين هم أمسّ جانباً بأحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و العلماء من صحابته الأخيار، و كانوا أقرب فهما لمعاني القرآن الكريم؛ حيث قربهم بأصول معاني اللغة الفصحى غير المتحوّرة، الباقية على صفوها الأوّل، كما كانت الحوادث و الوقائع المقترنة بنزول الآيات، و الموجبة أحيانا للنزول، كانت تلك الحوادث و الأسباب و الموجبات في متناولهم القريب، كما كان باب الفهم و السؤال لديهم مفتوحاً، و بالتالي كان باب العلم بأسباب النزول و فهم معاني القرآن و السؤال عن مواضع الإبهام فيه منفتحاً لهم بمصرعين، الأمر الذي لم يحظ بها من تأخر من أرباب التفسير.

هذا، و مع ذلك إنما نعتبر قول التابعي شاهداً و مؤيداً، و ليس حجّة على الإطلاق، كما كان حديث المعصوم عليه السَّلام حجّة برأسه، أو قول الصحابي بالنسبة و في الغالب الأكثر حجّة معتبرة، فإنّما يقع قول التابعي في الدرجة الثالثة من (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، خ ١٢٨، ص ١٨٦ (صبحي صالح).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨

الاعتبار، و ليس على إطلاقه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩

إشارة

علمنا أن التفسير النقلي يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة، وما كان موقوفاً على الصحابة، أو المروى عن التابعين. أما تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة، أو بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك ممّا لا خلاف فيه ولا شك يعتره؛ لأنه من أحسن الطرق إلى فهم معانى كلامه تعالى، و أمتنها و أتقنها.

و أما ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وآله و سلم أو إلى أحد الأئمة الأطهار، و كان فى سنده ضعف أو فى متنه وهن، فذلك مردود غير مقبول، ما دام لم تصح نسبته إلى المعصوم.

و أما تفسير القرآن بالمروى عن الصحابة و التابعين، فقد تسرب إليه الخلل، و تطرق إليه الضعف و الوهن الكثير، إلى حدّ كاد يفقدنا الثقة بكل ما روى من ذلك - كما قال الأستاذ الذهبي «(١)» - حيث و فره أسباب الضعف و الوهن فى ذلك الخضم من المرويات، فى كتب التفسير المعزوة إلى الصحابة و التابعين. و قد (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٥٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠

خلط سليمها بسقيمها؛ بحيث خفى وجه الصواب.

و لقد كانت كثرة المروى من ذلك كثرة جاوزت الحدّ، و بخاصة ما إذا وجدنا التناقض و تضارب الأقوال، و كثيرا ما تضاد ما نسب إلى شخص واحد، كالمرويات عن ابن عباس، كان ذلك من أكبر عوامل زوال الثقة بها أو بالأكثرية الساحقة منها، الأمر الذى يستدعى التثبت لديهما، و إمعان النظر و البحث و التمحيص.

هذا الإمام أحمد بن حنبل يصرّح بأنه لم يثبت فى التفسير شيء، يقول: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازى، و الملاحم، و التفسير. قال المحققون من أصحابه:

مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة «(١)».

و هذا الإمام محمد بن إدريس الشافعى يقول: لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلّا شبيه بمائة حديث «(٢)». مراده: عدم صحّة الإسناد إليه فى الكثير من المرويات عنه.

و هذا الكلام، و إن كان مبالغا فيه، إلّا أنه يدلّنا على مبلغ ما دخل فى التفسير النقلي من الروايات المكذوبة المصطنعة، فضلا عن الضعاف و المراسيل.

و على أىّ تقدير فأسباب الوهن فى التفسير النقلي تعود إلى الأمور الثلاثة التالية:

أوّلا: ضعف الأسانيد و إرسالها أو حذفها رأسا؛ مما يوجب القدح فى التفسير بالمأثور.

و ثانيا: كثرة الوضع و الدسّ و التزوير فى الحديث و التفسير، بما أوجب (١) الإلتقان، ج ٤، ص ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١

زوال الثقة به.

و ثالثا: و فره الإسرائيليات فى التفسير و التاريخ بما شوّه وجه التفسير.

و لتكلم عن هذه الأمور الثلاثة فى شيء من التوضيح:

١- ضعف الأسانيد

مما أوجب الوهن فى وجه التفسير النقلي، ضعف الأسانيد بكثرة المجاهيل أو ضعاف الحال أو الإرسال أو حذف الإسناد رأسا، و ما

إلى ذلك مما يوجب ضعف الطريق في الحديث المأثور.

هذا إذا كنا نرافق علماء الأصول- أصول الفقه- في أساليبهم في توثيق الأسانيد أو تضعيفها، وجرينا معهم على غرار ما نجري في فقه الأحكام، و ملاحظة شرائط استنباطها من دلائل الكتاب و السنة. فإن كانت الشرائط هناك تجرى هنا- في باب التفسير- أيضا، كانت نفس الأساليب واجبة الاتباع، غير أن باب التفسير يختلف عن الفقه اختلافا في الجذور.

الفقه: استنباط أحكام و تكاليف ترجع إلى عمل المكلفين، إما فعلا- أو تركا، إلزاما أو رجحانا. فلا بد للفقيه من أن يستوثق في الاستنباط، و يبني الفروع على أصول متينة. و الاستيثاق و الاطمئنان إنما يحصلان بحصول الظن الغالب المعتبر شرعا و عقلايا؛ فيجب عليه اتباعه، و إن لم يحصل له القطع و اليقين؛ لأنّ ظنه هذا حجة معتبرة.

أما التفسير- و كذا التاريخ- فليس الأمر كذلك؛ حيث طريق الاستيثاق و الحجية تختلف أساليبه عن أساليب الفقه. إذا لا حجة تعبدية هنا، كما كانت حجة تعبدية هناك. فإن دليل التعبد قاصر الشمول هنا؛ إذ لا عمل يوجب التعبد فيه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢

إنما هو عقيدة و ركون نفس، إن حصلت أسبابه حصل، و إلا فلا، و لا معنى للتعبد في العقيدة و الرأي أو في وقوع حادثه أو عدم وقوعها.

مثلا: لا معنى للتعبد بأن تفسير الآية الفلانية كذا؛ إذ التفسير: كشف القناع عن وجه اللفظ المبهم، فإن ارتفع الإبهام و انكشف المعنى، أصبح موضع القبول و الإذعان به، و إن لم يرتفع الإبهام، فلا موضع للقبول و الإذعان تعبدًا محضًا. و هذا نظير الأحداث التاريخية، إنما يدعى بها إذا حصل الاطمئنان الشخصي بوقوعها من أى سبب كان، و لا يمكن التعبد بوقوع حدث تاريخي إطلاقًا.

و هذا معنى قولهم: لا اعتبار بالخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ و العقائد؛ إذ لا يوجب علما و لا عملا، حيث المطلوب في هذه الأبواب هو العلم، الذي لا يحصل بخبر الواحد بمجرد، كما لا عمل- فعلا أو تركا- هنا، كى يستدعى الخبر الواحد التعبد به. و من ثم اختص باب التعبد في اعتبار الخبر الواحد بالفقه؛ حيث العمل هناك محضًا.

إذن فما قيمة الحديث- الخبر الواحد- في باب التفسير و كذا التاريخ؟ الأمر الذي يجب الإمعان فيه: قيمة الخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ إنما هي بملاحظة المتن الوارد فيه، دون مجرد السند. فإن كان مضمون الخبر- و هو محتوى الحديث الوارد- ما يعالج دفع مشكلة إبهام في الأمر، فنفس المتن شاهد على صدقه، و إلا فلا دليل على التعبد به.

فالحديث المأثور عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أو عن أحد الأئمة عليهم السلام أو أحد الصحابة العلماء أو التابعين الكبار، إن كان يزيد في معرفة أو يرفع من إبهام في اللفظ أو المعنى فهو شاهد صدقه؛ ذلك أنهم أعرف بمواضع النزول و أقرب تناولا فيه؛ حيث قرب عهدهم به، أو أنهم حضروا الحادثة فنقلوها.

و للعقلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانية

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣

فيعتمدونه؛ و عليه جاء قوله تعالى: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** «١»، فقد أقر العقلاء على قبولهم للنبا ما لم يكن الآتي به متجاهرا بالفسق، ممن لا يتورع الكذب، و لا يخاف الله في سره و علانيته.

فمن عرف بالصدق و الأمانة قبل نبؤه، و من عرف بالكذب و الخيانة ترك، و من كان مجهولا ترثنا، فإن ظهرت منه دلائل الصدق قبلناه و إلا رفضناه.

إذن فشرط قبول الخبر احتفاهه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، و كون الراوى معروفا بالصدق و الأمانة، و على الأقل غير معروف بالكذب و الخيانة، و سلامة المتن و استقامته، مما يزيد علما أو يزيل شكًا. و أن لا يخالف معقولا أو منقولًا ثابتا في الدين و

الشريعة، الأمر الذى إذا توفّر فى حديث أوجب الاطمئنان به و إمكان ركون النفس إليه؛ و عليه فلا يضرّه حتى الإرسال فى السند إن وجدت سائر شرائط القبول

٢- الوضع فى التفسير

إشارة

كان الوضع و التزوير من أهم أسباب الوهن فى التفسير المأثور. فقد كانت الدواعى متوفرة للدسّ و الاختلاق فى المأثور من التفسير، إلى جنب الوضع فى الحديث، فهناك أسباب سياسية و أخرى مذهبية و كلامية، و ربما عاطفية، كانت عن قصور النظر لا عن سوء نية. و العمدة أنّ القرآن كان المحور الأساسى الذى يدور عليه رعى الدين و السياسة و السلوك آنذاك، فلا بدّ لكل منتحلي مسلك من المسالك أن يتشبّث بعرى القرآن، و يجعل من آياته الكريمة وسيلة ناجعة، لبلوغ (١) الحجرات / ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤

أهدافه إن خيرا و إن شرا، الأمر الذى جعل من سوق الكذب و التزوير فى التفسير و الحديث رابحة ذلك العهد. و قد بدئ ذلك على يد معاوية، حيث كان يجعل الجعائل على وضع الحديث أو قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين «١»، و راج ذلك طول عهد الأمويين و بعدهم العباسيين؛ حيث أخذ بالتوسع و الأتراد.

قال الأستاذ الذهبي: و كان مبدأ ظهور الوضع فى سنة إحدى و أربعين بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين حين اختلف المسلمون سياسيا، و تفرّقوا شيعا، و وجد من أهل البدع و الأهواء من روجوا لبدعهم و تعصّبوا لأهوائهم. و دخل فى الإسلام من تبطن الكفر و التحف الإسلام بقصد الكيد له و تضليل أهله. فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة و رغباتهم الخبيثة «٢». قال الأستاذ أبو رية: و قد أجمع الباحثون و العلماء المحققون، على أنّ نشأة الاختراع فى الرواية و وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم إنما كان فى أواخر عهد عثمان و بعد الفتنة التى أودت بحياته، ثم اشتد الاختراع و استفاض بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعه تامّة، حتى ذرّ قرن الشيطان الأموى ليغتصب الخلافة من صاحبها، و يجعلها حكما أمويا. و قد كان و أسفاه! «٣» و فى ذلك يقول الإمام الشيخ محمد عبده: و توالى الأحداث بعد الفتنة (١) راجع: شرح النهج لابن أبى الحديد، ج ٤، ص ٦٣، و سيأتى ذلك عند الكلام عن الوضع للسياسة.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) أضواء على السنة المحمدية، ص ١١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥

الكبرى، و نقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما عقدوا، و كانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين! غير أنّ بناء الجماعة قد انصدع، و انفصمت عرى الوحدة بينهم، و تفرقت بهم المذاهب فى الخلافة، و أخذت الأحزاب فى تأييد آرائهم، كل ينصر رأيه على رأى خصمه بالقول و العمل، و كانت نشأة الاختراع فى الرواية و التأويل، و غلا كل قبيل «١».

أهم أسباب الوضع

ذكروا لوضع الحديث و الكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و على أصحابه الخيار و الأئمة الأطهار أسبابا كثيرة، نأتى على أهمّها:

١- ما وضعه الزنادقة للباسون لباس الإسلام غشا و نفاقا، و قصدهم بذلك إفساد الدين و إيقاع الخلاف و الافتراق بين المسلمين. قال

حمّاد بن زيد:

وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث. قال أبو رية: هذا بحسب ما وصل إليه علمه و اختباره في كشف كذبها «٢»، و إلا فقد أكثر الزنادقة من وضع الأحاديث في أعداد هائلة. فهذا عبد الكريم بن أبي العوجاء- و كان خال معن بن زائدة و ربيب حماد بن سلمة، و كان يدسّ الأحاديث في كتب حماد- فلما أخذ و أتى به إلى محمد بن سليمان بن علي، فأمر بضرب عنقه لزندقته، فلما أيقن بالقتل قال: و الله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال و أحلّ فيها الحرام. (١) رسالة التوحيد، (ط ١)، ص ٧-٨. (٢) الأضواء، ص ١٢١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦

و لقد فطرتكم في يوم صومكم و صومتمكم في يوم فطركم. فهذا زنديق واحد يضع آلاف حديث، فكيف بغيره و هم كثيرون. و أيضا روى حماد بن زيد عن جعفر بن سليمان، قال: سمعت المهدي يقول: أقرّ عندى رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمئة حديث، فهي تحوّل في أيدي الناس. كما روى ابن الجوزي بإسناده إلى حماد بن زيد، يقول: وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أربعة عشر ألف حديث «١».

و أخرج جلال الدين السيوطي بإسناده إلى ابن مبارك، أنه قال بشأن حديث فضائل السور المعزوة إلى أبي بن كعب: أظنّ الزنادقة وضعته «٢»؛ و ذلك تشويها لسمعة القرآن الكريمة. و ذكر ابن الجوزي أن جماعة من الكذابين ندموا على كذبهم و تنصّلوا من ذلك. فقد حدّث عن أبي شيبه، قال: كنت أطوف بالبيت و رجل من قدامي يقول:

اللهم اغفر لي، و ما أراك تفعل! فقلت: يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك؟! فقال:

دعني، فقلت: أخبرني، فقال: إني كذبت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خمسين حديثا، و طارت في الناس، ما أقدر أن أردّ منها شيئا و قال ابن لهيعة: دخلت على شيخ و هو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: وضعت أربعمئة حديث أدرجتها إدراجا مع الناس، فلا أدري كيف أصنع؟! «٣» (١) الموضوعات لابن الجوزي، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

(٢) اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعه، ج ١، ص ٢٦٧، و راجع: الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١.

(٣) الموضوعات، ج ١، ص ٤٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧

٢- الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين و فروعه. فإنّ المذاهب و الآراء لما تشعبت، جعل كل فريق يستفرغ ما بوسعه لإثبات مذهبه و دعم عقيدته، لا- سيّما بعد ما فتح باب المجادلة و المناظرة في المذاهب و الآراء. و لم يكن المقصود من ذلك إلا إفحام الجانب الآخر مهما بلغ ثمن ذلك، و لو بالحطّ من كرامة الدين.

فقد روى ابن الجوزي بإسناده إلى الدارقطني عن أبي حاتم ابن حبان، قال:

سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت محمد بن أحمد بن الجعيد يقول:

سمعت عبد الله بن يزيد المعري يقول عن رجل من أهل البدع رجع عن بدعته، فجعل يقول: انظروا هذا الحديث ممّن تأخذونه، فإنّا كنّا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا.

و بإسناده إلى ابن لهيعة قال: سمعت شيئا من الخوارج تاب و رجع، و هو يقول: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم، فإنّا كنّا إذا هويتنا أمرا صيرناه حديثا. و عن آخر، قال: كنّا إذا اجتمعنا استحسنا شيئا جعلناه حديثا «١».

قال أبو رية: و ليس الوضع لنصرة المذاهب محصورا في المبتدعة و أهل المذاهب في الأصول، بل إن من أهل السنة المختلفين في

الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم إمامه.

من ذلك ما رواه الأحناف، قدحا في الشافعي ومدحا لأبي حنيفة،

بإسناد رفعوه إلى أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس، أضرّ على أمتي من إبليس. و يكون في أمتي رجل يقال له: أبو حنيفة، هو سراج أمتي». (١) الموضوعات، ج ١، ص ٣٨-٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨

وقد رواه الخطيب مقتصرًا على ما ذكره في أبي حنيفة، وقال: موضوع وضعه محمد بن سعيد المروزي البورقي، وهكذا حدث به في بلاد خراسان ثم حدث به في العراق، وزاد فيه:

«و سيكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس، فتنته أضرّ على أمتي من فتنه إبليس».

قال أبو رية: وهذا الإفك مما لا يحتاج إلى بيان بطلانه، ومع هذا تجد فقهاء الأحناف المعتبرين يذكرون في كتبهم الفقهية شقّ الحديث الذي يصف أبا حنيفة بأنه سراج الأمة و يسكنون إليه، بل يستدلون به على تعظيم إمامهم على سائر الأئمة.

الأمر الذي اضطرّ الشافعية إزاء ذلك أن يضعوا في إمامهم حديثًا يفضلونه على كل إمام، وهذا نصّه:

«أكرموا قريشا فإنّ عالمها يملأ طباق الأرض علما».

و أنصار الإمام مالك لم يلبثوا أن وضعوا في إمامهم هذا

الحديث: «يخرج الناس من المشرق إلى المغرب، فلا يجدون أعلم من عالم أهل المدينة»

. و أحاديث مشابهة وضعوها بهذا الشأن (١).

هذا فضلا عن الدسّ و التزوير في الأحاديث لنصرة المذهب.

هذا أبو العباس القرطبي - في شرح صحيح مسلم - يقول: أجاز بعض فقهاء أهل الرأي، نسبة الحكم الذي دلّ عليه القياس الجليّ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نسبة قولية. فيقولون في ذلك: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كذا و كذا؛ و لهذا

نرى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها بأنّها موضوعة؛ لأنها تشبه فتاوى الفقهاء، (١) أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٢٢. و راجع: الغدير (ج ٥، ص ٢٧٧-٢٨٨) للعلامة الأميني تجد فصلا مشبعا بهذه المدسوسات من المناقب و المكرمات.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩

و لا تليق بجزائه كلام سيّد المرسلين، كما لا يقيمون لها أسنادا.

قال أبو شامة في مختصر كتابه «المؤمل»: مما يفعل شيوخ الفقه في الأحاديث النبوية و الآثار المروية، كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون إليه، نصره لقولهم، و ينقصون في ألفاظ الحديث، و تارة يزيدون فيه. قال: و ما أكثره في كتب أبي المعالي و

صاحبه أبي حامد (١).

٣- شدة الترهيب و زيادة الترغيب لأجل هداية الناس. فقد تساهل الوعّاظ و علماء الأخلاق في تصحيح ما يروونه بهذا الشأن، و ربما تنازل بعضهم فأجاز الاختلاق في ذلك، ما دام الغرض هو هداية الناس، و ليس إغواءهم. فقد كان الوضع لله، و برّ بعضهم ذلك

بأنه إنما كذب لرسول الله و لم يكذب عليه.

يقول أبو رية عن العبّاد و الصوفية: إنه راجت عليهم الأكاذيب و حدثوا عن غير معرفة و لا بصيرة، فيجب أن لا يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ و الرقائق و التصوّف، من غير بيان تخريجها و درجتها. و لا يختص هذا الحكم بالكتب التي لا يعرف

لمؤلّفها قدم في العلم، ككتاب «نزهة المجالس» المملوء بالأكاذيب في الحديث و غيره. بل إن كتب أئمة العلماء ك «الإحياء للغزالي» لا تخلو من الموضوعات الكثيرة (٢).

قلت: و هكذا بعض كتب الوعظ و الإرشاد عندنا، ككتاب «الأنوار النعمانية» للسيد نعمه الله الجزائري، مملوء بالأكاذيب و المخاريق،

و مثله كتاب «خزائن الجواهر» للشيخ على أكبر النهاوندى فيه من المخاريق الطامات. و أيضا كتب (١) المختصر، ص ٢١، (الأضواء، ص ١٢٢).

(٢) الأضواء، ص ١٢٢-١٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠

المقاتل و المراثى من المتأخرين، ككتاب «محرق القلوب» للمولى مهدى النراقى، و كتاب «أسرار الشهادة» لآقا بن عابد الدربندى المملوء بالأكاذيب و الطامات.

و أمثال هذه الكتب كثير مع الأسف، كتبها أيدي أناس ضعاف العقول، ممن تساهلوا فى أمر الدين، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، سامحهم الله.

أخرج ابن الجوزى بإسناده إلى محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملا يقول:

حدّثنى شيخ بفضائل سور القرآن الذى يروى عن أبى بن كعب. فقلت للشيخ: من حدّثك؟ قال: حدّثنى رجل بالمدائن و هو حى، فصرت إليه. فقال: حدّثنى شيخ بواسطة و هو حى، فصرت إليه. فقال: حدّثنى شيخ بالبصرة، فصرت إليه. فقال:

حدّثنى شيخ بعبادان، فصرت إليه. فأخذ بيدي فأدخلنى بيتا فإذا فيه قوم من المتصوّفة و معهم شيخ. فقال: هذا الشيخ حدّثنى. فقلت: يا شيخ من حدّثك؟

فقال: لم يحدّثنى أحد، و لكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن «١».

و من ثمّ قال يحيى بن سعيد القطان: لم نر الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث.

و أوله مسلم بأنّه يجرى الكذب على لسانهم و لا يتعمدون الكذب «٢».

قال القرطبى فى «التذكار» لا التفات لما وضعه الواضعون و اختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة و الأخبار الباطلة فى فضل سور القرآن، و غير ذلك من فضائل الأعمال، و قد ارتكبتها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبه- كما زعموا- يدعون الناس إلى فضائل

الأعمال، كما روى عن أبى عصمة نوح بن أبى (١) الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١. و اللئالى المصنوعة للسيوطى، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) مقدمة صحيح مسلم؛ الحديث، رقم ٤٠، ج ١، ص ١٣-١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١

مريم المروزى و محمد بن عكاشة الكرمانى، و أحمد بن عبد الله الجوبيارى، و غيرهم. قيل لأبى عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقّه أبى حنيفة و مغازى محمد

بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبه! و قال: قد ذكر الحاكم و غيره من شيوخ المحدثين: أن رجلا من الزهاد انتدب فى وضع أحاديث فى فضل القرآن و سورة. ف قيل له: لم فعلت هذا؟ فقال:

رأيت الناس زهدوا فى القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه! ف قيل له: فإن

النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له.

قال تحذيرا من الأحاديث الموضوعية: و أعظمهم ضررا، قوم منسوبون إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبه! فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم و ركونا إليهم، فضلوا و أضلوا «١».

و هذا ميسرة بن عبد ربّه- كان كذابا و ضاعا- وضع فى فضل قزوين أربعين حديثا. قال أبو زرعة: كان يقول: إنى أحسب فى ذلك. و قال ابن الطبايع: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه. و قد وصفه جماعة

بالزهد.

و هكذا كان الحسن - الراوى عن المسيب بن واضح - ممن يضع الحديث حسبه.

و كان نعيم بن حماد يضع الحديث فى تقوية السنه «٢». (١) التذكار للقرطبي، ص ١٥٥ - ١٥٦. (الغدِير، ج ٥، ص ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٢) راجع: الغدير، ج ٥، ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢

و كان الهيثم الطائى يقوم عامه الليل بالصلاه، فإذا أصبح يجلس و يكذب، و أمثاله كثير من الزهاد كانوا من الوضاعين حسبه لله فيما زعموا «١».

قال ابن الجوزى: منهم قوم وضعوا الأحاديث فى الترغيب و التهيب؛ ليحثوا الناس بزعمهم على الخير و يذروهم عن الشر. و هذا تعاط على الشريعة، و مضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمه، فقد أتمناها. ثم أسند إلى أبى عبد الله النهاوندى، قال: قلت لغلام خليل: هذه الأحاديث التى تحدت بها من الرقائق؟ فقال: وضعناها لترقق بها قلوب العامة. و كان غلام خليل هذا يتزهد و يهجن شهوات الدنيا و يتقوت بالاقلاء تصوفا. و غلقت أسواق بغداد يوم موته «٢».

٤- وضع الحديث تزلفا لدى الأمراء. كان بعض ضعفاء النفوس من المحدثين الضعيفى الإيمان يتزلفون لدى الأمراء و السلاطين، بوضع أحاديث تروقهم، أو تشيد من شناعاتهم فى السياسة و الحكم.

كان الرشيد يعجبه الحمام و اللهو به، فأهدى إليه حمام، و عنده

أبو البخترى القاضى «٣»، فقال: روى أبو هريرة عن النبى أنه قال: لا سبق إلا فى خف أو حافر أو جناح. فزاد جناح

. و قد وضعها تزلفا لدى الرشيد، فأعطاه جائزة سنية. و لما (١) و قد أفرد العلامة الأمينى فصلا أورد أسماءهم فيه (الغدِير، ج ٥، ص ٢٧٥ - ٢٧٧).

(٢) الموضوعات، ج ١، ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) أبو البخترى، وهب بن وهب، انتقل من المدينة إلى بغداد فى خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي (المحلة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقى من بغداد) ثم عزله و ولاه القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بعد بكار بن عبد الله الزبيرى، و جعل إليه ولاية حربها، مع القضاء. ثم عزله، فقدم بغداد و أقام بها إلى أن هلك سنة ٢٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣

خرج قال الرشيد: و الله لقد علمت أنه كذاب، و أمر بالحمام أن يذبح. فقيل له:

و ما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «١». و حكى ابن الجوزى نظير هذه القصة لغيث بن إبراهيم بمحضر المهدي العباسى «٢».

و هكذا

حدت الرشيد: أن جعفر بن محمد حدثه عن أبيه: أن جبرائيل نزل على النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عليه قباء أسود و منطقة.

و إنما قال ذلك؛ لأن ذلك كان شعار العباسيين. فدخل يحيى بن معين، فقال له: كذبت يا عدو الله، و قال للشرطيئة خذوه ... فقال فيه المعافى التيمى:

ويل و عول لأبى البخترى إذا توافى الناس فى المحشر

من قوله الزور و إعلانه بالكذب فى الناس على جعفر

إلى آخر الأبيات، و هى مشهورة. و لما بلغ ابن المهدي موته قال: الحمد لله الذى أراح المسلمين منه «٣».

و

روى ابن الجوزى عن زكريا بن يحيى الساجى، قال: بلغنى أن أبا البخترى دخل على الرشيد - و هو قاض - و هارون إذ ذاك يطير

الحمام، فقال: هل تحفظ في هذا شيئاً؟ فقال: حدّثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: «إن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم كان يطير الحمام». فقال هارون: أخرج عنّي. ثم قال: لو لا أنه رجل من قريش لعزلته.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل أبي البختری، واسمه وهب بن (١) راجع: تفسير القرطبي (المقدمة)، ج ١، ص ٧٩-٨٠.
(٢) الموضوعات، ج ١، ص ٤٢.

(٣) لسان الميزان لابن حجر، ج ٦، ص ٢٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤
وهب. كان من كبار الوضّاعين «١».

و

روى حديث القباء الأسود، قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم في قباء أسود و منطقة. فقال أبو البختری: «حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبرئيل على النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم و عليه قباء أسود و منطقة، محتجزاً فيها بخنجر».

قال يحيى بن معين: وقفت على حلقة أبي البختری و هو يحدّث بهذا الحديث، مسنداً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر. فقلت له: كذبت يا عدوّ الله، على رسول الله. قال: فأخذني الشرط. فقلت: هذا يزعم أن رسول ربّ العالمين نزل على النبي و عليه قباء. فقالوا لي: هذا و الله قاصّ كذاب. و أفرجوا عنّي «٢».

و الأحاديث في أولاد العباس و ملكهم، و لا سيّما الزيّ العباسي الذي تزيّاه جبرائيل، كثيرة، أوردها ابن الجوزي في موضوعاته و فنّدها خير تفنيد فراجع «٣».

٥- الوضع نزولاً- مع سياسة الطغاة. كان معاوية أوّل من وضع سياسته على وضع الأحاديث و قلبها، تمشياً مع أهدافه المرتدلة، في التغلب على واقع الإسلام الرفيع.

قال الأستاذ أبو ريّة: لا بد لنا أن نكشف عن ناحية خطيرة من نواحي الوضع في الحديث، كان لها أثر بعيد في الحياة الإسلامية، و لا يزال هذا الأثر يعمل عمله (١) الموضوعات، ج ٣، ص ١٢.

(٢) الموضوعات، ج ٣، ص ٤٧-٤٨.

(٣) المصدر، ج ٢، ص ٣٠-٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥

في الأفكار العفنة و العقول المتخلفة و النفوس المتعصبة. ذلك أن السياسة قد دخلت في هذا الأمر، و أثرت فيه تأثيراً بالغاً، فسخرته ليؤيدها في حكمها، و جعلته من أقوى الدعائم لإقامة بنائها.

و قد علا موج هذا الوضع السياسي و طغا ماؤه في عهد معاوية الذي أعان عليه و ساعده بنفوذ و ماله، فلم يقف و ضاع الحديث عند بيان فضله و الإشادة بذكره، بل أمعنوا في مناصرته، و التعصّب له، حتى رفعوا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم و لا البلد الحرام الذي ولد فيه. و أسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً، و أكثروا حتى ألفت في ذلك مصنّفات «١».

و ذكر ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة و قوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السّلام تقتضي الطعن فيه و البراءة منه، و جعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه. منهم: أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبه، و من التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدّثه، قال: حدّثني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل العباس و

على. فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي - أو قال - غير ديني.

و في حديث آخر عنه، قال: حدثني عائشة، قالت: كنت عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ أقبل العباس و علي، فقال: يا عائشة، إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار، فانظري إلى هذين قد طلعا.
و أما

عمرو بن العاص فقد أخرج عنه البخاري و مسلم بإسناد متصل إليه، (١) الأضواء، ص ١٢٦-١٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦

قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء. إنما وليي الله و صالح المؤمنين».

و

أما أبو هريرة فروى عنه الحديث الذي معناه: أن عليا عليه السَّلام خطب ابنه أبا جهل في حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأسخطه، فخطب، و قال: لاها الله، لا تجتمع ابنه ولى الله و ابنه عدو الله أبا جهل، إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها. فإن كان علي يريد ابنه أبا جهل فليفارق ابنتي، و ليفعل ما يريد.

و أيضا

روى أبو جعفر عن الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة «١»، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مرارا، و قال: يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله و على رسوله «٢» و أحرقت نفسي بالنار! و الله لقد سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن لكل نبي حراما، و إن حرمي بالمدينة ما بين غيري إلى ثور. فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين»، و أشهد أن عليا أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازته و أكرمه و ولّاه إمارة المدينة «٣». (١) هو العام الذي نزل فيه الإمام السبط الأكبر عن الحكم لمعاوية الطاغية، حقنا لدماء المسلمين سنة ٤١. و سَمَّوه عام الجماعة. قال أبو ريّة: و هو في الحقيقة كان عام التفرقة.
الأضواء - بالهامش - ص ٢١٦.

(٢) قال أبو ريّة: يبدو من هذا القول أن كذب أبي هريرة على النبي كان قد أشتهر من أول يومه حتى عم الآفاق. لأنه قال ذلك و هو بالعراق، و أن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان. قلت: و لقد كان معروفا بالكذب قبل ذلك. روى ابن أبي الحديد في الشرح (ج ٤، ص ٦٧-٦٨): أن عمر ضربه بالدرة، و قال له: قد أكثرت من الرواية و أحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣) راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣-٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧

و أيضا روى عن شيخه أبي جعفر: أن معاوية بذل لسمره بن جندب - الرجل الوقح - مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: و مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ «١» و أن الآية الأخرى نزلت في ابن ملجم، و هي قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ «٢» فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، و روى ذلك «٣».

نعم كان معاوية يرى لنفسه ما يضاهاى به عليا في مثل مقامه و مرتبته، و من ثم كان يحاول الانتشال من مقامه الوضع ليتسنى له المقابلة مع مثل أمير المؤمنين عليه السَّلام فكان يجعل الجعائل للوضع في تفضيله و تفضيل بلاده التي كان يحكمها، و حاضرة ملكه، كان يجهد جهده في ذلك.

قال أبو رية: و معاوية- كما هو معروف- أسلم هو و أبوه يوم فتح مكة، فهو بذلك من الطلقاء. و كان كذلك من المؤلفه قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمننا لإسلامهم. و هو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام، فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة. و قد اتخذ دمشق حاضرة لملكه، و قد وضعوا فيه و في تفضيل الشام أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نذكر منها:

ما

أخرجه الترمذى أن النبي قال لمعاوية: اللهم اجعله هاديا مهديا

و .

في حديث آخر أن النبي قال: (١) البقرة/ ٢٠٤- ٢٠٥.

(٢) البقرة/ ٢٠٧.

(٣) شرح النهج، ج ٤، ص ٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨

اللهم علمه الكتاب و الحساب و قه العذاب- و هناك زيادة:- و أدخله الجنة

. و على كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق بن راهويه و هو الإمام الكبير و شيخ البخارى قد قال: إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء «١».

و للعلامة الأمينى هنا مقال ضاف بشأن المغالاة في فضائل معاوية، و قد أردفها بما ورد في ذمه من أحاديث صحاح لا مغمز في إسنادهما، جعلنا في غنى عن الكلام فيه هنا، فراجع «٢».

و هكذا ذكر الأستاذ أبو رية: أن إشادة كهان اليهود- يريد كعبا و أذنا به- إلى أن ملك النبي سيكون بالشام إنما هو لأمر خبيء في أنفسهم. و قد تبين أن الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره و الثناء عليه، إلا لقيام دولة بنى أمية فيه، تلك الدولة التي قلبت الحكم من خلافة عادلة إلى ملك عضوض، و التي تحت كنفها و في أيامها نشأت الفرق الإسلامية التي فتت في عضد الدولة الإسلامية و مزقتها تمزيقا، و استفاض فيها وضع الحديث. فكان جديرا بكهنة اليهود أن ينتهزوا هذه الفرصة و ينفخوا في نار الفتنة، و يمدوها بجيوش الأكاذيب و الكيد. و كان من هذه الأكاذيب أن بالغوا في مدح الشام و أهله، و أن الخير كل الخير فيه، و الشر كل الشر في غيره «٣».

و مما قاله هؤلاء الكهنة بهذا الشأن: إن ملك النبي سيكون بالشام،

روى البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة- تلميذ كعب- مرفوعا: الخلافة بالمدينة (١) الأضواء، ص ١٢٨.

(٢) الغدير، ج ١٠، ص ١٣٨، فما بعد.

(٣) الأضواء، ص ١٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩

و الملك بالشام

. و عن كعب: أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه.

و من

حديث: ستفتح عليكم الشام، فإذا خيّرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها: «دمشق»- و هي حاضرة الأمويين- فإنها معقل المسلمين في الملاحم، و فسطاطها منها بأرض يقال لها: «الغوطة».

و قد جعلوا دمشق هذه، هي الربوة التي ذكرت في القرآن الكريم:

وَ أَوْيَأُهُم إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ «١» و ذلك في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قد جعلها أبو هريرة من

مدائن الجنة أيضا في

حديث رفعه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا نَصُّه: «أربع مدائن من مدائن الجَنَّة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق» (٢). و هكذا نرى معاوية الذي تعلَّم من كعب كيف يضع الحديث، يصف نفسه بأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعده بأنه سيلي الخلافة من بعده.

قال في خطبته لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعه الإمام الحسن عليه السَّلام سنة (٤١): «أيها الناس، إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: إنك ستلي الخلافة من بعدى، فاختر الأرض المقدسة، فإنَّ فيها الإبدال» (٣). قال أبو رِيَّة: و ما كاد معاوية يذكر أن الشام أرض الأبدال إلَّا و ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال و قد أوردها السيوطي في «الجامع الصغير» (٤). (١) المؤمنون / ٥٠. (٢) الأضواء، ص ١٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢.

(٤) الأضواء، ص ١٣٠ - ١٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠

و بذلك نكشف عن جانب خطير من كيد الدهاء اليهودي للمسلمين و دينهم و ملكهم.

ذلك أنهم لم يكتفوا بما قالوه في الشام بل زادوا على ذلك بأن جعلوا الطائفة الظاهرة على الحق تكون في الشام كذلك، و حتى نزول عيسى الذي قالوا عنه: سيكون بأرضه.

فقد جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم و لا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله و هم كذلك

. روى البخارى: هم بالشام «١». و

في رواية أبي أمامة الباهلي: أنهم لما سألوا النبي قال:

بيت المقدس و أكناف بيت المقدس «٢».

و

في مسلم عن أبي هريرة: أن النبي قال: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة

. قال أحمد و غيره: هم أهل الشام.

و في «كشف الخفاء»: أن كعب الأخبار قال: أهل الشام سيف من سيوف الله، ينتقم الله بهم من العصاة.

قال أبو رِيَّة: و لعل العصاة هنا هم الذين لا ينضون تحت لواء معاوية، و يتبعون غيره. و غيره هو الإمام أمير المؤمنين على بن أبي

طالب عليه السَّلام «٣». (١) صحيح البخارى، ج ٤، ص ٢٥٢.

(٢) نهاية الإرب، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) الأضواء، ص ١٧٠ - ١٧١. و من طريف ما يذكر هنا: أن رجلا لقي كعب الأخبار فسلم عليه و دعا له. فسأله كعب: ممن هو؟ فقال:

من أهل الشام. قال: لعلك من الجند الذين يدخلون الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب. قال الرجل: و من هم؟ قال: أهل دمشق. قال:

لست منهم. قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم في كل يوم مرتين، قال: و من هم؟ قال:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١

نعم وجد أهل الحقد على الإسلام في معاوية و الشام أرضية خصبة لبذر النفاق و التفريق بين كلمة المسلمين، فعادوا عليا عليه السَّلام

حيث وجدوه المثل الأتم لحقيقة الإسلام الناصعة، و أفرغوا عداهم له و للإسلام، في قالب الثناء على معاوية و الشام بلد الأبدال، فيما

اختلقوه.

أخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي ما تقول في عليّ و معاوية؟ فأطرق، ثم قال: ايش أقول فيهما، أن عليا عليه السلام كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل - يريد معاوية - قد حاربه و قاتله فأطروه، كيدا منهم لعليّ عليه السلام «١».

قال ابن حجر: فأشار بهذا إلى ما اختلفوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له.

قال: و قد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد. و بذلك جزم إسحاق بن راهويه و النسائي و غيرهما «٢».

و من طريف الأمر، أن البخارى فى كتاب «الفضائل» نراه عنوان الباب الذى خصّه بمعاوية، بقوله: «باب ذكر معاوية»، و لم يجزأ أن يعنونه بلفظة «الفضائل» كما فى سائر الأبواب، و بالفعل لم يأت فيه شيئا مذكورا «٣»، و هكذا ابن الجوزى «٤» و غيره. و من ثم قال ابن حجر فى الشرح: عبر البخارى فى هذه أهل فلسطين. قال الرجل: أنا منهم. و فى لفظ: قال: لعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم بسبعين، قال: و من هم؟ قال: أهل حمص. (تاريخ ابن عساکر، ج ١، ص ٥٧). قال أبو ريّة: و حمص هذه هى البلدة التى دفن فيها جثمان كعب.

(١) الموضوعات، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) فتح البارى بشرح البخارى، ج ٧، ص ٨١.

(٣) صحيح البخارى، ج ٥، ص ٣٥.

(٤) الموضوعات، ج ٢، ص ١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢

الترجمة بقوله «ذكر» و لم يقل: «فضيلة» و لا «منقبة»، لكون «الفضيلة» لا تؤخذ من حديث الباب «١»، أى لا تستفاد فضيلة من الحديث الذى ذكره تحت هذه الترجمة، و قد عرفت أنه لم يصح فيه حديث.

و روى الذهبى قال: سئل النسائي - و هو بدمشق - عن فضائل معاوية، فقال:

ألا يرضى رأسا برأس، حتى يفصل؟! قال الذهبى: فما زالوا يدافعونه حتى أخرج من المجلس، و حمل إلى الكوفة، فتوفى بها «٢».

و هكذا استمر الحال بعد معاوية ما دامت السلطة الأموية قائمة. فهذا هشام بن عبد الملك نراه يفرض على أتباعه و متعلميه من علماء ذلك العصر أن يرووا أن الآية: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ «٣» نزلت فى عليّ عليه السلام فأقرّوه على ذلك «٤».

٦- الوضع نزولا مع رغبة العامة، و رغبة فيما بأيديهم من حطام الدنيا. و هذه مهنة القصاصين، يقصّون على الناس القصص و الأساطير البائدة و يحدّثونهم الغرائب و العجائب، ليستدروا ما لديهم من نقود و إعانات و فضول طعام.

و قد كان وضع الحديث لإرضاء الناس و ابتغاء القبول عندهم، و استمالتهم لحضور مجالسهم الوعظية، و توسيع حلقاتهم، أمرا رائجا و لا يزال. (١) فتح البارى، ج ٧، ص ٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٣٢. و هو الذى

روى حديث «اللهم لا تشعب بطنه»، ص ١٢٩. (٣) النور / ١١.

(٤) الموضوعات فى الآثار و الأخبار، هاشم معروف الحسنى، ص ١٣٧ و ١٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣

قال القرطبي فى مقدمته تفسيره: منهم (من الوضاع و الكذابين) قوم من السوّال و المكدين، يقفون فى الأسواق و المساجد، فيضعون على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد «١».

قال ابن الجوزى: هناك قوم شقّ عليهم الحفظ، فضربوا نقد الوقت، و ربّما رأوا أن الحفظ معروف، فأتوا بما يغرب مما يحصل

مقصودهم، فهؤلاء قسمان، أحدهما: القصاص، و معظم البلاء منهم يجرى؛ لأنهم يزيدون أحاديث تثقف و ترقق، و الصحاح يقل فيها هذا. ثم إن الحفظ يشق عليهم و يتفق عدم الدين، و من يحضرهم جهال، فيقولون. و لقد حكى لى فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا و كان يظهر النسك و التخشع، أنه حكى لهما، قال: يوم عاشوراء، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من فعل اليوم كذا فله كذا، و من فعل كذا فله كذا، إلى آخر المجلس. فقالا له: و من أين حفظت هذه الأحاديث؟ فقال: و الله ما حفظتها، و لا أعرفها، بل فى وقتى قلتها.

قال: و لا جرم كان القصاص شديداً النعير، ساقطى الجاه، لا يلتفت الناس إليهم، فلا لهم دنيا و لا آخرة. و قد صنف بعض قصاص زماننا كتاباً فذكر فيه:

«أن الحسن و الحسين دخلا على عمر بن الخطاب و هو مشغول، فلما فرغ من شغله رفع رأسه فرآهما، فقام فقبلهما، و وهب لكل واحد منهما ألفاً، و قال: اجعلانى فى حلّ، فما عرفت دخولكما، فرجعا و شكراه بين يدى أبيهما على عليه السلام. فقال على: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: عمر بن الخطاب نور فى الإسلام و سراج لأهل الجنة. فرجعا فحدّثاه. فدعا بدواة و قرطاس و كتب: بسم الله الرحمن (١) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤

الرحيم، حدّثنى سيدا شباب أهل الجنة عن أبيهما المرتضى عن جدّهما المصطفى أنه قال: عمر نور الإسلام فى الدنيا و سراج أهل الجنة فى الجنة.

و أوصى أن تجعل فى كفنه على صدره، فوضع. فلما أصبحوا وجدوه على قبره، و فيه: صدق الحسن و الحسين و صدق أبوهما و صدق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: عمر نور الإسلام و سراج أهل الجنة».

قال ابن الجوزى: و العجب بهذا الذى بلغت به الوقاحة إلى أن يضيف مثل هذا. و ما كفاه حتى عرضه على كبار الفقهاء، فكتبوا عليه تصويب ذلك التصنيف.

فلا هو عرف أنّ مثل هذا محال و لا هم عرفوا. و هذا جهل متوفّر، علم به أنّه من أجهل الجهال الذين ما شمّوا ريح النقل، و لعلّه قد سمعه من بعض الطرفين (١).

قال الإمام أحمد بن حنبل: أكذب الناس السّؤال و القصاص.

و عن أبى قلابه: ما أمت العلم إلّا القصاص.

و كان أبو عبد الرحمن يقول: اتقوا القصاص (٢).

و كان الذى أحدث القصص - فى المساجد - هو معاوية بن أبى سفيان. فقد أخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن نافع و غيره من أهل العلم، قالوا: إنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة (٣).

لكن سيوافيك فى قصة الإسرائيليات أنّ القصص فى المساجد، حدث فى أواخر عهد عمر، حين استجازه تميم الدارى فأجازه أن يقصّ قائماً فى مسجد (١) الموضوعات، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

(٢) الأضواء لأبى ربه، ص ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥

المدينة (١). و هكذا استمر على عهد عثمان، حتى كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذى طرد القصاص من المساجد على عهده (٢)، الأمر الذى قد أصرّ معاوية على تداومه فى المساجد، منذ أن أجازه عمر بن الخطاب.

و كان الذى أشاع القصّ فى المساجد هو كعب الأحبار؛ حيث انتهز الفرصة أيام الفتنة لبثّ مخاريقه بين المسلمين كيدا بالإسلام؛ و

ذلك أن وجد من سياسة معاوية إمكان إشاعة أساطيره بين الناس.

كان كعب قد توغّده عمر بالنفى إلى أرض القرده إذا هو روى إسرائيلياته أو ما كان يلصقه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أحاديث خرافة (ستوايك في حقل الإسرائيليات).

فلم يجد كعب تلقاء هذا التهديد مناصا من أن يدعن في غيظ و موجدة، ثم أخذ يسعى في الخفاء لكي يحقق أغراضه التي أسلم من أجلها. قال أبو رية: و ما لبث أن أتحت له فرصة المؤامرة التي دبرتها جمعيتهم سرية لقتل عمر، فاشترك هو فيها، و نفخ في نارها. فلما خلا له الجوّ بقتله، أطلق العنان لنفسه لكي يبث ما شاء الكيد اليهودي أن يبث من الخرافات الإسرائيليات التي تشوّه بهاء الدين، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار أمثال: عبد الله بن عمرو بن العاص، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، و أبي هريرة. و قد درس هذا الكاهن اليهودي في ملامح معاوية تحقيق أهدافه و إمكان رواج إسرائيلياته، فلم يدع تلك الفرصة، و اغتتمها منذ عهد عثمان.

ذلك أنه لما اشتعلت نيران الفتنة في زمن عثمان و اشتد زفيرها، حتى التهمت (١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٢) فجر الإسلام لأحمد أمين، ص ١٥٩ - ١٦٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٦

عثمان فقتلته و هو - أي كعب الأخبار - في بيته، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمرّ دون أن يتهلها، بل أسرع ينفخ في نارها، و يسهم بكيده اليهودي فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلا. و قد كان من كيده في هذه الفتنة أن أرهص بيهوديته بأن الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية.

فقد روى وكيع عن الأعمش عن أبي صالح: أن الحادي كان يحدو بعثمان يقول:

إن الأمير بعده عليّ و في الزبير خلق رضى «١»

فقال كعب: بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - و كان يراه يركب بغلة، فبلغ ذلك معاوية فأتاه، فقال: يا أبا إسحاق ما تقول هذا؟ و هاهنا عليّ و الزبير و أصحاب محمد! قال: أنت صاحبها - لعله أردف ذلك بقوله: إنّي وجدت ذلك في التوراة - كما هي عادته.

و قدّر معاوية هذه اليد الجليئة لكعب، و أخذ يغمره بإفضاله.

و قد عرف من تاريخ هذا الكاهن أنه تحوّل إلى الشام في عهد عثمان، و عاش تحت كنف معاوية، فاستصفاه معاوية لنفسه و جعله من خصائه، لكي يروى من أكاذيبه و إسرائيلياته ما شاء أن يروى في قصصه؛ لتأييده، و تثبيت قوائم دولته.

و قد ذكر ابن حجر العسقلاني بأن معاوية هو الذي أمر كعبا بأن يقصّ في الشام «٢». و هو الذي بثّ أحاديث تفضيل الشام و أهلها، سواء بنفسه أو على يد تلامذته. (١) النزاع و التخاصم فيما بين بني أمية و بني هاشم، للمقرزي، ص ٥١.

(٢) الإصاغة، ج ٣، ص ٣١٦ و راجع: الأضواء، ص ١٧٩ - ١٨١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧

أقسام الوضّاعين

قسّم ابن الجوزي الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع و الكذب و المقلوب إلى خمسة أقسام: القسم الأول: قوم غلب عليهم الزهد و التقشّف، فتغفّلوا عن الحفظ و التمييز. و منهم من ضاعت كتبه أو احترقت أو دفنها، ثم حدّث من حفظه فغلط.

فهؤلاء تارة يرفعون المرسل، و تارة يسندون الموقوف، و تارة يقبلون الإسناد، و تارة يدخلون حديثا في حديث.

و القسم الثاني: قوم لم يعانوا على النقل، فكثرت خطاؤهم و فحش، على نحو ما جرى للقسم الأول.

و القسم الثالث: قوم ثقات لكنهم اختلطت عقولهم في آخر أعمارهم، فخلطوا في الرواية.

و القسم الرابع: قوم متغفلون، فمنهم من كان يلقن فيلقن، و منهم من يروي حديثا فيظن أنه سمعه و لم يسمعه، أو يظن جواز إسناد ما لم يسمع. و قد قيل لبعضهم: هذه الصحيفة سماعك؟ فقال: لا، و لكن مات الذي رواها فرويتها مكانه. و منهم من كان بعض أولاده يضع له الحديث، فيدون و لا يعلم.

و القسم الخامس: قوم تعمدوا الكذب، و هؤلاء على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: قوم رووا الخطأ من غير أن يعلموا أنه خطأ. فلما عرفوا وجه الصواب أنفوا أن يرجعوا، فأصروا على خطائهم، أنفأ أن ينسبوا إلى غلط.

و الصنف الثاني: قوم رووا عن كذابين و عن ضعفاء يعلمونهم، لكنهم دلسوا في أسمائهم. فالكذب من أولئك المجروحين، و الخطأ القبيح من هؤلاء المدلسين.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨

و الصنف الثالث: قوم تعمدوا الكذب الصريح.

و هؤلاء، منهم الزنادقة، وضعوا الحديث قصدا إلى إفساد الشريعة، و إيقاع الشك في قلوب العامة، و التلاعب بالدين، أمثال: ابن أبي العوجاء وضع أربعة آلاف حديث. و غيره ممن وضعوا كميات كبيرة، أحلوا بها الحرام و حرّموا بها الحلال.

و منهم، أصحاب العصبية الجاهلة، كانوا يضعون الحديث نصرة لمذهبهم، و سؤل لهم الشيطان أن ذلك جائز.

و منهم، أهل التصوّف و التقشّف، وضعوا الحديث في الترغيب و التهيب، ليحثوا الناس - بزعمهم - على فعل الخير و ترك الشر، و هذا تعاط على الشريعة، و مضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة فقد أتّموها.

و منهم، قوم استجازوا وضع الأسانيد لكل كلام حسن، فقد حدّث محمد بن خالد عن أبيه قال: سمعت محمد بن سعيد يقول: لا بأس إذا كان الكلام حسنا أن تضع له إسنادا.

و منهم قوم وضعوا الحديث ترلّفا إلى سلطان أو نيلا إلى نوال، كما وضع غياث بن إبراهيم

حديث «لا سبق في جناح»

ترلّفا إلى المهدي، و كان يحبّ الحمام.

و منهم من كان يضع الحديث جوابا لسائله ليحظى منزلة رفيعة لديه.

و منهم من كان يضع الحديث لقدح أو مدح في أناس لأغراض مختلفة، كالأحاديث الموضوعّة في قدح و مدح الشافعي و أبي حنيفة.

و منهم من كان يضع الغريب من الحديث، استجلابا لأنظار العامة، كما كان يفعل القصاص؛ و معظم البلاء منهم يجري، لأنهم يزيدون أحاديث تتقف و ترقق، و الصحاح يقل فيها هذا. لا جرم كان القصاص شديدي النعير ساقطي

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩

الجاه، لا التفات إليهم، ليست لهم دنيا و لا آخرة.

و من هؤلاء القصاص سخّاذون، يضعون الحديث و يسندوه إلى من شاءوا، و لا سيما من كان معروفا لدى العامة بالجاه و القبول.

قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل و يحيى بن معين في مسجد الرصافة. فقام بين أيديهم قصاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قالوا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: «من

قال: لا- إله إلا الله، خلق الله كل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ في قصّة نحو عشرين ورقة. فجعل

أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه وأخذ القطيعات، ثم قعد ينتظر بقيتها، أشار إليه يحيى بيده أن تعال، فجاء متوهما النوال. فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال: أنا يحيى وهذا أحمد، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فإن كان لا بد والكذب فعلى غيرنا! فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم. قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق، ما تحققت إلا الساعة. قال له يحيى: كيف علمت أنني أحق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فوضع أحمد كفه على وجهه، وقال: دعه يقوم. فقام كالمستهزئ بهما «١». (١) الموضوعات، ج ١، ص ٣٥-٤٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠

أقطاب الوضاعين

قال الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي - صاحب السنن -: الكذّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد بالشام، يعرف بالمصلوب «١». أما ابن أبي يحيى، فهو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، واسمه سمعان الأسلمي المدني. روى عن الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري، و روى عنه الثوري والإمام الشافعي. رمى بالقدر والتشيع والكذب. قال ابن عدى: لم أجد لإبراهيم حديثا منكرا إلا عن شيوخ يحتملون. وقد حدث عنه ابن جريج والثوري والكبار. له كتاب صنّفه في المسانيد أسماه «الموطأ» أضعاف موطأ مالك، وأحاديثه كثيرة، رواه عنه الشافعي بمصر، وكان يكتفي عنه. وفي مسند الشافعي عنه أحاديث، وكان يقول عنه: لأن يخز إبراهيم من بعد، أحب إلي من أن يكذب، وكان ثقة في الحديث. وقال أبو أحمد ابن عدى: سألت أحمد بن محمد بن سعيد - يعني ابن عقدة - فقلت له: تعلم أحدا أحسن القول في إبراهيم غير الشافعي؟ فقال: نعم، حدثنا أحمد بن يحيى الأودي، قال: سمعت حمدان بن الأصبهاني، قلت: أتدين بحديث إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: نعم. ثم قال لي أحمد بن محمد بن سعيد: نظرت في حديث إبراهيم كثيرا وليس بمنكر الحديث. قال ابن عدى: وهذا الذي قاله، كما قال. وقد نظرت أنا أيضا في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكرا إلا عن شيوخ يحتملون، وإنما روى المنكر من قبل الراوي عنه أو من قبل شيخه. قال: وهو من جملة من يكتب حديثه. (١) ملحق كتابه في الضعفاء والمتروكين، ص ١٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١

نعم يقال: إن الرجل كان يقع في بعض السلف، ومن ثم اتهم و رمى بالاعتزال تارة، وبالرفض والتشيع أخرى «١». في حين أن الرجل مستقيم لا بأس به، ولا مغمز فيه سوى جانب إخلاصه لأهل البيت و صحبته للأئمة من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله و سلم، وقد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من رجال الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. قال: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى أبو إسحاق مولى أسلم، مدني. روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وكان خاصا بحديثنا، والعامّة تضعفه لذلك. ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه في أسباب تضعيفه عن بعض الناس، أنه سمعه ينال من الأولين. وذكر بعض ثقات العامّة أن كتب الواقدي سائرهما - أي جميعهما - إنما هي كتب إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، نقلها الواقدي وأدعاها، ولم نعرف منها شيئا منسوبا إلى إبراهيم. وله كتاب مبوب في الحلال والحرام عن جعفر بن محمد عليه السلام، وللشيخ إليه طريق «٢».

والواقدي هو: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، العلامة الامام أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه. سمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز والشام وغير ذلك. وقد اتفقوا على تضعيفه غير جماعة، فوثقوه كإبراهيم الحربي، قال:

الواقدي أمين الناس على أهل الإسلام، كان أعلم الناس بأمر الإسلام. وقال (١) راجع: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٥٠، رقم ١١٩. و تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٥٨، رقم ٢٨٤.

(٢) راجع: الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢

إبراهيم بن جابر الفقيه: سمعت أبا بكر الصاغاني - و ذكر الواقدي - فقال: و الله لو لا أنه عندي ثقة ما حدثت عنه، قد حدث عنه أبو بكر بن أبي شيبة، و أبو عبيد، و غيرهما. و لإبراهيم الحربى شهادة أخرى قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: الواقدي ثقة مأمون. و سئل معن بن عيسى عن الواقدي، فقال: أنا أسأل عن الواقدي؟! الواقدي يسأل عنى! قال الذهبي: و سألت ابن نمير عنه فقال: أما حديثه هاهنا فمستو، و أما حديث أهل المدينة، فهم أعلم به. و عن يزيد بن هارون: الواقدي ثقة. الحربى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الواقدي ثقة.

و تجاه ذلك من ضعفه: قال يحيى بن معين: أغرب الواقدي على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عشرين ألف حديث. و قال يونس بن عبد الأعلى: قال لى الشافعي: كتب الواقدي كذب. و عن ابن معين: ليس الواقدي بشيء. و قال مرة: لا يكتب حديثه. و عن أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب.

قال الذهبي: و قد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه فى الغزوات و التاريخ، أما فى الفرائض فلا ينبغي أن يذكر. فهذه الكتب الستة و مسند أحمد، نراهم يترخصون فى إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل و متروكين، و مع هذا لا يخرجون للواقدي شيئاً. قال: مع أن وزنه عندي مع ضعفه أنه يكتب حديثه و يروى، لأنى لا أتهمه بالوضع، و قول من أهدر فيه مجازفة من بعض الوجوه «١». قلت: و هذا المنهج الذى انتهجه الذهبي هو الأرجح فى النظر؛ لأن الرجل رجل التاريخ و السير و المغازى، و ليس من رجال الفقه و الحديث و التفسير.

و العمدة أنه لم يكن ممن يضع و إن خلط الغث بالسمين و الخرز بالدر الثمين، (١) سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٥٤ - ٤٦٩، رقم ١٧٢. و تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣ - ٢١.

و غيرهما من أمهات كتب التراجم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٣

شأن سائر أرباب التاريخ و السير كابن جرير و ابن الأثير و أبى الفداء و غيرهم من أعلام التاريخ. ولد سنة (١٣٠)، و مات سنة (٢١٧) ببغداد، و هو قاض بعسكر المهدي من قبل المأمون.

و مقاتل بن سليمان بن بشير الخراسانى المروزي. أصله من بلخ و انتقل إلى البصرة، و دخل بغداد و حدث بها. و كان مشهوراً بتفسير كتاب الله، و له تفسير معروف. أخذ العلم عن مجاهد و عطاء و الضحّاك و غيرهم من كبار التابعين.

و كان من العلماء الأجلّاء. قال الإمام الشافعي: الناس كلّهم عيال على مقاتل بن سليمان فى التفسير. و كان تفسيره هذا موضع إعجاب العلماء من أول يومه، و قد أتهمه من لا خلاق له حسداً عليه. قال إبراهيم الحربى و قد سئل ما بال الناس يطعنون عليه؟ فقال: حسداً منهم له. و له حديث عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السّلام يرفعه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم يدل على رفيع منزلته لدى أئمة أهل البيت عليهم السّلام. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السّلام. و قد أتينا على ترجمته - و أنّ الرجل صالح لا مغمز فيه - عند الكلام عن الطرق إلى ابن عباس «١» توفى سنة (١٥٠).

و أما محمد بن سعيد المصلوب، فهو من أهل دمشق، أتهم بالزندقة فصلبه أبو جعفر. و هو الذى وضع

الحديث المروى من طريقه، عن حميد عن أنس مرفوعاً: «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدى، إلا أن يشاء الله»

فقد وضع و افترى هذا (١) راجع: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٦٠ - ١٦٩. و ابن خلكان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣.

و غيرهما من أمهات التراجم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٤

الاستثناء، تأييدا لمذهبه في الزندقة «١». ثم أخذ يدعى النبوة «٢». و كان يضع الحديث و يضع الأسانيد. قال: لا بأس إذا كان الكلام حسنا أن تضع له إسنادا.

و عن أحمد بن حنبل قال: عمدا، كان يضع الحديث «٣».

و قال ابن الجوزي: و الكذّابون و الوضّاعون خلق كثير، قد جمعت أسماءهم في كتاب «الضعفاء و المتروكين». و كان من كبار الكذّابين: وهب بن وهب القاضي، و محمد بن السائب الكلبي، و محمد بن سعيد الشامي، المصلوب، و أبو داود النخعي، و إسحاق بن نجیح الملقب، و غياث بن إبراهيم النخعي، و المغيرة بن سعيد الكوفي، و أحمد بن عبد الله الجويباري، و مأمون بن أحمد الهروي، و محمد بن عكاشة الكرمانى، و محمد بن القاسم الكانكاني.

و روى بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن العباس الضبي، قال: سمعت سهل بن السري يقول: قد وضع أحمد بن عبد الله الجويباري، و محمد بن عكاشة الكرمانى، و محمد بن تميم الفارابي، على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أكثر من عشرة آلاف حديث «٤».

و للعلامة الأميني فهرس بأسماء الكذّابين ممن كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صريحا من غير أن يتورّع. أوردته في كتابه القيم «الغدير» بعنوان (١) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٨.

(٢) هامش ملحق الضعفاء للنسائي، ص ١٢٤.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٣، ص ٥٦١، رقم ٧٥٩٢.

(٤) الموضوعات، ج ١، ص ٤٧-٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٥

«سلسلة الكذّابين و الوضّاعين» «١» ذكر فيها الأهم ممن كان يضع الحديث، و نحن نقتطف منها نماذج:

إبراهيم بن الفضل الأصبهاني أبو منصور توفى سنة (٥٣٠) أحد الحفاظ كذّاب. كان يقف في سوق أصفهان و يروى من حفظه بسنده، و كان يضع في الحال. قال معمر: رأيت في السوق و قد روى مناكير بأسانيد الصحاح، و كنت أتأمله مفرطاً أظن أن الشيطان تبدى على صورته.

إبراهيم بن هديبة البصري، كذّاب خبيث حدّث بالأباطيل و وضع على أنس.

كان رقاصا بالبصرة يدعى إلى العرائس فيرقص لهم، و كان يشرب المسكر. بقى إلى سنة (٢٠٠).

أحمد بن الحسن بن أبان البصري من كبار شيوخ الطبراني، كان كذابا دجالا يضع الحديث على الثقات.

أحمد بن داود، ابن أخت عبد الرزاق، من أكذب الناس، عامّة أحاديثه مناكير.

أحمد بن عبد الله الشيباني أبو علي الجويباري، كذّاب، يضع الحديث، دجال. قال البيهقي: إنني أعرفه حق المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث. و سمعت الحاكم يقول:

هذا كذّاب خبيث، وضع كثيرا في فضائل الأعمال، لا تحلّ روايته حديثه بوجه.

و قال ابن حبان: دجال من الدجاله، روى عن الأئمة ألوف أحاديث، ما حدّثوا بشيء منها.

أحمد بن عبد الله بن محمد أبو الحسن البكري، كذّاب دجال واضح القصص التي لم تكن قط، فما أجهله و أقلّ حياءه. قاله الذهبي في «ميزان الاعتدال». (١) راجع: الغدير، ج ٥، ص ٢٠٩-٢٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٦

أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الغزالي الطوسي الواعظ المفوه المتوفى سنة (٥٢٠)، أخو أبي حامد، كان يضع، و الغالب على كلامه التخليط و الأحاديث الموضوعه، و كان يتعصب لإبليس و يعذره.

أحمد بن محمد بن الصلت، وضاع، لم يكن في الكذابين أقل حياء منه.

أحمد بن محمد بن غالب الباهلي أبو عبد الله المتوفى سنة (٢٧٥)، غلام الخليل، من كبار الزهاد ببغداد، كذاب وضاع، و كان دجالا. إسحاق بن بشر البخارى أبو حذيفة المتوفى سنة (٢٠٦)، قد أجمعوا على أنه كذاب يضع الحديث.

إسحاق بن ناصح، من أكذب الناس، يحدث عن النبي عن ابن سيرين، برأى أبي حنيفة.

إسحاق بن نجيج الملقى الأزدي، دجال، أكذب الناس، عدو الله، رجل سوء، خبيث، كان يضع الحديث.

إسحاق بن وهب الطهرمسي، كذاب متروك، كان يضع صراحا.

إسماعيل بن علي بن المثنى الواعظ الأسترابادى المتوفى (٤٤٨)، كذاب ابن كذاب، كان يقص و يكذب، يركب المتون الموضوعه على الأسانيد الصحيحة.

بشير بن نمير البصرى المتوفى (٢٣٨)، كان ركنا من أركان الكذب، كذاب يضع الحديث.

الحسن بن علي الأهوازي أبو علي المتوفى سنة (٤٤٦)، كذاب فى الحديث و القراءة، كان من أكذب الناس، صنّف كتابا أتى بالموضوعات و الفضائح.

الحسن بن علي أبو علي النخعي المعروف بأبي الاثنان. قال ابن عدى:

رأيت ببغداد يكذب كذبا فاحشا و يحدث عن قوم لم يرههم، و كان يلزق أحاديث قوم تفرّدوا به، على قوم ليس عندهم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٧

الحسن بن علي بن زكريا أبو سعيد العدوى البصرى، شيخ قليل الحياء كذاب أفاك، يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يسرق الحديث، و يلزقه على قوم آخرين، و يحدث عن قوم لا يعرفون، و عامه أحاديثه إلا القليل موضوعات، يتيقن أنه هو الذى وضعه. كذاب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول عليه ما لم يقله. قال ابن حبان: لعله قد حدث عن الثقات بالأشياء الموضوعه، ما يزيد على ألف حديث.

الحسن بن عماره بن المضرب أبو محمد الكوفى المتوفى سنة (١٥٣)، فقيه كبير كذاب ساقط متروك، و كان يضع الحديث. قال شعبة: من أراد أن ينظر إلى أكذب الناس فليتنظر إلى الحسن بن عماره.

الحسين بن حميد بن ربيع الكوفى الخزاز المتوفى (٢٨٢)، كذاب ابن كذاب ابن كذاب.

الحسين بن محمد البزرى المتوفى سنة (٤٢٣)، كذاب، أحد المشايخ الأربعة الكذابين ببغداد.

حماد بن عمر النصيبى. قال يحيى بن معين: إنه من المعروفين بالكذب و وضع الحديث.

داود بن المحبّر أبو سليمان البصرى نزيل بغداد، و المتوفى بها (٢٠٦)، كذاب وضاع على الثقات، صاحب مناكير، متروك الحديث.

ربيع بن محمود الماردى المتوفى (٦٥٢)، دجال مفتر ادعى الصحبة و التعمير توفى سنة (٥٩٩).

زكريا بن يحيى المصرى أبو يحيى الوكار المتوفى (٢٥٤)، كذاب من الكذابين الكبار، و كان فقيها صاحب حلقة. و من الصلحاء و العبّاد و الفقهاء.

سليمان بن داود البصرى أبو أيوب المعروف بالشاذكونى المتوفى (٢٣٤)،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٨

أحد الحفّاظ، كذاب خبيث، كان يضع الحديث فى الوقت، و كان يتعاطى المسكر و يتماجن.

سليمان بن عمرو أبو داود النخعي. كان أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم معروف بوضع الحديث، و كان

رجلا صالحا في الظاهر، إلا أنه كان يضع الحديث وضعا. قال الخطيب: كان ببغداد رجال يكذبون و يضعون، منهم أبو داود النخعي. وقال الحاكم: لست أشك في وضعه الحديث على تقشفه و كثرة عبادته. صالح بن بشير أبو بشر المزني البصري، قاص كذاب، متروك الحديث. عامر بن صالح حفيد الزبير بن العوام، كذاب خبيث، عدو لله. عبد الله بن الحارث الصنعاني، شيخ دجال يضع الحديث وضعا، حدث عن عبد الرزاق بنسخة كلها موضوعة. عبد الله بن عبد الرحمن الكلبي الأسامي، من أكذب خلق الله، روى بالأباطيل. عبد الله بن علان بن رزين الخزاعي الواسطي، كان كذابا، كثير الكذب و التزوير. عبد المنعم بن إدريس اليماني المتوفى (٢٢٨)، قصاص كذاب خبيث، يضع الحديث. كثير بن عبد الله بن عمرو المزني المدني، ركن من أركان الكذب. محمد بن شجاع أبو عبد الله الثلجي الحنفي المتوفى (٢٦٦)، فقيه العراق في وقته. كان كذابا، يضع الحديث في التشبيه. احتال في إبطال الحديث عن رسول الله، و رده نصره لأبي حنيفة و رأيه. محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو الفتح الخشاب، كان يضرب به المثل في الكذب و التخيلات و وضعها، و كان منهمكا على الشرب. قال فيه إبراهيم بن التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٩ عثمان العربي:

أوصاه أن ينحت الأخشاب والده فلم يطقه و أضحى ينحت الكذاب نوح بن مريم أبو عصمة المروزي المتوفى (١٧٣)، شيخ كذاب، كان يضع الحديث. وضع حديث فضائل القرآن الطويل. هناد بن إبراهيم النسفي، كذاب وضاع، راوية للموضوعات و البلايا. توفي سنة (٤٦٥). وهب بن وهب القاضي أبو البختری القرشي المدني، أكذب الناس. توفي سنة (٢٠٠)، كذاب خبيث، دجال عدو لله، كان يضع الحديث وضعا. و كان عامّة الليل يضع الحديث. قال فيه سويد بن عمرو بن الزبير: إنا وجدنا ابن وهب حدثنا عن النبي أضاع الدين و الورعاً يروي أحاديث من إفك مجمعة أف لو هب و ما روى و ما جمعا إلى آخر أبيات.

قال ابن عدي: أبو البختری من الكذابين الوضاعين، و كان يجمع في كل حديث يرويه أسانيد من جسارته على الكذب، و وضعه على الثقات.

يحيى بن هاشم الغساني السمسار أبو زكريا، كذاب، دجال هذه الأمة كان يضع الحديث و يسرقه. أبو المغيرة شيخ، من أكذب الناس و أحبهم.

فهؤلاء أربعون شيخا من كبار المحدثين الوضاعين، المعروفين بالكذب و الاختلاق، اخترناهم من سبعمائة شيخ كذاب، أوردتهم العلامة الأميني في «الغدير». و لعلك تستغرب هذا العدد الهائل من الكذابين على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث عدم المبالاة في القرية في الدين. و لكن لا غرابة فيمن سؤلت له نفسه التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٠

و أنساه الشيطان ذكر ربه. فهؤلاء ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله إن هؤلاء مثير ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون «١» صدق الله العلي العظيم.

و بعد، فهذا غيظ من فيض، احتمله سيل الكذابين ممن اجترءوا على الله و اجترحوا السيئات، فشوّها وجه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و لقد صدق حيث قوله في خطبته في حجة الوداع: «قد كثرت على الكذابة و ستكثر. فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله و سنتي، فما وافق كتاب الله و سنتي فخذوه، و ما خالف كتاب الله و سنتي فلا تأخذوا به» (٢). فقد زالت الثقة بكتب الحديث من أهل الحشو، مع هذا الخضم من الموضوعات المدسوسة في الحديث و التفسير.

أنحاء الموضوعات

كانت الأكاذيب تتنوع حسب تنوع الأسباب الداعية للكذب و الاختلاق، فهناك كذب سياسى و آخر تحمس مذهبى أو تعصب جاهلى أو تزلف لدى أمير أو رغبة فى جاه أو استماله للعامة؛ لغرض استدرار ما لديهم من نقود و قطيعات، و ما أشبه ذلك. و قد تكفلت الكتب المخصصة لبيان الموضوعات كل هذه الجوانب، (١) الأعراف / ١٣٩.

(٢) بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧١

و رتبها فى فصول و أبواب، و نحن نورد من ذلك أمثلة نموذجية:

فمما وضعته يد السياسة الغاشمة، ما

رواه داود بن عقان عن أنس مرفوعا: «الأمناء سبعة: اللوح، و القلم، و إسرافيل، و ميكائيل، و جبرائيل، و محمد، و معاوية».

و داود هذا من الوضّاعين. قال الذهبي: روى عن أنس بنسخة موضوعة. و قال ابن حبان: كان يدور بخراسان و يضع على أنس (١).

و ذكره ابن كثير فى تاريخه (٨: ١٢٠) قال: هذا أنكر من الأحاديث التى قبله، و أضعف إسنادا.

و عن واثله مرفوعا: «أن الله ائتمن على وحيه جبريل و أنا و معاوية. و كاد أن يبعث معاوية نبيا من كثرة علمه و ائتمانه على كلام ربى.

يغفر الله لمعاوية ذنوبه، و وقاه حسابه، و علمه كتابه، و جعله هاديا مهديا، و هدى به».

قال الحاكم: سئل أحمد بن عمر الدمشقى - و كان عالما بحديث الشام - عن هذا الحديث، فأنكره جدّا. أخرجه ابن عساكر فى تاريخه

(٧: ٣٢٢) (٢).

و مما وضع تزلفا لدى الأمراء ما

أخرجه الخطيب فى تاريخه (١٣: ٤٥٢) قال: لما قدم الرشيد المدينة، أعظم أن يرقى منبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى قباء

أسود و منطقة، فقال أبو البخترى: حدّثنى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال: نزل جبريل على النبى صلى الله عليه و آله و سلم و

عليه قباء و منطقة، مخنجا فيها بخنجر

، و فى ذلك قال المعافى التيمى:

ويل و عول لأبى البخترى إذا ثوى للناس فى المحشر

(١) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٢-١٣، رقم ٢٦٣٢.

(٢) الغدير، ج ٥، ص ٣٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٢

من قوله الزور و إعلانه بالكذب فى الناس على جعفر

و الله ما جالسه ساعة للفقّه فى بدو و لا محضر

و لا رآه الناس فى دهره يمرّ بين القبر و المنبر

يا قاتل الله ابن وهب لقد أعلن بالزور و بالمنكر
يزعم أن المصطفى أحمدا أتاه جبريل التقى السرى
عليه خفّ و قبا أسود مخنجرًا في الحقو بالخنجر «١»
مما وضع في الفضائل ما

أخرجه الخطيب في تاريخه (٢: ٩٧) عن أنس قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فرح لنا فرحا شديدا حتى بان لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس - بعد ذلك - عن تفسيرها، فقال: أما التين فبلاد الشام، و الرّيتون فبلاد فلسطين، و طور سينين فطور سيناء الذي كلم الله موسى، و هذا البلد الأمين فبلاد مكة، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم محمد، ثم ردّدناه أسفل سافلين، عباد اللات و العزى، إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات أبو بكر و عمر، فلهم أجر غير ممنون عثمان، فما يكذبك بعبد بالدين على، أليس الله بأحكم الحاكمين بعثك فيهم و جمعكم على التقوى.
قال الخطيب: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، لا أصل له يصح فيما نعلم.
و ذكر الذهبي في «الميزان» (٣: ٣٢) أن العلة فيه محمد بن بيان فقد رواه بقله حياء من الله، و هكذا ذكر ابن الجوزى في «الموضوعات» «٢».

و

روى القرطبي في تفسيره مرسلًا رفعه إلى أبي بن كعب، قال: قرأت على (١) الغدير، ج ٥، ص ٣١١.
(٢) المصدر، ص ٣٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٣

رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و العَصْرِ. ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: و العَصْرِ قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار، إن الإنسان لفي خسر أبو جهل، إلا الذين آمنوا أبو بكر، و عملوا الصالحات عمر، و تواصوا بالحق عثمان، و تواصوا بالصبر على «١».
و روى الصفوري في «نزهة المجالس» قال: قال ابن عباس في قوله تعالى:
و نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ «٢»: إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر، فيجلس أبو بكر على كرسى، و عمر على كرسى، و عثمان على كرسى، و على على كرسى، ثم يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش، فتسبل عليهم خيمة من ياقوته بيضاء. ثم يؤتى بأربع كاسات، فأبو بكر يسقى عمر، و عمر يسقى عثمان، و عثمان يسقى عليا، و على يسقى أبا بكر، ثم يأمر الله جهنم أن تتمخض بأمواجها، فتقذف الروافض على ساحلها، فيكشف الله عن أبصارهم، ينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فيقولون: هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم و شقينا نحن بمخالفتهم، ثم يردون إلى جهنم بحسرة و ندامة «٣».

و أيضا في قوله تعالى: وَ حَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وَ دُشَيْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا «٤» قال: إن نوحا لما عمل السفينة جاءه جبرئيل بأربعة مسامير مكتوب (١) تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٨٠.

(٢) الحجر / ٤٧.

(٣) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢١٧. و راجع: أسباب النزول للواحدى، ص ٢٠٧. و للعلامة الأمينى هنا تفنيد لاذع فراجع: الغدير، ج ١٠، ص ١٣٤-١٣٦.

(٤) القمر / ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٤

على كل مسمار «ع»: عين عبد الله، و هو أبو بكر، و عين عمر، و عين عثمان، و عين على، فجرت السفينة ببركتهم «١».

أورد ابن الجوزى بإسناده إلى ابن عباس، قال: لما نزلت إذا جاء نصر الله و الفتح جاء العباس إلى علي، فقال له: قم بنا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فسألاه عن ذلك. فقال: يا عم، إن الله جعل أبا بكر خليفتي عن دين الله و وحيه، فاسمعوا له تفلحوا، و أطيعوا ترشدوا.

و

في حديث آخر: فأطيعوه بعدى تهتدوا، و اقتدوا به ترشدوا

. قال ابن عباس: ففعلوا فرشدوا.

قال ابن الجوزى: هذا حديث لا- يصح، و مدار الطريقتين على عمر بن إبراهيم، و هو الكردي. قال: الدار قطنى: كان كذابا يضع الحديث.

قال: هكذا روى أبو بكر الجوزقى من حديث أبي سعيد عن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لما عرج بي إلى السماء، قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدى علي بن أبي طالب، فارتجت السماوات، و هتف بي الملائكة من كل جانب: يا محمد اقرأ و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله (٢). قد شاء الله أن يكون من بعدك أبا بكر الصديق.

قال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع، وضعه يوسف بن جعفر، و كان يضع الحديث (٣). (١) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢١٤.

(٢) الإنسان / ٣٠.

(٣) الموضوعات، ج ١، ص ٣١٥-٣١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٥

و مما وضع في المعجون و الدجل ما رواه أبو صالح عمرو بن خليف الحتاوى، بإسناد وضعه عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا، فقلت: أذئب في الجنة؟! قال: إني أكلت ابن شرطى. قال ابن عباس: هذا و إنما أكل ابنه، فلو أكله رفع في عليين (١). قال الأمينى: ليت ابن عباس كان يفصح عن أنه لو كان أكل مدير الشرطة أين كان يرفع؟! (٢) و قد عد ذلك من خزايات الحتاوى.

و روى محمد بن يزيد بإسناده عن أبي منظور- و كانت له صحبة- قال: لما فتح الله على نبيه خبير أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، و أربعة خفاف، و عشرة أواق ذهب و فضة، و حمار أسود. قال: فكلم النبي صلى الله عليه و آله و سلم الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج من نسل جدى ستون حمارا كلهم لم يركبه إلما نبى، و لم يبق من نسل جدى غيرى و لا- من الأنبياء غيرك، أتوقعك أن تركبني، و قد كنت لرجل من اليهود كنت أعره به عمدا. فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: قد سميتك يعفورا، يا يعفور، أتتتهى الإناث؟ قال: لا. و كان النبي يركبه في حاجة، فإذا نزل بعث به إلى باب الرجل، فيأتى الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أو ما إليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم ابن التيهان فتردى فيها فصارت قبرا له، جزعا منه على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

قال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع، فلعن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلا القدح فى الإسلام و الاستهزاء به. قال أبو حاتم ابن حبان: لا أصل لهذا الحديث، (١) لسان الميزان، ج ٤، ص ٣٦٣، رقم ١٠٦١.

(٢) الغدير، ج ٥، ص ٢٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٦

و إسناده ليس بشيء، و لا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد (١).

و مما وضع شيئا على مقام النبوة، حديث القضيبي الممشوق:

روى أبو جعفر الصدوق فى أماليه بإسناد فيه ضعف، رفعه إلى ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال

لبلال: هلم، عليّ بالناس. فاجتمع الناس، فخرج رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم متعصّياً بعمامته، متوكّياً على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: «معاشر أصحابي، أيّ نبيّ كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تكسر رباعيتي، ألم يعفر جيني، ألم تسدل الدماء على حرّ وجهي حتى كنفت لحيّتي، ألم أكابد الشدّة و الجهد مع جهّال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟

قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابراً و على منكر بلاء الله ناهياً، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. قال: و أنتم فجزاكم الله. ثم قال: إن ربّي عزّ و جلّ حكم، و أقسم أن لا يجوز ظلم ظالم، فناشدتكم بالله، أيّ رجل منكم كانت له قبل محمد مظلماً إلّا قام فليقتص منه. فالقصاص في دار الدنيا أحبّ إليّ من القصاص في دار الآخرة على رءوس الملائكة و الأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم، يقال له:

سواده بن قيس. فقال له: فداك أبي و أمي يا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم أنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك و أنت على ناقتك العضاء، و بيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب و أنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ؟ فقال النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم: معاذ الله أن أكون تعمّدت.

ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق. فخرج بلال، (١) الموضوعات، ج ١، ص ٢٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٧

و هو ينادى في سكك المدينة، معاشر الناس، من ذا الذي يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة. و طرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام و هو يقول: يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة و هي تقول: يا بلال، و ما يصنع والدي بالقضيب، و ليس هذا يوم القضيب! فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر و هو يودّع أهل الدين و الدنيا، فصاحت فاطمة و قالت: وا غمّاه لغمّيك يا أبتاه، من للفقراء و المساكين و ابن السبيل يا حبيب الله و حبيب القلوب.

ثم ناولت بلالا القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم بأبي أنت و أمي. فقال: تعال، فاقصص منّي حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه. فقال الشيخ: بأبي أنت و أمي يا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعود بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار.

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: يا سواده بن قيس، أتغفو أم تقتصّ؟ فقال: بل أعفو، يا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم. فقال: اللهم اعف عن سواده بن قيس كما عفا عن نبيك محمد «١».

و رواه ابن شهر آشوب في كتاب «المناقب» مرسلًا «٢». و رجال إسناده الصدوق في هذا الحديث أكثرهم مجاهيل أو ضعاف، فضلاً عن عدم استقامة المتن على أصول المذهب؛ إذ لا يشرع القصاص في غير العمد، (١) الأمالي لأبي جعفر الصدوق، (ط نجف)، المجلس ٩٢، الحديث رقم ٦، ص ٥٦٧-٥٦٨.

(٢) المناقب، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٨

كما لا قصاص في الضرب بالعصا. و لعل واضح هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الإسلام، أو لعله أراد الحطّ من سيّد الأنبياء، في حادثه وضعها على خلاف الشريعة.

هذا، و سواده بن قيس، مجهول في زمرة أصحاب رسول الله، لم يأت له ذكر في التراجم. نعم ذكر ابن حجر ما يقارب هذه القصة

بشأن سواده بن غزیه الأنصاري تارة، و بشأن سواد بن عمرو أخرى، و ذكر القصة في يوم بدر. كان صَلَّى الله عليه و آله و سلم يعدّل الصفوف و في يده قدح (هو السهم قبل أن يراش) فمَرَّ بسواد بن غزیه فطعن في بطنه، فقال: أوجعتني فأقذني، فكشف عن بطنه، فاعتقه و قبل بطنه، فدعا له بخير.

قال أبو عمر: رويت هذه القصة لسواد بن عمرو. قال ابن حجر: لا يمتنع التعدد، لا سيما مع اختلاف السبب. روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه: أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزیه، فذكر القصة، و

عن معمر عن رجل عن الحسن نحوه. لكن قال: فأصاب به سواده بن عمرو، و كان يصيب من الخلوف فنهاه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و فيها: فلقية ذات يوم و معه جريده فطعنه في بطنه، فقال: أقذني يا رسول الله؟ فكشف عن بطنه فقال له: اقتص. فألقى الجريده و طفق يقبله. قال الحسن: حجزه الإسلام «١».

و القصة- كما رواه أبو جعفر الصدوق- رواها ابن الجوزي بإسناده إلى أبي نعيم الأصبهاني، أسنده إلى وهب بن متبه عن جابر بن عبد الله و ابن عباس و ذكر (١) الإصابة، ج ٢، ص ٩٥-٩٦، رقم ٣٥٨٢. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٩

القصة بطولها لكن جاء بدل سواده بن قيس، رجل يقال له: «عكاشة» و القصة أطول مما ذكره الصدوق، و على الغرائب أشمل. قال ابن الجوزي بعد سردها بكمالها: هذا حديث موضوع، كافأ الله من وضعه و قبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد، و الكلام الذي لا يليق بالرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم و لا بالصحابه، و المتهم به: عبد المنعم بن إدريس. قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب. و قال يحيى: كذاب خبيث «١». و هكذا ذكر جلال الدين السيوطي القصة في الموضوعات «٢».

٣- الإسرائيليات

إشارة

إسرائيليات: جمع إسرائيليّ، و هي قصّة أو أسطورة تروى عن مصدر إسرائيلي، سواء أ كان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة.

و النسبة فيها إلى إسرائيل، و هو لقب يعقوب النبي عليه السلام، و إليه تنسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، سواء أ كانوا منسوبين إليه بالنسب، أو بالإيمان. فكل من آمن باليهودية فهو إسرائيلي، سواء أ كان منتسبا إلى أحد الأسباط أم لم يكن «٣».

و اللفظة عبرية تعطي معنى: الغلبة على الله؛ حيث القصة الأسطورية في مصارعة يعقوب مع الله ليلة كاملة، و غلبته عليه عند الصباح «٤». (١) الموضوعات، ج ١، ص ٢٠١-٢٩٥.

(٢) اللثالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ٢٧٧-٢٨٢.

(٣) صرّح بهذا التعميم جيمس هاكس في قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣.

(٤) راجع: سفر التكوين، إصحاح ٣٢، عدد ٢٥ «فقال له الله: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٠

و «إسرا» بمعنى الغلبة، و «ئيل» بمعنى القدرة الكاملة، لقب الإله، و تلقب به الأصنام أيضا «١». فمعنى «إسرائيل»: الغالب على القدرة الكاملة، و هو الله تعالى- في زعمهم-، و قد أصبح لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنه صار مع الله و غلب عليه.

و لفظ «إسرائيليات» و إن كان بظاهره يدل على القصص الذي يروى أصلا عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير و الحديث، و يطلقونه على ما هو أوسع و أشمل من القصص اليهودية. فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير و الحديث و التاريخ من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودى أو نصرانى أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين و المحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود و غيرهم على التفسير و الحديث، من أخبار لا أصل لها حتى في مصدر قديم. و إنما هي من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخت نية و سوء طوية، ثم دسوها على التفسير و الحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.

و إنما أطلق لفظ الإسرائيليات على كل ذلك، من باب التغليب للون اليهودى على غيره؛ لأنّ غالب ما يروى من هذه الخرافات و الأباطيل، يرجع فى أصله إلى مصدر يهودى؛ و لأنهم الفئة التى كانت العرب الأوائل و كذا المسلمون فى العهد الأوّل يرجعون إليها فى الأغلب الأكثر. و اليهود قوم بهت، و هم أشدّ الناس عداوة و بغضا للإسلام و المسلمين، كما قال سبحانه: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله و الناس و قدرت».

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣ و ١٤٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨١

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... «١». و اليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين. و ثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، و حيلهم التى يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام كانت ماكرة خادعة، و كان لهم نصيب كبير فى هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة. فمن أجل هذا كلّه، غلب اللون اليهودى على غيره من ألوان الدخيل على التفسير و الحديث، و أطلق عليه كلّه لفظ «الإسرائيليات».

الإسرائيليات فى التفسير و الحديث

كانت العرب منذ أوّل يومها تزعم من أهل الكتاب، و لا سيما اليهود القاطنين بين أظهرهم، أهل دين و ثقافة و معرفة بشئون الحياة، و من ثم كانوا يراجعونهم فيما تتوق إليه نفوسهم فى معرفة شئون الخليقة و تواريخ الأمم السالفة و الأنبياء و ما إلى ذلك. و هكذا بعد ظهور الإسلام كانوا يفضّلون مراجعة أهل الكتاب فى معرفة شئون الإسلام و الدعوة.

و لا سيما و قد حدا بهم القرآن إلى مساءلة أهل الذكر و الكتاب. قال تعالى مخاطبا لهم: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «٢». و هذا من باب و ما لى لا أعبد الذى فطرنى و إليه ترجعون «٣».

المخاطب، و إن كان هو النبى صلى الله عليه و آله و سلم لكن المقصود غيره ممن شكّ فى (١) المائدة / ٨٢.

(٢) يونس / ٩٤.

(٣) يس / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٢

رسالته، فليراجعوا أهل الكتاب فى معرفة سمات نبى الإسلام. و هذا كان فى إبان الدعوة؛ حيث كان يرجى الصدق من أهل الكتاب.

و هكذا قوله تعالى: و ما أرسلنا قبلك إلّا رجالا نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون «١».

و قوله: و ما أرسلنا من قبلك إلّا رجالا نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر «٢».

و قوله: و لقد آتينا موسى تشع آيات بينات فسئل بنى إسرائيل إذ جاءهم ... «٣».

إلى غيرها من آيات، تخاطب المشركين، فيما لو ارتابوا فى صحه ما جاء به القرآن، أن يراجعوا أهل الكتاب.

و قد حسب بعض المسلمين الأوائل، أن ذلك تجويز لهم أيضا فى مراجعة اليهود، فيسألوهم عن بعض شئون الشريعة، و لا سيما فى

أصول معارفها و شؤون الخليقة و تاريخ الأنبياء.

لكن الأمر لم يستمر على ذلك حتى جاء النهى الصريح عن مراجعة أهل الكتاب؛ و ذلك بعد أن عرف منهم الخبث و اللؤم في تضليل المسلمين، و تشويه سمعة الإسلام، و تضعيف العقائد. (١) الأنبياء / ٧.

(٢) النحل / ٤٣.

(٣) الإسراء / ١٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٣

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ. لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا. وُدُّوا مَا عَنَّتُمْ. قَدْ يَدَّتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَا مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ. قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ «١».

(البطانة): ما يستبطنه الإنسان من ثيابه التي تلي جسده، أي لا تتخذوا أصحاب سر من غيركم.

لا يألونكم خبالاً، أي لا يقصرون في إفساد ذهنياتكم عن الإسلام، و منه الخبل: فساد العقل. و رجل مخبل: فاسد الرأي.

وُدُّوا مَا عَنَّتُمْ، أي كانت غاية جهدهم إيقاع العنت بكم. و العنت: المشقة الروحية، و القلق الفكرى.

و من ثم أصدر النبي صلى الله عليه و آله و سلم نهيه الصريح عن مراجعة أهل الكتاب، بما أنهم لا يخلصون النصيحة للمسلمين، و لا يأبهون إن حقا قالوا أو باطلا، ما دامت الغاية هي إيقاع الفساد و العنت بين المؤمنين.

فقد أخرج أحمد في مسنده و كذا ابن أبي شيبة و البزار من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: إن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه (و فى نسخة أحمد: فقرأه النبي) فغضب، فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! و الذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به. و الذى نفسى بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى «٢». (١) آل عمران / ١١٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣٨٧. و راجع: فتح البارى فى شرح البخارى لابن حجر

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٤

المتهوكون: الذى خاس عقله، فيرد فى الأمور من غير روية و لا تعقل، كالمتهوور غير المبالى.

و هذا اللحن من الخطاب غاية فى الاستنكار على صنيع قبيح لا يليق بشأن إنسان عاقل متدبر بصير. فقد وبخ صلى الله عليه و آله و سلم عمر فى صنيعه هذا، و أنه راجع اليهود فى بعض مسائله، و هذا الإسلام ناصع جلى بين يديه يجيب على جميع مسائل الإنسان فى الحياة، لا إبهام فيه و لا قصور.

فقد أبان صلى الله عليه و آله و سلم أن نبي الله موسى عليه السلام لو أدرك هذا الزمان، لكان الواجب نبذ ما لديه، و الأخذ بما جاء به نبي الإسلام، فكيف بالمسلمين يراجعون اليهود فى مخاريق قديمة العهد، لا وزن لها و لا اعتبار، و أنها مزيج أباطيل قد يوجد فى طيها بعض الحقيقة، مما لا يمكن الوثوق من صحتها، ما دامت ضائعة بين الأباطيل.

و قد عقد البخارى فى صحيحه بابا عنونه

بقول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء» «١». و ذكر فيه حديث معاوية عن كعب الأحماس: إن كان من أصدق هؤلاء المحذنين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، و إن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

قوله: «نبلو عليه الكذب»، أى نخبره فنجد فى أخباره كذبا. هذا الحديث قاله - ج ١٣، ص ٢٨١. قال ابن حجر: رجاله موثوقون إلا أن فى مجالد ضعفا ... غير أن البخارى قال: إنه صدوق. و قال يعقوب بن سفيان: تكلم الناس فيه و هو صدوق. قال ابن عدى: له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة. قلت: و هذا الحديث من هذا الطريق الصالح.

راجع: تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٤٠-٤١.

(١) صحيح البخارى، ج ٩، ص ١٣٦. و راجع: ج ٣، ص ٢٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٥

معاوية عند ما حج في خلافته «١».

و

روى بإسناده عن أبى هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم، و قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم» «٢».

أقول: وبل تلك الفئة من المنتحلين بالإسلام، يتركون القرآن العربى الفصحى، و يستمعون إلى سفاسف عبرية يفسرها ذوو الأحقاد من أهل الكتاب.

و هذا كان فى أخريات حياة النبى صلى الله عليه و آله و سلم حيث كان أبو هريرة «٣» ممن يستمع إلى مثل تلك السفاسف، ف جاء النهى، و الأمر بالاعتناع بما جاء به القرآن.

و روى حديث ابن عباس فى الاستنكار لمراجعة بعض المسلمين لأهل الكتاب، و سذكه.

هذا، و مع ذلك كان من المسلمين من لم ينته عن مراجعة أهل الكتاب أو النظر فى كتبهم و رسائلهم، بغية الحصول على مطالب كان يزعم افتقادها فى أحاديث المسلمين.

و قد راجت هذه العادة الجاهلية- التى كانت تضعف حينا و تقوى حينا آخر- بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله و سلم حيث انسد على كثير من الناس باب علم الله المتمثل فى شخصية الرسول صلى الله عليه و آله و سلم متغافلين عن خلفائه العلماء أبواب علومه الفياضة، و لا سيما باب علم النبى على أمير المؤمنين عليه السلام و من كان على حذوه كابن عباس (١) راجع: فتح البارى، ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٢) صحيح البخارى، ج ٩، ص ١٣٦.

(٣) لأن أباه هريرة أسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٦

و ابن مسعود و أضرابهما، فتركوا السبيل السوى و لجأوا إلى معوج الطريق.

هذا ابن عباس يناديهم فيقول:

«كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء، و كتابكم الذى أنزل على رسول الله أحدث «١»، تقرأونه محضا لم يشب «٢». و قد حدثكم أن

أهل الكتاب بدلوا كتاب الله و غيره و كتبوا بأيديهم الكتاب، و قالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا.

ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم. لا و الله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم» «٣».

و كان من الآثار السيئة التى خلقت مراجع أهل الكتاب رغم نهى النبى عنها أن خلطت الأكاذيب الإسرائيلية بالتفسير و الحديث الوارد عن النبى و الخيار من صحابته الأجلء، فشوهت وجه التفسير، فضلا عن التاريخ و الحديث. و سوف نذكر نماذج من هذا التشويه، و لا سيما فى التفسير بالمأثور.

قال ابن خلدون:

و صار التفسير على صنفين: تفسير نقلى مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، و هى معرفة الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول و مقاصد الآسى، و كل ذلك لا يعرف إلما بالنقل عن الصحابة و التابعين، و قد جمع المتقدمون فى ذلك و أروعوا، إلما أن كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغت و السمين و المقبول (١) فى نسخة: «أحدث الأخبار بالله».

(٢) لم يشب: من الشوب و هو الخلط، أى لم يشبه شىء، كناية عن عدم الدسّ فيه و التحريف، كما كان عليه كتب السالفين.

(٣) صحيح البخارى، ج ٩، ص ١٣٦. و ج ٣، ص ٢٣٧. و فى الموضوعين بعض الاختلاف فى لفظ الحديث.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٧

و المردود. و السبب فى ذلك: أن العرب لم يكونوا أهل كتاب و لا علم، و إنّما غلبت عليهم البداوة و الأمية، و إذا تشوّقوا إلى معرفة شىء مما تشوّق إليه النفوس البشرية، فى أسباب المكوّنات و بدء الخليقة و أسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، و يستفيدونه منهم، و هم أهل التوراة من اليهود، و من تبع دينهم من النصارى. و أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، و لا يعرفون من ذلك إلّا ما تعرفه العامية من أهل الكتاب، و معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم ممّا لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة و ما يرجع إلى الحدّثان و الملاحم و أمثال ذلك. و هؤلاء مثل كعب الأخبار و وهب بن متبه و عبد الله بن سلام و أمثالهم، فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم فى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم. و تساهل المفسرون فى مثل ذلك، و ملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلّا أنّهم بعد صيتهم و عظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات فى الدين و الملة، فتلقّيت بالقبول من يومئذ «١».

هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟

و هل هناك ما يبرّر مراجعة أهل الكتاب؟

زعم الكثير من الكتّاب المتأخرين - تبريرا لمواقف لفيف من الصحابة الذين صمدوا على الرجوع إليهم، و لا سيما مسلمة أهل الكتاب - أن هناك دلائل على (١) المقدمة، ص ٤٣٩ - ٤٤٠، آخر الفصل الخامس فيما ذكره بشأن التفسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٨

الجواز، إمّا فى زمن متأخر عن المنع الذى كان فى ابتداء الأمر، أو فى شئون لا تمسّ أحكام الشريعة فى مثل القصص و التواريخ، أو فيما لم تمسه يد التحريف و قد توافق مع ما جاء به القرآن الكريم، أو نحو ذلك.

هذا ابن تيمية يذكر عن السدّي الكبير (هو أبو محمّد إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفى توفى سنة ١٢٧) أنه كان فى بعض الأحيان ينقل ما يحكى من أقاويل أهل الكتاب، التى أباحها - فيما زعم -

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم حيث قال: بلغوا عنى و لو آية، و حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج، و من كذب علىّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار «١»، رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

و لهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين «٢» من كتب أهل الكتاب، فكان يحدّث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك «٣».

قال: و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحّته ممّا بأيدينا ممّا يشهد له بالصدق.

و الثانى: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

و الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل و لا من هذا القبيل، فلا تؤمن به و لا تكذّبه، و تجوز حكايته، لما تقدم «٤». و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر دينى و لهذا اختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا، فى مثل أسماء أهل (١) رواه البخارى

فى باب ما ذكر عن بنى إسرائيل من كتاب الأنبياء، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٢) الزاملة: هى الملفّة، و ربما كانت حمل بعير، و قد فسر أبو شهبة الزاملتين بحمل بعيرين. (الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٩٢)

(٣) سنأتى على تفسير هذا الحديث بغير ما فهمه هؤلاء.

(٤) من عدم تصديقهم ولا تكذيبهم فيما يحكونه. ذكر ذلك فى ص ١٩ من رسالته.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٩

الكهف و أسماء الطيور التى أحيها الله لإبراهيم، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم و دينهم. و لكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز «١».

و يستدل الذهبى لجواز مراجعة أهل الكتاب و النقل عنهم فيما لا يخالف الشريعة بآيات، زعم دلالتها على إباحة الرجوع إليهم، قال: و إذا نحن نظرنا فى القرآن الكريم، وجدنا من آياته البينات ما يدعو نبي الإسلام و جماعة المسلمين إلى أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود و النصارى ليسألوهم عن بعض الحقائق التى جاءت فى كتبهم، و جاء بها الإسلام فأنكروها، أو أغفلوها، ليقوم عليهم الحجّة، و لعلمهم يهتدون.

و من هذه الآيات الدالة على إباحة رجوع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و من تبع دينه من المسلمين إلى أهل الكتاب قوله تعالى: فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «٢»، و قوله: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «٣»، و قوله:

و سِئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا «٤». قال: و معناه: و أسأل أممهم و علماء دينهم. قال الفراء مبيّنا وجه المجاز فى الآية: هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم السلام، و قوله: و سِئَلُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ، و قوله: فَسِئَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، و قوله: (١) مقدمته فى أصول التفسير، ص ٤٥-٤٦، (المطبعة السلفية) و راجع: مقدمته تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤.

(٢) يونس / ٩٤.

(٣) الأنبياء / ٧، و النحل / ٤٣.

(٤) الزخرف / ٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٠

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ «١».

قال: كل ما تقدم من أمر الله لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم بسؤال أهل الكتاب، يدل على جواز الرجوع إليهم، و لكن لا فى كل شىء، بل فيما لم تصل له يد التحريف و التبديل من الحقائق التى تصدق القرآن و تلزم المعاندين منهم و من غيرهم الحجّة «٢».

قال: و على هذا فما جاء موافقا لما فى شرعنا تجوز روايته، و عليه تحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب، و عليه أيضا يحمل

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج»

؛ إذ المعنى: حدّثوا عنهم بما تعلمون صدقه.

و أما ما جاء مخالفا لما فى شرعنا أو كان لا يصدقه العقل، فلا تجوز روايته؛ لأن حديث الإباحة لا يتناول ما كان كذبا. و أما ما سكت عنه شرعنا، و لم يكن ما يشهد لصدقه و لا لكذبه و كان محتملا، فحكمه أن نتوقف فى قبوله فلا نصدقه و لا نكذبه؛ و على هذا يحمل

قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم».

أما روايته فجائز على أنها مجرد حكاية لما عندهم؛ لأنها تدخل فى عموم الإباحة المفهومة، من

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج» «٣».

و أضاف قائلاً: ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة و ابن عباس، كانوا يراجعون بعض من أسلم من أهل الكتاب، يسألونهم عما في كتبهم، و ما روى من (١) الإسرائيليات في التفسير و الحديث، محمد حسين الذهبي، ص ٦٠-٦١، الأعراف/ ١٦٣، الإسراء/ ١٠١، البقرة/ ٢١١.

(٢) المصدر، ص ٦٣.

(٣) الإسرائيليات في التفسير و الحديث، ص ٦٤-٦٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩١

أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما، لا يعارض ما رواه البخارى من إنكار ابن عباس على من يسأل أهل الكتاب.

و لا ما

رواه عبد الرزاق في مسنده عن ابن مسعود من نهي عن سؤال أهل الكتاب بقوله: «لا- تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم و قد أضلوا أنفسهم».

و لا ما رواه أحمد من إنكار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم على عمر لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب بقوله: «أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب».

قال: «نعم لا- تعارض بين هذا و ذاك؛ لأن صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كانوا أعرف الناس بأمر دينهم، و كان لهم منهج سديد و معيار دقيق في قبول ما يلقى إليهم من الإسرائيليات، ما كانوا يرجعون إليهم في كل شيء، و إنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث و الأخبار.

قال: أما إنكار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و إنكار الصحابة على من كان يرجع إليهم، فقد كان في مبدأ الإسلام و قبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم و أفكارهم «١».

قال ابن حجر: «و كأنّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية و القواعد الدينيّة خشية الفتنة. ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار» «٢». (١) الإسرائيليات في التفسير و الحديث، ص ٦٦-٦٧.

(٢) راجع: فتح الباري، ج ٦، ص ٣٢٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٢

مناقشة دلائل الجواز

غير أن هذه الدلائل غير وافية بإثبات المطلوب، و لا هي تبرّر مراجعة أهل الكتاب في شيء من تفسير القرآن الحكيم أو تاريخ الأنبياء عليهم السلام.

ذلك لأنّ اليهود الذين جاؤوا العرب كانوا أهل بادية مثلهم- كما قال ابن خلدون- لا علم لهم و لا تحقيق بمعرفة الصحيح من الأخبار، سوى ما شاع لديهم من أخبار عاميّة ممّا لا يمكن الوثوق بها. أما علماءهم فكانوا أهل دجل و تزوير، كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم- كما حكى عنهم القرآن- و يزورون الحديث و يقولون: هذا من عند الله، و ما هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، بغية حطام الدنيا الرذيلة.

و من ثمّ كان المنع من ذلك شديداً كما عرفت في مناهي النبي و أصحابه الكبار عن ذلك، و لم يدل على جوازه شيء من الأخبار و الآثار.

أمّا الآيات التي زعموها مبيحة لذلك، فلاستدلال بها عقيم؛ لأنها من باب «إياك أعني و اسمعي يا جارة». كان الخطاب في ظاهره مع

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غير أن المقصود غيره من المتشككين في أمر الرسالة، وليسوا هم المسلمين أيضا، بل الكفار و المنافقون هم المقصودون، بدليل صدر الآية و ذيلها: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسِئَلِ الَّذِينَ يُقْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ فَئِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «١».

و العجب من الذهبي كيف يزعم أن هذه الآية جاءت رخصة للنبي في مراجعة أهل الكتاب؟! أو هل يشك النبي فيما أنزل إليه؟! أو هل يمتري النبي في صدق رسالته كي يؤمر بالانتهاه منه؟! (١) يونس / ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٣

لا شك أن المقصود غيره من الذين كانوا يتشككون في صدق رسالته، و لقد كان المرجع الوحيد الذي يمكن أولئك المتشككين اللجوء إليه هم (أهل الكتاب) الذين جاورهم، و ليس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بمقصود البتة، و لا المسلمون المعتقدون بصحة الرسالة.

و هكذا قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ «١» خطاب محض موجه إلى العرب الجاهلي. أما

حديث «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»

فهو كناية عن التوسع في تفضيع شأنهم؛ حيث كل ما حدثته عنهم من رذائل و فضائح فهو حق لا مرية فيه؛ حيث توسعهم في ارتكاب الآثام و ركوبهم جميع القبائح المحتملة بشأنهم، كما جاء في المثل: «حدث عن البحر و لا حرج» كناية عن التوسع في الأمر، و أنه كل ما قلت عنه فهو صحيح. و منه قولهم بشأن معن بن زائدة الشيباني و كان من أجواد العرب: «حدث عن معن و لا حرج»، كناية عن توسعه في المكرمات، فكل ما حدثت عنه من فضيلة، فهو صدق واقع «٢».

فهذا تعبير كنائي عن مطلق التوسع في أمر إن شيئا أو زينا، و ليس المقصود التحدث، بمعنى الرواية و النقل عنهم.

و يتأيد هذا المعنى، بما

ورد في لفظ أحمد: «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا و قد (١) النحل / ٤٣.

(٢) راجع: مجمع الأمثال للميداني رقم ١١٠٣، ج ١، ص ٢٠٧. و فرائد الأدب للأب لويس معلوف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٤

كان فيهم أعجب منه «١»، أي كل ما حدثت عنهم من فضيحة أو رذيلة شائنة، فهو صدق؛ لأنهم أوسع فضاحة و أكثر رذالة مما يحتمل بشأنهم.

و

في لفظه الآخر: «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، و حدثوا عني و لا تكذبوا» «٢».

ففي هذه المقارنة بين التوسع في الحديث عن بني إسرائيل، و التقييد لدى الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دلالة واضحة على صدق الحديث عنهم مهما كان الحديث، أما عند التحدث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيجب تحري الصدق، و لئلا يكون كذبا عليه. فإنه من كذب عليه متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

أقطاب الروايات الإسرائيلية

إشارة

عند ما نتصفح كتب السير و التفاسير و أخبار الملاحم، نجد أن أكثرية ما يروى من الإسرائيليات تكاد تدور على أقطاب ثمانية، كانوا هم الأساس لشياع الأساطير الإسرائيلية بين المسلمين.

و هم: عبد الله بن سلام، و كعب الأحبار، و محمد بن كعب القرظي، و وهب بن متهبه، و تميم بن أوس الداري، و عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و أبو هريرة.

أما الأولان فهما من مسلمة أهل الكتاب. و الثلاثة بعدهما ممن ولدوا عن أبوين كتابيين. و الأخيران أسلما عن شرك. و لكن أخذنا علمهما ممن سبقهما من (١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٣. (٢) المصدر، ص ٥٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٥

أهل الكتاب.

أما الخمسة الأول فكانت لهم إمامة بثقافات موروثه من أهل الكتاب، لكن لا على حدّ التحقيق و النقد، بل على حدّ الشيع العام- حسبما تبه عليه ابن خلدون- لأنهم كانوا أيضا كإخوانهم العرب، من البائدة القاطنين في الجزيرة.

كان هؤلاء جميعا، يقصّون على الناس- في حلقات إما في أندية أو جوامع- القصص و الأخبار البائدة، و يحوكون لهم غرائب الآثار الأساطيرية، و ربما كانت مهيجته، و من ثمّ كانت لهم أسواق رائجة في الأوساط العامية؛ الأمر الذي أشاع عنهم الكثير من الأساطير الإسرائيلية، و أخذ عنهم أهل السير و التاريخ، و أدرجوها ضمن كتبهم في التفسير و الحديث و التاريخ.

و إليك إمامة قصيرة بحيان هؤلاء الأقطاب الثمانية:

١- عبد الله بن سلام

اسمه الحصين بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف النوافل من الخزرج، و هم بنو عوف، كان حبرا من أحبار اليهود، فأسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه و آله و سلم المدينة، و قيل: قبل وفاته بسنتين،

فسمّاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم عبد الله.

قال ابن حجر: و كان من بنى قينقاع «١».

قيل: إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إنّي قد قرأت القرآن و التوراة. فقال:

«اقرأ بهذا ليلة، و بهذا ليلة»

. قال الإمام شمس الدين الذهبي: إسناده ضعيف «٢».

لأنّ الراوى له هو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، و هو متروك الحديث. (١) الإصابة، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٨-٤١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٦

و بعضهم اتهمه. قال الأستاذ شعيب الأرنؤوط: فالحديث ضعيف جدّا، بل يكاد يكون موضوعا، فإنه مخالف

لحديث جابر بن عبد الله الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «أمتهوكون كما تهوكت اليهود و النصرى؟ لقد جئتكم بها بيضاء

نقية. و لو كان موسى حيّا لما وسعه إلّا أتباعي».

قال: و هو حديث حسن «١».

كان عبد الله بن سلام ممن يحوكون الأحاديث ليستجلب أنظار العامة و يرفع بمنزلته لديهم، من ذلك ما حاكه حول صفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في التوراة، كان يملئها على العامة تزلفا إليهم. فكان يذكر من أوصاف الرسول الراهنة، و يقول:

وجدتها كذلك في التوراة «٢»، و كان يدعى أنه أعلم اليهود و أخبرهم بكتب السالفين «٣».

وقد حكيت حوله أحاديث في فضله و نبه، غير أنها ضعيفة الإسناد موهونة. توفي بالمدينة سنة (٤٣).

٢- كعب الأخبار

هو كعب بن ماته الحميري من آل ذى رعين أو من آل ذى الكلاع «٤». و يكتنى (١) هامش سير أعلام النبلاء. أخرج الحديث عن «مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٧٣-١٧٤».

(٢) أوردها ابن سعد في الطبقات (ط ليدن)، ج ١، ص ٨٧، ص ١٤.

(٣) الإصابة، ج ٢، ص ٣٢١، و سير الأعلام، ج ٢، ص ٤١٦.

(٤) و ربما رجح الثاني، لما

رواه الطبراني من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عوف بن التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٧

أبا إسحاق، من كبار أخبار اليهود، كان أبوه كاهنًا، و ورث الكهانة من أبيه. ولد قبل الهجرة باثنتين و سبعين سنة، و أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم في أوائل خلافة عمر.

و هلك أيام عثمان سنة (٣٢). فقد عاش (١٠٤) سنة.

كان من أهل اليمن- من يهودها- فهاجر إلى المدينة عند ما أسلم، ثم تحوّل إلى الشام، فاستصفاه معاوية و جعله من مستشاريه، لما زعم فيه من كثرة العلم «١».

و هو الذى أمره أن يقصّ فى بلاد الشام؛ و بذلك أصبح أقدم الإخباريين فى موضوع الأحاديث اليهودية المتسربة إلى الإسلام. و بواسطة كعب و ابن مته و سواهما من اليهود الذين أسلموا تسربت إلى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود- الإسرائيلية- و ما لبثت هذه الروايات أن أصبحت جزءا من الأخبار التفسيرية و التاريخية فى حياة المسلمين.

افتخر هذا الكاهن لإسلامه سببا عجيبا ليتسلّل به إلى عقول المسلمين مالك، أنه دخل المسجد يتوكأ على ذى الكلاع، و كعب يقصّ على الناس، فقال عوف لذى الكلاع: ألا تنهى ابن أخيك هذا عما يفعل؟ قيل: إنه نهاه و ذكره بحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا يقصّ على الناس إلّا أمير أو مأمور أو متكلّف محتال» فأمسك كعب عن القصص حتى أمره معاوية، فصار يقصّ بعد ذلك.

(الإصابة، ج ٣، ص ٣١٥-٣١٦)

(١) قال معاوية فى وصف علمه: ألا إنّ كعب الأخبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالثمار و إن كُنا فيه لمفرطين.

و الذى يدل على مبلغ علمه الموهوم ما قاله هو لقيس بن خرشة القيسى: ما من شبر فى الأرض إلّا و هو مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى، ما يكون عليه و ما يخرج منه إلى يوم القيامة، يعنى أنه يعلم بذلك. (راجع: تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٣٩، و الاستيعاب فى ترجمة قيس بن خرشة، هامش الإصابة، ج ٣، ص ٢٤٣).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٨

و قلوبهم. فقد أخرج ابن سعد بإسناد صحيح- حسبما ذكره أبو ريّة- عن سعيد بن المسيّب قال: قال العباس بن عبد المطلب لكعب: ما

منعك أن تسلّم على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبى بكر، حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟

فقال: إن أبى كتب لى كتابا من التوراة و دفعه إليّ، و قال: اعمل بهذا. و ختم على سائر كتبه، و أخذ عليّ بحق الوالد على ولده أن لا أفصّ الخاتم. فلما كان الآن، و رأيت الإسلام يظهر و لم أر بأسا، قالت لى نفسى: لعلّ أباك غيب عنك علما كتمك، فلو قرأته، ففضضت الخاتم، فقرأته، فوجدت فيه صفة محمّد و أمته.

فجئت الآن مسلما. فوالى العباس «١».

قلت: ولا يخفى ما فى هذا التبرير من تفاهة إن لم يكن فى طيها سفاهة تصحبها خباثة.

و كان عمر يكرهه و يسىء الظنّ به، لما كان قد أفسد فى الحديث و أشاع الأكاذيب. قال له يوما و قد أحضره: لتتركنّ الأحاديث أو لألحقنّك بأرض القردة «٢»، يعنى أرض اليهود التى هى أصله. و

روى أهل السير أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام كان يذمّه، و يقول عنه: إنّ كعب الأخبار لكذاب

. و قد كان منحرفا عن على عليه السّلام، كما ذكره ابن ابى الحديد «٣». (١) الطبقات، ج ٧، ق ٢، ص ١٥٦. و راجع: الإصباة، ج ٣، ص ٣١٦. و الأضواء لأبى ربه، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) أخرجه أبو زرعة الدمشقى فى تاريخه، ج ١، ص ٥٤٤. راجع: هامش سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٠. و رواه ابن كثير فى البداية و النهاية، ج ٨، ص ١٠٨، ط السعادة (راجع الإسرائيليات للذهبي، ص ٩٦).

(٣) شرح النهج، ج ٤، ص ٧٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٩

و من سخافاته ما روى عن سعد الجارى مولى عمر، قال: إنّ عمر دعا أمّ كلثوم- و كانت تحته- فوجدها تبكى. فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: هذا اليهودى- تعنى كعبا- يقول: إنك على باب من أبواب جهنم! فقال عمر: ما شاء الله، و الله إنى لأرجو أن يكون ربّى خلقنى سعيدا. ثم أرسل إلى كعب فدعاه، فلمّا جاءه قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ، و الذى نفسى بيده، لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة.

فقال عمر: أى شىء هذا، مرّة فى الجنة و مرّة فى النار؟! فقال: يا أمير المؤمنين، و الذى نفسى بيده، إنا لنجدك فى كتاب الله- يعنى به التوراة- على باب من أبواب جهنم، تمنع الناس أن يقعوا فيها. فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة «١». و يروى الطبرى أنه جاء إلى عمر قبل مقتله بثلاثة أيام، و قال له: اعهد، فإنك ميت فى ثلاثة أيام. قال: و ما يدريك؟ قال: أجده فى كتاب الله عزّ و جل فى التوراة! قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال: اللهم، لا، و لكن أجد صفتك و حليتك، و أنه قد فى أجلك «٢».

قال أحمد أمين تعقيبا على هذه القصّة: و هذه القصّة إن صحّت دلّت على ووقوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثم وضعها هو فى هذه الصبغة الإسرائيلىة. كما (١) طبقات ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ٢٤٠، س ٤-١٢.

(٢) جاء فى تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٦٤ (مطبعة الاستقامة) حوادث سنة (٢٣): أن عمر كان لا يحسّ ألما و لا وجعا حتى كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب و بقى يومان. ثم جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان و بقى يوم و ليلة، و هى لك إلى صبيحتها.

فلما كان الصبح خرج إلى الصلاة فطعنه أبو لؤلؤة.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٠

تدلّنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل «١».

و هكذا ذكر أبو ريّة: و ممّن اشترك فى مؤامرة قتل عمر، و كان له أثر كبير فى تدبيرها كعب الأخبار. و هذا لا يمتري فيه أحد إلّا الجهلاء «٢».

و ذكر ابن سعد أنّ كعبا كان يقول: كان فى بنى إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر، و إذا ذكرنا عمر ذكرناه. و كان إلى جنبه نبى يوحى إليه. فأوحى الله إلى النبى أن يقول له: اعهد عهدك و اكتب وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام، فأخبره النبى بذلك. فلما كان فى اليوم الثالث وقع بين الجدر و بين السرير؛ ثم جاء إلى ربّه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنّى كنت أعدل فى الحكم، و إذا اختلفت الأمور اتّبع هواك و كنت و كنت، فزدنى فى عمرى حتى يكبر طفلى و تربو أمّتى. فأوحى الله إلى النبى أنه قد قال كذا و

كذا، و قد صدق، و قد زدته في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك ما يكبر طفله و تربو أمته.

فلما طعن عمر قال كعب: لئن سألت عمر ربّه ليقينّه الله. فأخبر بذلك عمر، فقال عمر: اللهم، اقضنى إليك غير عاجز و لا ملوم «٣». و ذكر أيضا: لما طعن عمر، جاء كعب فجعل يبكي بالباب، و يقول: و الله لو أنّ أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره. فدخل ابن عباس عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا و كذا! قال: إذن و الله لا أسأله. ثم قال: ويل لى و لأمى إن لم يغفر الله لى «٤». (١) فجر الإسلام، ص ١٦١.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، ص ١٥٥.

(٣) الطبقات، ج ٣، ق ١، ص ٢٥٧، س ٢-١٢.

(٤) المصدر، ص ٢٦٢، س ١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠١

و من ثمّ كان ما يحكيه كعب عن الكتب القديمة، ليس بحجة عند أحد من أهل العلم و التحقيق، و لم يثبت أهل الحديث الأوائل. قال شعيب الأرنؤوط:

و أخطأ من زعم أنه خرّج له البخارى و مسلم، فإنهما لم يسندا من طريقه شيئا من الحديث. و إنّما جرى ذكره فى الصحيحين عرضا. قال: و لم يؤثر عن أحد من المتقدمين توثيق كعب إلّا أنّ بعض الصحابة - يعنى معاوية - أثنى عليه بالعلم «١».

و قد سمعت قول معاوية - صديقه الوفى - بشأنه، حينما حجّ فى خلافته: إن كان من أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب، و إن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب «٢».

قال ابن حجر: و روى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير و أبو هريرة و معاوية «٣»، و ذكر ابن عباس أيضا. لكنّا قد فنّدنا ذلك بتفصيل. و فى «الطبقات»: أن تبع ابن امرأة كعب حمل من كعب علما كثيرا «٤».

قال أحمد أمين: و أما كعب الأخبار فيهودى من اليمن، و من أكبر من تسرّبت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين. و قد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نشر علمه: ابن عباس! و أبو هريرة. و ما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و أساطيرها. جاء فى «الطبقات الكبرى» حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن عبد قيس جالس إلى كتب و بينها سفر من أسفار التوراة و كعب يقرأ. و قد لاحظ بعض الباحثين أن بعض الثقات كابن قتيبة و النووى (١) هامش سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٠. و معاوية هو الذى أثنى عليه بالعلم. راجع: فتح البارى، ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٢) راجع: البخارى بهامش الفتح، ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٣) الإصابة، ج ٣، ص ٣١٦.

(٤) الطبقات، ج ٧، ق ٢، ص ١٦٠، س ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٢

لا يروى عنه أبدا. و ابن جرير يروى عنه قليلا «١».

قال الذهبى بعد نقل كلام أحمد أمين: و هذا يدلنا على أن كعبا كان لا يزال بعد إسلامه يرجع إلى التوراة و التعاليم الإسرائيلية «٢». قلت: أمّا رواية ابن عباس عن كعب فشىء موضوع، و لم تثبت روايته عنه، و هو الناقم على مراجعى أهل الكتاب على ما أسلفنا. نعم، كان أبو هريرة لقلبه بضاعته كثيرا ما يراجع أهل الكتاب، و لا سيّما كعبا، كان يعدّ شيخه و مرشده فى هذا الطريق. و كان أبو هريرة أكثر من نشر عن كعب و أفاض بمعلوماته الجمّة عن مثله.

قال الأستاذ أبو ريّة - و نعم ما قال -: «إن كعبا أظهر الإسلام خداعا، و طوى قلبه على يهوديته، و أنّه سلط قوّة دهائه على سداجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه و ينيمه، ليلقنه كل ما يريد أن يبثّه فى الدين الإسلامى من خرافات و أوهام.

و أنه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعل يرّد كلامه بالنص، و يجعله حديثاً مرفوعاً «٣». قال: و قد استطاع هذا اليهودي أن يدس من الخرافات و الأوهام و الأكاذيب في الدين، ما امتلأت به كتب التفسير و الحديث و التاريخ، فشوّتها و أدخلت الشك إليها. و ما زالت تمدنا بإضرارها «٤». (١) فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٦١. (٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٨٨.

(٣) الإسرائيليات في التفسير و الحديث للذهبي ص ٩٥. قال أبو رية في الأضواء، ص ١٦٤: يرجع إلى كتابنا «شيخ المضيرة» ليعلم كيف اتصل أبو هريرة بكعب الأخبار، و كيف وقع في فخه. (٤) أضواء على السنة المحمدية، ص ١٦٤. التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٣.

٣- تميم بن أوس الداري

هو أبو رقية، تميم بن أوس بن حارثة أو خارجة الداري، اللخمي الفلسطيني. و الدار: بطن من لخم، فخذ من يعرب بن قحطان. و قد تميم و أخوه نعيم في وفد كانوا عشرة نفر من بني الدار على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعد منصرفه من تبوك سنة (٩) فأسلما و كانا نصرانيين. قال أبو نعيم: كان تميم راهب عصره و عابد فلسطين. يقال: إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أخذ عنه قصبة «الجساسة» و الدجال، فحدث عنه بذلك على المنبر، فكان ذلك منقبة له «١».

و التمس من النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يهب له قريتين من قرى فلسطين، إن فتح الله عليه الشام. قال: كانت لنا جيرة من الروم، و لهم قريتان يقال لإحدهما: حبرى و الأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال صلى الله عليه و آله و سلم فهما لك.

و كتب له كتابا. فلما قام أبو بكر بالأمر أعطاه ذلك «٢». و قيل: إنه جاء بالكتاب إلى عمر فقال: أنا شاهد ذلك فأمضاه. و ذكر الليث أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال له: «ليس لك أن تبيع» فجعلها وقفا عليه. قال ابن جريح: فهي في أيدي أهله إلى اليوم «٣».

أخرجه أبو عبيد من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه «٤». و قد بالغ أصحاب التراجم بشأنه و ذكروا له كرامات و مناقب، منها قصبة (١) و الجساسة: دابة- فيما زعمه هذا الراهب النصراني - كان رآها في جزيرة من البحر كانت تجس الأخبار لدجال. أوردتها مسلم في الفتن و أشراف الساعة (ج ٨، ص ٢٠٣) و أحمد في مسنده، ج ٦، ص ٣٧٣-٣٧٤ و الطبراني و غيرهم، و سند ذكر قصبتها.

(٢) الإصابة، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤، و الطبقات، ج ١، ق ٢، ص ٧٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٤) الأموال لأبي عبيد بن سلام، ص ٣٤٩-٣٥٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٤.

مدافعتة النار حتى أطفأها، كما ذكره ابن حجر، قال: له قصبة مع عمر فيها كرامة واضحة لتمام و تعظيم كثير من عمر له- فذكرها في ترجمة معاوية بن حرملة- و هي: أن معاوية بن حرملة- صهر مسيلمة الكذاب و الذي ارتد معه- جاء إلى المدينة تائباً، فلبث في المسجد لا يؤوى و لا يطعم شيئاً. قال فأتيت عمر، فقلت: تائب من قبل أن تقدر عليه. قال: من أنت؟ قلت: معاوية بن حرملة.

قال: اذهب إلى خير المؤمنين، فأنزل عليه.

قال: و كان تميم الدارى إذا صلى ضرب يديه على يمينه و شماله فذهب برجلين، فصليت إلى جنبه. فأخذنى، فأوتينا بطعام. فبينما نحن ذات ليلة؛ إذ خرجت نار بالحرة، فجاء عمر إلى تميم يستنجده، فقال: قم إلى هذه النار. فقال:

يا أمير المؤمنين: و من أنا! و ما أنا، و ما تخشى أن يبلغ من أمرى! يستصغر نفسه.

فلم يزل به عمر حتى قام معه، و تبعتهما. فانطلقا إلى النار. فجعل تميم يحوشها (أى يدفعها إلى الداخل) بيده حتى دخلت الشعب، و دخل تميم خلفها.

فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرا! قالها ثلاثا. قال: فخرج و لم تضره النار «١».

قال الذهبي: هذه القصة سمعها عفان من حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي العلاء عن ابن حرملة. قال: و ابن حرملة لا يعرف.

قلت: قد أهمل معاوية بن حرملة فى كتب ترجمة الرجال.

و هذا الكاهن المسيحي - الذى بقيت معه نزعة المسيحية (الرهينة) إلى ما (١) ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة معاوية بن حرملة، ج ٣، ص ٤٩٧. و سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٦-٤٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٥

بعد إسلامه - هو أول من سن القصة فى المسجد، و تكاد تتفق الروايات على أنه أول قاص فى الإسلام «١». و ذلك كان على عهد عمر بن الخطاب، و لعله فى أواخر ولايته. روى الزهرى عن السائب بن يزيد، قال: أول من قص تميم الدارى، استأذن عمر، فأذن له فقص قائما «٢». و روى عن ابن شهاب، أن أول من قص فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تميم الدارى، استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر. و استأذن تميم عثمان بن عفان فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك.

قال أحمد أمين: و قد نما القصص بسرعة؛ لأنه يتفق و ميول العامة، و أكثر القصص من الكذب حتى روى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد، و استثنى الحسن البصرى، لتحزبه الصدق «٣».

و أما قصة «الجساسة»،

فقد ذكر مسلم فى كتاب الفتن و أشراط الساعة، بإسناده عن الحسين بن ذكوان عن ابن بريده عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس، و كانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ينادى:

الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم. قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صلاته جلس على المنبر و هو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتمكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: إنى و الله ما جمعتمكم لرغبة و لا لرهبة، (١) كما قال أحمد أمين، فجر الإسلام ص ١٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٣) فجر الإسلام، ص ١٥٩-١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٦

و لكن جمعتمكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء و بايع و أسلم، و حدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم و جذام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر، ثم أرفقوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا فى أقرب (جمع قارب و هو الزورق) السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقبهم دابة أهل «١» كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة! «٢» قالوا: و ما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا

إلى هذا الرجل فى الدير (الدير هو القصر) فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال (أى الدارى): لما سمّت لنا رجلا فرقنا (أى فرعنا) منها أن تكون (أى الدابة) شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قطّ خلقا، و أشده و ثقا، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: وملكك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. فقصّوا عليه قصّيتهم، فقال: أخبروني عن نخل بيسان! «٣» قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألکم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما أنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية! قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء. قال: أما أن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر «٤». (١) غليظ الشعر.

(٢) فى الهامش: سميت جتاسه لتجسسها الأخبار للدجال. قال صاحب التحفة: هى دابة الأرض التى تخرج فى آخر الزمان. راجع: شرح النووى. ج ١٨، ص ٧٨.

(٣) بيسان، مدينة بالأردن بالغور الشامى، و هى بين حوران و فلسطين. يقال عنها: إنها لسان الأرض و بها عين يقال: إنها من الجنة فيها ملوحة يسيرة. (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٧)

(٤) على وزان زفر: بلدة فى الجانب القبلى من الشام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٧

قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فى العين ماء، و هل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هى كثيرة الماء، و أهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبىّ الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة و نزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟

قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم، فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب و أطاعوه. قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما أن ذاك خير لهم أن يطيعوه، و إنى أخبركم عنى: إنى أنا المسيح «١»، و إنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج، فأخرج فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلّا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة و طيبة، فهما محرّمتان علىّ كلاتهما، كلّما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملكك بيده السيف صلتا «٢» يصدنى عنها، و أن علىّ كلّ نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و طعن بمخصرته فى المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة، يعنى المدينة «٣».

هذه القصة على غرابتها فى سندها ضعف؛ لأنها رويت بطريقتين: مسلم فى «الصحيح»، و أحمد فى «المسند». و كلاهما ينتهى إلى عامر الشعبى، غير أن الذى يروى عن الشعبى فى المسند، هو مجالد بن سعيد، و كان يكذب فى الحديث.

قال عمرو بن على: سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض أصحابه: أين تذهب؟

قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد بن سعيد! قال: تكتب (١) أى المسيح الدجال الذى زعموا أنه يخرج فى آخر الزمان.

(٢) أى مسلولاً.

(٣) صحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٠٣-٢٠٥. و رواه أحمد فى المسند، ج ٦، ص ٣٧٣، باختلاف يسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٨

كذبا كثيرا، لو شئت أن يجعلها إلى مجالد كلّها عن الشعبى عن مسروق عن عبد الله، فعل. و قال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء. يرفع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس. و قال الدورى عن ابن معين: لا يحتج بحديثه. و قال ابن أبى خيثمة عن ابن معين: ضعيف واهى الحديث. كان يحيى بن سعيد يقول: لو أردت أن يرفع لى مجالد حديثه كلّ رفعه، إلى غيرها من شهادات بضعفه فى الحديث، و رفعه الحديث لمكان ضعفه «١». و قال محمد بن حبان: كان ردىء الحفظ يقلب الأسانيد و يرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به «٢».

و فى مسند مسلم وقع: ابن بريده عن الشعبى. و ابن بريده هذا هو عبد الله بن بريده أخو سليمان. قال البزار: فحيث أبهم علقمة و محارب و محمد و كذا الأعمش عند ابن حجر فالمراد: سليمان بن بريده. و أما من عدا هؤلاء حيث أبهموا فهو عبد الله بن بريده «٣»-

كما هنا- لأنّ الذي أبهم في إسناد مسلم هو الحسين بن ذكوان.

و عبد الله بن بريدة هذا، قد ضعّف حديثه أحمد، و كانوا يرجّحون أخاه سليمان عليه. قال إبراهيم: له عن أبيه أحاديث منكّرة. و تعجّب من الحاكم كيف زعم أنّ سند حديثه من رواية الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أصحّ الأسانيد لأهل مرو «٤».

(١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٤٠.

(٢) كتاب المجروحين و الضعفاء لابن حبان، ج ٣، ص ١٠.

(٣) راجع: الكنى في تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٢٨٦.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٩

٤- وهب بن منبه

هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني. و قال أحمد بن حنبل: كان من أبناء فارس. قيل: إن منبه من خراسان من أهل هراء، أخرجه كسرى من هراء إلى اليمن، فأسلم في عهد النبي و حسن إسلامه فسكن ولده في اليمن، و كان وهب بن منبه يختلف إلى هراء و يتفقّد أمرها. كان يقول: قرأت بضعة و سبعين كتابا من كتب الأنبياء. ولد سنة (٣٤) و مات سنة (١١٠). قيل: ضربه يوسف بن عمر حتى مات «١».

و قد أكثر من سرد الإسرائيليات، و نسب إليه قصص كثيرة، كانت ماثرا للنيل منه و الطعن عليه، حتى رمى بالكذب و التدليس، و إفساد عقول المسلمين.

٥- محمد بن كعب القرظي

هو محمد بن كعب سليم القرظي، كان أبوه من سبي قريظة، من أولاد كهنة اليهود. ولد سنة (٣٩) و مات سنة (١١٧). كان يقصّ في المسجد، فسقط عليه السقف، فمات هو و جماعة معه «٢».

فقد كان من القصاصين، يقصّون على الناس عن كتب السلف و أساطيرهم، و فيها كان حتفه. (١) تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٦٦-١٦٨.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٠-٤٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٠

٦- عبد الله بن عمرو بن العاص

قيل: كان اسمه العاص فغيّره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و سماه عبد الله.

أسلم قبل أبيه عمرو، و عمرو أسلم قبل الفتح سنة ثمان. ولد قبل الهجرة بسبع سنين، و مات سنة (٦٥). فقد عاش (٧٢) سنة. هو أوّل من أشاع الإسرائيليات بعد وفاة النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم زعم أنه أصاب يوم اليرموك «١» زاملتين «٢» من كتب اليهود، فكان يحدث منهما. و يبّر ذلك بما

رواه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من قوله: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج». رواه البخاري بإسناده عنه «٣». هكذا فهم من هذا الحديث، جواز الرواية عنهم، حسبما ذكره ابن تيميّة «٤».

أضاف إليه حديثاً آخر اختلقه بهذا الشأن، قال: رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى إصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما. فلياً أصبحت ذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: تقرأ الكتابين، التوراة و الفرقان. و من ثم كان (١) يرموك: واد بناحية الشام كانت به حرب بين المسلمين و الروم في أواخر أيام أبي بكر.

و كان عبد الله بصحبة أبيه في تلك الحرب؛ حيث أصاب زاملتين من كتب اليهود فيما زعم.

(٢) الزاملة: الملقبة، من زميل الشيء بثوبه أو في ثوبه لفته. و ربما كانت حمل بعير، و هكذا عبّر عنها ابن حجر في الفتح (ج ١، ص ١٨٤)، قال: إن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها و يحدث منها، و من ثم تجنب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين.

و عبّر عنها أبو شهبه: بحمل بعيرين. (الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص ٥٤).

(٣) صحيح البخارى، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٤) مقدمته في التفسير، ص ٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١١

يقرأهما «١».

و كانت له صحيفة يسميها «الصادقة» زعم أنه كتبها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن إجازته له في كتابتها. قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب ما سمعت منه فأذن لي فكتبته. فكان يسمي صحيفته تلك الصادقة.

قال مجاهد: رأيت عنده صحيفة فسألت عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بيني و بينه فيها أحد «٢».

روى البخارى بإسناده إلى همام بن منبه عن أخيه وهب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب و لا أكتب «٣».

و لقد كان ضعيف الرأي و هن السلوك، كان قد صحب أباه في الوقوف مع معاوية في وقعة صفين، في حين أنه كان يعلم أنهم كانوا هم الفئة الباغية على ما وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد اعتذر لذلك بأنه كان لوحيته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياه أن يتابع أباه عمرو بن العاص. و قد نسي قوله تعالى:

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ «٤».

و كذا قوله تعالى: (١) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٨٦. و مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٢٢. و حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) الطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١٢٥.

(٣) جامع البخارى، ج ١، ص ٣٩، باب كتابة العلم. و راجع: الفتح، ج ١، ص ١٨٤.

(٤) البقرة/ ١٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٢

وَ إِن جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا «١».

و مع ذلك نراه قد تابع أباه في ضلال كان يعلمه.

أخرج ابن سعد عن الغنوى، قال: بينا نحن عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمّار، يقول كل واحد منهما؛ أنا قتلتها. فقال عبد الله بن عمرو:

ليطب به أحد كما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تقتله الفئة الباغية». فقال معاوية: ألا تغنى

عنا مجنونك يا عمرو «٢» فما بالك معنا؟! قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أطع أباك حيا ولا تعصه. و أنا معكم و لست أقاتل «٣».

٧- أبو هريرة

أما أبو هريرة فقد اختلف في اسمه، كما لم يعرف أصله و نسبه و نشأته، و لا شيء من تاريخه قبل إسلامه، غير ما ذكر هو عن نفسه، من أنه كان يلعب بهزة صغيرة، و أنه كان معدما فقيرا حامل الذكر، يخدم الناس على شيع بطنه. قال: كنت أرعى غنم أهلي، و كانت لي هزة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، و إذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكتوني «أبا هريرة». قال: نشأت يتيما (١) لقمان/ ١٥.

(٢) هكذا في النسخ، و لعله: مجنونك، هو المزاح في وقاحة.

(٣) و هكذا

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن الحارث، قال: إنني لأسير مع معاوية في منصرفه عن صفين بينه و بين عمرو بن العاص. فقال عبد الله: يا أبة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار: ويحك يا ابن سميء، تقتلك الفئة الباغية. فقال عمرو لمعاوية: أ لا تسمع ما يقول هذا! فقال معاوية: ما تزال تأتينا بهنة تدحض بها في بولك. أ نحن قتلناه؟! إنما قتله الذين جاءوا به!! (الطبقات، ج ٣، ص ١، ص ١٨٠-١٨١) التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٣

و هاجرت مسكينا، و كنت أجيروا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني و عقبه رجلى، فكنت أخدم إذا نزلوا، و أخدم إذا ركبوا.

قدم أبو هريرة بعد أن تخطى الثلاثين من عمره، و كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينذاك في غزوة خيبر التي وقعت عام (٧) من الهجرة، قال ابن سعد: قدم الدوسيون فيهم أبو هريرة و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في أن يشركوا أبا هريرة في الغنيمه، ففعلوا. و لفرقه اتخذ سبيله إلى الصفه (موضع مظلل في مؤخره مسجد النبي من الناحية الشماليه). قال أبو الفداء: و أهل الصفه أناس فقراء لا منازل لهم و لا عشائر، ينامون في المسجد و يظلون فيه. و كانت صفه المسجد ماثوهم، فنسبوا إليها. و كان إذا تعشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو منهم طائفة يتعشون معه، و يفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشّوهم.

روى مسلم عنه، قال: كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ملاء بطني. و في روايه: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ملاء بطني. و كان أكلوا، إذا كان يطعم في بيت أحد الصحابة، كان بعضهم ينفر منه.

و روى البخاري عنه، قال: أستقرئ الرجل الآية و هي معي، كي ينقلب بي فيطعمني. و كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته. و روى الترمذي عنه: و كنت إذا سألت جعفر عن آيه لم يجبنني حتى يذهب بي إلى منزله. قال أبو رية: و من أجل هذا كان جعفر في رأى أبي هريرة أفضل الصحابة جميعا، فقدّمه على أبي بكر و عمرو و علي و عثمان و غيرهم من كبار الصحابة.

فقد أخرج الترمذي و الحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة: ما احتذى النعال و لا ركب المطايا و لا وطئ التراب، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جعفر بن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٤

أبي طالب «١».

كان أبو هريرة يلقب بشيخ المضيرة (طعام يطبخ باللبن المضمر، أي الحامض) و قد نالت هذه المضيرة من عناية العلماء و الكتاب و الشعراء ما لم ينله مثلها من أصناف المآكل و الحلويات. و ظلوا يتندرون بها و يغمزون أبا هريرة قرونا طويلة من أجلها.

قال الثعالبي، و كان أبو هريرة تعجبه المضيرة جدًا، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي عليه السلام، فإذا قيل له في ذلك، قال: مضيرة معاوية أدمم و أطيب، و الصلاة خلف علي أفضل و أتم. و من كلامه: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز الحار، و ما رأيت فارسا أحسن من زيد على تمر «٢».

و قد أخذ العلماء على أبي هريرة كثرة حديثه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم مع قلّة صحبته و قلّة بضاعته حينذاك، و من ثم رموه بالتدليس و الاختلاق. كان يسمع الحديث من أحد الصحابة ثم يدّلس، فيرفعه إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و كان كثيرا ما يسمع الحديث من أهل الكتاب و لا سيّما كعب الأخبار، فيسنده إلى النبي أو أحد كبار صحابته تدليسا و تمويها على العامة.

فقد روى مسلم عن بسر بن سعيد، قال: اتّقوا الله و تحفّظوا من الحديث.

فو الله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدّث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يحدّث عن كعب الأخبار، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن كعب، و حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و في رواية: يجعل ما قاله كعب (١) راجع: فتح الباري، ج ٧، ص ٦٢. (٢) الأضواء لأبي رية، ص ١٩٥-١٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٥

عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن كعب. فاتقوا الله و تحفّظوا في الحديث. و قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدّلس، أي يروي ما سمعه من كعب و ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا يميّز هذا من هذا. و قال ابن قتيبة: و كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كذا، وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه. و كانت عائشة أشدهم إنكارا على أبي هريرة. و ممن اتّهم أبا هريرة بالكذب عمر و عثمان و عليّ و غيرهم، فكما قال الأستاذ الرافعي: «كان أول رواية اتّهم في الإسلام» (١).

و الحديث بشأن تدليس أبي هريرة و إنكار الصحابة عليه ذو شجون، عرضه بتفصيل الأستاذ أبو رية في كتابه: «شيخ المضيرة»، و «الأضواء». و كان هذا العرض القصير مستقى منه «٢».

أخذ أبو هريرة عن كعب الأخبار الشيء الكثير، غير أن السيّئ الذي كان يرتكبه، إسناد ما سمعه من كعب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما نوهنا عنه.

قال أبو رية: ذكر علماء الحديث في باب «رواية الصحابة عن التابعين، أو رواية الأكابر عن الأصغر» إن أبا هريرة و العبادلة «٣» و معاوية و أنس و غيرهم، قد رووا عن كعب الأخبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعا، و طوى قلبه على (١) راجع: تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ٢٧٨.

(٢) راجع: الأضواء، ص ٢٠٢-٢٠٦.

(٣) هم: عبد الله بن عمرو بن العاص. و عبد الله بن عمر. و عبد الله بن عباس، غير أن الأخير مكذوب عليه، و قد فضلنا الكلام فيه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٦

يهوديته.

قال: و يبدو أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة انخداعا به، و ثقته فيه، و رواية عنه و عن إخوانه، من سائر أهل الكتاب. و يتبين من الاستقراء أن كعب الأخبار قد سلّط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه، و ينيمه ليلقنه كلّ ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي، من خرافات و أوهام. و كان له في ذلك أساليب غريبة و طرق عجيبة.

فقد روى الذهبي في «طبقات الحفاظ» في ترجمة أبي هريرة أن كعبا قال فيه- أي في أبي هريرة-: ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة، أعلم

بما فيها من أبي هريرة!! فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن و مكره بأبي هريرة، الذي يتجلى في درس تاريخه أنه كان رجلا فيه غفلة و غرّة؛ إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة و هو لا يعرفها، و لو عرفها لما استطاع أن يقرأها.

و مما يدلّك على أنّ هذا الحبر الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردّد كلام هذا الكاهن بالنصّ، و يجعله حديثا مرفوعا إلى النبيّ، ما نورد لك شيئا منه.

روى البزار عن أبي هريرة: أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّ الشمس و القمر ثوران في النار يوم القيامة!! فقال الحسن: و ما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله، و تقول: ما ذنبهما؟!

و هذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصّه، فقد روى أبو يعلى الموصلي، قال كعب: يجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران، فيقذفان في

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٧

جهنم، يراهما من عبدهما «١».

و

روى الحاكم في «المستدرک» و الطبراني- و رجاله رجال الصحيح- عن أبي هريرة: أنّ النبيّ قال: إنّ الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض و عنقه مثبتة تحت العرش، و هو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك! قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا

. و هذا الكلام من قول كعب، و نصّه: أنّ لله ديكا عنقه تحت العرش و برائته في أسفل الأرض، فإذا صاح صاحت الديكة، فيقول: سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره «٢».

و

روى أبو هريرة: أنّ رسول الله قال: النيل و سيحان و جيحان و الفرات من أنهار الجنة ، و هذا القول نفسه قاله كعب: أربعة أنهار الجنة وضعها الله في الدنيا:

فالنيل نهر العسل في الجنة، و الفرات نهر الخمر في الجنة، و سيحان نهر الماء في الجنة، و جيحان نهر اللبن في الجنة «٣».

و قال ابن كثير في تفسيره: إنّ حديث أبي هريرة في مأجوج و مأجوج، و نصّه- كما رواه أحمد- عن أبي هريرة: أنّ مأجوج و مأجوج ليحفرون السدّ كلّ يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعودون ... و قد روى أحمد هذا الحديث عن كعب، قال ابن كثير: لعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنّه كثيرا ما كان يجالس كعبا و يحدثه «٤». و بين في (١) حياة الحيوان للدميري، ج ١، ص ٢٥٧.

(٢) نهاية الأرب للنويري، ج ١٠، ص ٢٢٠.

(٣) الأضواء لأبي ربه، ص ٢٠٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤-١٠٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٨

مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة من كعب.

و

في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أنّ الله خلق آدم على صورته.

و هذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأول من التوراة (العهد القديم) و نصّه هناك:

«و خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» «١».

و

روى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي! فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة. وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائي أيضا عن أبي هريرة.

قال البخاري وابن كثير وغيرهما: إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأخبار؛ لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في سنة أيام «٢».

قال أبو رية: وقد بلغ من دهاء كعب واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته، أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وتزاهات، حتى إذا رواها أبو هريرة عاد هو فصدق أبا هريرة، وذلك ليؤكد هذه الإسرائيليات، وليمكن لها في عقول المسلمين، كأن الخبر جاء عن أبي هريرة، وهو في الحقيقة عن كعب (١) قال أبو رية: من روايات هذا الحديث: وطول آدم ستون ذراعا. وقد انتقد هذا الحديث ابن حجر في شرح البخاري، قال: ويشكل على هذا من الآن، الآثار للأمم السالفة كديار عاد و ثمود، فإن مساكنهم تدل على أن فأماتهم لم تكن مفرطة في الطول، على حسب ما يقتضيه الترتيب الذي ذكره أبو هريرة. وأنكر مالك هذا الحديث. (الأضواء، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ بالهامش)

(٢) الأضواء، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٩

الأخبار.

و إليك مثلا ما

رواه أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم: وظل ممدود» (١). ولم يكذب أبو هريرة يروي هذا الحديث حتى أسرع كعب، فقال: صدق والذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد، لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما! وهكذا كانا - كعب و أبو هريرة - يتعاونان على نشر مثل هذه الخرافات. ومن العجيب أن يروي مثل هذا الخبر الغريب أيضا وهب بن متبه في أثر غريب، فيرجع إليه من أراده «٢».

هلك أبو هريرة سنة (٥٩) عن (٨٠) سنة بقصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة و دفن بالبقيع، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان أميرا على المدينة تكريما له. ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعي إليه أبا هريرة، أرسل إليه معاوية: «انظر من ترك، و ادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم، و أحسن جوارهم، و افعل إليهم معروفا». قال أبو رية: وهكذا يترادف ردهم له حتى بعد وفاته «٣».

قال السيد رشيد رضا بشأن أبي هريرة: كان إسلامه في سنة (٥٧هـ)، فصحب رسول الله ثلاث سنين و نيفا، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي. وإنما سمعها من الصحابة و التابعين. فإذا كان جميع الصحابة عدولا في الرواية - كما يقول جمهور المحدثين - فالتابعون ليسوا كذلك، و قد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأخبار، و أكثر أحاديثه عنه، على أنه صرح بالسماع من النبي،

في حديث «خلق الله التربة (١) الأضواء، ص ٢١٠.

(٢) راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣ - ٥١٤.

(٣) الأضواء، ص ٢١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٠

يوم السبت»

وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه عن كعب. و كان يكثر في أحاديثه النقل بالمعنى و الإرسال - أي لا يذكر اسم الصحابي الذي سمع منه - و رواية الحديث بالمعنى كانت متارا لمشكلات كثيرة. كما أنه انفرد بأحاديث كثيرة، كان بعضها موضع الإنكار أو مظنته

لغرابه موضوعها، كأحاديث الفتن و الإخبار ببعض المغيبات، إلى غيرها من علل ذكرها أهل النقد في الحديث «١».

٨- ابن جريج

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، من أصل رومى نصرانى. ولد سنة (٨٠) و مات سنة (١٥٠). و هو من أول من صنف الكتب بالحجاز. قال الذهبي:

هو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين. قال: و لو أننا رجعنا إلى تفسير ابن جرير الطبرى و تتبعنا الآيات التي وردت في النصارى، لوجدنا كثيرا مما يرويه ابن جرير في تفسير هذه الآيات يدور على عبد الملك الذى يعبر عنه دائما ب «ابن جريج» «٢».

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبى: من أول من صنف الكتب؟ قال:

ابن جريج و ابن أبى عروبة. و كان رخاله في طلب العلم، فقد ولد بمكة ثم طوف في كثير من البلاد. و قد رويت عن ابن جريج أجزاء كثيرة في التفسير عن ابن عباس، منها الصحيح و منها غير الصحيح؛ لأنه لم يقصد الصحة فيما جمع، بل روى كل ما ذكر في كل آية من صحيح أو سقيم «٣». (١) مجلة المنار، ج ١٩، ص ٩٧ (الأضواء، ص ٢١٨-٢١٩).

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) الإقتان، ج ٢، ص ١٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢١

قال الإمام مالك بشأنه: كان ابن جريج حاطب ليل، لا يبالي من أين يأخذ.

و عن أحمد بن حنبل: إذا قال ابن جريج: قال فلان و قال فلان و أخبرت، جاء بمنكير. و إذا قال: أخبرنى و سمعت، فحسبك به.

و قال الدارقطنى، تجنّب تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلّس إلّا فيما سمعه من مجروح «١».

مبدأ نشر الإسرائيليات

قد عرفت منع النبى صلى الله عليه و آله و سلم من مراجعة أهل الكتاب، منعه البات، حتى الاستسناخ من كتبهم فضلا عن الرجوع إلى أقاويلهم. و من ثم لم يكن يجرأ أحد من الصحابة أن يراجع أهل الكتاب أو يأخذ عنهم شيئا من الأخبار، و ذلك ما دام النبى على قيد الحياة.

و فى حديث عمر الأنف، لما زجره النبى صلى الله عليه و آله و سلم على استسناخه عن كتب القوم، قام و قال متندما على ما فرط منه: «رضيت بالله ربّا، و بالإسلام ديناً، و بك رسولا» «٢». (١) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٢-٤٠٦.

(٢)

حدّث عمر عن نفسه، قال: انتسخت كتابا من أهل الكتاب، ثم جئت به فى أديم، فقال لى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما هذا فى يدك يا عمر؟ قلت: كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا، فغضب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى احمرّت وجنتاه، ثم نودى بالصلاة جامعة، فقال: يا أيها الناس إنى قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، و اختصر لى اختصارا. و لقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهوّكوا، و لا- يغزّكم المتهوّكون. فقمت و قلت: رضيت بالله ربّا و بالإسلام ديناً و بك نبيا. التفسير و

المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٢

و هكذا انتهج المسلمون منهجا سليما عن شوب أكدار أهل الكتاب، مدّة حياته صلى الله عليه و آله و سلم، و مدّة أيام أبى بكر، و طرفا من أيام عمر.

ثم لمّا توسّعت رقعة الإسلام و فاضت بلاد المسلمين بكثرة الوافدين، و فيهم الأجانب عن روح الإسلام، ممّن لا معرفة له بأصول

الشريعة، نرى أن هذا السد المنيع قد أزيل، و جعلت أكاذيب أهل الكتاب تتسرب بين المسلمين، و لم تزل تتوسّع دائرتها مع توسّع البلاد.

هذا كعب الأحبار، أتى بخزعبلاته في هذا العهد، و أبدى عبد الله بن عمرو بن العاص بمفترياته عن زاملته أيضا في هذا العهد، كما كظ أبو هريرة بمخاريقه في هذا الدور المتأخر عن حياة الرسول. و هكذا نرى عمر بن الخطاب قد أذن لثميم بن أوس الدارى أن يقصّ قصصه قائما في المسجد النبويّ، علانية على رءوس الأشهاد في هذا العهد «١»، كما أصاخ بأذنيه لمخاريق كعب. يقول ابن كثير بعد ما ساق الروايات في أن الذبيح هو إسحاق: و هذه الأقوال كلّها مأخوذة عن (تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧) و

روى أحمد بإسناده عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنى مررت بأخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة، أ لا أعرضها عليك! قال: فتغيّر وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. قال عبد الله بن ثابت: فقلت لعمر: أ لا ترى ما بوجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال عمر: رضينا بالله تعالى ربّا، و بالإسلام ديناً، و بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رسولا. قال: فسرى عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و قال: و الذى نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه و تركتمونى لضللتهم، إنكم حظى من الأمم و أنا حظكم من النبيين. (مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٦٥-٢٦٦) (١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٣

كعب الأحبار، فإنّه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديما، فربما استمع له عمر، فترخّص الناس في استماع ما عنده، و نقلوا ما عنده عنه، غثها و سمينها، و ليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده «١».

فقد كان العقد الثانى بعد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عهد رواج القصص الأسطورية و الإسرائيلية، حسبما قال الدكتور أبو شهبه: إن بدعة القصّ قد حدثت في آخر عهد الفاروق: عمر بن الخطاب «٢».

و هل كان هناك نكير على هذا الفعل؟

كان عمر بين حين و آخر يشدّد النكير على هذا الصنيع، و لكن من غير تداوم عليه، فكان هناك - رغم تشديد عمر - أناس يقومون بنسخ أو ترجمة كتب العهد القديم، و التحدّث عنها بين المسلمين، أما المراجعة إلى أهل الكتاب و القصّ على الناس فقد تعارف و شاع ذلك العهد.

أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلى عن خالد بن عرفطة، قال: كنت جالسا عند عمر، إذ أتى برجل مسكنه السوس «٣». فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدى؟

قال: نعم. قال: و أنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقناة معه. فقال الرجل:

ما لى يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم. الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

(١) راجع تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

(٢) الإسرائيلية و الموضوعات، ص ٨٩.

(٣) سوس: مدينة شوش التى بها قبر دانيال، من أرض خوزستان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٤

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ «١»، فقرأها عليه ثلاثا و ضربه ثلاثا. فقال له الرجل: ما لى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذى نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرنى بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم و الصوف الأبيض، ثم لا تقرأه و لا تقرئه أحدا من الناس، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكتك عقوبة.

ثم قال له عمر: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا في يدك يا عمر؟! قلت: كتاب نسخته لزداد به علما إلى علمنا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟، السلاح السلاح. فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «يا أيها الناس إنى قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، و اختصر لى اختصارا، و لقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهوؤا و لا يغرنكم المتهوؤون». قال عمر: فقلت و قلت: رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بك رسولا، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

. و يقرب من ذلك ما

أخرجه الحافظ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي عن جبير بن نصير، حدّثهم، قال: إن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر، فأرسل إليهما في من أرسل من أهل حمص، و كانا قد اكتتبا من اليهود صلاصة «٢»، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين، يقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة، و إن نهانا عنها رفضناها. فلما قدما عليه قالا: إنا بأرض أهل الكتاب، و إنا نسمع منهم كلاما تقشع من جلودنا، أفتأخذ منه أو تترك؟ فقال:

لعلكما كتبتما منه شيئا! فقالا: لا. قال عمر: سأحدّثكما: (١) يوسف / ١-٣.

(٢) صلاصة: جمع صلاصة هي الصحيفة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٥

انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتيت خبير، فوجدت يهوديا يقول قولاً أعجبنى، فقلت: هل أنت مكتبي مما تقول؟ قال: نعم، فأتيت بأديم فأخذ يملئ عليّ حتى كتبت في الأكرع «١». فلما رجعت، قلت: يا نبي الله - و أخبرته - قال: اتنى به. فانطلقت أرغب عن الشيء رجاء أن أكون جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببعض ما يحب. فلما أتيت به قال: اجلس اقرأ عليّ. فقرأت ساعة، ثم نظرت إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو يتلون. فتحيّرت من الفرق «٢»، فما استطعت أن أجز منه حرفا. فلما رأى الذي بي رفعه «٣» ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه، و هو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هو كوا و تهوؤوا «٤»، حتى محاه عن آخره حرفا حرفا.

قال عمر: فلو علمت أنّكما كتبتما شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة. قالا: و الله ما نكتب منه شيئا أبدا. فخرجا بصلاصفتهما، فحفرا لها، فلم يألوا أن يعمقا، و دفناها، فكان آخر العهد منها «٥».

و لكن هل أثر تشديد عمر في الحدّ عن مراجعة أهل الكتاب؟

إنه لم يشدّد على مراجعتهم، و إنما شدّد على الكتابة من كتبهم كما شدّد على كتابة الحديث. و من ثمّ نراه قد أجاز للداري أن يقصّ على الناس، كما شاع القصّ في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن سائر المساجد ذلك العهد. (١) الأكرع: جمع الكرع: مقدم عظم الساق، و المقصود: العظام الرقيقة.

(٢) الفرق: الفرع.

(٣) أى أخذه منى.

(٤) الهوك: الحمق.

(٥) راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧-٤٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٦

و هكذا سار على منهجه في إجازة القصّ في المساجد، من جاء بعده من الخلفاء. و أصبح ذلك مرسوما إسلاميا فيما بعد، كما حدّث عليه معاوية في إجازته لكعب أن يقصّ على الناس حسبما عرفت.

و بعد، فإنَّ عصر الصحابة و هي الفترة بين وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و ظهور التابعين في عرصة الفتيا و التفسير كان عصر نشوء الإسرائيليات و تسربها في التفسير و الحديث، فضلا عن التاريخ، ذلك أنَّ غالبية الشئون التاريخية كانت ممَّا يرجع عهدا إلى تاريخ الأمم الماضية و الأنبياء الماضين، و كان المرجع الوحيد لدى العرب حينذاك لمعرفة أحوالهم و تواريخهم هي التوراة و أهل الكتاب، فكانوا يراجعونهم و يأخذون عنهم بهذا الشأن.

قال الأستاذ الذهبي: نستطيع أن نقول: إنَّ دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة، و ذلك نظرا لاتِّفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل في ذكر بعض المسائل «١» مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن و البسط و الإطناب في التوراة و الإنجيل. و لقد كان الرجوع إلى أهل الكتاب، مصدرا من مصادر التفسير عند الصحابة «٢». فكان الصحابي إذا مرَّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلا- إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها و لم يتعرَّض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء نفر الذين دخلوا في الإسلام، و حملوا إلى (١) للأستاذ عبد الوهاب النجَّار في «قصص الأنبياء» محاولة في استخراج قصص القرآن من التوراة، و مقارنة بين ما جاء في القرآن بصورة موجزة، و جاءت في التوراة (العهد القديم) مبسطة.

(٢) لا نصادقه في هذا الرأي، و إنما كان يراجع أهل الكتاب من قَلت بضاعته من الأصحاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٧

أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار و القصص «١».

و نحن إذ نصادق الذهبي في أن الصحابة- على وجه الإجمال- كانوا يراجعون أهل الكتاب، فيما أبهم عليهم من قصص القرآن، و كان أولئك يلقون إليهم ما كان لديهم من قصص و أساطير.

لكن لا نصادقه في حكمه ذلك على الصحابة على وجه العموم؛ إذ كان علماء الصحابة يأبون الرجوع إلى غيرهم من ذوى المعلومات الكاسدة، بل كانوا يستنكرون من يراجعهم في قليل أو كثير؛ حيث وفرة المعلومات الصحيحة لدى علماء الأصحاب الكبار. و قد كان مستقاهم مساءلة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مهبط الوحي و معدن علوم الأوَّلين و الآخرين، فلم يدعوا صغيرة و لا كبيرة إلَّا سألوها عنها الرسول الكريم.

هذا ابن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن ينادى برفيع صوته: هلمَّا من مستفهم أو مستعلم. و يستنكر على أولئك الذين يراجعون أهل الكتاب و لديهم الرصيد الأوفر من ذخائر العلوم. فقد كان ابن عباس يسيء الظنَّ بأهل الكتاب حتى المسلمة منهم.

روى البخارى بإسناده إلى ابن عباس، كان يقول:

«يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، و كتابكم الذى أنزل على نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب «٢». و قد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله و غيَّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) لم يشب، أى كان محفوظا عن الدسِّ فيه، فهو كلام الله الخالص، من غير أن تشوَّهه يد التدليس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٨

ثمنا قليلا. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، و لا و الله ما رأينا منهم رجلا قطَّ يسألكم عن الذى أنزل عليكم» «١».

و هذا أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب، سفظ العلم و باب مدينة علم الرسول، و كذا عبد الله بن مسعود و أبى بن كعب و أمثالهم من أوعية العلم، لم يحتمل بشأنهم الرجوع إلى كتابي قطَّ. و هذا معلوم بالضرورة من التاريخ.

نعم إنما كان يراجع أهل الكتاب من الأصحاب، من لا بضاعة له و لا سابقة علم، أمثال عبد الله بن عمر بن العاص، و عبد الله بن عمرو بن الخطاب، و أبى هريرة و أضرابهم، من المفلسين المعوزين.

و قد سمعت مراجعة عبد الله بن عمرو بن العاص إلى أهل الكتاب و لا سيَّما زاملتيه اللتين زعم أنه عثر عليهما في واقعة اليرموك، و

كذا أبو هريرة تربية كعب الأحبار.

و قد ذكر أصحاب التراجم: أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان ممن نشر علم كعب، و كان راوية له.

هذا عماد الدين ابن كثير عند كلامه عن قصة هاروت و ماروت يحكم بوضع هذه القصة، و أن منشأها روايات إسرائيلية تدور حول ما نقله عبد الله بن عمر بن الخطاب عن كعب الأحبار، و هي مما ألقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام، و أن روايات الرفع إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم غريبة جدًا، قال:

«و أقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا (١) راجع: صحيح البخارى، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة، ج ٩، ص ٢٣٧. و ج ٣، ص ١٣٦، باب لا تسألوا أهل الكتاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٩

عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار. و هكذا روى ابن جرير بإسناده إلى سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الأحبار» (١).

و هذا أبو هريرة يراجع كعبا و عبد الله بن سلام في معرفة الساعة في يوم الجمعة، لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلى، يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه (٢)، فيجيبه بأنها آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، فيرد عليهما كيف و هي ساعة لا ينبغي الصلاة فيها. فيراجع كعب التوراة و يرى الحق مع أبي هريرة، و كذا ابن سلام، و يجيبه بأن الجلوس في انتظار الصلاة كأنه في الصلاة (٣).

و هكذا تداومت مراجعة كتب العهدين و أهل الكتاب على عهد التابعين و تابعي التابعين و من بعدهم، على أثر تساهل السلف في ذلك، و صارت مهنة القصص على الناس عادة مألوفة بين المسلمين على طول التاريخ.

فقد كانت هناك فئة تقص بالمساجد، و تذكر الناس بمواعظها و ترغبهم و ترهبهم. و لما كان هؤلاء - على أمثال أسلافهم المعوزين - ليسوا أهل علم و دراية، و كان غرضهم استمالة العوام، فجعلوا يختلقون القصص و الأساطير الخرافية، و روجوا الأباطيل. و في هذا الكثير من الإسرائيليات و الخرافات العامية، ما يتصادم مع العقيدة الإسلامية، و قد تلقفها الناس منهم؛ لأن من طبيعة (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣٨. و راجع تاريخه البداية و النهاية أيضا، ج ١، ص ٣٧. و هكذا تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٣. حيث يحدث ابن عمر عن كعب صريحا.

(٢) البخارى في باب الجمعة، ج ٢، ص ١٣.

(٣) القسطلاني في شرحه للحديث المذكور، ج ٢، ص ١٩٠ (الذهبي، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١).

و أبو شهبه، ص ١٠٣ - ١٠٤).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٠

العوام الميل إلى العجائب و الغرائب.

يقول ابن قتيبة بشأن القصاصين و شعوذتهم:

إنهم يميلون وجه العوام إليهم، و يستدرّون ما عندهم بالمناكير و الأكاذيب من الأحاديث. و من شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول، أو كان رقيقا يحزن القلوب. فإن ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، و عجيزتها ميل في ميل، و بيوى الله وليه قصرا من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، و لا يزال هكذا في السبعين ألفا، لا يتحول عنها (١).

و من هؤلاء القصاص، من كان يتغنى الشهرة و الجاه بين الناس. و منهم، من كان يقصد التعيش و الارتزاق. و منهم، من كان سيئ التية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في عقائد الناس، و ربما حجب جمال القرآن و تشويه سمعة الإسلام، بما يأتي من تفاسير باطلة و خرافات تنافي العقول.

قال أبو شهبة: وقد حدثت بدعة القَصِّ في آخر عهد عمر، وفيما بعد صارت حرفة، ودخل فيه من لا خلاق له في العلم، وقد ساعدهم على الاختلاق، أنهم لم يكونوا من أهل الحديث والحفظ، وغالب من يحضرهم جهال. فجالوا وصالوا في هذا الميدان و أتوا بما لا يقضى منه العجب «٢».

و يظهر أنه اتخذ القصص أداةً سياسيّة وراء ستار التذكير و الترهيب، يستعين بها أرباب السياسات في دعم سياساتهم و توجيه العامّة نحوها، كالتى نشاهدها.

وقد حدثت في عهد معاوية، و هو أوّل من أبدع مزج السياسة بالوعظ الإرشادي، (١) تأويل مختلف الحديث، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٨٩ - ٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣١

و من ثم ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملاً رسمياً يعهد إلى رجال رسميين يعطون عليه أجراً. و في كتاب «القضاء» للكندي أن كثيراً من القضاء كانوا يعينون قضاة أيضاً. و أوّل من قصّ بمصر سليمان بن عتر التجيبى في سنة (٣٨)، و جمع له القضاء و القصص، ثم عزل عن القضاء و أفرد بالقصص.

و هكذا أمر معاوية- في هذا الوقت- رجالاً يقصّون في المساجد بعد صلاة الصبح و بعد المغرب، يدعون له و لأهل ولايته كل صباح و مساء «١».

و صورة القصص: أن يجلس القاصّ في المسجد و حوله الناس، فيذكّرهم الله و يقصّ عليهم حكايات و أحاديث و قصصاً عن الأمم السالفة، و أساطير و نحو ذلك، و لا يتحرّون الصدق ما دام الغرض هو الترغيب و الترهيب و التوجيه الخاص، مهما كانت الوسيلة، جرياً مع قاعدة «الغاية تبرّر الوسيلة».

قال الليث بن سعد: هما قصصان: قصص العامّة، و قصص الخاصّة. فأما قصص العامّة فهو الذى يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم و يذكّرهم. فذلك مكروه لمن فعله و لمن استمعه.

و أما قصص الخاصّة فهو الذى جعله معاوية، و لى رجالاً على القصص، فإذا سلّم من صلاة الصبح جلس و ذكر الله و حمده و مجّده و صلى على النبي، و دعا للخليفة و لأهل ولايته و حشمه و جنوده، و دعا على أهل حربه و على المشركين كافة «٢».

و قد نما القصص بسرعة؛ لأنه كان يتفق و ميول العامّة، فضلاً عن اتفاقها مع الاتّجاهات السياسيّة الظالمة في الأغلب. و قد أكثر القصص من الأكاذيب (١) فجر الإسلام، ص ١٦٠.

(٢) خطط المقرئى، ج ٢، ص ٢٥٣، ط اميريّة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٢

و الافتعالات، يصحبها كثير من التهم و الافتراءات، فأتوا بالطامات الكبرى و ضلالات.

و قد عدّ الغزالي ذلك من منكرات المساجد المحرّمة و المبتدعات الباطلة، قال: فلا يجوز حضور مجلسه، إلّا على قصد إظهار الردّ عليه، فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة، قال الله تعالى لنبيه: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ «١».

و قد عرفت أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد و استثنى الحسن البصرى، لأنه كان يتحرّى الصدق في قوله «٢».

و من صفقاتهم في ذلك، ما

روى أنّه صلّى أحمد بن حنبل، و يحيى بن معين بمسجد الرصافة. فقام بين أيديهم قاصّ، فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قال: حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «من قال: لا إله إلّا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ في قصّة نحو من عشرين ورقة.

فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، و يحيى ينظر إلى أحمد، يسأل أحدهما الآخر:

هل أنت حدّثته بهذا؟! قال: والله ما سمعت بهذا إلّا هذه الساعة.

فلما انتهى الخطيب القاصّ أشار إليه يحيى، فجاء متوهماً نوالاً، فقال له: من حدّثك بهذا؟ قال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال يحيى: أنا يحيى بن معين و هذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله. فإن كان و لا بدّ من الكذب فعلى غيرنا. فقال القاصّ: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين (١) إحياء العلوم لأبي حامد الغزالي، ج ٢، ص ٣٣١، ط ١٩٣٩. الأنعام / ٦٨. (٢) فجر الإسلام، ص ١٥٩ - ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٣

و أحمد بن حنبل أحققان، ما تحقّقته إلّا الساعة. فقال له يحيى: وكيف؟ قال:

كأنه ليس في الدنيا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين غير كما. لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل و يحيى بن معين!! فما كان منهما إلّا أن رضيا من النقاش بالسلامة «١».

و من يدرى، فلعلّهما لو أطلاا معه القول، لئالهما ما نال الشعبي، فقد دخل مسجدا، فإذا رجل عظيم اللحية، و حوله أناس يحدّثهم، و هو يقول: إنّ الله خلق صورين، في كل صور نفختان. قال: فخفت صلاتي، ثم قلت له: اتق الله يا شيخ، إنّ الله لم يخلق إلّا صورا واحدا. فقال لي: يا فاجر، أنا يحدّثني فلان و فلان، و ترد عليّ! ثم رفع نعله و ضربني، فتتابع القوم عليّ ضربا. فوالله ما أقلعوا عني حتى قلت لهم: إنّ الله خلق ثلاثين صورا في كل صور نفختان!! «٢».

و هكذا كان القصّاص مصدر شرّ و بلاء على الإسلام و المسلمين.

أقسام الإسرائيليات

إشارة

قسّم الأستاذ الذهبي، الإسرائيليات تقسيمات ثلاثة:

- ١- تقسيمها إلى صحيح أو ضعيف أو موضوع.
 - ٢- و إلى موافقتها لما في شريعتنا أو مخالفتها أو مسكوت عنها.
 - ٣- و إلى ما يتعلّق بالعقائد أو بالأحكام أو بالمواعظ و الحوادث و العبر.
- و أخيرا حكم عليها بأنّها متداخلة، يمكن إرجاع بعضها إلى بعض، كما (١) راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.
- (٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٤

يمكن أن ندخلها تحت الأقسام الثلاثة التالية: مقبول، و مردود، و متردّد فيه بين القبول و الردّ «١».

فالأحسن تقسيمها - حسب تقسيم الدكتور أبي شهبة - إلى موافق لما في شرعنا، و مخالف، و مسكوت عنه «٢».

و تقسيم آخر أيضا لعلّه أولى: إما منقول بالحكاية شفاها - و هو الأكثر المروى عن كعب الأحبار و ابن سلام و ابن مته و أمثالهم - أو موجود بالفعل في كتب العهدين الموجودة بأيدينا اليوم، و هذا كأكثر ما ينقله أئمّة الهدى، و لا سيّما الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام احتجاجا على أهل الكتاب، و ليس اعتقادا بمضمونه.

ثم إنّ المنقول شفاها أو الموجود عينا إمّا موافق لشرعنا أو مخالف أو مسكوت عنه. و لكل حكمه الخاص، نوجزه فيما يلي:

أما المنقولات الشفاهية، حسبما يحكيه أمثال كعب و ابن سلام و غيرهما، فجّلّها إن لم نقل كلّها، موضوع مختلق، لا أساس له، و إنّما مصدرها شائعات عاميّة أسطورية، أو أكاذيب افتعلها مثل كعب و ابن سلام، أو عبد الله بن عمرو و أضرابهم؛ إذ لم نجد في المرويات عن هؤلاء ما يمكن الوثوق إليه. فهي بمجموعتها مردودة عندنا، حسبما تقتضيه قواعد النقد و التمحيص.

إننا نسيء الظنّ بأمثال هؤلاء ممن لم يخلصوا الولاء للإسلام و لم يحضوا النصح للمسلمين، كما لا نتق بصحة معلوماتهم غير الصادرة عن تحقيق رصين، سوى الاعتماد على الشائعات العامية المتبدلة إن لم تكن مفتعلة. إننا نجد في طيات كلامهم بعض الخبث و اللؤم المتخذ تجاه موضع الإسلام القويم، و ربّما (١) الإسرائيليات للذهبي، ص ٤٧-٥٤.

(٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ١٠٦-١١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٥

كان حقدًا على ظهور الإسلام و غلبة المسلمين. فحاولوا التشويه من سمعة الإسلام و التزعزع من عقائد المسلمين.

هذا هو الطابع العام الذي يتسم به وجه الإسرائيليات على وجه العموم.

قال الأستاذ أحمد أمين: و أما كعب الأخبار أو كعب بن ماتع اليهودي، كان من اليمن، و كان من أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، و كان كلّ تعاليمه- على ما وصل إلينا- شفوئية، و ما نقل عنه يدلّ على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و أساطيرها. قال: و نرى أنّ هذا القصص هو الذي أدخل على المسلمين كثيرا من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية و النصرانية، كما كان بابا دخل منه على الحديث كذب كثير، و أفسد التاريخ بما تسرب منه من حكاية و قائع و حوادث مزيفة، أتعبت الناقد و أضاعت معالم الحق «١».

و هكذا قال ابن خلدون فيما سبق من كلامه: فإنّما يسألون أهل الكتاب قبلهم، و هم أهل التوراة من اليهود و من تبع دينهم من النصارى. و أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، و لا يعرفون من ذلك إلّا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، و معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، و هؤلاء مثل كعب الأخبار و وهب بن مته و عبد الله بن سلام و أمثالهم، فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم، و هي أخبار موقوفة عليهم.

و تساهل المفسرون في مثل ذلك و ملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها- كما قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، و لا تحقيق عندهم (١) فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٦

بمعرفة ما ينقلونه من ذلك «١».

فعلى ما ذكره العلامة ابن خلدون تكون جلّ المنقولات عن هؤلاء الكتّابين، لا وثوق بها؛ حيث مصدرها الشيعاء القومي، و لكل قوم أساطيرها المسطرة في تاريخ حياتها، يحكونها و ينقلونها يدا بيد، و هذا التنقل حصل فيها التحريف و التبديل الكثير، بما ألحقها بالخرافات و الأوهام، و هؤلاء أصحاب القوميات المختلفة، دخلوا في الإسلام و معهم ثقافتهم و تاريخهم، أتوا بها و بثوها بين المسلمين.

قال الأستاذ أحمد أمين: إن كثيرا من الشعوب المختلفة ذوات التواريخ دخلت في الإسلام، فأخذوا يدخلون تاريخ أممهم و يبثونه بين المسلمين، إما عصبية لقومهم أو نحو ذلك. فكثير من اليهود أسلموا و معهم ما يعلمون من تاريخ اليهودية و أخبار الحوادث، حسبما روت التوراة و شروحها، فأخذوا يحدّثون المسلمين بها، و هؤلاء ربطوها بتفسير القرآن أحيانا، و بتاريخ الأمم الأخرى أحيانا. إن شئت فاقرا ما في الجزء الأوّل من «تاريخ الطبري» تجد منه الشيء الكثير، مثل ما أسند عن عبد الله بن سلام، أنه تعالى بدأ بالخلق يوم الأحد، و فرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل «٢»- حسبما جاء في التوراة- و كثير من هذا النوع روى حول ما ورد في القرآن من قصص الأنبياء.

كذلك كان للفرس تاريخ، و كان لهم أساطير، فلما أسلموا روى تاريخهم و روى أساطيرهم، و كذلك فعل النصارى. فكانت هذه الروايات و الأساطير عن (١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٧

الأمم المختلفة مبنوثة بين المسلمين، و مصدرها من مصادر الحركة التاريخية عندهم «١».

و عليه فنشط على جميع ما ينقل عن أهل الكتاب فيما يمس تفسير القرآن أو تاريخ الأنبياء إذا كان نقلاً بالشفاه و ليس مستنداً إلى نص كتاب قديم معتمد؛ حيث مصدرها الشيع العام، و لا اعتبار به أصلاً. و سنورد أمثلة لإسرائيليات دخلت على الإسلام، و كان مصدرها الشيع و الأسطورية.

و لعلك تقول: بعض ما نقل عن أهل الكتاب كان مصدره النقل من الكتاب، إما يكتبونه منه أو ينقلونه عنه، كما في زاملتي عبد الله بن عمرو بن العاص، كان ينقل من كتب زعم العثور عليها في واقعة يرموك. و كما في نسخة عمر بن الخطاب التي جاء بها إلى النبي، اكتتبتها من كتب اليهود فيما حسب.

لكن لا يذهب عليك أن لا وثوق بنقلهم و لو عن كتاب، ما دام الدس و التزوير شيمه يهودية جلبوا عليها من قديم يكتبون الكتاب بأيديهم أي من عند أنفسهم ثم يقولون هذا من عند الله كذبا و زورا ليشتروا به ثمناً قليلاً «٢».

و هذا هو الذي فهمه ابن عباس منذ أول يومه فحذر الأخذ عنهم بتاتا، قائلاً:

و قد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله و غيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلتهم «٣». (١) فجر الإسلام، ص ١٥٧.

(٢) البقرة / ٧٩.

(٣) جامع البخاري، ج ٣، ص ٢٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٨

أما المراجعة إلى كتب السلف و تواريخهم من يونان أو فرس أو الهند أو اليهود أو غيرهم، فإن ذلك شيء آخر، يجب العمل فيه وفق سنن النقد و التمحيص، و على مناهج السبر و التحقيق، حسب المتعارف المعهود.

أما التوراة، ففيها من الغث و السمين الشيء الكثير، و هو الكتاب الوحيد الذي احتوى على تاريخ الأنبياء و أممهم فيما سلف، مصحوباً بالأساطير و الخرافات، شأن سائر كتب التاريخ القديمة. و التوراة كتاب تاريخ، قبل أن يكون كتاباً سماوياً، و إنما سميت بالتوراة، لاحتوائها على تعاليم اليهود، و التي جاء بها موسى من شرائع وقعت موضع الدس و التحريف، و من ثم فالمراجعة إليها بحاجة إلى نقد و تحقيق، و ليس أخذاً برأسه.

و في العهد القديم جاءت تفاصيل الحوادث مما أوجز بها القرآن و طواها في سرد قضايا قصار، أخذاً بمواضع عبرها دون بيان التفصيل، فتجوز المراجعة إلى تلكم التفاصيل لرفع بعض المبهمات في القضايا القرآنية، و لكن على حذر تام وفق التفصيل التالي: فالموجود في كتب السلف - فيما يمس المسائل القرآنية - إما موافق مع شرعنا في أصول مبانيه و في الفروع، أو مخالف أو مسكوت عنه.

فالمخالف منبوذ لا محالة، لأن ما خالف شريعة الله فهو كذب باطل، و أما المسكوت عنه فالأخذ به و تركه سواء، شأن سائر أحداث التاريخ.

و إليك أمثلة على ذلك:

١- أمثلة على الموافقة:

أ- جاء في المزمير، المزمور (٣٧) عدد (١٠):

«أما الودعاء فيرتون الأرض و يتلذذون في كثرة السلامة».

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٩
 و في عدد (٢٢): «لأنّ المباركين منه يرثون الأرض و الملعونين منه يقطعون».
 و في عدد (٢٩): «الصدّيقون يرثون الأرض و يسكنونها إلى الأبد».
 و جاء تصديق ذلك في القرآن، في قوله تعالى، في سورة الأنبياء / ١٠٥:
 «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١)».
 قوله: مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ حيث البشارة في مزامير داود (الزبور) جاءت بعد مواعظ و تذكير.
 ب- و جاء في سفر التثنية الصحاح (٣٢) ع (٣) وصيّة جامعة لنبى الله موسى صلى الله عليه و آله و سلم جاء فيها وصف الربّ تعالى بالعدل و الحكمة و العظمة، على ما جاء به القرآن الكريم.
 يقول فيها: «إني باسم الربّ أنادي، أعطوا عظمةً لإلهنا، هو الصخر الكامل صنيعة «٢»، إنّ جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه، صديق و عادل هو».

ج- و جاء في لاويين اصحاح (١٢) ع (٤) شريعة الختان، كما هو في الإسلام:
 «و في اليوم الثامن يخنن لحم غرلته». و الغرلة: القلفة، و هى جلدة عضو التناسل.
 د- و في سفر التثنية اصحاح (١٤) ع (٨) جاء تحريم لحم الخنزير، لأنه نجس لا يجتز.
 «... و الخنزير، لأنه يشقّ الظلف، لكنه لا يجتز، فهو نجس لكم». (١) الأنبياء / ١٠٥.
 (٢) الصخر هنا: كناية عن الحجر الأساسى، فيه القوة و الصلابة.
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٠

٢- أمثلة على المخالفة:

و الأمثلة على مخالفة ما جاء في التوراة الموجودة مع ما فى القرآن فهى كثيرة جداً، فضلا عن مخالفته للفطرة و العقل الرشيد، على ما فصلناه فى مباحثنا عن الإعجاز التشريعى للقرآن، و مقارنته ببعض ما جاء فيه، مع ما فى كتب العهدين «١».
 إنك تجد فى كتب العهدين مخالفات كثيرة مع شريعة العقل فضلا عن شريعة السماء، فمثلا تجد فيها ما يتنافى و مقام عصمة الأنبياء ما يذهلك:

ففى سفر التكوين (١ ص ١٩، ع ١٣٠): أنّ ابنتى لوط سقتا أباهما الخمر فاضطجعتا معه.
 و فى (الملوك الأول، ١ ص ١١): أنّ سليمان عبد أوثانا، نزولا إلى رغبة نساءه.
 و فى (الخروج، ١ ص ٣٢، ع ٢١-٢٤): أنّ هارون هو الذى صنع العجل و ليس السامرى.
 كما تفرض التوراة عقوبة البهائم (الخروج، ١ ص ٢١، ع ٢٨).
 و نجاسة من مسّ ميتا إلى سبعة أيام (سفر العدد، ١ ص ١٩، ع ١١-١٦).
 و أمثالها كثير.

٣- أمثلة على المسكوت عنه

و الأمثلة على المسكوت عنه فى شرعنا على ما جاء فى كتب السالفين أيضا كثيرة فى كثير، كان شأنها شأن سائر الأحداث التاريخية التى جاءت فى الكتب القديمة. (١) التمهيد فى علوم القرآن، ج ٦، ص ٣١٠-٣١٢.
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤١

و لعل

الحديث الوارد: «لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم» (١) ناظر إلى هذا النوع من المسكوت عنه في شرعنا، لا نعلم صدقه عن كذبه؛ لأنهم خلطوا الحقّ بالباطل. فلو صدقناه فلعله الباطل، أو كذبناه فلعله الحقّ. قال صلى الله عليه و آله و سلم: «فيخبروكم بحقّ فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به» (٢). و هكذا قال عبد الله بن مسعود:

«لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم- أى لن يخلصوا لكم النصح- و قد أضلّوا أنفسهم، فتكذبوا بحقّ أو تصدقوا بباطل» (٣). و عليه فيجب الحذر فيما لم نجد صدقه و لا كذبه في المأثور من شرعنا الإسلامى و يلزم إجراء قواعد النقد و التمهيص - التثبت - فيما وجدناه في كتب القوم من آثار و أخبار. هذه قصّة يوسف صلى الله عليه و آله و سلم جاءت مواضع عبوها في القرآن و ترك الباقي، و قد تعرّض لتفاصيلها العهد القديم. و هكذا سائر قصص الأنبياء، و فيها الغثّ و السمين.

نماذج من إسرائيليّات مبثوثة في التفسير

إشارة

سبق القول بأن في التفسير من الإسرائيليات طامات و ظلمات، أصبحت مثارا للشكّ و الطعن و التقوّل على الإسلام و مقدّساته. و يرجع أكثر اللوم على الأوائل الذين زجّوا بتلكم الأساطير اليهوديّة و غيرها في التفسير و الحديث (١) جامع البخارى، ج ٩، ص ١٣٦. (٢) مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٨٧.

(٣) فتح البارى بشرح البخارى، ج ١٣، ص ٢٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٢

و التاريخ، و هكذا تساهل أهل الحديث في جمع و ثبت تلكم الإسرائيليات في كتبهم، أمثال أبى جعفر الطبرى، و جلال الدين السيوطى، و أضرابهما من أرباب كتب التفسير بالمأثور.

و قد أخذ على تفسير ابن جرير، أنّه يذكر الروايات من غير بيان و تمييز بين صحيحها و سقيمها، و لعلّه كان يحسب أنّ ذكر السند - و لو لم ينصّ على درجة الرواية قوّة و ضعفًا - يخلّى المؤلف عن المؤاخذه و التبعات. و تفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية و المنكرة و الموضوعات و الإسرائيليات، و ذلك فيما يذكره في الملاحم و الفتن و فى قصص الأنبياء، و حتى فى مثل قصص نبينا صلى الله عليه و آله و سلم كما فى قصة زينب بنت جحش، على ما يرويها القصاص و المبطلون، و أمثالها كثير.

كما أخذ على تفسير «الدرّ المنثور»، أنّه و إن عزی الروايات إلى مخرجها، لكن لم يبيّن منزلتها من الصحة و الضعف أو الوضع، و ليس كل قارئ يمكنه معرفه ذلك بمجرد ذكر السند أو المصدر المخرج منه، و لا- سيّما فى عصورنا المتأخّرة. و لعلّه أيضا من المحدّثين الذين يرون أنّ إبراز السند أو المخرج يخلّى من العهدة و التبعه. و فى الكتاب إسرائيليّات و بلايا كثيرة، و لا سيّما فى قصص الأنبياء؛ و ذلك مثل ما ذكره فى قصّة هاروت و ماروت، و فى قصّة الذبيح و أنّه إسحاق، و فى قصّة يوسف، و فى قصّة داود، و سليمان، و فى قصّة إلياس.

و أسرف فى ذكر المرويّات فى بلاء أيّوب. و معظمها مما لا يصحّ و لا يثبت، و إنّما هو من الإسرائيليات التى سردها بنو إسرائيل أكاذيبهم على الأنبياء.

و هذان التفسيران هما الأساس لبثّ و نشر الإسرائيليات، فيما تأخر من كتب التفسير. و سنعرض منها نماذج:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٣

١- الإسرائيليات في قصة هاروت و ماروت «١»

روى السيوطى فى «الدر المنثور»، فى تفسير قوله تعالى: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ «٢» روايات كثيرة و قصصا عجيبه، رويت عن ابن عمر، و ابن مسعود، و عليّ، و ابن عباس، و مجاهد، و كعب، و الربيع، و السدى. رواها ابن جرير الطبرى فى تفسيره، و ابن مردويه، و الحاكم، و ابن المنذر، و ابن أبى الدنيا، و البيهقى، و الخطيب فى تفاسيرهم و كتبهم «٣». و خلاصتها: أنه لما وقع الناس من بنى آدم فيما وقعوا فيه من المعاصى و الكفر بالله، قالت الملائكة فى السماء: أى ربّ، هذا العالم إنّما خلقتهم لعبادتك، و طاعتك، و قد ركبوا الكفر، و قتل النفس الحرام، و أكل المال الحرام، و السرقة، و الزنى، و شرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، و لا يعذرونهم، ف قيل لهم: إنهم فى غيب، فلم يعذروهم. و فى بعض الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعلتم مثل أعمالهم، قالوا: سبحانك، ما كان ينبغى لنا. و فى رواية أخرى: قالوا: لا، ف قيل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمرى، و أنهما عن معصيتى. فاختراروا هاروت و ماروت، فأهبطا إلى الأرض، و ركبت فيهما الشهوة، و أمرا أن يعبد الله، و لا يشركا به شيئا، و نهيا عن قتل النفس الحرام، و أكل المال (١) تركنا القلم هنا بيد الدكتور محمد بن محمد أبى شهبه فى كتابه «الإسرائيليات و الموضوعات» فقد استوفى هذا الجانب استيفاء كاملا و استقصى الإسرائيليات بشكل رتيب، و من ثم فقد اكتفينا على ما ذكره، مع شىء من التصرف و التلخيص أو الزيادة أحيانا. راجع: كتابه من ص ١٥٩ إلى ص ٣٠٥.

(٢) البقرة/ ١٠٢.

(٣) الدر المنثور، ج ١، من ص ٩٧-١٠٣. و تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٣٦٢-٣٦٧، ط بولاق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٤

الحرام، و السرقة، و الزنى و شرب الخمر. فلبثا على ذلك فى الأرض زمانا، يحكمان بين الناس بالحقّ، و ذلك فى زمان إدريس. و فى ذلك الزمان امرأة حسنها فى سائر الناس كحسن الزهرة فى سائر الكواكب و أنها أتت عليهما فخصعا لها بالقول، و أنهما أراداها «١» على نفسها، فأبت إلّا أن يكونا على أمرها و دينها، و أنهما سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنما، فقالا: لا حاجة لنا فى عبادة هذا. فذهبا فصبوا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخصعا لها بالقول، و أراداها على نفسها، فأبت إلّا أن يكونا على دينها، و أن يعبد الصنم الذى تعبده، فأبيا، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبد الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر. فقالا: كلّ هذا لا ينبغى، و أهون الثلاثة شرب الخمر، و سقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها «٢». فمر بهما إنسان، و هما فى ذلك، فخشيا أن يفشى عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، و أرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا. و كشف الغطاء فيما بينهما، و بين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، و عرفوا أنّ من كان فى غيب فهو أقلّ خشية؛ فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن فى الأرض. فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة؛ قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا: أمّا عذاب الدنيا فينقطع، و يذهب و أما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاخترارا عذاب الدنيا، فجعلنا- ببابل، فهما بها يعدبان معلقين بأرجلهم. و فى بعض الروايات، أنهما علّماها الكلمة التى يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهى هذا الكوكب المعروف (١) راوداها عن نفسها.

(٢) أى فعلا بها الفاحشة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٥

بالزهرة «١».

و يذكر السيوطى أيضا فى كتابه؛ ما رواه ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و الحاكم و صحّحه «٢»، و البيهقى فى سننه، عن عائشة: أنها قدمت عليها امرأة من دومة الجندل، و أنها أخبرتها أنها جىء لها بكليين أسودين فركبت كلبا، و ركبت امرأة أخرى الكلب الآخر، و

لم يمض غير قليل، حتى وقفنا ببابل. فإذا هما برجلين معلّقين بأرجلهما، و هما هاروت و ماروت، و استرسلت المرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة.

و يذكر ايضا: أن ابن المنذر أخرج من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رباب، قال: دخلت على عبد الملك بن مروان و عنده رجل قد ثبت له و سادة، و هو متكى عليها، فقالوا: هذا قد لقي هاروت و ماروت، فقلت هذا، قالوا نعم، فقلت: حدثنا رحمك الله، فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة «(٣)».

و كل هذا من خرافات بنى إسرائيل، و أكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل، و لا نقل، و لا شرع، و لم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة و التابعين، و لكنهم أوغلو باب الإثم، و التجنى الفاضح، فألصقوا هذا الزور إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و رفعوه إليه.

فقد قال السيوطي: أخرج سعيد، و ابن جرير، و الخطيب في تاريخه، عن نافع، قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت: لا، مرتين أو ثلاثا، ثم (١) الزهرة، كرتبة- يعني بضم الزاي و فتح الهاء-: نجم في السماء كما في القاموس و غيره.

(٢) تصحيح الحاكم غير معتد به؛ لأنه معروف أنه متساهل في الحكم بالتصحيح، كما قال ابن الصلاح و غيره. و قد صحح أحاديث تعقبها الإمام الذهبي و حكم عليها بالوضع.

(٣) الدر المنثور، ص ١٠١ و تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٦

قلت: قد طلعت. قال: لا مرحبا بها، و لا أهلا. قلت: سبحان الله!! نجم مسخر، سامع، مطيع!! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، قال: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بنى آدم في الخطايا و الذنوب؟ قال: إنى ابتليتهم و عافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت و ماروت، فنزلا، فألقى الله عليهم الشبق. قلت: و ما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها: الزهرة، فوقعت في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم فطلبها لأنفسهما، فقالت:

لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء، و تهبطان، فأبيا، ثم سألاها أيضا، فأبت، ففعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكبا، و قطع أجنحتهما. ثم سألا- التوبة من ربهما، فخيرهما بين عذاب الدنيا، و عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما: أن اثتيا «بابل» «١». فانطلقا إلى بابل، فحسفا بهما، فهما منكوسان بين السماء و الأرض، معدبان إلى يوم القيامة.

ثم ذكر أيضا رواية أخرى، مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا- تخرج في معناها عما ذكرنا «٢»، و لا ينبغي أن يشك مسلم عاقل فضلا عن طالب حديث في أن هذا موضوع على النبي صلى الله عليه و آله و سلم مهما بلغت أسانيد من الثبوت، فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية، ساقطة، و لا تخلو من وضاع، أو ضعيف، أو مجهول؟! و نص على وضعه أئمة الحديث!! (١) بابل: بلد من بلاد العراق قرب الكوفة و الحلة.

(٢) الدر المنثور، ج ١، ص ٩٧ و تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٧

و قد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج ابن الجوزي «١»، و نصّ الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت و ماروت أنهما ملكان يعدبان على خطيئتهما مع الزهرة، فهو كافر بالله تعالى العظيم «٢». و قال الإمام القاضي عياض في «الشفاء»: و ما ذكره أهل الأخبار، و نقله المفسرون في قصة هاروت و ماروت، لم يرد فيه شيء لا سقيم «٣»، و لا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه و آله و

سَلَم، و ليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس.

و كذلك حكم بوضع المرفوع من هذه القصّة الحافظ عماد الدين ابن كثير.

و أما ما ليس مرفوعاً فبين أنّ منشأه روايات إسرائيلية أخذت عن كعب و غيره ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام. قال ابن كثير فى تفسيره بعد أن تكلم على الأحاديث الواردة فى هاروت و ماروت، و أن روايات الرفع غريبة جداً:

«و أقرب ما يكون فى ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، كما قال عبد الرزاق فى تفسيره، عن الثورى، عن موسى بن عقبه، عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر، عن كعب: و رفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبى كذب و اختلاق، ألصقه زنادقة أهل الكتاب، زورا و بهتاناً. و ذكر مثل ذلك فى البداية و النهاية» (٤).

قال أبو شهبة: و هذا الذى قاله ابن كثير هو الحق الذى لا ينبغى أن يقال غيره.

و ليس أدلّ على هذا من أن ابن جرير رواها بالسند الذى ذكره ابن كثير، و غيره عن ابن عمر، عن كعب الأحبار (٥). و لكن بعض الرواة غلطاً، أو لسوء نية رفعها (١) الموضوعات، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) روح المعانى، ج ١، ص ٣٤١.

(٣) لعله أراد به الضعيف، و اعتبر ما روى مرفوعاً ساقطاً عن الاعتبار.

(٤) البداية و النهاية، ج ١، ص ٣٧.

(٥) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٣٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٨

و نسبها إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و كذا ردّها المحققون من المفسرين الذين مهروا فى معرفة أصول الدين، و أبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات كالإمام الرازى، و أبى حيان، و أبى السعود، و الألوسى.

ثم هذه من ناحية العقل غير مسلمة، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر، التى لا تصدر إلّا من عبيد. و قد أخبر الله عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، و يفعلون ما يؤمرون. كما ورد فى بعض الروايات التى أشرنا إليها آنفاً ردّ لكلام الله، و

فى رواية أخرى: أن الله قال لهما: لو ابتليتما بما ابتليت به بنى آدم لعصيتما، فقالا: لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك!!، و ردّ كلام الله كفر، نزّه عنه من له علم بالله و صفاته، فضلاً عن الملائكة.

ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء، و تصير كوكبا مضيئاً؟! و ما النجم الذى يزعمون أنه «الزهره»، و زعموا أنه كان امرأة، فمسخت؟ إلّا فى مكانه، من يوم أن خلق الله السماوات و الأرض.

و هذه الخرافات التى لا يشهد لها نقل صحيح، و لا عقل سليم هى كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين أمراً يقينياً، و لا أدرى ما ذا يكون موقفنا أمام علماء الفلك، و الكونيات، إذا نحن لم نزيّف هذه الخرافات، و سكتنا عنها، أو انتصرنا لها!.

و إذا كان بعض العلماء المحدثين «١» مال إلى ثبوت مثل هذه الروايات التى لا نشك فى كذبها، فهذا منه تشدّد فى التمسك بالقواعد، من غير نظر إلى ما يلزم من الحكم بثبوت ذلك من المحظورات. و نحن لا ننكر أن بعض أسانيدنا صحيحة أو حسنة، إلى بعض الصحابة أو التابعين، و لكن مرجعها و مخرجها من (١) هو الحافظ ابن حجر، و تابعه السيوطى.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٩

إسرائيليات بنى إسرائيل، و خرافاتهم، و الراوى قد يغلط، و بخاصة فى رفع الموقوف، و قد حققنا هذا فى مقدمات البحث، و أنّ كونها صحيحة فى نسبتها، لا ينافى كونها باطلة فى ذاتها. و لو أنّ الانتصار لمثل هذه الأباطيل يترتب عليه فائدة ما؛ لغضضنا الطرف عن مثل ذلك، و لما بذلنا غاية الجهد فى التنبيه إلى بطلانها، و لكنّها فتحت على المسلمين باب شر كبير، يجب أن يغلق.

قال الإمام أبو محمد الحسن بن على العسكري عليه السّلام و قد سئل عن الذى يقوله الناس بشأن الملكين هاروت و ماروت، و أنّهما

عصيا الله،

قال: «معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بألطف الله تعالى.

فقد قال الله عزّ و جل فيهم: لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمّرون» (١).

و قال: و له من في السماوات و الأرض و من عنده - يعنى الملائكة - لا يستكبرون عن عبادته و لا يستخسرون يسبحون الليل و النهار لا يفتنون» (٢).

و قال - فى الملائكة -: بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم. و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و هم من خشيته مشفقون» (٣).

و هكذا سأل الخليفة المأمون العباسى الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عما يرويه الناس من أمر «الزهره» و أنها كانت امرأة، فتن بها هاروت و ماروت، و ما (١) التحريم / ٦.

(٢) الأنبياء / ١٩ - ٢٠.

(٣) الأنبياء / ٢٦ - ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٠

يرويه الناس من أمر «سهيل»، و أنه كان عشارا باليمن.

فقال الإمام: كذبوا فى قولهم: إنهما كوكبان، و إنما كانتا دابتين من دواب البحر. و غلط الناس إنهما كوكبان، و ما كان الله تعالى ليمسخ أعداءه أنوارا مضيئه، ثم يبيعهما ما بقيت السماء و الأرض.

و

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى تفسير الآية:

كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة و المموهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و برد كيدهم.

فتلقاه النبي عن الملكين و أداه إلى عباد الله بأمر الله، و أمرهم أن يقفوا به على السحر و أن يبطلوه، و نهاهم أن يسحروا به الناس.

و هذا كما يدل على السّم ما هو، و على ما يدفع به غائلته. ثم يقال لمتعلم ذلك: هذا السّم فمن رأته سم فادفع غائلته بكذا، و إياك أن تقتل بالسّم أحدا.

و

قال الإمام أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام بشأن الشياطين فى الآية:

لما مات سليمان النبي عليه السلام وضع الشيطان السحر و كتبه فى كتاب ثم طواه، و كتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا فليعمل كذا، ثم دفنه تحت سرير سليمان، ثم استشاره لهم فقراه، فقال الكافرون: ما كان سليمان يغلبنا إلا بهذا، فقال الله:

و ما كفر سليمان - بأعمال السحر - و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» (١).

إذن فليس فى الآية ما يدل - و لو من بعد - على هذه القصة المنكرة، و ليس (١) راجع: تفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى، ج ١، ص ١٣٦ - ١٣٨. البقرة / ١٠٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥١

السبب فى نزول الآية ذلك، و إنما السبب أن الشياطين فى ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء، ثم يضمنون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها، و يلقونها إلى كهنة اليهود و أحبارهم. و قد دونها هؤلاء فى كتب يقرءونها، و يعلمونها الناس، و فشا ذلك

فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: هذا علم سليمان و ما تمّ لسليمان ملكه إلّا بهذا العلم، و به يسخر الإنس، و الجن، و الريح التى تجرى بأمره. و هذا من افتراءات اليهود على الأنبياء، فأكذبهم الله بقوله:

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ «١».

ثم عطف عليه: و ما أنزل على المَلَكَيْنِ ... فالمراد بما أنزل هو «علم السحر» الذى نزل ليعلماه الناس، حتى يحذروا منه، فالسبب فى نزولهما هو تعليم الناس أبوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر و النبوءة، و أن سليمان لم يكن ساحرا، و إنما كان نبيا مرسلا من ربه. و قد احتاط الملكان غاية الاحتياط، فما كان يعلمان أحدا شيئا من السحر حتى يحذرا، و يقولان له: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ أَى بلاء و اختبار، فلا تكفر بتعلمه و العمل به. و أما من تعلمه للحذر منه، و ليعلم الفرق بينه و بين النبوءة و المعجزة؛ فهذا لا شىء فيه، بل هو أمر مطلوب، مرغوب فيه، إذا دعت الضرورة إليه. و لكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقون به بين المرء و زوجته، و ذلك ياذن الله و مشيئته.

و قد دلت الآية على أن تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه و العمل به مباح، و لا إثم فيه، و أيضا تعلمه لإزالة الاشتباه بينه و بين المعجزة و النبوءة مباح، و لا إثم فيه. و إنما الحرام و الإثم فى تعلمه أو تعليمه للعمل به، فهو مثل ما قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه و من لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

(١) لأن تعلم السحر للعمل به كفر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٢

و اليهود- عليهم غضب الله- لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كانوا يعلمون أنه النبى الذى بشرت به التوراة، حتى كانوا يستفتحون به على المشركين قبل ميلاده و بعثته، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به، و نبذوا كتابهم التوراة، و كتاب الله القرآن وراء ظهورهم، و بدل أن يتبعوا الحق المبين، اتبعوا السحر الذى توارثوه عن آبائهم و الذى علمتهم إياه الشياطين. و كان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر، و يحذروا الناس من شره؛ و ذلك كما فعل الملكان: هاروت و ماروت من تحذير الناس من شروره، و العمل به. و هذا هو التفسير الصحيح للآية، لا ما زعمه المبطلون الخرفون؛ و بذلك يحصل التناسق بين الآيات، و تكون الآية متآخية متعاقبة.

و لا أدرى ما الصلة بين ما رووه من إسرائيليات، و بين قوله: و مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ... «١».

و العجب أن مثل ابن جرير حوّم حول ما ذكرناه فى تفسير الآية، ثم لم يلبث أن ذكر ما ذكر «٢».

و الخلاصة: على القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات، سواء و جدّها فى كتاب تفسير، أو حديث أو تاريخ أو مواضع، أو أدب أو

٢- إسرائيلية فى المسوخ من المخلوقات

و يوغل بعض زنادقة أهل الكتاب، فيضعون على النبى صلى الله عليه و آله و سلم خرافات فى خلق بعض أنواع الحيوانات التى زعموا أنها مسخت. و لو أن هذه الخرافات (١) البقرة/ ١٠٢.

(٢) تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٣٥٩ و ٣٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٣

نسبت إلى كعب الأحبار و أمثاله أو إلى بعض الصحابة و التابعين، لهان الأمر، و لكن عظم الإثم أن ينسب ذلك إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم، و هذا اللون من الوضع و الدس من أخبث و أقدر أنواع الكيد للإسلام و نبى الإسلام.

فقد قال السيوطى بعد ما ذكر طامات و بلايا فى قصة هاروت و ماروت، من غير أن يعلّق عليها بكلمة:

أخرج الزبير بن بكار فى الموقفيات، و ابن مردويه، و الديلمى، عن عليّ: أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم سئل عن المسوخ «١»،

فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل، و الدب، و الخنزير، و القرد، و الجرّيث «٢»، و الضب، و الوطواط، و العقرب، و الدعوص، و العنكبوت،

و الأرنب، و سهيل، و الزهرة. فقيل: يا رسول الله، و ما سبب مسخهن؟- و إليك التخريف و الكذب الذى نرى ساحة رسول الله منهما- فقال:

أميا الفيل فكان رجلا- جبارا لوطيا، لا- يدع رطبا و لا يابسا. و أما الدب فكان مؤنثا يدعو الناس إلى نفسه. و أما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت كفروا. و أما القرده فيهود اعتدوا فى السبت. و أما الجرث فكان ديوثا «٣»، يدعو الرجال إلى حليلته. و أما الضب فكان أعرابيا يسرق الحاج بمحجنه. و أما اللوطا فكان رجلا يسرق الثمار من رءوس النخل. و أما العقرب فكان رجلا لا يسلم أحد من لسانه. و أما الدعموص «٤» فكان تماما يفرق بين (١) جمع مسخ، أى الممسوخ من حالة إلى حالة أخرى.

(٢) فى القاموس «الجرث كسكيت: سمك».

(٣) الديوث: الذى لا يغار على زوجته.

(٤) الدعموص- بضم الدال:- دويبة أو دودة سوداء، تكون فى الغدران إذا أخذ ماؤها فى النضوب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٤

الأحبة. و أميا العنكبوت فامرأة سحرت زوجها. و أما الأرنب فامرأة كانت لا تطهر من حيضها. و أما سهيل فكان عشارا باليمن. و أما الزهرة فكانت بنتا لبعض ملوك بنى إسرائيل افتتن بها هاروت و ماروت!!

أ لا قبح الله من وضع هذا الزور و الباطل، و نسبه إلى من لا ينطق عن الهوى.

و مما لا يقضى منه العجب أن السيوطى ذكر هذا الهراء من غير سند، و لم يعقب عليه بكلمة استنكار. و مثل هذا لا يشكك طالب علم فى بطلانه، فضلا عن عالم كبير. و قد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع، و قد ذكره السيوطى فى «اللئالى»، و تعقبه بما لا يجدى، و كان من الأمانة العلمية أن يشير إلى هذا.

و بعد هذا الكذب و التخريف ينقل السيوطى ما

رواه الطبرانى فى الأوسط بسند- ضعيف- كذا قال، عن عمر بن الخطاب، قال: جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى غير حينه، ثم ذكر قصة طويلة فى وصف النار، و أن النبى بكى، و جبريل بكى، حتى نوديا: لا تخافا إن الله أمتكما أن تعصياه «١». و أغلب الظن:

أنه من الإسرائيليات التى دسّت فى الرواية الإسلامية.

٣- الإسرائيليات فى بناء الكعبة: البيت الحرام و الحجر الأسود

و كذلك أكثر السيوطى فى تفسيره «الدر المنثور» عند تفسير قوله تعالى:

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «٢»: (١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٠٢ و ١٠٣.

(٢) البقرة/ ١٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٥

من النقل عن الأزرقى، و أمثاله من المؤرخين و المفسرين الذين هم كحاطبى ليل، و لا يميزون بين الغث و السمين، و المقبول و المردود، فى بناء البيت، و من بناه قبل إبراهيم؛ أهم الملائكة أم آدم؟ و الحجر الأسود؛ و من أين جاء؟ و ما ورد فى فضلها. و قد استغرق فى هذا النقل الذى معظمه من الإسرائيليات التى أخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة «١»، لا يزيد ما صح منها أو ثبت عن عشر هذا المقدار.

قال أبو شهبه: و لو أنه اقتصر على الرواية التى رواها البخارى فى صحيحه «٢»، و رواها غيره من العلماء، لأراحنا و أراح نفسه، و لما أفسد العقول، و ستم النفوس بكل هذه الإسرائيليات، التى نحن فى غنية عنها، بما تواتر من القرآن، و ثبت من السنة الصحيحة. و فى

الحق: أن ابن جرير كان مقتصدا في الإكثار من ذكر الإسرائيليات في هذا الموضوع، وإن كان لم يسلم منها، و ذكر بعضها؛ و ذلك مثل ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، و يصلّي عنده، كما يصلّي عند عرشي. فلما كان زمن الطوفان، رفع، فكان الأنبياء يحجّونه، و لا يعلمون مكانه «٣»، حتى بوأه الله إبراهيم صلّى الله عليه و آله و سلّم و أعلمه، مكانه، فبناه من خمسة أجيال: من حراء، و ثبير، و لبنان، و جبل الطور، و جبل الخمر.

و أعجب من ذلك ما رواه بسنده عن عطاء بن أبي رباح، قال: «لما أهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض، و رأسه في السماء!! يسمع كلام أهل السماء، (١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٢٥-١٣٧.

(٢) صحيح البخارى - كتاب أحاديث الأنبياء - باب «و اتخذ الله إبراهيم خليلا».

(٣) و لا أدري كيف يحجّونه و لا يعلمون مكانه؟

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٦

و دعاءهم، يأنس إليهم؛ فهابته الملائكة، حتى شكت إلى الله في دعائها، و في صلاتها فخفضه إلى الأرض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه و في صلاته، فوجه إلى مكّة، فكان موضع قدمه قريه، و خطوه مفازة، حتى انتهى إلى مكّة، و أنزل الله ياقوته من ياقوته الجنة، فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزل يطوف به، حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوته، حتى بعث الله إبراهيم فبناه؛ فذلك قول الله تعالى: وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ «١» إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل و خرافاتهم.

و لم يصح في ذلك خبر عن المعصوم صلّى الله عليه و آله و سلّم و يرحم الله الإمام الحافظ ابن كثير، فقد بين لنا منشأ معظم هذه الروايات التي هي من صنع بنى إسرائيل، و دسّ زنادقتهم،

فقد قال فيما رواه البيهقي في «الدلائل»، من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: «بعث الله جبريل إلى آدم، فأمره، ببناء البيت، فبناه آدم، ثم أمره بالطواف به، و قال له: أنت أول الناس، و هذا أول بيت وضع للناس».

قال ابن كثير: إنه من مفردات ابن لهيعة، و هو ضعيف، و الأشبه - و الله أعلم - أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص، و يكون من الزاملتين «٢» اللتين أصابهما يوم اليرموك، من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث بما فيهما «٣».

و قال في «بدايته»: و لم يجيء في خبر صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام، و من تمسك في هذا بقوله: مَكَانَ الْبَيْتِ فليس بناهض (١) تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٤٢٨ و ٤٢٩. الحج / ٢٦.

(٢) الزاملة: البعير الذي يحمل عليه المتاع.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٨٣ و تفسير البغوى، ج ١، ص ١١٥ و فتح البارى، ج ٦، ص ٣١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٧

و لا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم «١».

٤ - الإسرائيليات في قصة التابوت

و من الإسرائيليات التي التبس فيها الحق بالباطل ما ذكره غالب المفسرين في تفاسيرهم، في قصة طالوت، و تنصيبه ملكا على بنى إسرائيل، و اعتراض بنى إسرائيل عليه، و إخبار نبيهم لهم بالآية الدالة على ملكه، و هي التابوت؛ و ذلك عند قوله تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾.

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي، و البغوي، و القرطبي، و ابن كثير، و السيوطي في «الدر»، و غيرهم في تفاسيرهم، كثيرا من الأخبار عن الصحابة و التابعين، و عن وهب بن منبه، و غيره من مسلمة أهل الكتاب في وصف «التابوت»، و كيف جاء، و علام يشتمل؟، و عن «السكينة» و كيف صفتها؟

فقد ذكروا في شأن التابوت أنه كان من خشب الشمشاد «٣»، نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين، كان عند آدم إلى أن مات، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاده، إلى (١) البداية و النهاية، ج ١، ص ١٦٣ و ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) البقرة/ ٢٤٨.

(٣) في «البغوي» بالمعجمتين و الدال المهملة، و في «القرطبي» بالمعجمة ثم ميم ثم سين مهملة آخره راء، و في بعض التفاسير، و الدال المعجمة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٨

إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل، ثم يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل، إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة و متاعا من متاعه، فكان عنده إلى أن مات.

ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل، و كان عندهم حتى عصوا، فغلبوا عليه؛ غلبهم عليه العمالقة.

و هذا الكلام و إن كان محتملا للصدق و الكذب، لكننا في غنيته، و لا يتوقف تفسير الآية عليه.

و قال بعضهم: إن التابوت إنما كان في بني إسرائيل، و لم يكن من عهد آدم عليه السلام، و أنه الصندوق الذي كان يحفظ فيه موسى عليه السلام التوراة. و لعل هذا أقرب إلى الحق و الصواب.

و كذلك أكثروا من النقل في «السكينة».

فروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام: هي ريح فوجج «١» هفافة، لها رأسان و وجه كوجه الإنسان.

و قال مجاهد: حيوان كالهز، لها جناحان و ذنب، و لعينيه شعاع، إذا نظر إلى الجيش انهزم.

و قال محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه: «السكينة» رأس هزة ميته، إذا صرخت في التابوت بصراخ هز أيقنوا بالنصر. و هذا من خرافات بني إسرائيل و أباطيلهم.

و عن وهب بن منبه أيضا قال: «السكينة» روح من الله تتكلم، إذا اختلفوا في شيء تتكلم، فتخبرهم ببيان ما يريدون.

و عن ابن عباس: «السكينة» طست من ذهب، كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء، أعطاه الله موسى عليه السلام. (١) شديد المرور في غير استواء، و لا أدري كيف يكون للريح رأسان، و وجه كوجه الإنسان؟.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٩

و الحق أنه ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك، و لا فيما صح عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، و حملها عنهما بعض الصحابة و التابعين، و مرجعها إلى وهب بن منبه، و كعب الأخبار، و أمثالهما.

قال أبو شهبة: و الذي ينبغي أن تفسر به «السكينة» أن المراد بها الطمأنينة، و السكون الذي يحلّ بالقلب، عند تقويم التابوت أمام

الجيش. فهي من أسباب السكون، و الطمأنينة؛ و بذلك تقوى نفوسهم، و تشتدّ معنوياتهم؛ فيكون ذلك من أسباب النصر. فهو مثل

قوله تعالى: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... «١»، أي طمأنينته، و ما ثبت به قلبه، و مثل قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ «٢»، و قوله: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا

... «٣». فالمراد ب «السكينة» طمأنينة القلوب، و ثبات النفوس.

٥- الإسرائيليات في قصة قتل داود جالوت

و من الإسرائيليات ما يذكره المفسرون في قصة قتل داود- و هو جندي صغير في جيش طالوت- جالوت الملك الجبار؛ و ذلك عند تفسير قوله تعالى: (١) التوبة/ ٤٠.

(٢) الفتح/ ٤.

(٣) الفتح/ ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٠

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «١».

فقد ذكر الثعلبي، و البغوي، و الخازن، و صاحب «الدر المنثور»، و غيرهم، في تفاسيرهم، ما خلاصته: أنه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت- ملك بني إسرائيل- إيشا: أبو داود، في ثلاثه عشر ابنا له، و كان داود أصغرهم، و كان يرمى بالقذافة «٢» فلا يخطئ، و أنه ذكر لأبيه أمر قذافته تلك، و أنه دخل بين الجبال، فوجد أسدا فأخذ بأذنيه، فلم يهجه، و أنه مشى بين الجبال، فسبح، فما بقى جبل حتى سبح معه، فقال له أبوه: أبشر فإن هذا خير أعطاك الله تعالى إياه.

فأرسل جالوت إلى طالوت أن أبرز إليّ، أو أبرز إليّ من يقاتلني، فإن قتلني فلکم ملكي، و إن قتلته فلي ملككم. فشق ذلك على طالوت، فنادى في عسكره:

من قتل جالوت زوجته ابنتي، و ناصفته ملكي. فهاب الناس جالوت، فلم يجبه أحد.

فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى، فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس، و تئور من حديد، فقيل: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه، فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه، و لا يسيل على وجهه، بل يكون على رأسه كالإكليل «٣»، و يدخل هذا التئور فيملؤه، و لا يتقلقل فيه. (١) البقرة/ ٢٥١.

(٢) شيء يقذف به كالمقلاع فلا يخطئ هدفه.

(٣) ما يلبسه الملوك على رءوسهم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦١

فدعا طالوت بني إسرائيل، فجزبهم، فلم يوافقهم منهم أحد، فأوحى الله إلى نبيهم: أن في ولد «إيشا» من يقتل الله به جالوت. فدعا طالوت إيشا، فقال: أعرض هذا على بنيك، فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري «١»، فجعل يعرضهم على القرن، فلا يرى شيئا، فقال لإيشا: هل بقي لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال نبي هذا الزمان: يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال الله: كذب، فقال هذا النبي لإيشا: إن الله كذبك!!

فقال إيشا: صدق الله، يا نبي الله، إن لي ابنا صغيرا، يقال له: داود، استحيت أن يراه الناس لقصر قامته و حقارته، فخلفته في الغنم يرعاها، و هو في شعب كذا و كذا. و كان داود رجلا قصيرا، مسقاما، مصفارا، أزرق، أعر «٢»، فدعاه طالوت، و يقال: بل خرج إليه، فوجد الوادي قد سال بينه و بين الزريبة التي كان يريح إليها، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل، و لا يخوض بهما الماء، فلما رآه قال: هذا هو لا شك فيه، هذا يرحم البهائم، فهو بالناس أرحم. فدعاه، و وضع القرن على رأسه، ففاض- يعني من غير أن يسيل على وجهه- فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت، و أزوجهك ابنتي، و أجرى خاتمك في ملكي؟، قال: نعم، قال: و هل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، و ذكر بعض ذلك.

فأخذ طالوت داود، و رده إلى عسكره. و في الطريق مرّ داود بحجر، فناده يا (١) جمع سارية، و هي العمود، أي أنهم كالعمد الطويلة.

(٢) أمعر: قليل الشعر، أو نحيف الجسم، و هذا من أكاذيب بنى إسرائيل، و رميهم الأنبياء بأبشع الصفات. فقاتلهم الله أنى يؤفكون، و ما كان لأبيه و قد أخبره داود بما ذكره أول القصة، أن ينتقصه، و يصفه بهذه الأوصاف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٢

داود احملنى، فإنى حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا، فحمله فى مخلاته، ثم مرّ بآخر، فناداه قائلاً: إنه حجر موسى الذى قتل به ملك كذا، فأخذه فى مخلاته، ثم مرّ بحجر ثالث، فناداه قائلاً له: احملنى، فإنى حجر ك الذى تقتل بى جالوت، فوضعه فى مخلاته. فلما تصافوا للقتال، و برز جالوت، و سأل المبارزة، انتدب له داود، فأعطاه طالوت فرسا، و درعا، و سلاحا، فلبس السلاح، و ركب الفرس، و سار قريبا، ثم لم يلبث أن نزع ذلك، و قال لجالوت: إن لم ينصرنى الله لم يغن عنى هذا السلاح شيئا!!، فدعنى أقاتل جالوت كما أريد، قال: فافعل ما شئت، قال: نعم.

فأخذ داود مخلاته، فتقلدها، و أخذ المقلاع، و مضى نحو جالوت. و كان جالوت من أشد الرجال، و أقواهم، و كان يهزم الجيش وحده، و كان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد «١»، فلما نظر إلى داود ألقى الله فى قلبه الرعب. و بعد مقاوله بينهما، و توعد كل منهما الآخر أخرج داود حجرا من مخلاته، و وضعه فى مقلاعه، و قال: باسم إله إبراهيم، ثم أخرج الآخر و قال: باسم إله إسحاق، و وضعه فى مقلاعه، ثم أخرج الثالث و قال: باسم إله يعقوب، و وضعه فى مقلاعه؛ فصارت كلها حجرا واحدا و دور داود المقلاع، و رمى به، فسخر له الله الريح، حتى أصاب الحجر أنف البيضة، فخلص إلى دماغه، و خرج من قفاه، و قتل من ورائه ثلاثين رجلا، و هزم الله تعالى الجيش، و خرّ جالوت قتيلًا. فأخذه (١) البيضة: ما يلبسه المحارب على رأسه، و هذا من أكاذيبهم، و تخريفاتهم، و لا أدرى و لا أى عاقل يدرى كيف يمكن لجالوت أن يحارب، و على رأسه هذا القدر من الحديد؟. أى نحو مائة و خمسين كيلوجراما من الحديد، و لعل الرطل فى زمانهم كان أثقل من رطلنا اليوم، فيكون حمل على رأسه ما يزيد على ثلاثة قناطير من الحديد. و مما ذكره فى وصفه أن ظله كان ميلا، و هذا و لا شك خرافة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٣

يجره، حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح جيش طالوت فرحا شديدا، و انصرفوا إلى مدينتهم سالمين، و الناس يذكرون بالخير داود. فجاء داود طالوت، و قال له: أنجز لى ما وعدتني، فقال: و أين الصّدق؟

فقال له داود: ما شرطت علىّ صداقا غير قتل جالوت، ثم اقترح عليه طالوت أن يقتل مائتى رجل من أعدائهم، و يأتيه بغلفهم «١»، ففعل، فزوجه طالوت ابنته، و أجرى خاتمه فى ملكه. فمال الناس إلى داود، و أحبوه، و أكثروا ذكره؛ فحسده طالوت، و عزم على قتله. فأخبر ابنه طالوت رجل من أتباعه، فحدّرت داود، و أخبرته بما عزم أبوها عليه. و بعد مغامرة من طالوت لقتل داود، و مكيدة و حيلة من داود، أنجى الله داود منه. فلما أصبح الصباح، و تيقن طالوت أن داود لم يقتل، خاف منه، و توجس خيفة، و احتاط لنفسه، و لكن الله أمكن داود منه ثلاث مرات، و لكن لم يقتله. ثم كان أن فرّ داود من طالوت فى البرية، فأراه طالوت ذات يوم فيها، فأراد قتله، لكن داود دخل غارا، و أمر الله العنكبوت، فنسجت عليه من خيوطها؛ و بذلك نجا من طالوت، و لجأ إلى الجبل، و تعبد مع المتعبدين.

فطعن الناس فى طالوت بسبب داود، و اختفائه، فأسرف طالوت فى قتل العلماء و العباد، ثم كان أن وقعت التوبة فى قلبه، و ندم على ما فعل، و حزن حزنا طويلا، و صار يطلب من يفتيه أن له توبة فلم يجد، حتى دلّ على امرأة عندها اسم الله الأعظم، فذهب إليها، و أمن روعها فانطلقت به إلى قبر «شمويل»، فخرج من قبره و أرشده إلى طريق التوبة، و هو أن يقدم ولده و نفسه فى سبيل الله حتى يقتلوا، ففعل. و جاء قاتل طالوت إلى داود ليخبره بقتله، فكانت مكافأته على ذلك (١) الغلقة - بضم الغين -: القطعة التى تقطع من الصبى عند الختان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٤

أن قتله. و أتى بنو إسرائيل إلى داود، و أعطوه خزائن طالوت، و ملكوه على أنفسهم. و قد استغرق ذلك من تفسير البغوى بضع صحائف «١».

قال أبو شهبه: و فى هذا الذى ذكره الحق و الباطل، و الصدق، و الكذب، و نحن فى غنية عنه بما فى أيدينا من القرآن و السنة و ليس فى كتاب الله ما يدل على ما ذكره، و لسنا فى حاجة إلى شىء من هذا فى فهم القرآن و تدبره، فلا تلق إليه بالا، و ارم به دبر أذنيك، فإن فيه تجنيا على من اصطفاه الله ملكا عليهم، و كذبا على نبي الله داود.

و أما الإمام العلامة ابن كثير، فقد أعرض عن ذكره، و تبه إلى أنه من الإسرائيليات، فقال فى قوله تعالى: وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ: ذكروا فى الإسرائيليات «٢» أنه قتله بمقلاع كان فى يده رماه به. فأصابه، فقتله، و كان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته، و يشاطره نعمته، و يشركه فى أمره، فوفى له، ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله من النبوة العظيمة؛ و لهذا قال تعالى: وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ الذى كان بيد طالوت، وَ الْحِكْمَةَ أى النبوة بعد شمويل، وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ من العلم الذى اختصه به عليه السلام. (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٠٣ و تفسير البغوى، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) و يؤكد أنه من الإسرائيليات أن هذا جله مأخوذ من التوراة: انظر التوراة- سفر صمويل الأول- الإصحاح ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ يحصل لك اليقين بهذا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٥

٦- الإسرائيليات فى قصص الأنبياء و الأمم السابقة

و قد جاء فى كتب التفسير- على اختلاف مناهجها- إسرائيلييات كواذب، و مرويات بواطل، لا يحصيها العد، و ذلك فيما يتعلق بقصص الأنبياء و المرسلين و الأمم و الأقوام السابقين. و قد رويت عن بعض الصحابة، و التابعين و تابعيهم، و ورد بعضها مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم كذبا، و زورا.

و هذه المرويات و الحكايات لا- تمت إلى الإسلام، و إنما هى من خرافات بنى إسرائيل و أكاذيبهم، و افتراءاتهم على الله، و على رسله، رواها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أو أخذها من كتبهم بعض الصحابة و التابعين، أو دسّت عليهم، بل فيها ما حرفوا لأجله التوراة، و ذلك مثل ما فعلوا فى قصة إسحاق بن إبراهيم، و أنه هو الذبيح، كما سيأتى. و لا يمكن استقصاء كل ما ورد من الإسرائيليات، و إلّا لاقتضى هذا مجلدات كبارا، و لكنى سأكتفى بما هو ظاهر البطلان، و لا يتفق و سنن الله فى الأكوان، و ما يخل بالعقيدة الصحيحة فى أنبياء الله و رسله التى يدل عليها العقل السليم، و النقل الصحيح.

٧- ما ورد فى قصة آدم عليه السلام

إشارة

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ «١» فمن تلك الإسرائيليات ما رواه ابن جرير «٢» فى تفسيره بسنده عن وهب بن (١) البقرة/٣٦.

(٢) هذا ابن جرير، و قد شك فى اللفظ الذى سمعه ممن أخذ عنه: أ هو ذريته أم زوجته؟ فيذكر

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٦

متبه قال: لما أسكن الله آدم و ذريته أو زوجته- الشك من أبى جعفر، و هو فى أصل كتابه «و ذريته»- و نهاه عن الشجرة، و كانت شجرة غصونها متشعبة بعضها فى بعض، و كان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم «١»، و هى الثمرة التى نهى الله آدم عنها و زوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل فى جوف الحية، و كانت للحية أربعة قوائم، كأنها بختيه «٢» من أحسن دايه خلقها الله. فلما دخلت

الحيئة الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم و زوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، و أطيب طعمها، و أحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت له مثل ذلك، حتى أكل منها؛ فبذت لهما سوءاتهما. فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب. قال: ألا تخرج؟ قال: أستحيى منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها، لعنة يتحول ثمرها شوكا. ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدى، فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت مرارا. و قال للحيئة: أنت التى دخل الملعون فى جوفك حتى غرّ عبدى، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك فى بطنك، و لا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بنى آدم، و هم أعداؤك. قال عمرو: قيل لوهب: و ما كانت الملائكة تأكل!! قال: يفعل الله ما يشاء «٣». قال ابن جرير: و روى ابن عباس نحو هذه القصة. ذلك رعاية للأمانة فى الرواية، و الظاهر لفظ «زوجته» لأن آدم عليه السلام لم تكن له ذرية فى الجنة.

(١) و كيف و الملائكة لا تأكل و لا تشرب؟.

(٢) و هى الأنتى من الجمال البخت. و الذكر البختى، و هى جمال طوال الأعناق.

(٣) هذا تهزّب من الجواب، و عجز عن تصحيح هذا الكذب الظاهر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٧

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس، و عن ابن مسعود، و عن ناس من الصحابة نحو هذا الكلام «١»، و فى السند أسباط عن السدى، و عليهما تدور الروايات.

و كذلك ذكر السيوطى فى «الدر المنثور» ما رواه ابن جرير و غيره فى هذا، مما روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و لكنه لم يذكر الرواية عن وهب بن متبه «٢»، و أغلب كتب التفسير بالرأى ذكرت هذا أيضا. و كل هذا من قصص بنى إسرائيل الذى تزيّدوا فيه، و خلطوا حقا بباطل، ثم حمّله عنهم الضعفاء من الصحابة و التابعين، و فسّروا به القرآن الكريم.

و لقد أحسن ابن جرير، فقد أشار بذكره الرواية عن وهب إلى أن ما يرويه عن ابن عباس، و ابن مسعود، إنما مرجعه إلى وهب و غيره من مسلمة أهل الكتاب، و يا ليت له لم ينقل شيئا من هذا، و يا ليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا. و فى رواية ابن جرير الأولى ما يدل على أن الذين رووا عن وهب و غيره كانوا يشكّون فيما يروونه لهم، فقد جاء فى آخرها: (قال عمرو «٣»: قيل لوهب: و ما كانت الملائكة تأكل؟! قال: يفعل الله ما يشاء) فهم قد استشكلوا عليه؛ كيف أن الملائكة تأكل؟! و هو لم يأت بجواب يعتدّ به.

و وسوسة إبليس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله فى بطن الحيئة؛ إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب و لا مشافهة، و قد يوسوس إليه و هو على بعد أميال منه.

و الحيئة خلقها الله يوم خلقها على هذا، و لم تكن لها قوائم كالبعثى، و لا شىء من (١) تفسير الطبرى، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٧.

(٢) الدر المنثور، ج ١، ص ٥٣.

(٣) هو عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب، الراوى عن وهب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٨

هذا «١».

ما نسب إلى ابنى آدم لما قتل أحدهما الآخر

و من ذلك: ما ذكره بعض المفسرين كابن جرير الطبرى فى تفسيره، و السيوطى فى تفسيره «الدر المنثور» فى قصة ابنى آدم: قابيل، و

هايل؛ و قتل أولهما الآخر، ما روى عن كعب: أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم، و عن وهب: أن الأرض نشفت دم ابن آدم المقتول، فلعن ابن آدم الأرض؛ فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض بما بعد دم هايل إلى يوم القيامة. و أن قابيل حمل هايل سنة في جراب على عنقه، حتى أتنن و تغير، فبعث الله الغرابين، قتل أحدهما الآخر، فحفر له، و دفنه برجليه و منقاره، فعلم كيف يصنع بأخيه. مع أن القرآن عبّر بالفاء التي تدل على الترتيب و التعقيب من غير تراخ. قال تعالى:

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْأَةَ أَخِيهِ «٢».

و روى أيضا: أنه لما قتله اسودّ جسده، و كان أبيض، فسأله آدم عن أخيه، فقال: ما كنت عليه و كيلا. قال: بل قتله فلذلك اسودّ جسدك، إلى نحو ذلك.

فكل هذا و أمثاله- عدا ما جاء في القرآن- من إسرائيليّات بنى إسرائيل، و قد جاءت بعض الروايات صريحة عن كعب، و وهب. و ما جاء عن ابن عباس، و مجاهد و غيرهما، فمرجه إلى أهل الكتاب الذين أسلموا «٣». (١) انظر التوراة- سفر التكوين- الإصحاح الثالث لترداد يقينا أنه من الإسرائيليات، و ليس منه شيء عن المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

(٢) المائدة/ ٣١.

(٣) تفسير الطبرى، ج ٦، ص ١١٨، عند قوله تعالى في سورة المائدة: وَ اتُّلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْكَ وَ الْمَعْرُوفِ، ج ٢، ص:

١٦٩

ما نسب إلى آدم عليه السلام من قول الشعر

و من الإسرائيليات ما رواه ابن جرير في تفسيره، و ما ذكره السيوطى في «الدر»: من أن آدم لما قتل أحد ابنيه الآخر، مكث مائة عام لا يضحك حزنا عليه، فأتى على رأس المائة، فقيل له: حياك الله، و بياك، و بشر بغلام، فعند ذلك ضحك.

و كذلك ما

ذكره من أن آدم عليه السلام رثى ابنه بشعر، روى ابن جرير عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم، فقال:

تغيرت البلاد، و من عليها فوجه الأرض مغبرّ قبيح

تغير كل ذى لون و طعم و قل بشاشة الوجه المليح

قال السيوطى: و أخرج الخطيب و ابن عساكر عن ابن عباس قال: لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام: و ذكر البيتين السابقين باختلاف قليل.

فأجابه إبليس عليه اللعنة:

تنح عن البلاد و ساكنها فبى فى الخلد ضاق بك الفسيح

و كنت بها و زوجك فى رخاء و قلبك من أذى الدنيا مريح

فما انفكت مكائدتى و مكرى إلى أن فاتك الثمن الربيح «١»

و قد طعن فى نسبة هذه الأشعار إلى نبي الله آدم الإمام الذهبى فى كتابه «ميزان الاعتدال»، و قال: إن الآفة فيه من المخرمى أو شيخه «٢».

و ما الشعر الذى ذكره إلا منحول مختلق، و الأنبياء لا يقولون الشعر، و صدق آدم... الآيات- الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٥.

(١) تفسير الطبرى، ج ٦، ص ١٢٢ و الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

(٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ١٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٠

الزمخشري حيث قال: «روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك

، و أنه رثاه بشعر، و هو كذب بحت. و ما الشعر إلا منحول ملحون. و قد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر» (١).
و قد قال الله تبارك و تعالى: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ» (٢).

و قال الآلوسی فی تفسیره: و روى عن ميمون بن مهران عن الحبر ابن عباس أنه قال: «من قال: إنَّ آدم عليه السلام قال شعرا فقد كذب، إن محمدا صَلَّى الله عليه و آله و سلم و الأنبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء. و لكن لما قتل قاييل هايبيل رثاه آدم بالسريانية، فلم يزل ينقل، حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، و كان يتكلم بالعربية و السريانية، فنظر فيه، فقدم و أخر، و جعله شعرا عربيا. و ذكر بعض علماء العربية أن فى ذلك الشعر لحنا، أو إقواء، أو ارتكاب ضرورة. و الأولى عدم نسبته إلى يعرب؛ لما فيه من الركاكة الظاهرة» (٣).

قال أبو شهبه: و الحق أنه شعر فى غاية الركاكة، و الأشبه أن يكون هذا الشعر من اختلاق إسرائيلى، ليس له من العربية إلا حظ قليل، أو قصاص يريد أن يستولى على قلوب الناس، بمثل هذا الهراء. (١) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٦٢٦.
(٢) يس / ٦٩.

(٣) روح المعانى، ج ٦، ص ١٠٣. و راجع: القرطبي، ج ٦، ص ١٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧١

٨ - الإسرائيليات فى عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق

إشارة

و من الإسرائيليات التى اشتملت عليها كتب التفسير، ما يذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنِّ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا» (١).

فقد ذكر الجلال السيوطى فى «الدرر» كثيرا من الروايات فى صفة هؤلاء القوم، و عظم أجسادهم، مما لا يتفق و سنه الله فى خلقه، و يخالف ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة، و ذلك مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبى ضمرة قال: استظل سبعون رجلا من قوم موسى فى خف رجل من العماليق!! و مثل ما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن يزيد بن أسلم قال: بلغنى أنه رؤيت ضبع و أولادها رابضة فى فجاج عين رجل من العماليق!! و مثل ما رواه ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن ابن عباس، قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريبا من المدينة، و هى «أريحاء» فبعث إليهم اثنى عشر نقيبا، من كل سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة، فرأوا أمرا عظيما من هيبتهم، و جسمهم و عظمهم، فدخلوا حائطا - أى بستانا - لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليبنى الثمار، فنظر إلى آثارهم فتبعهم، فكلما أصاب واحدا منهم أخذه، فجعله فى كمه مع الفاكهة و ذهب إلى ملكهم، فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا و أمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوه من أمرهم، فقال: اكنموا عنا، فجعل الرجل يخبر أخاه و صديقه، و يقول: اكنم عنى، فأشيع فى عسكرهم، و لم يكتم منهم إلا رجلا: يوشع بن نون، و كالب بن يوحنا، و هما اللذان أنزل الله فيهما: (١) المائدة / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٢

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَانكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ

و يروى ابن جرير بسنده، عن مجاهد، نحو ما قدمنا، ثم يذكر أن عنقود عنبهم لا يحمله إلا خمسة أنفس، بينهم فى خشبة، و يدخل فى شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة (٢)، إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة.

خرافة عوج بن عوق «٣»

و من الإسرائيليات الظاهرة البطلان، التي ولع بذكرها بعض المفسرين و الأخباريين، عند ذكر الجبارين: قصة عوج بن عوق، و أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، و أنه كان يمسك الحوت، فيشوبه في عين الشمس، و أن طوفان نوح لم يصل إلى ركبته، و أنه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح، و أن موسى كان طوله عشرة أذرع و عصاه عشرة أذرع، و وثب في الهواء عشرة أذرع، فأصاب كعب عوج فقتله، فكان جسرا لأهل النيل سنه، إلى نحو ذلك من الخرافات، و الأباطيل التي تصادم العقل و النقل، و تخالف سنن الله في الخليقة. و لا- أدرى كيف يتفق هذا الباطل، هو، و قول الله تبارك و تعالى: وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْرِزٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَأْوَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ «٤». (١) المائدة/ ٢٣.

(٢) تفسير الطبري، ج ٦، ص ١١٢، و الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٣) منهم من يقول: ابن عوق، و منهم من يقول: ابن عوق كما ذكر ابن كثير، و في القاموس:

«و عوج بن عوق بضمهما- أى العينين- رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى، و ذكر من عظم خلقه شناعة».

(٤) هود/ ٤٢-٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٣

اللهم إنا إذا كان عوج أطول من جبال الأرض!! فمن تلك الروايات الباطلة المخترعة ما رواه ابن جرير بسنده عن أسباط، عن السدي، في قصة ذكرها من أمر موسى و بنى إسرائيل، و بعث موسى النقباء الاثني عشر، و فيها: فلقبهم رجل من الجبارين يقال له: عوج، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حجزته «١»، و على رأسه حمله حطب، و انطلق بهم إلى امرأته، فقال:

انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال: أ لا أطحنهم برجلي؟، فقالت امرأته: بل خلّ عنهم، حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك. و كذلك ذكر مثل هذا و أشنع منه غير ابن جرير و السيوطي بعض المفسرين و القاصيين، و هي كما قال ابن قتيبة: أحاديث خرافة، كانت مشهورة في الجاهلية، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد «٢».

و إليك ما ذكره الإمام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، قال: و قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بنى إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، و أن منهم عوج بن عوق بنت آدم عليه السلام، و أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع و ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثون ذراعا، و ثلث ذراع، تحرير الحساب، و هذا شيء يستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما

ثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إن الله خلق آدم، و طوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»،

ثم ذكروا: أن هذا الرجل كان كافرا، و أنه كان ولد زنية، و أنه امتنع من ركوب سفينة نوح، و أن الطوفان لم يصل إلى ركبته. و هذا كذب و افتراء، فإن الله تعالى ذكر: أن نوحا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: (١) الحجرة: موضع التكة من السروال.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص ٢٨٤ و روح المعاني، ج ٦، ص ٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٤

رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا «١». و قال تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. ثُمَّ أَعْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ «٢». و قال تعالى: لا- عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ «٣»، و إذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عوق، و هو كافر، و ولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل، و لا شرع، ثم في وجود رجل يقال له:

عوج بن عوق، نظر، و الله أعلم «٤».

وقال ابن قيم الجوزية، بعد أن ذكر حديث عوج: «و ليس العجب من جرأه من وضع هذا الحديث، و كذب على الله، و إنما العجب ممن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير و غيره، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء، و السخرية بالرسول و أتباعهم».

قال أبو شهبة: و سواء أ كان عوج بن عوق شخصيئة وجدت حقيقة، أو شخصيئة خياليئة، فالذي ننكره هو: ما أضفوه عليه من صفات و ما حاكوه حوله من أثواب الزور و الكذب و التجرؤ، على أن يفسر كتاب الله بهذا الهراء. و ليس في نص القرآن ما يشير إلى ما حكوه و ذكروه، و لو من بعد، أو وجه الاحتمال، ثم أين زمن نوح من زمن موسى عليه السلام و ما يدل عليه آية: قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِرُكُم بِهَا كَمَا نَذِرْنَا لِقَوْمِ آلِ فِرْعَوْنَ أَن يَسُوءَ سَوَاءُ مَن يَكْفُرْ أَيُّهَا الْفٰسِقُونَ ﴿٥٠﴾ كان في زمن موسى قطعاً، و لا- مريئة في هذا، فهل طالت الحياة بعوج حتى زمن موسى؟! بل قالوا: إن موسى هو الذي قتله، ألا لعن الله اليهود، فكم من علم أفسدوا و كم من خرافات و أباطيل (١) نوح / ٢٦.

(٢) الشعراء / ١١٩ - ١٢٠.

(٣) هود / ٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٨.

(٥) المائدة / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٥

وضعوا «١».

٩- الإسرائيليات في قصة التيه

فمن هذه الأخبار العجيبة التي رويت في قصيئة التيه، ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع، قال: لما قال لهم القوم ما قالوا، و دعا موسى عليهم، أوحى الله إلى موسى: إنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين، و هم يومئذ ستمائة ألف مقاتل؛ فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ سنة، أو دون ذلك، يسرون كل يوم جادين، لكي يخرجوا منها، حتى يمسا و ينزلوا، فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا، و أنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم، فأنزل عليهم المنّ و السلوى «٢»، و أعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. و سأل موسى ربّه أن يسقيهم، فأتى «بحجر الطور»، و هو حجر أبيض، إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم. و كذلك روى: أن ثيابهم ما كانت تبلى، و لا تتسخ. و كذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشري و غيره: بأنهم كانوا ستمائة ألف، و سعة المعسكر اثنا عشر ميلا.

و كذلك ذكروا أن الحجر كان من الجنة، و لم يكن حجرا أرضيا. و منهم من قال: كان على هيئة رأس شاة. و قيل: (١) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ١٨٧.

(٢) المن: شيء كالغسل كان ينزل على الشجر من السماء فيأخذونه و يأكلونه، و السلوى: طير كالسماني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٦

كان طوله عشرة أذرع، و له شعبتان تتقدان في الظلام، إلى غير ذلك من تزديدات بني إسرائيل. و ليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكروه في وصف الحجر، مع أنه لو أريد بالحجر الجنس، و أن يضرب أي حجر ما؛ لكان أدل على القدرة، و أظهر في الإعجاز. و قد لاحظ ابن خلدون- من قبل- المغالط التي تدخل في مثل هذه المرويّات، فقال في مقدّمته المشهورة:

اعلم أن فنّ التاريخ فنّ عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغايه؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم، و سياستهم، حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا، فهو محتاج إلى

مآخذ متعدّدة، و معارف متنوّعة، و حسن نظر و تثبت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق، و ينكبّان به عن المزلات و المغالط؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النقل، و لم تحكم أصول العادة، و قواعد السياسة، و طبيعة العمران، و الأحوال في الاجتماع الإنساني، و لو قيس الغائب منها بالشاهد، و الحاضر بالذاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور، و مزلة القدم، و الحيد عن جادة الصدق، و كثيرا ما وقع للمؤرخين، و المفسّرين و أئمة النقل من المغالط في الحكايات، و الوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثا أو سمينا، و لم يعرضوها على أصولها، و لا قاسوها بأشباهها، و لا سبروها بمعيار الحكمة، و الوقوف على طبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، و تاهوا في بيداء الوهم و الغلط، و لا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال، و العساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب و مطيئة الهذر، و لا بدّ من ردها إلى الأصول، و عرضها على القواعد. و هذا: كما نقل المسعودي و كثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل، و أن موسى أحصاهم في التيه، بعد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٧

أن أجاز من كان يطبق حمل السلاح خاصية من ابن عشرين، فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، و يذهل في ذلك عن تقدير مصر و الشام، و اتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، لكل مملكة حصه من الحامية تتسع لها، و تقوم بوظائفها، و تضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة، و الأحوال المألوفة.

و لقد كان ملك الفرس و دولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك: ما كان من غلب بخت نصر لهم، و التهامه بلادهم، و استيلائه على أمرهم، و تخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم و سلطانهم، و هو من بعض عمال مملكة فارس. و كانت ممالكهم بالعراقين، و خراسان، و ما وراء النهر، و الأبواب، أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، و مع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد و لا قريبا منه. و أعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة و عشرين ألفا، كلهم متبوع، على ما نقله «سيف». قال: و كانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف. و عن عائشة، و الزهري: أن جموع رستم التي حفّ بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفا كلهم متبوع.

و أيضا: فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد، لآتسع نطاق ملكهم، و انفسح مدى دولتهم، فإن العمالات و الممالك في الدول، على نسبة الحامية، و القبيل القائمين بها في قلتها و كثرتها حسبما نبين ذلك في فصل الممالك من الكتاب الأوّل (١)، و القوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن، و فلسطين من الشام، و بلاد يثرب، و خيبر، من الحجاز، على ما هو المعروف. و أيضا: فالذي بين موسى و إسرائيل، إن هو إلّا أربعة آباء، على ما ذكره المحققون، فإن موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث - بفتح الهاء و كسرهما - بن (١) يريد بالكتاب الأوّل من «مقدمته المشهورة» و قد قسمها إلى فصول.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٨

لاوى - بكسر الواو و فتحها - بن يعقوب و هو: إسرائيل، هكذا نسبة في التوراة. و المدة بينهما على ما نقله المسعودي، قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط، و أولادهم، حين أتوا إلى يوسف سبعين نفسا، و كان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه، مائتين و عشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة. و يبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد!! و إن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان و من بعده، فبعد أيضا؛ إذ ليس بين سليمان و إسرائيل إلّا أحد عشر أبا، و لا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلّا المئين و الآلاف، فربما يكون. و أما أن يتجاوز هذا إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، و اعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، و القريب المعروف تجد زعمهم باطلا، و نقلهم كاذبا.

قال: و الذي ثبت في «الإسرائيليات» أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة، و أن مقرباته كانت ألفا، و أربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه. هذا هو الصحيح من أخبارهم، و لا يلتفت إلى خرافات العامة منهم، و في أيام سليمان عليه السلام، و ملكه كان عنفوان

دولتهم، و اتساع ملكهم «١».

و هذا الفصل من النفاسة بمكان؛ فلذلك حرصنا على ذكره؛ لأنه يفيدنا في رد الكثير من الإسرائيليات التي وقعت فيها المغالط، و الأخبار الباطلة، و الخرافات التي كانت سائدة في العصور الأولى. (١) مقدمة ابن خلدون، ص ٩-١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٩

١٠- الإسرائيليات في: «المائدة التي طلبها الحواريون»

و من الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى: إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَ نَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا، وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ، وَ أَرْزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «١».

و قد اختلف العلماء في المائدة، أنزلت أم لا؟ و جمهور العلماء - سلفا و خلفا - على نزولها. و هذا هو ظاهر القرآن، فقد وعد الله، و وعده محقق لا محالة.

و ذهب الحسن و مجاهد إلى أنها لم تنزل؛ و ذلك لأن الله سبحانه لما توعدهم على كفرهم، بعد نزولها بالعذاب البالغ غاية الحد، خافوا أن يكفر بعضهم، فاستعفوا، و قالوا: لا نريدها فلم تنزل، و لا ندرى ما الحامل لهم على هذا!.

و قد أحيطت المائدة بأخبار كثيرة، أغلب الظن أنها من الإسرائيليات، رويت عن وهب بن منبه، و كعب، و سلمان، و ابن عباس، و مقاتل، و الكلبي، و عطاء و غيرهم، بل روي في ذلك حديثا

عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «إنها نزلت خبزا و لحما، و أمروا أن لا يخونوا، و لا يدخروا لعدو»

و .

في رواية:

بزيادة «و لا يخبثوا، فخانوا و ادخروا، و رفعوا لعدو، فمسخوا قرده و خنازير».

و رفع مثل هذا إلى النبي غلط، و وهم من أحد الرواة على ما نرجح. فقد روى هذا ابن جرير في تفسيره مرفوعا، و موقوفا، و الموقوف أصح، و قد نص على أن (١) المائدة/ ١١٢-١١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٠

المرفوع لا أصل له الإمام أبو عيسى الترمذي، فقال بعد أن روى الروايات المرفوعة: «هذا حديث قد رواه أبو عاصم و غير واحد، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن خلاص عن عمار بن ياسر موقوفا، و لا نعرفه مرفوعا إلّا من حديث الحسن بن قزعة»، و بعد أن ذكر رواية موقوفة عن أبي هريرة، قال: «و هذا أصح من حديث الحسن بن قزعة، و لا نعرف للحديث المرفوع أصلا» «١».

و قد اختلفت المرويات في هذا، فروى العوفي عن ابن عباس: أنها خوان عليه خبز و سمك، يأكلون منه أينما نزلوا، إذا شاءوا. و قال عكرمة عن ابن عباس: كانت المائدة سمكة، و أريغفة «٢». و قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس:

أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز و اللحم.

و قال كعب الأحبار: نزلت المائدة تطير بها الملائكة بين السماء و الأرض، عليها كل الطعام إلّا اللحم.

و قال وهب بن منبه: أنزلها من السماء على بني إسرائيل، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة، فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى، فكان يقعد عليها أربعة آلاف، و إذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم، فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز و جل.

وقال وهب أيضا: نزل عليهم أقرصة من شعير، و أحوات «٣»، وحشا الله بين أضعافهن البركة، فكان قوم يأكلون، ثم يخرجون، ثم يجيء آخرون يأكلون، ثم يخرجون، حتى أكل جميعهم، و أفضلوا. وهكذا لم يتفق الرواة على شيء، مما (١) سنن الترمذى، ج ٤، ص ٣٢٥.

(٢) التصغير للتقليل هنا.

(٣) أحوات: جمع حوت، فى القاموس: الحوت: السمك، جمعه: أحوات، و حوتة، و حيتان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨١

يدل على أنها إسرائيلييات مبتدعة، و ليس مرجعها إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم و الحق أبلج، و الباطل لجلج، لا يتفق عليه غالبا.

و سنكتفى بذكر

الرواية الطويلة التى ذكرها ابن أبى حاتم، فى تفسيره بسنده، عن وهب بن متبه، عن أبى عثمان المهدى عن سلمان الفارسى - رضوان الله عليه - و خلاصتها: «أن الحواريين لما سألوا عيسى بن مريم عليه السلام المائدة كره ذلك، خشية أن تنزل عليهم، فلا يؤمنوا بها؛ فيكون فيها هلا-كهم. فلمّا أبوابها إلّا أن يدعو لهم الله لكى تنزل دعا الله، فاستجاب له، فأنزل الله تعالى سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها، و غمامة تحتها، و هم ينظرون إليها فى الهواء منفضة من السماء، تهوى إليهم، و عيسى عليه السلام يبكى خوفا من الشرط الذى اتخذ عليهم فيها، فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه، و الحواريون حوله يجدون رائحة طيبة، لم يجدوا رائحة مثلها قط، و خرّ عيسى عليه السلام و من معه ينظرونها، فإذا هى مغطاة بمنديل، فقال عليه السلام: من أجرؤنا على كشفه، و أوثقنا بنفسه، و أحسننا بلاء عند ربه، حتى نراها، و نحمد ربنا سبحانه و تعالى، و نأكل من رزقه الذى رزقنا؟ فقالوا: يا روح الله و كلمته، أنت أولى بذلك، فقام و استأنف و ضوءا جديدا، ثم دخل مصلاها، فصلّى ركعات، ثم بكى طويلا، و دعا الله تعالى أن يأذن له فى الكشف عنها، و يجعل له و لقومه فيها بركة و رزقا، ثم انصرف و جلس حول السفرة و تناول المنديل، و قال: بسم الله خير الرازقين، و كشف عنها، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير «١»، و ليس فى (١) أى قشر، فى رواية البغوى: ليس عليها فلو سها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٢

جوفها شوكة، يسيل السمن «١» منها، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث، و عند رأسها خل، و عند ذنبها ملح، و حول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، و على الآخر تمرات، و على الآخر خمس رمانات، و فى رواية: على واحد منها زيتون، و على الثانى عسل، و على الثالث سمن، و على الرابع جبن، و على الخامس قديد «٢». فقال شمعون - رأس الحواريين - لعيسى: يا روح الله و كلمته، أم من طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات، و تنتهوا عن تنقير المسائل؟! ما أخوفنى عليكم أن تعاقبوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال له شمعون: لا و إله إسرائيل ما أردت بهذا سؤالاً «٣» يا ابن الصديقه، فقال عيسى عليه السلام: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا، و لا من طعام الجنة، إنما هو شيء ابتدعه الله فى الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة.

فقالوا: يا روح الله و كلمته، إنا نحب أن يرينا الله آية فى هذه الآية، فقال عليه السلام:

سبحان الله تعالى أما اكتفيتم؟! ثم قال: يا سمكة عودى ياذن الله تعالى حيّة كما كنت، فأحياها الله، و عادت حيّة طريّة. يا سمكة عودى ياذن الله تعالى كما كنت مشويّة، فعادت، ثم دعاهم إلى الأكل فامتنعوا، حتى يكون هو البادئ، فأبى، ثم دعا لها الفقراء و الرّمنى، و قال: كلوا من رزق ربكم، و دعوة نبيكم، و احمداوا الله تعالى الذى أنزلها لكم؛ فيكون مهتوها لكم، و عقوبتها على غيركم، و افتتحوا أكلكم: باسم الله تعالى، و اختتموه: بحمد الله. ففعلوا، فأكل منها ألف و ثلاثمائة (١) أى الدهن لسمنها.

(٢) قديد: أى لحم مجفف.

(٣) لعل مراده سؤال تعنت؛ وأنهم لا يريدون بالسؤال أن يطعمهم الله من رزقه وخيره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٣

إنسان: بين رجل و امرأة، يصدرن عنها كل واحد منها شعبان يتجشأ. و نظر عيسى و الحواريون، فإذا ما عليها كهيته إذ نزلت من السماء، لم ينقص منها شيء، ثم إنها رفعت إلى السماء و هم ينظرون، فاستغنى كل فقير أكل منها، و برئ كل من أكل منها، و ندم الحواريون و أصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سألت منها أشفارهم، و بقيت حسرتها فى قلوبهم، إلى يوم الممات «١».

و كانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل إليها بنو إسرائيل يسعون من كل مكان، يزاحم بعضهم بعضا. فلما رأى ذلك، جعلها نوبا تنزل يوما و لا تنزل يوما، و مكثوا على ذلك أربعين يوما، تنزل عليهم غنبا، عند ارتفاع النهار، فلا تزال موضوعة يؤكل منها، حتى إذا قالوا «٢» ارتفعت عنهم إلى جو السماء، و هم ينظرون إلى ظلها فى الأرض، حتى تتوارى عنهم «٣».

فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: أن اجعل رزقى لليتامى، و المساكين، و الزمنى دون الأغنياء من الناس. فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء، و غمصوا ذلك، حتى شكوا فيها فى أنفسهم، و شككوا فيها الناس، و أذاعوا فى أمرها القبيح، و المنكر، و أدرك الشيطان منهم حاجته، و قذف و ساوسه فى قلوب المرتابين. فلما علم عيسى ذلك منهم قال: هلكتم و إله المسيح، سألتكم نبيكم أن يطلب المائدة لكم إلى ربكم، فلما فعل، و أنزلها عليكم رحمة و رزقا، و أراكم فيها الآيات و العبر، كذبتم بها، و شككتم فيها؛ فأبشروا بالعذاب، فإنه نازل بكم إلاً (١) هذا مما يضعف القصة و يدل على الاختلاق، و إلاً فكيف يطلبونها، ثم يمتنعون عن الأكل؛ لأن عيسى لم يبدأ به؟

(٢) من القيلولة: الراحة وسط النهار.

(٣) القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على أن المائدة لم تنزل إلا مرة واحدة، و هذا يدل على تكرار نزولها، و هذا أيضا يدل على اختلاق تفاصيل القصة، و أنها من تزييدات بنى إسرائيل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٤

أن يرحمكم الله تعالى. و أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إئتى آخذ المكذبين بشرطى، فإئتى معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. فلما أمسى المرتابون بها، و أخذوا مضاجعهم فى أحسن صورة مع نسائهم آمنين، فلما كان فى آخر الليل مسحهم الله خنازير، فأصبحوا يتبعون الأقدار فى الكناسات.

قال ابن كثير فى تفسيره بعد ذكره: «هذا أثر غريب «١» جدا قطعه ابن أبى حاتم فى مواضع من هذه القصة، و قد جمعت أنا ليكون سياقه أتم، و أكمل، و الله سبحانه و تعالى أعلم».

و من هذه الروايات الغريبة دخل البلاء على الإسلام و المسلمين؛ لأن غالبها لا يصح، و لذا قال الإمام أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، و عامتها عن الضعفاء».

و قال الإمام مالك: «شر العلم الغريب، و خير العلم الظاهر الذى قد رواه الناس».

و قال ابن المبارك: «العلم: الذى يجيئك من هاهنا و هاهنا» يعنى المشهور الذى رواه الكثيرون. رواها البيهقى فى المدخل، و روى عن الزهرى أنه قال:

«ليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف و تواطأت عليه الألسن» «٢».

و العمدة أن أصل القصة ثابت بالقرآن الذى لا شك فيه، و إنما موضع الشك فى كل هذه التزييدات التى هى من الإسرائيليات. (١) الغريب: ما تفرّد به رواه فى كل السند أو بعضه، و منه الصحيح، و منه غير الصحيح و هو الغالب و الكثير.

(٢) تدريب الراوى، ص ١٩٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٥

وقد ذكر المفسرون جميعا كل ما يدور حول قصية المائدة، و إن اختلفوا في ذلك قلّة و كثرة «١». و العجب أن أحدا لم يتبه على أصل هذه المرويّات، و المنبع الذي نبت منه، حتى ابن كثير و الآلوسى - و إن كان ابن كثير قد أشار من طرف خفي إلى عدم صحّة معظم ما روى - و لعلمهم اعتبروا ذلك مما يباح روايته، و يحتمل الصدق و الكذب، فذكروه من غير إنكار له؛ و كان عليهم أن يتزّهوا التفسير عن هذا و أمثاله.

و قد شكك في القصة الطويلة التي اختصرناها أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، فقال: قلت: في هذا الحديث مقال، و لا يصح من قبل إسناده «٢».

ثم عرض بعد لما روى مرفوعا، و موقوفا، و ذكر ما قاله الإمام أبو عيسى الترمذى: من أن الموقوف أصحّ، و أن المرفوع لا أصل له «٣».

قال أبو شهبه: و لأجل أن نكون على بينة من أن تفسير الآيات، و الانتفاع بها، و الاهتداء بهديها ليس متوقفا على ما رووا من أخبار، و قصص، نفس لك الآيات (١) انظر تفسير الطبرى، ج ٧، ص ٧٨ و تفسير الدر المنثور، ج ٢، ص ٣٤٦ و تفسير الزمخشري، ج ١، ص ٦٩٣ و ٦٩٤ و التفسير الكبير، ج ١٢، ص ١٢٨-١٣٤ و تفسير أبي السعود عند تفسير الآيات، ج ٣، ص ٩٦-٩٧، و تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ١١٦-١١٩ و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٧٨-٨٠ و الآلوسى، ج ٧، ص ٦٢-٦٥ و القرطبي، ج ٦، ص ٣٦٩-٣٧٢ إلا أنه قال: في هذا الحديث مقال، و لا يصح من قبل إسناده.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٣٧٢، ط الأولى.

(٣) هذه العبارة تطلق عند بعض المحدثين على ما هو موضوع و ليس من شك في أن رفع هذا إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إن كان عمدا فهو كذب و اختلاق عليه، و إن كان غلطا و سهوا فهو ملحق بالوضع، كما نبه إليه أئمة علوم الحديث كابن الصلاح و غيره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٦

تفسيرا صحيحا، كما هو منهجنا في كل ما عرضنا له، فأقول و بالله التوفيق:

قال الله تعالى: إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ «١» إذ: ظرف لما مضى من الزمان، و هو مفعول لفعل محذوف، و التقدير: اذكر يا محمد ما حدث في هذا الزمن البعيد ليكون دليلا على صدق نبوتك، فما كنت معهم، و لا صاحبت أهل الكتاب، و لم تكن قارئا، و لا كاتباً.

الحواريون: جمع حواري، و هم المخلصون الأصفياء من أتباع عيسى عليه السلام و يطلق أيضا على الأصحاب المخلصين من أتباع الأنبياء.

المائدة: الخوان: الذي عليه الطعام، فإن لم يكن عليها طعام فهو خوان.

السماء: إما المعروفة أو المراد بها جهة العلو، فإنها قد تطلق و يراد بها كل ما علا.

و ليس المراد بالاستفهام هو أصل الاستطاعة، و أنهم ما كانوا يعلمون هذا؛ لأن السائلين كانوا مؤمنين، عارفين، عالمين بالله و صفاته، بل في أعلى درجات هذه الصفات. و إنما المراد بالسؤال: الإنزال بالفعل، من قبيل إطلاق السبب و إرادة المسبب، و المعنى: هل يجيبنا ربك - يا نبينا عيسى - إلى ذلك أم لا؟

و قال بعض العلماء: ليس ذلك بشك في الاستطاعة، و إنما هو تلطف في السؤال، و أدب مع الله تعالى بهذه الصيغة المهدّبة، كقول الرجل لآخر: هل تستطيع أن تعتبنى على كذا، و هو يعلم أنه يستطيع.

و أما قول من قال: إنه من قول من كان مع الحواريين، فبعيد لخروجه عن ظاهر الآية، و لا سيما أن تفسير الآية مستقيم غاية الاستقامة،

على ما ذكرنا.

و هذا السؤال إما لفقرهم و حاجتهم، و إما لتعرف فضل نبيهم عيسى، (١) المائدة/ ١١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٧

و فضلهم و كرامتهم عند ربهم.

و أما ما روى: أن عيسى أمرهم بصيام ثلاثين يوماً، ثم ليسألوا ربهم ما يشاءون، فصاموا و سألوا، فلست منه على ثلج قال: اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُومَ الْمُؤْمِنِينَ.

ليس هذا شكاً في إيمانهم، و إنما هو أسلوب معهود، حملاً على التقوى، كما قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين، من هذه الأمة المحمدية: وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّ كُتُومَ الْمُؤْمِنِينَ «١»، و المعنى: اتقوا الله و لا تسألوه، فعسى أن يكون فتنة لكم، و توكلوا على الله في طلب الرزق، أو اتقوا الله، و دعوا كثرة السؤال، فإنكم لا تدرون ما يحلّ بكم عند اقتراح الآيات؛ لأن الله سبحانه إنما يفعل الأصلاح لعباده، إِنَّ كُتُومَ الْمُؤْمِنِينَ من أهل الإيمان بالله، و رسله، و لا سيما أنه سبحانه آتاكم من الآيات ما فيه غنيه عن غيره قالوا نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا بدءوا بالغذاء المادى، ثم ثنوا بالغذاء الروحى، فقالوا: وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا، و هو مثل قول الخليل إبراهيم عليه السلام: وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي «٢».

وَ نَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْنَا أَى نَزَادَ عِلْمَا، و يقينا بصدقك، و حقيقة رسالتك و نَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ أَى الْمُقَرَّبِينَ الْمُعْتَرِفِينَ لِلَّهِ بِالوَحْدَانِيَّةِ، و لك بالنبوة و الرسالة، أو من الشاهدين عليها لمن لم يرها و يعاينها.

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا و آخرنا «٣».

العيد: يوم الفرح و السرور، لأولنا: لأول أمتنا و آخرنا: لآخر أمتنا، (١) الأنفال/ ١.

(٢) البقرة/ ٢٦٠.

(٣) المائدة/ ١١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٨

أو لنا، و لمن بعدنا.

وَ آيَةٌ مِنْكَ أَى دَلِيلَا، و حجة على قدرتك، على كل شىء، و على إجابتك لدعوتى، فيصدقونى فيما أبلغه عنك، و أَرْزُقْنَا أَى من عندك رزقا هنيئاً لا كلفه فيه، و لا تعب، وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ أَى خير من أعطى و رزق؛ لأنك الغنى الحميد.

قال الله إني منزّلها عليكم فمن يكفر بعدئذ منكم فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين «١»، أَى فمن يكفر، أَى يكذب بها من أمتك يا عيسى، و عاندها، فأني أعذبه عذاباً، لا أعذبه أحداً من عالمى زمانكم. و هذا على سبيل الوعيد لهم، و التهديد. و ليس فى الآية ما يدل على أنهم كفروا، و لا- على أن غيرهم قد كفر بها، و لا- على أنهم استعفوا من نزول المائدة، و إنما الذى دعا بعض المفسرين إلى هذه الأقوال، ما سمعت من الروايات الإسرائيلية، و ها نحن قد فسرنا الآيات تفسيراً علمياً صحيحاً من غير حاجة ما إلى ما روى، مما يدلّ دلالة قاطعة على أن مفسر القرآن فى غنيه عن الإسرائيليات التى شوّهت جمال القرآن و جلاله.

١١- الإسرائيليات فى «سؤال موسى ربه الرؤيه»

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ، قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قال لَنْ تَرَانِي، وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَ خَرَّ (١) المائدة/ ١١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٩

موسى صيغاً فلما أفاق قال سبحانه تبت إليك و أنا أول المؤمنين «١»، فقد ذكر الثعلبى، و البغوى، و غيرهما عن وهب بن متهب، و

ابن إسحاق، قال:

«لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الدواب، و الصواعق، و الظلمة، و الرعد، و البرق و أحاط بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، و أمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران «٢» البقر، تتبع أفواههم بالتسييح و التقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه. فهبطوا عليه أمثال الأسود، لهم لجب «٣» بالتسييح و التقديس، ففزع العبد الضعيف (ابن عمران) مما رأى، و سمع، و اقشعرت كل شعرة في رأسه و جسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتى، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه؟ فقال له خير الملائكة «٤» و رأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه.

فهبطوا أمثال النسور، لهم قصف، و رجف، و لجب شديد، و أفواههم تتبع بالتسييح، و التقديس كجلب الجيش العظيم، ألوانهم كلب النار. ففزع موسى، و اشتد فزعه، و أيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران. (١) الأعراف / ١٤٣.

(٢) جمع ثور، و هذا من سوء أدب بنى إسرائيل مع الملائكة.

(٣) اللجب: تزامم الأصوات. و يقال لصهيل الفرس ايضا.

(٤) هو جبريل عليه السلام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٠

فهبطوا عليه، لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلب النار، و سائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتقديس و التسييح، لا يقاربههم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم؛ فاصطكت ركبته، و ارتعد قلبه، و اشتد بكأؤه، فقال له خير الملائكة و رأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى.

فهبطوا عليه، لهم سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم، و لم يسمع مثل أصواتهم؛ فامتلاً جوفه خوفاً، و اشتد حزنه، و كثر بكأؤه، فقال له خير الملائكة و رأسهم: يا ابن عمران مكانك، حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه.

فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوءاً من الشمس، و لباسهم كلب النار، إذ سبّحوا و قدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سبح قدوس، رب الملائكة و الروح، رب العزة أبدا لا يموت. و في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه. فلما رأهم موسى رفع صوته، يسبح معهم حين سبّحوا، و هو يبكي و يقول: رب اذكرني و لا تنس عبدك، لا أدري أ أنفقت مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت احترقت، و إن مكثت مت، فقال له كبير الملائكة و رأسهم: قد أوشكت «١» يا ابن عمران أن يشتد خوفك، و ينخلع قلبك، فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة، فلما بدا نور العرش، انفرج (١) لا أدري كيف يتفق هذا و ما ذكر من قبل من شدة خوفاً و فزعه في المرات الخمس و هذا من أمارات التهافت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩١

الجبل من عظمة الرب جلّ جلاله و رفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً، يقولون: سبحان الملك القدوس، رب العزة أبدا لا يموت، بشدة أصواتهم. فارتج الجبل، و اندكت كل شجرة كانت فيه، و خرّ العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح، فنجّشاه، و قلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، و جعله كهية القبة، لئلا يحترق موسى «١»، فأقام موسى

يَسْبِحُ اللَّهَ، و يقول: آمَنت بك ربِّي، و صدقت أنه لا- يراك أحد، فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك و أعظم ملائكتك، أنت رب الأرباب و إله الآلهة و ملك الملوك، و لا يعدلك شيء، و لا يقوم لك شيء، رب تبت إليك، الحمد لله لا شريك لك، ما أعظمك، و ما أجلك رب العالمين، فذلك قوله تعالى:

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، و بعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدى من نور الله، قال: و وقع في بعض التفاسير: طارت لعظمته ستة أجبل، وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد، و ودقان، و رضوى، و وقعت ثلاثة بمكة: ثور، و ثبير، و حراء «٢».

و هذه المرويات و أمثالها مما لا نشك أنها من إسرائيليات بنى إسرائيل، و كذبهم على الله، و على الأنبياء، و على الملائكة، فلا تلق إليه بالا. و ليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات، و الآية ظاهرة واضحة.

و من ذلك أيضا: ما ذكره الثعلبي، و البغوي، و الزمخشري في تفاسيرهم عند قوله تعالى: وَ خَرَّ مُوسَى صِعْقًا عَلَى مَغْشِيَا عَلَيْهِ، و ليس المراد ميتا كما قال قتادة. (١) و هذا تهافت آخر، و أماره من أمارات الاختلاق؛ أليس الله بقادر على حمايته من غير الروح، و الحجر؟

(٢) تفسير البغوي، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٢

فقد قال البغوي، في بعض الكتب: إن ملائكة السماوات أتوا موسى و هو مغشى عليه، فجعلوا يركلونه بأرجلهم، و يقولون: يا ابن النساء الحيض، أطمعت في رؤية رب العزة؟! «١»!! و ذكر مثل هذا الزمخشري في تفسيره «٢».

و هذا و أمثاله مما لا- نشك أنه من الإسرائيليات المكذوبة، و موقف بنى إسرائيل من موسى، و من جميع أنبياء الله معروف، فهم يحاولون تنقيصهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

و قال الألوسي في تفسيره: «و نقل بعض القصاصين، أن الملائكة كانت تمرّ عليه حينئذ، فيلكزونه بأرجلهم، و يقولون: يا ابن النساء الحيض، أطمعت في رؤية ربّ العزة؟» و هو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه، فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانته الكليم بالوكر بالرجل، و الغض في الخطاب «٣».

١٢- الإسرائيليات في ألواح التوراة

و من الإسرائيليات ما ذكره الثعلبي و البغوي، و الزمخشري، و القرطبي و الألوسي و غيرهم، عند تفسير قوله تعالى: وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ، وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَا أُخِذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ «٤». (١) تفسير البغوي، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) تفسير الكشاف عند تفسير قوله تعالى: وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) تفسير الألوسي، ج ٩، ص ٤٦، ط منير.

(٤) الأعراف / ١٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٣

فقد ذكر في الألواح: مم هي؟ و ما عددها؟ أقوالا كثيرة عن بعض الصحابة و التابعين، و عن كعب و وهب، من أهل الكتاب الذين أسلموا، مما يشير إلى منبع هذه الروايات، و أنها من إسرائيليات بنى إسرائيل، و فيها من المرويات ما يخالف المعقول و المنقول، و إليك ما ذكره البغوي في هذا، قال:

قوله تعالى: وَ كَتَبْنَا لَهُ، يعني لموسى في الألواح، قال ابن عباس:

يريد ألواح التوراة، و

في الحديث: «كانت من سدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً»

، و جاء

في الحديث: «خلق الله آدم بيده، و كتب التوراة بيده، و غرس شجرة طوبى بيده» (١).

و قال الحسن: كانت الألواح من خشب، و قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء.

و قال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، و قال الربيع: كانت الألواح من برد (٢).

و قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن، و كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، و استمد من نهر النور!!

و قال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء، لئنها لله له، فقطعها بيده، ثم شققها بيده، و سمع موسى صرير القلم بالكلمات

العشر، و كان ذلك في أول (١) لم يخرج البغوى - كما هي عادته - الحديثين و لم يبرز سندهما، و قد ذكر الآلوسى أن الحديث

الأول رواه ابن أبي حاتم، و اختار القول به إن صح السند إليه، و أما الحديث الثانى فقال: إنه مروى عن عليّ، و عن ابن عمر، و عن

غيرهما من التابعين (تفسير الآلوسى، ج ٧، ص ٥٧).

(٢) الظاهر أنها بضم الباء و سكون الراء: الثوب المختط، و إلّا فلو كانت من يرد - بفتح الباء و الراء - حبات الثلج فكيف يكتب عليها؟

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٤

يوم من ذى القعدة، و كانت الألواح عشرة أذرع، على طول موسى!!

و قال مقاتل و وهب: وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ: كَنَقَشَ الْخَاتَمَ.

و قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة و هي سبعون وقر بعير، يقرأ الجزء منه فى سنه، لم يقرأها إلّا أربعة نفر: موسى، و يوشع، و عزير، و

عيسى (١).

فكل هذه الروايات المتضاربة التى يرد بعضها بعضاً مما نحيل أن يكون مرجعها المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم و إنما هى من

إسرائيليات بنى إسرائيل، حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين بحسن نية، و ليس تفسير الآية متوقفاً على كل هذا الذى روه. و من

ذلك: ما يذكره بعض المفسرين فى قوله تعالى: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ، فقد جعلوا التوراة مشتملة على كل ما كان

و كل ما يكون، و هذا مما لا يعقل، و لا يصدق، فمن ذلك: ما ذكره الآلوسى فى تفسيره، قال: و ما أخرجه الطبرانى، و البيهقى فى

«الدلائل» عن محمد بن يزيد الثقفى، قال: اصطحب قيس بن خرشة، و كعب الأخبار حتى إذا بلغا صفيين، وقف كعب، ثم نظر ساعة،

ثم قال: ليهرقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شىء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله.

فقال قيس: ما يدريك؟ فإن هذا من الغيب الذى استأثر الله تعالى به!؟

فقال كعب: ما من الأرض شبر إلّا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله تعالى على موسى، ما يكون عليه، و ما يخرج منه إلى يوم القيامة!!

و هو من المبالغات التى روى أمثالها عن كعب و لا نصدق ذلك، و لعلها من الكذب الذى لاحظته عليه، معاوية بن أبى سفيان على ما

أسلفنا سابقاً، و لا يعقل قط أن يكون فى التوراة كل أحداث الدنيا إلى يوم القيامة. (١) لا أدرى كيف يقبل عقل أنها حمل سبعين

بعيراً، و إذا لم يقرأها إلّا أربعة، فلما ذا أنزلها الله؟

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٥

و المحققون من المفسرين سلفاً و خلفاً، على أن المراد أن فيها تفصيلاً لكل شىء، مما يحتاجون إليه فى الحلال و الحرام، و المحاسن

و القبائح مما يلائم شريعة موسى و عصره، إلّا فقد جاء القرآن الكريم بأحكام و آداب، و أخلاق، لا توجد فى التوراة قط.

و قد ساق الآلوسى هذا الخبر، للاستدلال به لمن يقول: إن كل شىء عام، و كأنه استشعر بعده، فقال عقبه: «و لعل ذكر ذلك من باب

الرمز، كما ندعيه فى القرآن». (١)

و لا بد أن نقول للآلوسى و من لفّ لفّه: إن هذا مردود و غير مقبول، و نحن لا نسلم بأن فى القرآن رموزاً، و إشارات لأحداث، و إن

قاله البعض، و الحق أحق أن يتبع.

١٣- إسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما ألقى الألواح

و من الإسرائيليات ما رواه ابن جرير في تفسيره، و البغوى في تفسيره، و غيرهما، في سبب غضب سيدنا موسى عليه السلام حتى ألقى الألواح من يديه؛ و ذلك في قوله تعالى: **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ؟ وَ أَلْقَى الْأَلْوَحَ «٢»** وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَوْا سَبِيلَ الْكُفْرِ وَ كَادُوا يَاقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِثْ بَنِي الْأَعْدَاءِ وَ لَا تَجْعَلْنِي (١) تفسير الآلوسى، ج ٩، ص ٥٦ و ٥٧، ط منير.

(٢) طرحها و ألقى بها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٦

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «١».

فقد روى عن قتادة أنه قال: نظر موسى في التوراة، فقال: ربّ إنى أجد في الألواح أمية خير أمه أخرجت للناس، يأمرهم بالمعروف و ينهون عن المنكر، اجعلهم أمتى. قال: تلك أمه أحمد، قال: ربّ إنى أجد في الألواح أمية هم الآخرون- أى آخرون في الخلق- سابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمية أحمد، قال: ربّ إنى أجد في الألواح أمية أناجيلهم في صدورهم، يقرءونها، و كان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا، حتى إذا رفقوها، لم يحفظوا شيئا، و لم يعرفوه، و إن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم، قال: رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمية أحمد، قال: ربّ إنى أجد في الألواح أمه يؤمنون بالكتاب الأول، و بالكتاب الآخر، و يقاتلون فصول الضلالة، حتى ليقاتلون الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتى، قال: تلك أمه أحمد، قال: ربّ إنى أجد في الألواح أمية صدقاتهم يأكلونها في بطونهم و يؤجرون عليها، و كان من قبلهم إذا تصدق بصدقة، فقبلت منه بعث الله نارا فأكلتها، و إن ردت عليه تركت، فتأكلها السباع و الطير، و إن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم، قال: رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمه أحمد، قال: ربّ إنى أجد في الألواح أمه، إذا هم أحدهم بحسنه ثم لم يعملها كتبت له حسنه، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائته، رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمه أحمد، قال: ربّ إنى أجد في الألواح أمه هم المشفقون، و المشفوع لهم، فاجعلهم أمتى، قال: تلك أمه أحمد.

قال قتادة: فذكر لنا أن نبى الله موسى نبذ الألواح، و قال: اللهم اجعلنى من أمه محمد. (١) الأعراف / ١٥٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٧

لا شك أن آثار الوضع و الاختلاق بادية عليه، و السند مطعون فيه، و هى أمور مأخوذة من القرآن، و الأحاديث، ثم صيغت هذه الصياغة المريبة، و جعلت على لسان موسى عليه السلام و الظاهر المتعين أن إلقاء سيدنا موسى بالألواح إنما كان غضبا و حمية لدين الله، و غيره لانتهاك حرمة توحيد الله تبارك و تعالى.

و إليك ما قاله ابن كثير في تفسيره «١»، قال: ثم ظاهر السياق أنه- أى سيدنا موسى- ألقى الألواح غضبا على قومه، و هذا قول جمهور العلماء سلفا و خلفا.

و روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة.

و قد رده ابن عطية، و غير واحد من العلماء، و هو جدير بالرد، و كأنه تلقاه الناقل عن بعض أهل الكتاب، و فيهم كذابون، و وضاعون، و أفاكون، و زنادقة.

و صدق ابن كثير فيما قال، و يرجح أن يكون من وضع زنادقتهم كى يظهروا الأنبياء بمظهر المتحاسدين، لا بمظهر الإخوان المتحابين. و قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: **وَ أَلْقَى الْأَلْوَحَ** أى مما اعتراه من الغضب و الأسف، حين أشرف على قومه، و هم عاكفون

على عبادة العجل، و على أخيه فى إهمال أمرهم، قاله سعيد بن جبيرة؛ و لذا قيل: «ليس الخبر كالمعاينة»، و لا التفات لما روى عن قتادة إن صح، و لا يصح، أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى فيها من فضيلة أمه محمد صلى الله عليه و آله و سلم و لم يكن ذلك لأتمته، و هذا قول ردى لا ينبغى أن يضاف إلى موسى عليه السلام «٢».

و مما يؤيد أنه من وضع بعض الإسرائيليين الدهاء: أن نحواً من هذا المروى عن قتادة قد رواه الثعلبى و تلميذه البغوى عن كعب الأحبار، و لا خلاف إلّا فى (١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٤٨ و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٠٢. (٢) تفسير القرطبى، ج ٧، ص ٢٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٨

تقديم بعض الفضائل و تأخير البعض الآخر، إلّا أنه لم يذكر إلقاء الألواح فى آخره:

«فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمداً و أمته قال: يا ليتنى من أصحاب محمد، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: يا موسى إني اضبطت كتابك على الناس برسالاتي و بكلامي إلى قوله: دار الفاسقين: و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون «١» قال: فرضى موسى كل الرضاء.

١٤- إسرائيلييات و خرافات فى بنى إسرائيل

إشارة

و من الإسرائيليات و الخرافات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: «و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون «٢»». فقد ذكر ابن جرير فى تفسير «٣» هذه الآية خبراً عجيباً، فقال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله: «و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون».

قال: بلغنى أن بنى إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، و كفروا، و كانوا اثنى عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، و اعتذروا و سألوا الله عز و جل أن يفرق بينهم، و بينهم، ففتح الله لهم نفقا فى الأرض، فساروا، حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا. (١) الأعراف / ١٤٤ و ١٤٥ و ١٥٩.

(٢) الأعراف / ١٥٩.

(٣) تفسير الطبرى، ج ٩، ص ٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٩

قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: «و قلنا من بعده لئبى إسرائيل اشكونا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم ليفياً «١»». و وعد الآخرة: عيسى بن مريم.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا فى السرب سنة و نصفاً، و قال ابن عيينة، عن صدقه، عن أبى الهذيل، عن السدى: «و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون «٢» قال: قوم بينكم و بينهم نهر من شهد، و قد وصف ابن كثير ما رواه ابن جريج: بأنه خبر عجيب!! و

قال البغوى فى تفسيره «٣»: قال الكلبي، و الضحاك و الربيع: هم قوم خلف الصين، بأقصى الشرق، على نهر مجرى الرمل، يسمى نهر أردن، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل، و يسقون بالنهار، و يزرعون، لا يصل إليهم منا أحد، و هم على دين الحق، و ذكر: أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم ليلة أسرى به إليهم، فكلّمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمد النبي الأمي، فآمنوا به، فقالوا: يا رسول الله، إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه منى السلام، فردّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم على موسى و عليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، و

أمرهم بالصلاة و الزكاة، و أمرهم أن يقيموا مكانهم، و كانوا يستون «٤»، فأمرهم أن يجمعوا، و يتركوا السبت. و قيل: هم الذين أسلموا من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الأول أصح!! (١) بنى إسرائيل / ١٠٤. (٢) الأعراف / ١٥٩.

(٣) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٤) أى يعظمون السبت كاليهود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٠

و هى من خرافات بنى إسرائيل و لا- محالة، و العجب من البغوى أن يجعل هذه الأكاذيب أصح من القول الآخر الذى هو أجدر بالقبول و أولى بالصحة، و نحن لا نشك فى أن ابن جريج و غيره ممن رووا ذلك، إنما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و لا يمكن أبدا أن يكون متلقيا عن المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم. و قال الألوسى، بعد ذكر ما ذكرناه: «و ضعّف هذه الحكاية ابن الخازن، و أنا لا أراها شيئا، و أظنك لا تجد لها سندا يعول عليه و لو ابتغيت نفقا فى الأرض، أو سلما فى السماء» (١).

التفسير الصحيح للآية

و الذى يترجّح عندنا: أن المراد بهم أناس من قوم موسى عليه السلام اهدوا إلى الحق، و دعوا الناس إليه، و بالحق يعدلون فيما يعرض لهم من الأحكام و القضايا، و أنّ هؤلاء الناس وجدوا فى عهد موسى، و بعده، بل و فى عهد نبينا صلى الله عليه و آله و سلم و قد بين الله تبارك و تعالى بهذا: أن اليهود و إن كانت الكثرة الكاثرة فيهم تجحد الحق و تنكره، و تجور فى الأحكام، و تعادى الأنبياء، و تقتل بعضهم، و تكذب البعض الآخر، و فيهم من شكاسة الأخلاق و الطباع، ما فيهم، فهناك أمه كثيرة منهم: يهدون بالحق، و به يعدلون، فهم لا يتأبون عن الحق، ففيه شهادة و تركية لهؤلاء، و تعريض بالكثرة الغالبة منهم، التى ليست كذلك، و التى جحدت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم فيمن جحدها من طوائف البشر، و ناصبته العداوة و البغضاء، و هو ما يشعر به قوله سبحانه قبل: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ (١) تفسير الألوسى، ج ٩، ص ٨٤ و ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠١

تَهْتَدُونَ (١)، و بذلك تظهر المناسبة بين هذه الآية و التى قبلها مباشرة، و الآيات التى قبل ذلك.

أما ما ذكره فليس هناك ما يشهد له من عقل، و لا نقل صحيح، بل هو يخالف الواقع الملموس، و المشاهد المتيقن، و قد أصبحت الصين و ما وراءها معلوما كل شبر فيها، فأين هم؟، ثم ما هذا النهر من الشهد؟! و ما هذا النهر من الرمل؟! و أين هما؟! ثم أى فائدة تعود على الإسلام و المسلمين من التمسك بهذه الروايات التى لا خطام لها، و لا زمام؟!، و ما ذا يكون موقف الداعية إلى الإسلام فى هذا العصر الذى نعيش فيه، إذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة؟! إن هذه الروايات لو صحت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول، و المشاهد الملموس ما يجعلنا فى حلّ من عدم قبولها، فكيف و أسانيدها ضعيفة واهية؟! و قد تبّهنا غير مرة أن كونها صحيحة السند فرضا لا ينافى كونها من الإسرائيليات.

١٥- الإسرائيليات فى نسبة الشرك إلى آدم و حواء

إشارة

و من الروايات التى لا تصحّ، و مرجعها إلى الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا «٢» فَلَمَّا تَغَشَّاهَا «٣» حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١) الأعراف / ١٥٨.

(٢) ليجد فيها سكن النفس وطمأنينة القلب.

(٣) أى: باشرها كما باشر الرجل زوجته.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٢

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «١».

و هذه الآية تعتبر من أشكال آيات القرآن الكريم؛ لأن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم و حواء، و ذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين: من أن المراد بالنفس الواحدة: نفس آدم عليه السّلام و بقوله: وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا حِوَاءَ. و قد أول العلماء المحققون الآية تأويلاً يتفق و عصمة الأنبياء فى عدم جواز إسناد الشرك إليهم عليهم السلام كما سنين ذلك.

الحديث المرفوع، و الآثار الواردة فى هذا

و قد زاد الطين بله ما ورد من الحديث المرفوع، و بعض الآثار عن بعض الصحابة و التابعين، فى تفسير قوله تعالى: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

و قد اغترّ بهذه الروايات كثير من المفسرين، كابن جرير «٢»، و الثعلبى، و البغوى «٣» و القرطبى «٤»، و إن كان قد ضعف الروايات، و لم تركن نفسه إليها، و اعتبرها من الإسرائيليات، و صاحب «الدر المنثور» «٥».

و العجيب أن مفسراً معروفاً له فى ردّ الموضوعات و الإسرائيليات يد طولى، و هو الآلوسى قد انخدع بهذه المرويات، فقال: «و هذه الآية عندى من (١) الأعراف / ١٨٩ و ١٩٠.

(٢) تفسير الطبرى، ج ٩، ص ٩٧.

(٣) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٢١.

(٤) تفسير القرطبى، ج ٧، ص ٣٣٨ و ٣٣٩.

(٥) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٣

المشكلات، و للعلماء فيها كلام طويل، و نزاع عريض، و ما ذكرناه هو الذى يشير إليه الجبائى، و هو مما لا بأس به بعد إغضاء العين عن مخالفته للمرويات».

ثم قال: «و قد يقال: أخرج ابن جرير عن الحبر: أن الآية نزلت فى تسمية آدم، و حواء و لديهما بعبد الحارث، و مثل ذلك لا يكاد يقال من قبل الرأى، و هو ظاهر فى كون الخبر تفسيراً للآية. و أنت قد علمت أنه إذا صح الحديث فهو مذهبي، و أراه قد صح، و لذلك أحجم كميّ قلمي عن الجرى، فى ميدان التأويل، كما جرى غيره، و الله تعالى الموفق للصواب» «١».

و بعض المفسرين أعرض عن ذكر هذه المرويات، و ذلك كما صنع صاحب «الكشاف»، و تابعه النسفى.

و بعض المفسرين عرض لها، ثم بيّن عدم ارتضائه لها، و ذلك كما صنع القرطبى فى تفسيره، فقال: و نحو هذا مذکور فى ضعيف الحديث، و فى الترمذى و غيره، و فى الإسرائيليات كثير ليس لها إثبات، فلا يعول عليها من له قلب، فإن آدم و حواء، و إن غرّهما بالله الغرور،

فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

، على أنه قد سطر، و كتب، قال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خدعهما مرتين: خدعهما في الجنة، و خدعهما في الأرض» (٢).

ولكن فارس هذه الحلبه و هو ابن كثير، فقد نقد المرويات نقدا علميا أصيلا، على مناهج المحدثين و طريقتهم في نقد الرواه، و بين أصل هذه المرويات، و أن مرجعها إلى الإسرائيليات. (١) تفسير الآلوسى، ج ٩، ص ١٣٩ و ١٤٢.
(٢) تفسير القرطبي، ج ٧، ص ٣٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٤

و لنذكر كلام ابن كثير بنصه، و بطوله لنفاسته، و شدّة الحاجة إليه في هذا المقام، قال: يذكر المفسرون هاهنا آثارا، و أحاديث، سأوردها و أبين ما فيها، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك- إن شاء الله- و به الثقة.

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد (قال) «١»: حدثنا عمر بن إبراهيم، (قال): حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «و لما ولدت حواء طاف بها إبليس، و كان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش، و كان ذلك من وحى الشيطان و أمره»، و هكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار، عن عبد الصمد ابن عبد الوارث به «٢»، و رواه الترمذى في تفسير هذه الآيه، عن محمد بن المثنى، عن عبد الصمد، به، و قال: هذا حديث حسن غريب- يعنى انفرد به- راويه لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، و رواه بعضهم عن عبد الصمد، و لم يرفعه، يعنى لم ينسبه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و رواه الحاكم في مستدركه، من حديث عبد الصمد مرفوعا، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد «٣»، و لم يخرجاه، و رواه الإمام أبو محمد، ابن أبي حاتم، في تفسيره، عن أبي زرعة الرازى، عن هلال بن فياض، عن عمر بن إبراهيم به- أى ببقية السند- مرفوعا، و كذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه، في تفسيره، من حديث شاذ بن فياض، عن عمر بن إبراهيم مرفوعا. (١) جرت عادة المحدثين أن يحذفوا من الأساس لفظ (قال) خطأ، و لكنهم ينطقون بها عند الرواية، و قد ذكرناها خطأ حتى لا يشكل الأمر على قارئ السند.

(٢) يعنى ببقية السند المذكور أولا.

(٣) أى صحيح الإسناد على شرط البخارى و مسلم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٥

قلت:- أى ابن كثير- و شاذ هو: هلال، و شاذ لقبه.

و الغرض: أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى، و قد وثقه ابن معين، و قال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، و لكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعا.

الثانى: أنه قد روى من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعا، كما قال ابن جرير:

حدثنا ابن عبد الأعلى، (قال): حدثنا المعتمر عن أبيه، (قال): حدثنا بكر بن عبد الله، عن سليمان التيمى، عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب، قال:

«سمى آدم ابنه عبد الحارث».

و الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآيه بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع (قال): حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، قال: كان هذا فى بعض أهل الملل، و لم يكن بآدم. و حدثنا «١» محمد بن عبد الأعلى: (قال):

حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم، و من أشرك منهم بعده، يعنى: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا. و حدثنا «٢» بشر (قال): حدثنا يزيد، (قال): حدثنا سعيد عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود و النصارى، رزقهم الله أولادا،

فهو دوا و نصرّوا «٣». (١) القائل: و حدثنا هو ابن جرير.

(٢) راجع الهامش السابق.

(٣) فيه إشارة إلى

قوله صَلَّى الله عليه و آله «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه، أو يمجسانه» رواه البخارى و مسلم، و ما روى عن الحسن - رضى الله عنه - ليس اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تغاير فى اللفظ، و المدلول واحد أو متقارب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٦

و قال ابن كثير: و هذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضى الله عنه أنه فسر الآية بذلك، و هو من أحسن التفاسير، و أولى ما حملت عليه الآية، و لو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم لما عدل عنه هو، و لا غيره، و لا سيما مع تقواه لله، و ورعه.

فهذا يدلّك على أنه موقوف على الصحابي، و يحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب: من آمن منهم مثل كعب، أو وهب بن منبه و غيرهما، كما سيأتى بيانه، إلا أننا برثنا من عهده المرفوع، و الله أعلم «١».

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن سيار، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادا فيعبدهم لله، و يسميهم عبد الله، و عبيد الله و نحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس، فقال:

إنكما لو سميتما بغير الذى تسميانه به لعاش، قال: فولدت له رجلا، فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله يقول: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، و قال العوفى عن ابن عباس، قوله فى آدم: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، إلى قوله: فَمَرَّتْ بِهِ: شَكَّتْ أَحْمَلت أم لا؟ فَلَمَّا أَتَقَلَّتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا، الآية، فأتاها الشيطان، فقال: هل تدرين ما يولد لكما؟ أم هل تدرين ما يكون أ بهيمه، أم لا؟، و زين لهما الباطل، إنه غوى مبين، و قد كانت قبل ذلك ولدت ولدين، فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بى، لم يخرج سويا، و مات كما مات الأول، فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا الْآيَةَ.

و قال عبد الله بن المبارك، عن شريك، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن (١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٧٥ و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٢١ و ٢٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٧

ابن عباس فى قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلَمَّا تَعَشَّاهَا آدَمَ (حملت)، أتاهما إبليس - لعنه الله - فقال: إني صاحبكما الذى أخرجكما من الجنة، لتطيعانى، أو لأجعلنّ له قرنى أيل «١»، فيخرج من بطنك، فيشقه، و لأفعلن، و لأفعلن، يخوفهما، فسمياه «٢» عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت الثالثة، فأتاها أيضا فذكر لهما، فأدر كهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا. رواه ابن أبى حاتم.

و قد نسب هذا الأثر إلى ابن عباس و جماعة من أصحابه: كمجاهد، و سعيد بن جبير، و عكرمة. و من الطبقة الثانية: قتادة، و السدى، و غير واحد من السلف، و جماعة من الخلف. و من المفسرين من المتأخرين: جماعات لا يحصون كثرة. و كأن أصله مأخوذ من أهل الكتاب؛ فإنهم رَوَوْا عن ابن عباس عن أبى بن كعب، كما رواه ابن أبى حاتم، قال: حدثنا أبى، (قال): حدثنا أبو الجماهر، (قال): حدثنا سعيد - يعنى ابن بشير - عن عقبه، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، قال:

لَمَّا حَمَلت حَوَاءَ أَتَاهَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهَا: أَ تَطِيعِينِى وَ يَسْلَمُ لَكَ وَ لِدُكَ؟ سَمِيَهُ عَبْدِ الحَارِثِ، فَلَمْ تَفْعَلْ فَوَلَدتْ، فَمَاتتْ، ثُمَّ حَمَلتْ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ حَمَلتْ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَهَا فَقَالَ: إِنْ تَطِيعِينِى يَسْلَمُ، وَ إِلاَّ فَإِنَّهُ يَكُونُ بَهِيمَةً، فَهَيَّبَهُمَا، فَأَطَاعَا. (١) الأيل بضم الهمزة و كسرهما، و الياء فيها مشددة مفتوحة: ذكر الأوعال، و هو التيس الجبلى.

(٢) بصيغة الأمر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٨

قال: و هذه الآثار يظهر عليها- و الله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب. ثم بين أن أخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

١. فمنها: ما علمنا صحته مما بأيدينا من كتاب أو سنة.

٢. و منها: ما علمنا كذبه بما دلّ على خلافه من الكتاب و السنة أيضا.

٣. و منها: ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته

بقوله عليه السلام: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج» (١)، و هو الذى لا يصدق، و لا يكذب، قال: و هذا الأثر من الثانى أو الثالث، فيه نظر (٢).

قال: فأما من حدّث به من صحابى أو تابعى، فإنه يراه من القسم الثالث- يعنى ما يحتمل الصدق و الكذب- و أما نحن فعلى مذهب الحسن البصرى فى هذا، و أنه ليس المراد من هذا السياق: آدم و حواء، و إنما المراد من ذلك: المشركون من ذريته؛ و لهذا قال الله تعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) فذكر آدم و حواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين، و هو كالاتطراد من الشخص إلى الجنس. و هذا الذى ذهب إليه ابن كثير فى تخريج الحديث و الآثار، هو الذى يجب أن يصار إليه، و هو الذى ندين الله عليه، و لا سيما أن التفسير الحق للآيتين لا يتوقف على شىء مما روى.

و المحققون من المفسرين؛ منهم من نحا منحى ابن كثير، فجعل الآية الأولى (١) قد تكلمنا عن هذا الحديث، و أنه من ضرب الأمثال، كناية عن توسّعهم فى الفساد و العيث فى البلاد.

(٢) لا موضع لهذا التردد، بعد وضوح كونه أثرا مكذوبا محضا، حيث الأنبياء معصومون لا يحتمل بشأنهم شائبة شرك بالله العظيم!

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٧٥ و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٢١، ط المنار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٩

فى آدم و حواء، و جعل قوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا الآية فى المشركين من ذريتهما، أى جعل أولادهما شركاء لله فيما آتاهما، و المراد بهم: الجنس، أى جنس الذكر و الأنثى، فمن ثم حسن قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ بالجمع، و يكون هذا الكلام من الموصول لفظا المفصول معنى. و منهم من جعل الآيتين فى ذرية آدم و حواء، أى خلقكم من نفس واحدة، و هى نفس الذكر، و جعل منها، أى من جنسها زوجها، و هى الأنثى، فلما آتاهما صالحا، أى بشرا سويا كاملا، جعل أى الزوجان الكافران لله شركاء فيما آتاهما؛ و بذلك أبد لا شكر الله كفرانا به و جحودا، و على هذا لا يكون لآدم و حواء ذكر ما فى الآيتين. و هنالك تفاسير أخرى، لسنا منها على ثلج، و لا طمأنينة (١).

١٦- الإسرايلىيات فى سفينة نوح

و من الإسرايلىيات التى اشتملت عليها بعض كتب التفسير، كتفسير ابن جرير، و «الدر المنثور»، و غيرها ما روى فى سفينة نوح عليه السلام فقد أحاطوا بهالة من العجائب و الغرائب، من أى خشب صنعت؟ و ما طولها؟ و ما عرضها؟ و ما ارتفاعها؟، و كيف كانت طبقاتها؟ و ذكروا خرافات فى خلقه بعض الحيوانات من الأخرى، و قد بلغ ببعض الرواة أنهم نسبوا بعض هذا إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم،

قال صاحب «الدر»: و أخرج أبو الشيخ، و ابن مردويه، عن ابن عباس رحمهما الله عن (١) انظر تفاسير الكشاف، ج ٢، ص ١٨٦ و ١٨٧ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، ج ٧، ص ٣٣٧ و تفسير أبى السعود، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٤. و روح المعانى للأكوسى، ج ٩، ص ١٣٧-١٤٢. و التبيان، ج ٥، ص ٥٠ و مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٨٠، و غيرها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٠

النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: «كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة، و تحت الأجنحة إيوان»، أقول: قبح الله من نسب مثل هذا إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

و

أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: «سام أبو العرب، و حام أبو الحبش، و يافث أبو الروم»

و ذكر: أن طول السفينة كان ثلاثمائة ذراع، و عرضها خمسون ذراعاً، و طولها في السماء ثلاثون ذراعاً، و بابها في عرضها، ثم ذكر عن ابن عباس مثل ذلك: في طولها، و ارتفاعها، ثم قال:

و أخرج إسحاق بن بشر، و ابن عساكر، عن ابن عباس: «أن نوحاً لما أمر أن يصنع الفلك، قال: يا رب، و أين الخشب؟، قال: اغرس الشجر، فغرس الساج عشرين سنة، إلى أن قال: فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، و ستين ذراعاً في الأرض - يعني عمقها- و عرضها ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثون «١» و أمر أن يطلبها بالقار «٢»، و لم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار؛ حيث تنحت السفينة، تغلى غلياناً، حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب، و أطبقها، و حمل فيها السباع، و الدواب، فألقى الله على الأسد الحمى، و شغله بنفسه عن الدواب، و جعل الوحش و الطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليهما.

و أخرج ابن جرير، و أبو الشيخ عن الحسن، قال: «كان طول سفينة نوح عليه السلام ألف ذراع و مائتي ذراع، و عرضها ستمائة ذراع» و إليك ما ذكره بعد هذا من العجب العجائب، قال:

و أخرج ابن جرير، عن ابن عباس رحمهما الله قال: قال الحواريون لعيسى بن (١) لا ندرى بأى رواية نصدق، أ برواية ابن عباس هذه، أم بالسابقة، و هذا الاضطراب أمانة الاختلاق ممن وضعوها أولاً، و أسندوها إلى ابن عباس و غيره.

(٢) في القاموس: القير، و القار: شئ أسود تطلّى به الإبل، أو هو: الزفت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١١

مريم عليهما السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة، فحدّثنا عنها. فانطلق بهم، حتى انتهى إلى كتيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، فضرب الكتيب بعصاه، قال: قم ياذن الله، فإذا هو قائم ينفذ التراب عن رأسه، قد شاب، قال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟!، قال: لا، مت و أنا شاب، و لكنني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت، قال: حدّثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع، و مائتي ذراع، و عرضها ستمائة ذراع، كانت ثلاث طبقات، فطبق فيها الدواب و الوحش، و طبقه فيها الإنس، و طبقه فيها الطير. فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح: أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه، فوقع منه خنزير و خنزيرة!!، فأقبلا- على الروث، فلما وقع الفأر جعل يخرب السفينة بقرضه أوحى الله إلى نوح: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور و سنورة، فأقبلا على الفأر فأكلاه.

و في رواية أخرى: أن الأسد عطس، فخرج من منخره سنوران، ذكر و أنثى، فأكلا الفأر، و أن الفيل عطس، فخرج من منخره خنزيران، ذكر و أنثى، فأكلا أذى السفينة. و أنه لما أراد الحمار أن يدخل السفينة أخذ نوح بأذني الحمار، و أخذ إبليس بذنبه، فجعل نوح عليه السلام يجذبه، و جعل إبليس يجذبه، فقال نوح: ادخل شيطان- و يريد به الحمار- فدخل الحمار، و دخل معه إبليس. فلما سارت السفينة جلس إبليس في أذناها يتغنى، فقال له نوح عليه السلام: ويلك من أذن لك؟! قال: أنت!! قال: متى؟! قال: أن قلت للحمار: ادخل يا شيطان، فدخلت يا ذنك.

و زعموا أيضاً: أن الماعز لما استصعبت على نوح أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها، فمن ثم انكسر، و بدا حياها، و مضت النعجة فدخلت من غير معاكسة، فمسح على ذنبها، فستر الله حياها- يعني فرجها- و زعموا أيضاً: أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت

أسبوعاً، بل

رووا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٢

أبيه، عن جده، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّتْ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ!!»

و هذا من تفاهات عبد الرحمن هذا، و

قد ثبت عنه من طرق أخرى، نقلها صاحب التهذيب (ج ٦، ص ١٧٩) عن الساجي، عن الربيع، عن الشافعي، قال: «قيل لعبد الرحمن بن

زيد بن أسلم: حدّثك أبوك عن جدك؛ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّتْ خَلْفَ

المقام ركعتين؟!! قال: نعم،

و قد عرف عبد الرحمن بمثل هذه العجائب المخالفة للعقل، و تندر به العلماء.

قال الشافعي فيما نقل في «التهذيب» أيضا: «ذكر رجل لمالك حديثا منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه،

عن نوح!»! و أن لَمَّا رست السفينة على الجودي و كان يوم عاشوراء صام نوح، و أمر جميع من معه من الوحش و الدواب فصاموا

شكراً لله، إلى غير ذلك من التخريفات و الأباطيل «١» التي لا نزال نسمعها، و أمثالها من العوام و العجائز، و هذا لا يمكن أن يمت

إلى الإسلام بصلّة، و إنا لننزه المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أن يصدر عنه ما نسبوه إليه، و إنما هي أحاديث خرافة اختلقها

اليهود و أضرابهم على توالي العصور، و كانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين

المسلمين، و أوغل زنادقة اليهود و أمثالهم في الكيد للإسلام و نبيّه، فزوّروا بعضها على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و ما كنا

نحب لابن جرير، و لا للسيوطي، و لا لغيرهما أن يسوّدوا صحائف كتبهم بهذه الخرافات و الأباطيل.

فاحذر منها أيها القارئ في أي كتاب من كتب التفسير وجدتها، و ألق بها دبر أذنك، و كن عن الحق منافحاً و للباطل مزيفاً. (١)

تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٢١-٢٩، و الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٢٧-٣٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٣

١٧- الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام

و قد وردت في قصة يوسف عليه السلام إسرائيليّات و مرويات مختلقة مكذوبة، فمن ذلك ما أخرجه ابن جرير في تفسيره، و

السيوطي في «الدر المنثور» و غيرهما، في قوله تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا، وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ «١».

قال السيوطي: و أخرج سعيد بن منصور، و البزار، و أبو يعلى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و العقيلي و ابن حبان في

«الضعفاء»، و أبو الشيخ، و الحاكم و صححه «٢»، و ابن مردويه، و أبو نعيم، و البيهقي معا في «الدلائل»، عن جابر بن عبد الله رضى

الله عنه قال: «جاء بستانه يهودى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف عليه

السّلام ساجدة له، ما أسماؤها؟ فسكت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلم يجبه بشيء، فنزل جبريل عليه السلام و أخبره بأسمائها،

فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى البستاني اليهودي، فقال: «هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم، قال:

جربان، و الطارق، و الذيال، و ذو الكفتان، و قابس، و وثاب، و عمودان، و الفليق، و المصبح، و الضروح، و ذو الفرغ، و الضياء، و

النور «٣»، رآها في أفق السماء ساجدة له. فلما قص يوسف على يعقوب، قال: هذا أمر مشئت يجمعه الله من (١) يوسف / ٤.

(٢) تصحيح الحاكم على شرط الشيخين.

(٣) و هناك بعض الاختلاف في الأسماء. و قد جاءت ثلاثة عشر، و الضياء و النور هما الشمس و القمر. كناية عن أبويه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٤

بعد، فقال اليهودى: إى و الله إنها لأسماؤها «١».

والذى يظهر لى أنه من الإسرائيليات، و ألقىت بالنبى زورا، ثم إن سيدنا يوسف رأى كواكب بصورها لا بأسمائها، ثم ما دخل الاسم فيما ترمز إليه الرؤيا؟! و مدار هذه الرواية على الحكم بن ظهير، و قد ضعفه الأئمة، و تركه الأكثرون، و قال الجوزجاني: ساقط «٢».

و قال الإمام الذهبى فى «ميزان الاعتدال» «٣»: قال ابن معين: ليس بثقة، و قال مرة: ليس بشىء، و قال البخارى: منكر الحديث، و قال مرة: تركوه، و لعله لروايته

حديث: «إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه»!!

١٨- الإسرائيليات فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ

إشارة

«٤» و من الإسرائيليات المكذوبة التى لا- توافق عقلا- و لا- نقلا- ما ذكر ابن جرير فى تفسيره، و صاحب «الدر المنثور» و غيرهما من المفسرين، فى قوله تعالى:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فَقَدَ ذَكَرُوا فِي هَمِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَنَافَى عَصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَا يَخْجَلُ الْقَلَمُ مِنْ تَسْطِيرِهِ، لَوْ لَا أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ بَيَانٍ وَ تَحْذِيرٍ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ، وَ هُوَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى أَهْلِ (١) تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ،

ج ١٢، ص ٩٠ و ٩١ و الدر المنثور، ج ٤، ص ٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٨ و ٤٦٩.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٢٦٨، ط السعادة.

(٤) يوسف / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٥

العلم.

فقد رووا عن ابن عباس- رضوان الله عليه- أنه سئل عن هم يوسف عليه السلام ما بلغ؟ قال: حلّ الهميان- يعنى السراويل- و جلس منها مجلس الخائن، فصيح به، يا يوسف لا تكن كالطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش. و رووا مثل هذا عن على رضى الله عنه و عن مجاهد، و عن سعيد بن جبير.

و رووا أيضا فى البرهان الذى رآه، و لولاه لوقع فى الفاحشه بأنه نودى: أنت مكتوب فى الأنبياء، و تعمل عمل السفهاء، و قيل: رأى صورة أبيه يعقوب فى الحائط، و قيل: فى سقف الحجر، و أنه رآه عاصا على إبهامه، و أنه لم يتعظ بالنداء، حتى رأى أباه على هذه

الحال. بل أسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة، فزعموا أنه لما لم يرهو من رؤيته صورة أبيه عاصا على أصابعه، ضربه أبوه يعقوب، فخرجت شهوته من أنامله! و لأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله و نبيه يوسف هذا الافتراء، يزعمون أيضا: أن كل أبناء يعقوب

قد ولد له اثنا عشر ولدا ما عدا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة التى خرجت من أنامله ولدا، فلم يولد له غير أحد عشر ولدا. بل زعموا أيضا فى تفسير البرهان، فيما روى عن ابن عباس: أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله: قوله تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا

كَاتِبِينَ «١»، و قوله تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ «٢»، و قوله تعالى:

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ «٣»، و قيل: رأى (١) الانفطار / ١٠ و ١١.

(٢) يونس / ٦١.

(٣) الرعد / ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٦

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا «١»!!، و من البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جوابا، بأن يقولوا: رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التي يعرفونها، بل قيل في البرهان: إنه أرى تمثال الملك، وهو العزيز، وقيل: خياله «٢». و كل ذلك مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل و أكاذيبهم التي افتجروها على الله، و على رسله، و حمله إلى بعض الصحابة و التابعين: كعب الأحرار، و وهب بن منبه، و أمثالهما.

و ليس أدل على هذا، مما روى عن وهب بن منبه قال: «لما خلا يوسف و امرأة العزيز، خرجت كفّ بلا جسد بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: أَقَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، ثم انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما، ثم رجعت الكفّ بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعَلِّمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، ثم انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما، فعادت الكفّ الثالثة مكتوب عليها: وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا و انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما فعادت الكفّ الرابعة مكتوب عليها بالعبرانية: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ «٣»، فولّى يوسف عليه السلام هاربا «٤».

و قد كان وهب أو من نقل عنه وهب ذكيا بارعا، حينما زعم أن ذلك كان مكتوبا بالعبرانية؛ و بذلك أجاب عما استشكلناه، و لكن مع هذا لن يجوز هذا (١) الإسراء / ٣٢.

(٢) تفسير الطبرى، ج ١٢، ص ١٠٨-١١٤. و الدر المنثور، ج ٤، ص ١٣ و ١٤. و تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٤ و ٤٧٥. و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٤١٨-٤٢٠.

(٣) البقرة / ٢٨١.

(٤) الدر المنثور، ج ٤، ص ١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٧

الكذب إلّا على الأغرار و السدّج من أهل الحديث. و لا ندرى أى معنى يبقى للعصمة بعد أن جلس بين فخذيهما، و خلع سرواله؟! و ما امتناعه عن الزنى على مروياتهم المفترأة إلّا و هو مقهور مغلوب؟! و لو أن عرييدا رأى صورة أبيه بعد مماته تحدّره من معصية لكفّ عنها، و انزجر، فأى فضل ليوسف إذا، و هو نبى من سلاله أنبياء؟! بل أى فضل له فى عدم مقارفته الفاحشة، بعد ما خرجت شهوته من أنامل قدميه؟! و ما امتناعه حينئذ إلّا قسرى جبرى!! ثم ما هذا الاضطراب الفاحش فى الروايات؟! أليس الاضطراب الذى لا يمكن التوفيق بينها. و هذا من العلل التى ردّ المحذون بسببها الكثير من المرويّات؟! لأنها أماره من أمارات الكذب و الاختلاق.

ثم كيف يتفق ما حيكك حول نبى الله يوسف عليه السلام و قول الحق تبارك و تعالى عقب ذكر الهمم: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفُحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ «١»، فهل يستحق هذا الثناء من حلّ التكهة، و خلع السروال، و جلس بين رجليها؟! و لا أدرى أ نصدق الله تبارك و تعالى أم نصدق كذبة بنى إسرائيل و مخرفيهم؟! بل كيف يتفق ما روى هو و ما حكاه الله عزّ و جل عن زليخا بطله المرودة، حيث قالت: أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ «٢» و هو اعتراف صريح من (١) يوسف / ٢٤. قرئ فى السبع بضم الميم و فتح اللام، أى الذين اصطفاهم و اختارهم لنبوته و رسالته، و قرئ بكسر اللام، أى الذين أخلصوا لله التوحيد و العبادة، و المعنى الثانى لازم للأول، فمن اصطفاه الله لا بد أن يكون مخلصا.

(٢) يوسف / ٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٨

البطله التى أعيتهما الحيل عن طريق التزيّن حيناً، و التودّد إليه بمعسول القول حيناً آخر، و الإرهاب و التخويف حيناً ثالثاً، فلم تفلح: لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَ لَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ «١».

و انظر ما ذا كان جواب السيد العفيف، الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم عليهم السلام: قَالَ رَبِّ السَّحِينُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصِيرَفِ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «٢» و قصده عليه السلام بقوله: وَإِلَّا تَصِيرَفِ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ...: تبرؤ من الحول و الطول، و أن الحول و القوّة إنّما هما من الله، و سؤال منه لربه، و استعانة به على أن يصرف عنه كيدهنّ، و هكذا شأن الأنبياء.

بل قد شهد الشيطان نفسه ليوسف عليه السلام في ضمن قوله، كما حكاها الله سبحانه عنه بقوله: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ «٣»، و يوسف بشهادة الحق السالفه من المخلصين.

و كذلك شهد ليوسف شاهد من أهلها «٤»، فقال: إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقْتَ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ «٥»، و قد أسفر (١) يوسف / ٣٢.

(٢) يوسف / ٣٣ و ٣٤.

(٣) ص / ٨٢ و ٨٣.

(٤) قيل: كان رجلا عاقلا حكيما مجربا من خاصة الملك. و كان من أهلها، و قيل: كان صبيا في المهدي و كان ذلك إرھاصا بين يدي نبوة يوسف، إكراما له.

(٥) يوسف / ٢٦ - ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٩

التحقيق عن براءة يوسف و إدانة زليخا، امرأة العزيز.

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة، و تلك الروايات المزورة؟! و قد ذكر الكثير من هذه الروايات ابن جرير الطبري، و الثعلبي، و البغوي، و ابن كثير، و السيوطي، و قد مر بها ابن كثير بعد أن نقلها حاكيا من غير أن يتبّه إلى زيفها، و هذا غريب!! و من العجيب حقا أن ابن جرير يحاول أن يضعف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور و البهتان، و يفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة و قواعد الشرع، و ما جاء في القرآن و السنة الصحيحة الثابتة، و يعتبر هذه المرويات التي سقنا لك زورا منها آنفا؛ هي قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم «١»، و كذلك تابعه على مقالته تلك الثعلبي و البغوي في تفسيريهما «٢»!! و هذه المرويات الغثّة المكذوبة التي ياباها النظم الكريم، و يجزم العقل و النقل باستحالتها على الأنبياء عليهم السلام هي التي اعتبرها الطبري و من تبعه «أقوال السلف»!! بل يسير في خط اعتبار هذه المرويات، فيورد على نفسه سؤالا، فيقول: فإن قال قائل: و كيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا و هو لله نبي؟! ثم أجاب بما لا- طائل تحته، و لا يليق بمقام الأنبياء «٣». قاله الواحدى في تفسيره «البيسط».

و أعجب من ذلك ما ذهب إليه الواحدى في «البيسط» قال: قال المفسرون (١) تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١١٠.

(٢) تفسير البغوي، ج ٢، ص ٤٢٢.

(٣) تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١٠٩ و ١١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٠

الموثوق بعلمهم، المرجوع إلى روايتهم، الآخذون للتأويل، عمن شاهدوا التنزيل: هم يوسف عليه السلام بهذه المرأة همّا صحيحا، و جلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.

و هي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا- نرضاهم، و لو لا أننا ننزه لساننا و قلمنا عن الهجر من القول، و أنهم خلطوا في مؤلفاتهم عملا صالحا و آخر سيئا لقسونا عليهم، و حق لنا هذا، و العصمة لله.

و هذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون: إما إسرائيليات و خرافات، و وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذي أرادوا بها

النيل من الأنبياء والمرسلين، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا، و تلقاها عنهم بعض الصحابة، و التابعين. و إما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداء الأديان، كى تروج تحت هذا الستار؛ و بذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، و تعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة.

الفريه على المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم فى قوله الله تعالى: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... (١)

و لكى يؤيدوا باطلهم الذى ذكرناه آنفا، رروا عن الصحابة و التابعين ما لا يليق بمقام الأنبياء، و اختلفوا على النبى صلى الله عليه و آله و سلم زورا، و قولوه ما لم يقله، قال صاحب «الدر»:

و أخرج الفريابى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و أبو الشيخ، (١) يوسف / ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢١

و البيهقى فى «شعب الإيمان» عن ابن عباس - رضوان الله عليه - قال: لما جمع الملك النسوة قال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصي حص الحق أنا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين (١)، قال يوسف: ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب، فغمره جبريل عليه السلام فقال: و لا حين هممت بها؟ فقال: و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء (٢).

قال: و أخرج ابن جرير عن مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و ابن زيد، و السدى مثله، و

أخرج الحاكم فى تاريخه، و ابن مردويه و الديلمى عن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قرأ هذه الآية: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ قال: لما قال يوسف ذلك قال له جبريل عليه السلام: و لا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء، قال: و أخرج ابن جرير عن عكرمة مثله.

و

أخرج سعيد بن منصور، و ابن أبى حاتم عن حكيم بن جابر فى قوله:

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ قال جبريل: و لا حين حللت السراويل؟

إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة، و الإسرائيلية الباطلة، التى خرّجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات، و جمع أكبر قدر منها، سواء منها ما صحّ و ما لم يصحّ. و الأخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات، و ليس أدل على ذلك من أنها لم يخرّجها أحد من أهل الكتب الصحيحة، و لا أصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع إليهم فى مثل هذا. (١) يوسف / ٥١.

(٢) يوسف / ٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٢

القرآن يردّ هذه الأكاذيب

و قد فات هؤلاء الدسّاسين الكذّابين أن قوله تعالى: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... الآيتين (١)، ليس من مقالة سيدنا يوسف عليه السلام و إنما هو من مقالة امرأة العزيز، و هو ما يتفق و سياق الآية، ذلك: أن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن، قال له: ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن؟ فأحضر النسوة، و سألهن، و شهدن براءة يوسف، فلم تجد امرأة العزيز بدا من الاعتراف، فقالت: الآن حصي حص الحق إلى قوله: و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء فكل ذلك من قولها؛ و لم يكن يوسف حاضرا ثم، بل كان فى السجن، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك فى مجلس التحقيق الذى عقده العزيز؟.

و قد انتصر لهذا الرأى الذى يوائم السياق و السباق الإمام الشيخ محمد عبده، فى تفسير «المنار». و هو آخر ما رقمه فى تفسير القرآن.

و هكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ:

تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر. وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أنني بريئة، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي تقول المرأة: و لست أبرئ نفسي، فَإِنَّ النَّفْسَ تَتَحَدَّثُ، وَ تَتَمَنَّى؛ و لهذا راودته؛ لِأَنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي أَي إِلَّا مِنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. (١) يوسف / ٥٢ و ٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٣

قال: و هذا القول هو الأشهر و الأليق و الأنسب بسياق القصة و معاني الكلام، و قد حكاها الماوردي في تفسيره، و جعله أول الوجهين في تفسير الآية.

و بعد أن ذكر بعض ما ذكره ابن جرير الذي ذكرناه آنفا عن ابن عباس، و تلاميذه، و غيره قال: و القول الأول أقوى و أظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، و لم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك «١». التفسير الصحيح لقوله تعالى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا قَالَ أَبُو شَهْبَةَ: و الصحيح في تفسير قوله تعالى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ أَنْ الْكَلَامَ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ لَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنْ هَمَّهَا كَانَ بِقَصْدِ الْفَاحِشَةِ، وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ.

الكلام من قبيل التقديم و التأخير، و التقدير: و لو لا أن رأى برهان ربه لهم بها، فقوله تعالى: وَ هَمَّ بِهَا، جواب «لولا» مقدم عليها، و معروف في العربية أن «لولا» حرف امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود الشرط؛ فيكون «الهم» ممتنعاً؛ لوجود البرهان الذي ركزه الله في فطرته. و المقدم إما الجواب، أو دليله، على الخلاف في هذا بين النحويين، و المراد بالبرهان: هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنى، و هو شيء مركوز في فطر الأنبياء. و معرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، و هو ما نعبر عنه بالعصمة، و هي التي تحول بين الأنبياء و المرسلين، و بين وقوعهم في المعصية.

و يرحم الله

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث قال: البرهان: النبوة (١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٨١ - ٤٨٢. و راجع تفسير الماوردي، ج ٣، ص ٤٧. و المنار، ج ١٢، ص ٣٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٤

التي أودعها الله في صدره، حالت بينه و بين ما يسخط الله عز و جل.

و هذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء، و يدعو إليه السابق و اللاحق. و أما كون جواب «لولا» لا يجوز أن يتقدم عليها، فهذا أمر ليس ذا خطر، حتى نعدل عن هذا الرأي الصواب، إلى التفسيرات الأخرى الباطلة، لهم يوسف عليه السلام، و القرآن هو أصل اللغة، فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوباً عربياً فصيحاً، و في تأصيل أي قاعدة من القواعد النحوية، فلا يجوز لأجل الأخذ بقاعدة نحوية، أن نقع في محذور لا يليق بالأنبياء كهذا.

و الصحيح أن الجواب محذوف بقرينه المذكور، و هو ما تقدم على «لولا»؛ ليكون ذلك قرينه على الجواب المحذوف.

وقيل: إن ما حصل من «هم يوسف» كان خطرة، و حديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية، و لم يستقر، و لم يظهر له أثره. قال البغوي في تفسيره: «قال بعض أهل الحقائق: الهم همان: هم ثابت، و هو إذا كان معه عزم، و عقد، و رضا، مثل هم امرأة العزيز، و العبد مأخوذ به. و هم عارض، و هو الخطرة، و حديث النفس من غير اختيار و لا- عزم، مثل هم يوسف عليه السلام و العبد غير مأخوذ به، ما لم يتكلم به أو يعمل» «١»، و قيل: هممت به هم شهوة و قصد للفاحشة، و هم هو بضر بها.

و لا أدري كيف يتفق هذا القول، و قوله تعالى: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ.

و القول الجزل الفحل هو ما ذكرناه أولاً، و صرّحت به الرواية الصحيحة عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. و السرّ في إظهاره في هذا الأسلوب - و الله أعلم -: تصوير المشهد المثير المغرى العرم، الذى هيأته امرأة العزيز لنبى الله يوسف، و أنه لو لا عصمة الله له، و فطرته النبوية الزكية، لكانت (١) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٤١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٥

الاستجابة لها، و الهمّ بها أمراً محققاً. و فى هذا تكريم ليوسف، و شهادة له بالعفة البالغة، و الطهارة الفائقة.

١٩- الإسرائيليات فى سبب لبث يوسف فى السجن

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين فى مدة سجن يوسف عليه السلام و فى سبب لبثه فى السجن بضع سنين، و ذلك عند تفسير قوله تعالى: «وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاءُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» (١).

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبى، و البغوى، و غيرهم أقوالاً كثيرة فى هذا، فقد قال وهب بن متبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، و ترك يوسف فى السجن سبع سنين، و عذب بختنصر يجول فى السباع سبع سنين (٢).

و قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: اذكرنى عند ربك. قيل له: يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا، لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، و قال: يا رب أنسى قلبى كثرة البلوى؛ فقلت كلمته، و لن أعود.

و قال الحسن البصرى: دخل جبريل عليه السلام على يوسف فى السجن، فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أخا المنذرين، إني أراك بين الخاطئين! فقال له جبريل:

يا طاهر يا ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، و يقول لك: أما استحييت منى أن استشفعت بالآدميين؟! فو عزتى و جلالى لألبثتك فى السجن (١) يوسف / ٤٢.

(٢) لا ندرى ما المناسبة بين نبى الله، و بختنصر الذى أذلّ اليهود و سباهم؟.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٦

بضع سنين، فقال يوسف: و هو فى ذلك عنى راض، قال: نعم، قال: إذا لا أبالى.

و قال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف: إن الله تعالى يقول: من خلقك؟

قال: الله عزّ و جل قال: فمن حبيك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب البئر؟ قال: الله، قال فمن علمك تأويل الرؤيا؟

قال الله، قال: فمن صرف عنك سوء، و الفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بآدمى مثلك؟ (١). فلما انقضت سبع سنين - قال

الكلبى: و هذه السبع سوى الخمسة (٢) التى قبل ذلك - جاءه الفرج من الله، فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة، و عجز الملاء عن

تفسيرها، تذكّر الساقى يوسف، و صدق تعبيره للرؤى، فذهب إلى يوسف، فعبرها له خير تعبير؛ فكان ذلك سبب نجاته من السجن، و

قول امرأة العزيز:

الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ.

و أغلب الظن عندنا أن هذا من الإسرائيليات، فقد صوّرت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التى قالها، مع أنه عليه

السلام لم يقل هجراً، و لا منكراً، فالأخذ فى أسباب النجاة العاديّة، و فى أسباب إظهار البراءة و الحق، لا ينافى قط التوكّل على الله

تعالى. و البلاء للأنبياء ليس عقوبة، و إنما هو لرفع درجاتهم، و ليكونوا أسوة و قدوة لغيرهم، فى باب الابتلاء. و

فى الحديث الصحيح عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل».

و

قد روى ابن جرير هاهنا حديثاً مرفوعاً، فقال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار،

عن عكرمة، عن ابن (١) تفسير البغوي، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) بعض المفسرين لا يكتفى بالسبع بل يضم إليها خمسا قبل ذلك. و لا أدري ما مستنده في هذا؟ و ظاهر القرآن لا يشهد له. و لو كان كذلك لصرح به القرآن، أو أشار إليه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٧

عباس مرفوعا، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «لو لم يقل - يعنى يوسف - الكلمة التي قالها، ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يتغنى الفرج من عند غير الله».

و لو أن هذا الحديث كان صحيحا أو حسنا؛ لكان للمتمسكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان و جهة، و لكن الحديث شديد الضعف، لا يجوز الاحتجاج به أبدا.

قال الحافظ ابن كثير: «و هذا الحديث ضعيف جدا (١)؛ لأن سفيان بن وكيع - الراوى عنه ابن جرير - ضعيف، و إبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضا، و قد روى عن الحسن و قتادة مرسل عن كل منهما، و هذه المرسلات هاهنا لا تقبل (٢)، و لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، و الله أعلم (٣)». و قد تكلف بعض المفسرين للإجابة عما يدل عليه هذا الحديث. و حاله كما سمعت. بل تكلف بعضهم، فجعل الضمير في «فأنساه» ليوسف، و هو غير صحيح، لأن الضمير يعود إلى الذى نجا منهما؛ بدليل قوله تعالى بعد ذلك: «وَ أَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ... فالذى تذكر هو الذى أنساه الشيطان، و الذى يجب أن نعتقه أن يوسف عليه السلام مكث في السجن - كما قال الله تعالى - بضع سنين.

و البضع: من الثلاث إلى التسع، أو إلى العشر، من غير تحديد للمدة، فجاز أن تكون سبعا، و جاز أن تكون تسعا، و جاز أن تكون خمسا، ما دام ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و كذلك نعتقد أنه لم يكن عقوبه على كلمة، (١) الضعيف جدا لا يحتج به لا فى الأحكام و لا فى الفضائل، فما بالك فى مثل هذا؟

(٢) لأن المرسل احتج به بعض المحذثين إذا تضافر أما فى مثل هذا الذى فيه إدائه بعض الأنبياء، و إلقاء اللوم عليه فلا.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٨

و إنما هو بلاء و رفعة درجة.

٢٠ - الإسرائيليات فى شجرة طوبى

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ» (١).

فمن ذلك ما

رواه ابن جرير بسنده، عن وهب، قال: إن فى الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرتها رياض، و ورقها برود، و قضبانها عنبر، و بطحاؤها ياقوت، و ترابها كافور، و وحلها مسك؛ يخرج من أصلها أنهار الخمر، و اللبن، و العسل، و هى مجلس لأهل الجنة، فبينما هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نجبا (٢) مزومة بسلاسل من ذهب، و جوهها كالمصابيح حسنا، و وبرها كخز المرعى من لينه، عليها رجال (٣) ألواحها من ياقوت، و دفوفها من ذهب، و ثيابها من سندس، و إستبرق، فينخونها، و يقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه، و تسلّموا عليه. قال:

فيركبونها فى أسرع من الطائر، و أوطأ من الفراش، نجبا من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه، و هو يكلمه، و يناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى، و لا برك (٤) راحلة برك الأخرى، حتى أن الشجرة لتتنحى عن طريقهم، لئلا تفرق بين الرجل و أخيه.

قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه (١) الرعد / ٢٩.

(٢) أى إبلا كراما.

(٣) الرحال: ما يوضع على البعير ليركب عليه.

(٤) البرك: الصدر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٩

الكريم، حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: «اللهم أنت السلام، و منك السلام، و حق لك الجلال و الإكرام. قال: فيقول تعالى عند ذلك: أنا السلام، و منى السلام، و عليكم السلام، حقت رحمتى، و محبتى، مرحبا بعبادى الذين خشونى بغيب، و أطاعوا أمرى. قال: فيقولون: ربنا لم نعبدك حق عبادتك، و لم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا فى السجود قدامك. قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نصب، و لا-عبادة، و لكنها دار ملك و نعيم، و إنى قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلونى ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أميته. فيسألونه، حتى أن أقصرهم أميته ليقول: ربى تنافس أهل الدنيا فى دنياهم، فتضايقوا فيها، رب فاتنى كل شىء كانوا فيه، من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصرت بك أمنيتك، و لقد سألت دون منزلتك، هذا لك منى و سأتحفك بمنزلتى؛ لأنه ليس فى عطائى نكد، و لا قصر يد. قال: ثم يقول: أعرضوا على عبادى ما لم يبلغ أمانيتهم و لم يخطر لهم على بال. قال: فيعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيتهم التى فى أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنه، على كل أربعة منها سرير من ياقوته واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة، فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة، متظاهرة، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة. و ليس فى الجنة لون إلا و هو فيهما، و لا ريح و لا طيب إلا قد عقب بهما، ينفذ ضوء و جوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض من ياقوته حمراء، تريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، و يرى هو لهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فتحياانه و تقبلانه، و تعانقانه، و تقولان له: و الله ما ظننا أن الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا فى الجنة، حتى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٠

ينتهى كل رجل منهم إلى منزلته التى أعدت له «١».

و قد وصف ابن كثير فى تفسيره هذا الأثر بأنه غريب عجيب و ساقه. و قد روى هذا الأثر ابن أبى حاتم بسنده، عن وهب أيضا، و زاد زيادات أخرى «٢».

٢١- الإسرائيليات فى إفساد بنى إسرائيل

إشارة

و من الإسرائيليات فى كتب التفسير ما يذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى: وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَقْسِبُنَّ فِي الْمَأْزُحِ مَوْتَيْنِ وَ لَتَعْلَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَىٰ بِأَسْ شَدِيدِ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنَّ أَحْسَنَ شَيْءٍ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَّبِعُوا مَا عُلُوًّا تَثْبِيرًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا «٣».

و ليس من قصدنا هنا تحقيق مرآتى إفسادهم، و من سلط عليهم فى كلتا المرتين، فلذلك موضع آخر «٤». (١) تفسير الطبرى، عند تفسير هذه الآية، ج ١٣، ص ١٤٨ (ط ٢)، الدر المنثور، ج ٤، ص ٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣. و تفسير البغوى، ج ٣، ص ١٨.

(٣) الإسرائاء / ٤- ٨.

(٤) الذي نرجحه أن العباد ذوى البأس الشديد الذين نكلوا بهم، و أذلوهم، و سبوهم، هم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣١

و إنما الذى يتصل ببحثنا بيان ما روى من الإسرائيليات فى هاتين المرتين، و اسم من سلط عليهم، و صفته و كيف كان، و إلى مزار أمره، و قد كانت معظم الروايات فى بيان العباد ذوى البأس الشديد الذين سلطوا عليهم، تدور حول «بختنصر» البابلى. و قد أحاطوه بهالة من العجائب و الغرائب، و المبالغات التى لا تصدق. و قد أخرج هذه الروايات ابن جرير فى تفسيره- و أكثر منها جدا «١»- و ابن أبى حاتم و البغوى «٢»، و غيرهم، عن ابن عباس، و ابن مسعود، و عن سعيد بن جبير، و سعيد بن المسيب، و عن السدى، و عن وهب بن متبه، و ابن إسحاق، و غيرهم. و خرّجها من غير ذكر أسانيدها، مع عزوها إلى مخرجها السيوطى فى «الدر المنثور» «٣».

و فيها- و لا شك- الكثير من أكاذيب بنى إسرائيل التى اختلقها أسلافهم، و تنوقلت عليهم، و رواه أخلافهم من مسلمة أهل الكتاب الذين أسلموا، و أخذها عنهم بعض الصحابة و التابعين تحسينا للظن بهم، و رواها من غير تنبيه إلى ما فيها.

و فى هذه الأخبار الإسرائيلية ما يحتمل الصدق و الكذب، و لكن الأولى عدم الاشتغال به، و أن لا نفس القرآن به، و أن نقف عند ما قصه الله علينا، من غير أن نفسد جمال القرآن و جلاله، بمثل هذه الإسرائيليات. بختنصر و جنوده، و أن الآخرين الذين أساءوا و جوههم، و دخلوا المسجد الأقصى هم «طيطوس» الرومانى و جيوشه، فقد أساموهم سوء العذاب، و تأمل فى قوله: «و إن عدتم عدنا» فإنه يدل على أنهم سيعودون ثم يفسدون، فيرسل الله لهم من يسومهم العذاب ألوانا.

(١) تفسير الطبرى، ج ١٥، ص ١٦-٣٤.

(٢) تفسير البغوى، ج ٥، ص ١٤٤-١٥٤.

(٣) ج ٤، ص ١٦٣-١٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٢

و قد أكثر ابن جرير هنا من النقل عن ابن إسحاق، و فى بعضها روى عن ابن إسحاق عن ابن إسحاق عن ابن إسحاق، عن وهب بن متبه «١»، و فى بعضها بسنده عن وهب بن متبه فى ذكر ابن إسحاق، و بذلك وقفنا على من كان المصدر الحقيقى لهذه المرويات، و أنه وهب، و أمثاله، من مسلمة أهل الكتاب.

و قد سؤد ابن جرير بضع صفحات من كتابه فى النقل عن ابن إسحاق و عن وهب، و لا- أحب أن أنقل هذا بنصه، فإن فى ذلك تسويدا للصفحات، و لكنى سأذكر البعض؛ ليكون القارئ لهذا التفسير على حذر من مثل ذلك.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: قال: حدثنى ابن إسحاق قال: «كان مما أنزل الله على موسى «٢» فى خبره عن بنى إسرائيل، و فى أحداثهم، ما هم فاعلون بعده، فقال: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا «٣» إلى قوله: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا.

فكانت بنو إسرائيل و فيهم الأحداث و الذنوب، و كان الله فى ذلك متجاوزا عنهم متعظفا عليهم، محسنا إليهم، فكان مما أنزل بهم فى ذنوبهم ما كان قدم إليهم فى الخبر على لسان موسى، مما أنزل بهم فى ذنوبهم، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع: أن ملكا منهم كان يدعى صديقه، و كان الله إذا ملك الملك عليهم بعث نبيا يسدده، و يرشده، و يكون فيما بينه و بين الله، و يحدث إليه فى أمرهم لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة، و الأحكام التى فيها، و ينهونهم (١) تفسير الطبرى، ج ١٥، ص ٢٩.

(٢) المراد أنزل معناه لا لفظه، فالتوراة لم تكن بالعربية، و لا كان لسان موسى عليه السلام عربيا.

(٣) الإسراء / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٣

عن المعصية، و يدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة. فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا، و ذلك قبل مبعث زكريا، و

يحيى و عيسى، و شعيا الذى بشر بعيسى، و محمد، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل، و بيت المقدس زمانا، فلما انقضى ملكه، عظمت فيهم الأحداث، و شعيا معه، بعث الله عليهم «سنجاريب» ملك بابل، و معه ستمائة ألف راية «١»، فأقبل سائرا، حتى نزل نحو بيت المقدس، و الملك مريض، فى ساقه قرحة، فجاء النبى شعيا، فقال له: يا ملك بنى إسرائيل إن «سنجاريب» ملك بابل قد نزل بك هو و جنوده، ستمائة ألف راية، و قد هابهم الناس، و فرقوا «٢» منهم. فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبى الله، هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به؟ كيف يفعل الله بنا، و بسنجاريب و جنوده؟ فقال له النبى عليه السلام: لم يأتنى وحي، أحدث إلتى فى شأنك، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبى أن ائت ملك بنى إسرائيل فمره أن يوصى وصيته، و يستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته، فإنك ميت.

ثم استرسل ابن جرير فى الرواية، حتى استغرق ذلك أربع صفحات كبار من كتابه «٣»، لا يشك الناظر فيها أنها من أخبار بنى إسرائيل، و فيما ذكره ابن جرير عن ابن إسحاق الصدق، و الكذب، و الحق، و الباطل و لسنا فى حاجة إليه فى تفسير الآيات. و فى الإفساد الثانى - و من سلط عليهم -

روى ابن جرير أيضا، قال: حدثنى محمد بن سهل بن عسكر، و محمد بن عبد الملك بن زنجويه، قالوا: حدثنا (١) من المبالغات التى لا تصدق، و كن على ذكر مما نقلناه عن العلامة ابن خلدون فيما سبق.

(٢) أى خافوا.

(٣) ج ١٥، ص ١٨ - ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٤

إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثنا ابن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه.

و حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني - و اللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول - يعنى وهب بن منبه.

قال الله تبارك و تعالى لأرميا حين بعثه نبيا إلى بنى إسرائيل: يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك. و لأمر عظيم اختبأتك، فبعث الله «أرميا» إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل، يسدده، و يرشده و يأتيه بالخبر من الله فيما بينه، و بين الله، قال:

ثم عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل، و ركبوا المعاصى، و استحلوا المحارم، و نسوا ما كان الله سبحانه و تعالى صنع بهم، و ما نجاهم من عدوهم «سنجاريب» و جنوده، فأوحى الله إلى أرميا: أنت ائت قومك من بنى إسرائيل، و اقصص عليهم ما أمرك به، و ذكّرهم نعمتى عليهم، و عرّفهم أحداثهم.

و استرسل وهب بن منبه فيما يذكره من أخبار بنى إسرائيل، حتى استغرق ذلك من تفسير ابن جرير ثلاث صفحات كبار «١» إلى غير ذلك، مما ذكره ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و غيرهما، من قصص عجيب غريب فى «بختنصر» هذا، و ما خرب من البلاد و ما قتل من العباد.

الكذب على رسول الله بنسبة هذه الإسرائيليات إليه

و لو أن هذه الإسرائيليات و الأباطيل وقف بها عند روايتها من أهل الكتاب الذين أسلموا، أو عند من رواها عنهم من الصحابة و التابعين لهان الأمر، و لكن عظم الإثم أن تنسب هذه الإسرائيليات إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم صراحة، و لا أشك أن هذا الدس من عمل زنادقة اليهود. (١) ج ١٥، ص ٢٩ - ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٥

روى ابن جرير فى تفسيره، قال: حدثنا عصام بن داود بن الجراح، قال:

حدثنا أبي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «إن بني إسرائيل لما اعتدوا، وعلوا، وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملك فارس (بختنصر)، وكان الله ملكه سبعمائة سنة «١»، فسار إليهم، حتى دخل بيت المقدس، فحاصرها، وفتح، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا، ثم سبي أهلها، وبنى الأنبياء، و سلب حلَى بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفا، ومائة ألف عجله من حلَى، حتى أورها بابل «٢»، قال حذيفة: فقلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله، قال: أجل، بناه سليمان بن داود من ذهب، و در، و ياقوت، و زبرجد، و كان بلاطة من ذهب، و بلاطة من فضة، و عمدته ذهبا، أعطاه الله ذلك، و سخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفه عين، فسار (بختنصر) بهذه الأشياء، حتى دخل بها بابل، فأقام بنو إسرائيل في يديه مائة سنة، تعدّ بهم المجوس، و أبناء المجوس، فيهم الأنبياء، و أبناء الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس - يقال له: (كورش) و كان مؤمنا - أن سر إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم، فسار (كورش) ببني إسرائيل، و حلَى بيت المقدس، حتى رده إليه.

فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مائة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي، فسلب الله عليهم (بطيانموس)، فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر، فغزا بني إسرائيل، حتى أتاهم (١) و أى جرم أعظم من أن ينسب هذا التخريف إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم؟

(٢) مبالغات و أكاذيب تنزه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم عنها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٦

بيت المقدس، فسبى أهلها، و أحرق بيت المقدس، و قال لهم: يا بني إسرائيل، إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبأ، فعادوا في المعاصي، فسبى الله عليهم السبأ الثالث، ملك رومية، يقال له: (فاقس بن اسبايوس) «١» فغزاهم في البر و البحر فسباهم، و سبى حلَى بيت المقدس، و أحرق بيت المقدس بالنيران، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: هذا من صنع حلَى بيت المقدس، و يرده المهدي إلى بيت المقدس، و هو ألف سفينة، و سبعمائة سفينة، يرسى بها على «يافا»، حتى تنقل إلى بيت المقدس، و بها يجمع الله الأولين و الآخرين. و الغريب من ابن جرير، كيف استجاز أن يذكر هذا الهراء، و هذه التخريفات عن المعصوم صَلَّى الله عليه وآله وسلم، و كان عليه أن يصون كتابه عن أن يسوّده بأمثال هذه المرويات الباطلة «٢».

قال الإمام الحافظ ابن كثير:

«و قد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطوّلا، و هو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، و العجب كل العجب كيف راج عليه مع جلاله قدره، و إمامته، و قد صرح شيخنا أبو الحجاج المزى بأنه موضوع مكذوب، و كتب ذلك على حاشية الكتاب - يعنى كتاب تفسير ابن جرير - و قد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، لم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، و منها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا، و نحن في غنية عنها و لله الحمد، و فيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، و لم يحوجنا الله، و لا رسوله إليهم، و قد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا و بغوا، سلط الله عليهم عدوهم، (١) في تفسير البغوى «فاقس بن استيانوس».

(٢) تفسير الطبرى، ج ١٥، ص ١٧ - ١٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٧

فاستباح بيضتهم، و سلك خلال بيوتهم، و أذلّهم، و قهرهم جزاء وفاقا، و ما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا و قتلوا خلقا كثيرا من الأنبياء و العلماء «١».

قال أبو شهبه: و هذا هو الحق الذى ينبغى أن يصار إليه فى الآيه، و القصص القرآنى لا يعنى بذكر الأشخاص، و لا الأماكن؛ لأن الغرض منه العبرة، و التذكير، و التعليم و التأويل. و الذى دلّت عليه الآيه أنهم أفسدوا مرتين فى الزمن الأول، و ظلموا و بغوا، فسلب الله عليهم فى الأولى من أذلهم و سباهم، و لا يعيننا أن يكون هذا (سنجاريب) أو (بختنصر) و جيشه؛ إذ لا يترتب على العلم به فائدة

تذكر، و سلط الله عليهم في الثانية من أذلهم، و ساء وجوههم، و دخل المسجد الأقصى، فأفسد فيه، و دمّر، و لا يعني أن يكون هذا الذي نكل بهم هو (طيطوس) الروماني أو غيره؛ لأن المراد من سياق قصته: ما قضاه الله على بني إسرائيل أنهم أهل فساد، و بطر، و ظلم، و بغى، و أنهم لما أفسدوا و طغوا، و تجبروا سلط الله عليهم من عباده من نكل بهم، و أذلهم، و سباهم، و شزدهم، ثم إن الآيات دلّت أيضا على أن بني إسرائيل لا يقف طغيانهم، و بغيتهم، و إفسادهم عند المرتين الأوليين، بل الآية توحى بأن ذلك مستمر إلى ما شاء الله، و أن الله سيسلط عليهم من يسومهم العذاب، و يبطش بهم، و يرد ظلمهم و عدوانهم، قال عز شأنه:

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ۖ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ۖ عَلَيْنَا نِجْمَةُ رَبِّكَ لَتُؤَيِّدَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ۚ

و ما يؤكد هذا الإنذار و الوعيد قوله تعالى: وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ (١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٥. و تفسير البغوي، ج ٣، ص ٩٧-١٠٥.

(٢) الإسراء / ٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٨

رَحِيمٌ (١)، فهل يسلط الله عليهم اليوم من يردّ ظلمهم و بغيتهم، و طردهم أهل فلسطين من ديارهم، و اغتصاب الديار، و استبدال العباد، و استهانتهم بالقيم الخلقية، و الحقوق الإنسانية؟

ذلك ما نرجو، و ما ذلك على المسلمين بعزيم، لو و جدوا الكلمة، و جمعوا الصفوف، و أخذوا الحذر و الأهبة، و أعدوا لهم العدة، فاللهم حقّق و أعن.

٢٢- الإسرايليات في قصة أصحاب الكهف

و من قصص الماضين التي أكثر فيها المفسرون من ذكر الإسرايليات قصّة أصحاب الكهف، فقد ذكر ابن جرير، و ابن مردويه، و غيرهما الكثير من أخبارهم التي لا يدلّ عليها كتاب الله تعالى، و لا يتوقف فهم القرآن و تدبره عليها.

فمن ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره، عن ابن إسحاق، صاحب السيرة في قصّة تهم، فقد ذكر نحو ثلاث ورقات، و ذكر عن وهب بن منبه، و ابن عباس و مجاهد أخبارا كثيرة أخرى (٢)، و كذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٣)، الكثير ممّا ذكره المفسرون عن أصحاب الكهف، عن هويتهم، و من كانوا؟ و في أي زمان و مكان وجدوا؟ و أسمائهم؟ و اسم كلبهم؟ و أ هو قطمير أم غيره؟ و عن لونه أ هو أصفر أم أحمر؟ بل روى ابن أبي حاتم من طريق سفيان، قال: رجل بالكوفة يقال له: عبيد- و كان لا يتهم بالكذب- قال: رأيت كلب أصحاب الكهف (١) الأعراف / ١٦٧.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٥، ص ١٣٣ و ما بعدها.

(٣) الدر المنثور، ج ٤، ص ٢١١-٢١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٩

أحمر، كأنه كساء أنبجاني (١)، و لا أدري كيف كان لا يتهم بالكذب، و ما زعم كذب لا شك فيه، فهل بقي كلب أصحاب الكهف حتى الإسلام؟! و كذلك ذكروا أخبارا غرائب في الرقيم، فمن قائل: إنه قريه، و روى ذلك عن كعب الأحبار، و من قائل: إنه واد بفلسطين، بقرب أيله، و قيل: اسم جبل أصحاب الكهف إلى غير ذلك. مع أن الظاهر أنه كما قال كثير من السلف: إنه الكتاب أو الحجر الذي دوّن فيه قصّة تهم و أخبارهم، أو غير ذلك، مما الله أعلم به، فهو فعيل بمعنى مفعول، أي مرقوم، و في الكتاب الكريم: وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عُلِّيْنَا كِتَابًا مَّرْقُومًا يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنَا كِتَابًا مَّرْقُومًا (٣).

و في هذه الأخبار: الحق و الباطل، و الصدق و الكذب، و فيها ما هو محتمل للصدق و الكذب، و لكن فيما عندنا غنية عنه، و لا فائدة من الاشتغال بمعرفته و تفسير القرآن به، كما أسلفنا، بل الأولى و الأحسن أن نضرب عنه صفحا، و قد أدبنا الله بذلك؛ حيث قال لبيبة

بعد ذكر اختلاف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف: قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٤».

و غالب ذلك ما أشرنا إليه و غيره متلقى عن أهل الكتاب الذين أسلموا.

و حمله عنهم بعض الصحابة و التابعين لغرابته و العجب منه، قال ابن كثير في تفسيره: «و في تسميتهم بهذه الأسماء، و اسم كلبهم، نظر في صحته و الله أعلم- (١) نسبة إلى أنبج بلد تعرف بصنع الأكسية.

(٢) المطففين / ١٩ و ٢٠.

(٣) المطففين / ٨ و ٩.

(٤) الكهف / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٠

فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، و قد قال تعالى: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا أَى سَهْلًا هَيِّنًا لِنَا، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا أَى فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ، أَى مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كَلَامِ مَعْصُومٍ، وَ قَدْ جَاءَ كَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدَ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا مَرِيءَ فِيهِ، فَهُوَ الْمَقْدَمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْكُتُبِ وَ الْأَقْوَالِ «١».

٢٣- الإسرائيليات في قصة ذي القرنين

إشارة

و من الإسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب التفسير ما يذكرونه في تفاسيرهم، عند تفسير قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبِعْ سَبَبًا... «٢»

و

قد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده، عن وهب بن متبه اليماني- و كان له علم بالأحاديث الأولى- أنه كان يقول: «ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، و كان اسمه الإسكندر، و إنما سُمي ذا القرنين؛ أن «٣» صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ و كان عبدا صالحا، قال الله عزّ و جل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، و هي أمم مختلفة ألسنتهم، و هم جميع أهل الأرض، و منهم أمتان بينهما طول الأرض كله، و منهم أمتان بينهما عرض الأرض (١) تفسير ابن كثير عند قوله تعالى:

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، ج ٣، ص ٧٨.

(٢) الكهف / ٨٣ و ما بعدها.

(٣) أي لأن.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤١

كله، و أمم في وسط الأرض منهم الجن و الإنس، و يأجوج و مأجوج.

ثم استرسل في ذكر أوصافه، و ما وهبه الله من العلم و الحكمة، و أوصاف الأقوام الذين لقيهم، و ما قال لهم، و ما قالوا له، و في أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل و لا نقل. و قد سوّد بهذه الأخبار نحو أربعة صحائف من كتابه «١»، و كذلك ذكر روايات أخرى في سبب تسميته بذى القرنين، بما لا يخلو عن تخليط و تحبّط. و قد ذكر ذلك- عن غير ابن جرير- السيوطي في «الدرر»، قال: «و أخرج ابن إسحاق، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الشيرازي في الألقاب، و أبو الشيخ، عن وهب بن متبه اليماني- و كان له علم بالأحاديث الأولى- أنه كان يقول: كان ذو القرنين رجلا من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، و كان اسمه الإسكندر، و إنما

سُمي ذا القرنين؛ أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس...» (٢) و أنا لا- أشك في أن ذلك مما تلقاه وهب عن كتبهم، وفيها ما فيها من الباطل والكذب، ثم حملها عنه بعض التابعين، وأخذها عنهم ابن إسحاق وغيره من أصحاب كتب التفسير والسير والأخبار. ولقد أجاد وأفاد الإمام الحافظ ابن كثير، حيث قال في تفسيره: «وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا، عجيبا في سير ذي القرنين، و بنائه السد، و كيفية ما جرى له، و فيه طول، و غرابه، و نكارة، في أشكالهم، و صفاتهم و طولهم، و قصر بعضهم، و آذانهم. و روى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدھا، و الله أعلم» (٣). و حتى لو صح الإسناد فيها، فلا شك في أنها من الإسرائيليات؛ لأنه لا تنافي بين الأمرين، فهي صحيحة (١) جامع البيان، ج ١٦، ص ١٤-١٨.

(٢) الدر المنثور، ج ٤، ص ٢٤٢-٢٤٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤. و تفسير البغوي، ج ٣، ص ١٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٢

إلى من رويت عنه، لكنها في نفسها من قصص بني إسرائيل الباطل، و أخبارهم الكاذبة.

و لو أن هذه الإسرائيليات وقف بها عند منابعها، أو من حملها عنهم من الصحابة و التابعين؛ لكان الأمر محتملا، و لكن الإثم، و كبر الكذب أن تنسب هذه الأخبار إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ و لو أنها كما أسلفنا كانت صحيحة في معناها و ميناها لما حل نسبتها إلى رسول الله أبدا، فما بالك و هي أكاذيب ملفقة، و أخبار باطلة؟! و

قد روى ابن جرير و غيره عند تفسير قوله تعالى: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ... حديثا مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ قال: «حدثنا أبو كريب قال: حدثنا زيد بن جباب، عن ابن لهيعة، قال: حدثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، أنهما انطلقا إلى عقبه بن عامر، فقالا له: جئنا لتحدثنا، فقال: كنت يوما أخدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه فأخبرته، فقال: ما لي و ما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله، ثم قال: اكسب لي ماء، فتوضأ، ثم صَلَّى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور على وجهه، ثم قال: أدخلهم علي، و من رأيت من أصحابي، فدخلوا، فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتكم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا.

و إن شئتم أخبرتكم، قالوا: بلى، أخبرنا، قال: جئتم تسألون عن ذي القرنين، و ما تجدونه في كتابكم: كان شابا من الزوم، فجاء، فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، و مدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به، فقال: ما ترى؟

قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، و تثبت العالم، فأتى به السد، و هو جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء، ثم مضى به

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٣

حتى جاوز يأجوج و مأجوج، ثم مضى به إلى أمه أخرى، و جوههم وجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج و مأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمه أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب؛ ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمه أخرى قد سماهم «١»، ثم عقب ذلك بسرد المرويات في سبب تسميته بذى القرنين.

و ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢) مثل ذلك، و قال: إنه أخرجه ابن عبد الحكم في «تاريخ مصر»، و ابن أبي حاتم، و أبو الشيخ، و البيهقي في «الدلائل».

و كل هذا من الإسرائيليات التي دسّت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ و لو شئت أن أقسم بين الركن و المقام أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ما قال هذا، لأقسمت، و ابن لهيعة ضعيف في الحديث.

وقد كشف لنا الإمام الحافظ ابن كثير عن حقيقة هذه الرواية في تفسيره، و أنحى باللائمة على ما رواها، فقال: «وقد أورد ابن جرير هاهنا، و الأعمى في مغازيه، حديثاً أسنده- و هو ضعيف- عن عقبه بن عامر: أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن ذى القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم به: أنه كان شاباً من الروم، و أنه بنى الإسكندرية، و أنه علا به ملك في السماء و ذهب به إلى السد، و رأى أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب.» و فيه طول و نكارة، و رفعه لا يصح، و أكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل. و العجب أن أبا زرعة الرازى مع جلاله قدره ساقه بتمامه في كتاب «دلائل النبوة» و ذلك غريب منه، فيه من النكارة أنه من الروم، إنما الذى كان من الروم (١) جامع البيان، ج ١٦، ص ٧ و ٨. (٢) ج ٤، ص ٢٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٤

الإسكندر الثانى، و هو ابن فيلبس المقدونى، الذى توّرخ به الروم، و كان وزيره أرسطاطاليس، الفيلسوف المشهور، و الله أعلم «١».

و من هو ذو القرنين؟

قال أبو شهبه: و الذى نقطع به أنه ليس الإسكندر المقدونى؛ لأن ما ذكره المؤرخون فى تاريخه لا يتفق و ما حكاه القرآن الكريم عن ذى القرنين، و الذى نقطع به أيضاً أنه كان رجلاً- مؤمناً صالحاً، ملك شرق الأرض و غربها، و كان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه، و هذا ما ينبغى أن نؤمن به، و نصدقه. أما معرفه هويته، و ما اسمه؟، و أين، و فى أى زمان كان؟ فليس فى القرآن، و لا فى السنه الصحيحه ما يدلّ عليه، على أن الاعتبار بقصّته، و الانتفاع بها، لا يتوقّف على شىء من ذلك، و تلك سمه من سمات القصص القرآنى، و خصيصه من خصائصه أنه لا يعنى بالأشخاص، و الزمان، و المكان، مثل ما يعنى بانتزاع العبره منها، و الاستفادة منها، فيما سيقّت له.

٢٤- الإسرائيليات فى قصه يأجوج و مأجوج

إشارة

من الإسرائيليات التى اتسمت بالغرابة، و الخروج عن سنه الله فى الفطره، و خلق بنى آدم ما ذكره بعض المفسرين فى تفاسيرهم، عند قوله تعالى: قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا «٢». (١) تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ، ج ٣، ص ١٠٠. (٢) الكهف / ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٥

فقد ذكروا عن يأجوج و مأجوج الشىء الكثير من العجائب و الغرائب،

قال السيوطى فى «الدر المنثور» «١»: أخرج ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و ابن عدى، و ابن عساكر، و ابن النجار، عن حذيفه قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن يأجوج، و مأجوج، فقال: «يأجوج و مأجوج أمة، كل أمة أربعمائه ألف أمة، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل حمل السلاح». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز، قلت: و ما الأرز؟ قال: «شجر بالشام طول الشجرة عشرون و مائة ذراع فى السماء. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، و لا حديد. و صنف منهم يفترش إحدى أذنيه، و يلتحف بالأخرى، لا يمرّون بفيل، و لا وحش، و لا جمل، و لا خنزير إلّا أكلوه، و من مات منهم أكلوه، مقدّمهم بالشام و ساقّتهم يشربون أنهار المشرق، و بحيرة طبرية».

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الرواية وغيرها من الروايات الموقوفة، وكذلك صنع القرطبي في تفسيره. وإذا كان بعض الزنادقة استباحوا لأنفسهم نسبة هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف استباح هؤلاء الأئمة ذكر هذه المرويات المختلفة المكذوبة على رسول الله في كتبهم؟! وهذا الحديث المرفوع نص الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - في موضوعاته وغيره - على أنه موضوع، و وافقه السيوطي في «الثالث» (٢) فكيف يذكره في تفسيره ولا يعقب عليه؟! وحق له أن يكون موضوعا، فالمعصوم صلى الله عليه وآله وسلم أجل من أن يروى عنه مثل (١) ج ٥، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٢) الثالث المصنوعة في الأحاديث الموضوعه، ج ١، ص ١٧٣ فما بعد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٦

هذه الخرافات. و في كتب التفسير من هذا الخلط و أحاديث الخرافة شيء كثير، و رروا في هذا عن عبد الله بن عمرو، و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن مسعود، و عن كعب الأخبار. و لكي تتأكد أن ما رفع إلى رسول الله إنما هي إسرائيليات، و قد نسبت إلى النبي زورا و كذبا، نذكر لك ما روى عن كعب، قال: «خلق يأجوج و مأجوج، ثلاثة أصناف: صنف كالأرز، و صنف أربعة أذرع طول، و أربعة أذرع عرض، و صنف يفتشون آذانهم، و يلتحفون بالأخرى، يأكلون مشائم (١) نسائهم».

و على حين نراهم يذكرون من هول و عظم خلقهم ما سمعت؛ إذ هم يروون عن ابن عباس رحمهما الله أنه قال: «إن يأجوج و مأجوج شبر، و شبران، و أطولهم ثلاثة أشبار، و هم من ولد آدم»، بل

رووا عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثنى الله ليلة أسرى بي إلى يأجوج و مأجوج، فدعوتهم إلى دين الله و عبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار، مع من عصى من ولد آدم و إبليس».

و العجب أن السيوطي قال عن هذا الحديث: إن سنده واه. و لا أدري لم ذكره مع واه سنده؟!

قال في تفسيره: و أخرج عبد بن حميد، و ابن المنذر، و الطبراني و البيهقي في البعث، و ابن مردويه، و ابن عساکر عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن يأجوج و مأجوج من ولد آدم، و لو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم، و لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، و إن من ورائهم ثلاث أمم: تاويل، و تاريس، و منسك».

قال: و أخرج أحمد، و الترمذي - و حسنه - و ابن ماجه، و ابن حبان، و الحاكم - و صححه - و ابن مردويه و البيهقي في البعث، عن أبي هريرة، عن (١) جمع مشيمه، و هي ما ينزل مع الجنين حين يولد، و بها يتغذى في بطن أمه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٧

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن يأجوج و مأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا، و لا يستثنى، فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه إن شاء الله و يستثنى (١)»، فيعودون إليه، و هو كهيته حين تركوه، فيحفرونه، و يخرجون على الناس، فيستقون المياه، و يتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض، و علونا من في السماء، فسوا، و علوا، فيبعث الله عليهم نغفا (٢) في أعناقهم فيهلكون»

، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فو الذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، و تبطر، و تشكر شكرا (٣) من لحومهم» (٤).

و مهما كان سند مثل هذا فهو من الإسرائيليات عن كعب و أمثاله، و قد يكون رفعها إلى النبي غلطا و خطأ من بعض الرواة، أو كيدا يكيده الزنادقة اليهود للإسلام. و إظهار رسوله بمظهر من يروى ما يخالف القرآن، فالقرآن قد نص بما لا يحتمل الشك على أنهم لم يستطيعوا أن يعلوا السد، و لا أن ينقبوه، قال تعالى:

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٥).

و إليك ما ذكره ابن كثير هنا في تفسيره، قال بعد أن ذكر من رواه: و أخرجه الترمذى من حديث أبي عوانة، عن قتادة، ثم قال: غريب لا يعرف إلا من هذا (١) يعنى يقول: «إن شاء الله» لأنها فى معنى الاستثناء، يعنى إلا أن يشاء الله تعالى.

(٢) النغف - محرقة - دود يكون فى أنوف الإبل و الغنم، واحده: نغفة.

(٣) أى تسمن سمنا.

(٤) الدر المنثور، ج ٤، ص ٢٥١.

(٥) الكهف / ٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٨

الوجه، و إسناده جيد قوى، و لكن منته فى رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه، و لا من نعبه؛ لإحكام بنائه و صلابته و شدته. و لكن هذا قد روى عن كعب الأبحار، أنهم قبل خروجهم يأتونه، فيلحسونه، حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون: غدا نفتحها فيأتون من الغد و قد عاد كما كان، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك، فيصبحون، و هو كما كان، فيلحسونه و يقولون: غدا نفتحها، و يلهمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون، و هو كما فارقه، فيفتحونه، و هذا متجه. و لعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيرا ما كان يجالسه، و يحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه، و الله أعلم «١».

و من الإسرائيليات المستنكرة فى هذا ما روى أن يأجوج و مأجوج خلقا من منى خرج من آدم، فاختلط بالتراب، و زعموا: أن آدم كان نائما فاحتمل، فمن ثم اختلط منيه بالتراب. و معروف أن الأنبياء لا يحتملون؛ لأن الاحتلام من الشيطان.

قال ابن كثير: و هذا قول غريب جدا، لا دليل عليه، لا من عقل و لا من نقل، و لا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، و الله أعلم «٢».

و الخلاصة:

إن أصحاب الكهف، و ذا القرنين، و يأجوج و مأجوج، حقائق ثابتة لا شك، و كيف لا؟ و قد أخبر بها الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

و لكن الذى ننكره أشد الإنكار هذه الخرافات و الأساطير التى حيكّت حولهم، (١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٥. و تفسير البغوى، ج ٣، ص ١٨٠ - ١٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٩

و تدسّست إلى المرويات الإسلامية، و الله و رسوله بريئان منها، و إنما هى من أخبار بنى إسرائيل و أكاذيبهم، و تحريفاتهم.

٢٥ - الإسرائيليات فى قصة بلقيس ملكة سبأ

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «١».

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبى، و البغوى، و الخازن، و غيرهم «أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، و هى شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأتها حسبتة لجة، و كشفت عن ساقها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هى أحسن الناس قدما و ساقا، إلما أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك، فسأل الإنس، ما يذهب هذا؟ قالوا: موسى «٢»، فقالت

بلقيس: لم تمسني حديدة قط، وكره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين فقالوا: إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة «٣» و الحمام، فكانت النورة و الحمام من يومئذ «٤». (١) النمل / ٤٤.

(٢) المراد: الموسيقى التي تريل الشعر.

(٣) مادة يزال بها الشعر.

(٤) كذب ظاهر، كأن النورة و الحمام لم يكونا إلّا لها، و كأن سليمان عليه السلام لم يكن له همّ إلّا إزالة شعر ساقها، و هو تجنّ صارخ على الأنبياء، و إظهارهم بمظهر المتهاكك على النساء و محاسنهنّ، ففتح الله اليهود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٠

و قد روى هذا عن ابن عباس - رضوان الله عليه - و مجاهد، و عكرمة، و محمد بن كعب القرظي، و السدي، و ابن جريج و غيرهم. و روى أيضا أنها سألت سيدنا سليمان عن أمرين، قالت له: أريد ماء ليس من أرض و لا من سماء!! فسأل سليمان الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين، فقالت الشياطين: هذا هين، أجز الخيل، ثم خذ عرقها، ثم املا منه الآنية، فأمر بالخيال فأجريت، ثم أخذ العرق، فملا منه الآنية!! و سأله عن لون الله عزّ و جل فوثب سليمان عن سريره، و فرع من السؤال، و قال:

لقد سألتني يا رب عن أمر، إنه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك، و لكن الله أنساه، و أنساهم ما سأله عنه.

و أن الشياطين خافوا لو تزوّجها سليمان، و جاءت بولد، أن يبقوا في عبوديته، فصنعوا له هذا الصرح الممرد «١»، فظنته ماء، فكشفت عن ساقها لتعبه، فإذا هي شعراء، فاستشارهم سليمان، ما يذبه؟ فجعلت له الشياطين النورة «٢».

قال ابن كثير في تفسيره، بعد أن ذكر بعض المرويّات: و الأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم، كرواية كعب، و وهب، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد «٣»، و الغرائب، و العجائب مما كان، و ما لم يكن، و مما حرّف، و بدّل، و نسخ. و قد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه، و أنفع، و أوضح، و أبلغ، و لله الحمد و المنّة. (١) الصرح: هو القصر المشيد المحكم البناء، المرتفع في السماء، و الممرد: الناعم الأملس.

القوارير: الزجاج الشديد الصفاء.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٦. و تفسير البغوي، ج ٣، ص ٤٢١ و ٤٢٢.

(٣) جمع آبدء، و هي الأمور المشكّلة البعيدة المعاني، و أصل الآبدء: النافرة من الوحش التي يستعصى أخذها، ثم شبه بها الكلام المشكل العويص المعاني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥١

و الحق أن سليمان عليه السلام أراد بينائه الصرح أن يريها عظمة ملكه، و سلطانه، و أن الله - سبحانه و تعالى - أعطاه من الملك، و من أسباب العمران و الحضارة ما لم يعطها، فضلا عن النبوة التي هي فوق الملك، و التي دونها أية نعمة، و حاشا لسليمان عليه السلام و هو الذي سأل الله أن يعطيه حكما يوافق حكمه - أي الله - فأوتيه أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرّم الله عليه، و هما ساقها، و هو أجلّ من ذلك و أسمى.

و لو لا - أنها رأت من سليمان ما كان عليه من الدين المتين، و الخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، و لما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب و الشمس، و أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

٢٦- الإسرائيليات في هديّة ملكة سبأ لسيدنا سليمان

و من الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين، كابن جرير، و الثعلبي، و البغوي، و صاحب «الدر»، في الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سيدنا سليمان عليه السلام، و إليك ما ذكره البغوي في تفسيره، و ذلك عند تفسير قوله تعالى:

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ «١».

قال البغوي:

فأهدت إليه وصفاء و وصائف. قال ابن عباس: ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف الذكر من الأنثى. و قال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجوارى، و ألبس (١) النمل / ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٢

الجوارى ألبسه الغلمان. و اختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة و صيف، و مائة و صيفة «١». و قال مجاهد و مقاتل: مائتا غلام، و مائتا جارية. و قال قتادة و سعيد بن جبير و غيرهما: أرسلت إليه بلبنة من ذهب في حرير، و ديباج.

و قال وهب و غيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام، و خمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجوارى، و جعلت في سواعدهم أساور من ذهب، و في أعناقهم أطواقا من ذهب، و في آذانهم أقراطا، و شتوفا مرصعات بأنواع الجواهر. و ألبست الجوارى لباس الغلمان: الأقيبة و المناطق، و حملت الجوارى على خمسمائة رمكة «٢»، و الغلمان على خمسمائة برزون «٣»، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر، و غواشيها من الديداج الملون. و بعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب و خمسمائة لبنة من فضة، و تاجا مكللا بالدر و الياقوت. و أرسلت إليه المسك و العنبر و العود، و عمدت إلى حقه، فجعلت فيها درة ثمينه غير مثقوبة، و خرزة مثقوبة معوجة الثقب. و أرسلت مع الهدية رجالا - من عقلاء قومها، و كتبت معهم كتابا إلى سليمان بالهدية. و قالت: إن كنت نبيا فميز لى بين الوصائف و الوصفاء، و أخبرنى بما فى الحقة قبل أن تفتحها، و اثقب الدر ثقبا مستويا، و أدخل خيطا فى الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس و لا جن.

و رووا أيضا: أن سليمان عليه السلام أمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب و لبنات الفضة، ففعلوا، ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذى هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانا واحدا، بلبنات الذهب و الفضة!! و أن يعدوا فى الميدان أعجب (١) أى خادم، و خادمة. (٢) أنثى البغال.

(٣) البغل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٣

دواب البر و البحر، فأعدوها. ثم قعد على سريره، و أمر الشياطين أن يصطفوا صفوفًا فراسخ، و أمر الإنس فاصطفوا فراسخ، و أمر الوحوش و السباع و الهوام و الطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه و عن يساره، فلما دنا القوم من الميدان، و نظروا إلى ملك سليمان، و رأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب و الفضة، تقاصرت أنفسهم، و رموا بما معهم من الهدايا. ثم كان أن استعان سليمان بجبريل و الشياطين، و الأرضة فى الإجابة عما سأله عنه «١».

و معظم ذلك مما لا -نشك أنه من الإسرائيليات المكذوبة «٢»، و أى ملك فى الدنيا يتسع لفرش تسعة فراسخ بلبنات الذهب و الفضة؟! و فى رواية وهب ما يدل على الأصل الذى جاءت منه هذه المرويّات. و أن من روى ذلك من السلف فإنما أخذه عن مسلمة أهل الكتاب. و ما كان أجدر بكتب التفسير أن تنزه عن مثل هذا اللغو و الخرافات التى تدسست إلى الرواية الإسلامية فأساءت إليها.

٢٧- الإسرائيليات فى قصة الذبيح و أنه إسحاق

إشارة

و من الإسرائيليات ما يذكره كثير من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى:

وَ قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. (١) تفسير البغوي، ج ٣، ص ٤١٧ و ٤١٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٤

فَلَمَّا أَشْرَكُوا وَ تَلَّ لِلْجَبِينِ «١» وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ «٢».

فقد روى كثير من المفسرين، منهم ابن جرير «٣»، و البغوى «٤»، و صاحب «الدر» «٥» فى هذا روايات كثيرة، عن بعض الصحابة و التابعين و كعب الأحبار: أن الذبيح هو إسحاق.

و لم يقف الأمر عند الموقوف على الصحابة و التابعين، بل رفعوا ذلك زورا إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

روى ابن جرير، عن أبى كريب، عن زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن على بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: «الذبيح إسحاق».

و هو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به؛ فالحسن بن دينار متروك، و شيخه على بن زيد بن جدعان منكر الحديث «٦».

و

أخرج الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال (١) أضجعه على جبينه على الأرض، و للإنسان جبينان و الجبهة بينهما.

(٢) الصافات / ٩٩-١١٣.

(٣) تفسير الطبرى، ج ٢٣، ص ٥١.

(٤) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٣٢.

(٥) تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٧٩-٢٨٤.

(٦) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٥

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إن داود سأل ربه مسألة، فقال: اجعلنى مثل إبراهيم، و إسحاق، و يعقوب، فأوحى الله إليه: إنى ابتليت إبراهيم بالنار فصير، و ابتليت إسحاق بالذبح فصبر، و ابتليت يعقوب فصبر».

و

بما أخرجه الدار قطنى، و الديلمى فى مسند الفردوس بسندهما عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الذبيح إسحاق».

و هى أحاديث لا تصح و لا تثبت، و أحاديث الديلمى فى مسند الفردوس شأنها معروف، و الدار قطنى ربما يخرج فى سننه ما هو موضوع «١».

و

أخرج الطبرانى فى «الأوسط»، و ابن أبى حاتم فى تفسيره، من طريق الوليد ابن مسلم، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إن الله تعالى خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى أو شفاعتى، فاخترت شفاعتى و رجوت أن تكون أعم لأمتى، و لو لا الذى سبقنى إليه العبد الصالح لعجلت دعوتى، إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له يا إسحاق: سل تعطه قال: أما و الله لأتعجلنّها قبل نزغات الشيطان، اللهم من مات لا يشرك بالله شيئا قد أحسن فاغفر له» «٢».

صحتها، و تزعمون أنها ليست محرفة!!، ثم ما رأيكم أيها المغترون بروايات أن الذبيح إسحاق، بعد ما تأكدتم تحريف التوراة في هذا؟

وقد دل القرآن الكريم، و دلت التوراة، و رواية البخارى و غيره على أن الخليل إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر و ابنها عند مكان البيت المحرم؛ حيث بنى فيما بعد، و قامت مكة بجواره. و قد عبرت التوراة بأنهما كانا فى بئرئ فاران، و فاران هى مكة، كما يعبر عنها فى العهد القديم. و هذا هو الحق فى أن قصة الذبح كان مسرحها بمكة و منى، و فيها يذبح الحجاج ذبائحهم اليوم. و قد حرف اليهود النص الأول و جعلوه «جبل المريا»، و هو الذى تقع عليه مدينة أورشليم القديمة- مدينة القدس اليوم- ليتم لهم ما أرادوا، فأبى الحق إلا أن يظهر تحريفهم!! و قد ذكر ابن كثير: أن فى بعض نسخ التوراة «بكرك» «١» بدل «وحيذك» و هو أظهر فى البطلان، و أدل على التحريف؛ إذ لم يكن إسحاق بكرا للخليل بنص التوراة، كما ذكرنا آنفا.

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

و الحق أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، و هو الذى يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية، و الآثار عن الصحابة و التابعين، و منها ما له حكم الرفع بتقرير مُسَلِّمَةً لَكَ و لو أن اليهود وعوا ما جاء فى التوراة و القرآن، لعلموا أنه ستكون أمه لها شأنها من نسل إسماعيل، و لما حسدوا المسلمين على هذا الفضل.

(١) أول مولود يولد للشخص. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٩

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لَهُ.

فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة، و التابعين، و من بعدهم، و أئمة العلم و الحديث، منهم الصحابة النجباء، و السادة العلماء: الإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام، سعيد بن جبير، و مجاهد، و الشعبي، و الحسن البصرى، و محمد بن كعب القرظى، و سعيد بن المسيب، و الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السّلام، و أبو صالح، و الربيع بن أنس، و أبو عمرو ابن العلاء، و أحمد بن حنبل و غيرهم، و هو إحدى الروايتين، و أقواهما عن ابن عباس.

و فى «زاد المعاد»، لابن القيم: أنه الصواب عند علماء الصحابة و التابعين فمن بعدهم.

و هذا رأى هو المشهور عند العرب قبل البعثة، نقلوه بالتواتر جيلا عن جيل، و ذكره أمية بن أبى الصلت فى شعر له.

قال: و لا خلاف بين النسّابين أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السّلام، و إسماعيل هو القول الصواب عند علماء الصحابة و التابعين و من بعدهم. و أما القول بأنه إسحاق فباطل من عشرين وجها. قال ابن تيمية: هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: «إن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه بكره»، و فى لفظ «وحيده» و لا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، و الذى غرّ هؤلاء أنه فى التوراة التى بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق». قال:

و هذه الزيادة من تحريفهم و كذبهم؛ لأنها تناقض قوله: «اذبح بكرك و وحيذك»، و لكنّ اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف، و أحبوا أن يكون لهم، و أن يسوقه إليهم، و يختاروه لأنفسهم دون المسلمين، و أبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

و كيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق؟ و الله تعالى قد بشر أم إسحاق به،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٠

و بابنه يعقوب، قال تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ «١».

فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد، و للولد ولد، ثم يأمر بذبحه. و لا ريب أن يعقوب عليه السّلام داخل فى البشارة، و يدل عليه أيضا أن الله ذكر قصة إبراهيم و ابنه الذبيح فى سورة الصافات، ثم قال- بعدها-: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ «٢». و هذا ظاهر

جدًا في أن المبشّر به غير الأول، بل هو كالتنص فيه، و غير معقول في أفصح الكلام و أبلغه أن يبشّر بإسحاق بعد قصة يكون فيها هو الذبيح، فتعين أن يكون الذبيح غيره.

و أيضا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة؛ و لذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعى بين الصفا و المروة، و رمى الجمار تذكيرا لشأن إسماعيل و أمه، و إقامته لذكر الله، و معلوم أن إسماعيل و أمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق و أمه.

و لو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب؛ لكانت القرابين و النحر بالشام، لا بمكة، و أيضا فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليما؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه، و لما ذكر إسحاق سماه عليما: قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ «٣». و هذا إسحاق بلا ريب؛ لأنه من امرأته و هى المبشرة به، و أما إسماعيل فمن السرية «٤»، و أيضا فلأنهما بشرا به على الكبر و اليأس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه أمرا بعيدا، و أما إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك ... إلى آخر ما (١) هود/ ٧١.

(٢) الصافات/ ١١٢.

(٣) الذاريات/ ٢٨.

(٤) أى الجارية.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤١

قال «١».

و شهد شاهد من أهلها

و روى ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظى، أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز و هو خليفة، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، و إنى لأراه كما قلت. ثم أرسل إلى رجل كان يهوديا، فأسلم و حسن إسلامه، و كان من علمائهم، فسأله: أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل - و الله - يا أمير المؤمنين، و إن يهود لتعلم بذلك، و لكنهم يحسدونكم. و هذا هو الحق الذى يجب أن يصار إليه. قال ابن كثير فى تفسيره: «و الذى استدلل به محمد بن كعب القرظى على أنه إسماعيل أثبت، و أصح، و أقوى، و الله أعلم» «٢».

قال أبو شهبة: و بعد هذا التحقيق و البحث، يتبين لنا أن الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، و أن ما روى من أنه إسحاق، المرفوع منه إما موضوع، و إما ضعيف لا يصح الاحتجاج به، و الموقوف منه على الصحابة أو على التابعين إن صح سنده إليهم هو من الإسرائيليات التى رواها أهل الكتاب الذين أسلموا، و أنها فى أصلها من دس اليهود، و كذبهم، و تحريفهم للنصوص حسدا منهم. فقاتلهم الله أنى يؤفكون.

و قد جاز هذا الدس اليهودى على بعض كبار العلماء كابن جرير «٣»، و القاضى عياض، و السهيلي، فذهبوا إلى أنه إسحاق، و تحير بعضهم فى (١) زاد المعاد، ج ١، ص ١٣-١٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٨.

(٣) جامع البيان، ج ٢٣، ص ٥٤-٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٢

الروايات فتوقف، كالسيوطى و ابن الأثير «١» و حاول بعضهم الجمع بينها فزعم أن الذبح وقع مرتين، و الحق: ما وضحناه لك، فلا تجوز، و لا تتوقف و لا تقل بال تكرار، و الله الهادى إلى الحق.

و لأجل أن يكون هذا الفضل لجدهم إسحاق عليه السّلام لا لأخيه إسماعيل حرّفوا التوراة في هذا، و لكن الله أبى إلّا أن يغفلوا عما يدلّ على هذه الجريمة النكراء؛ و الجاني غالباً يترك من الآثار ما يدلّ على جريمته، و الحق يبقى له شعاع، و لو خافت، يدلّ عليه، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره، و طمس معالمه. فقد حذفوا من التوراة لفظ «إسماعيل»، و وضعوا بدله لفظ «إسحاق»، و لكنهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير، و ذاك الدسّ المشين.

٢٨- الإسرائيليات في قصة إياس عليه السلام

و من الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير ما ذكره في قصة إياس عليه السلام عند تفسير قوله تعالى: وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَ تَدْعُونَ بَعْثًا وَ تَذُرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَنْهَبْنَاهُمْ لِمُحَضَّرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ، إِنَّا كَذَلِكُمْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٢).

فقد روى البغوي، و الخازن، و صاحب «الدر»، و غيرهم، عن ابن عباس، و الحسن، و كعب الأحبار، و وهب بن متهبه، مرويات تتعلق بإلياس عليه السلام.

قال صاحب «الدر المنثور»: أخرج ابن عساكر، عن الحسن رضى الله عنه في قوله:

وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، قال: إن الله تعالى بعث إياس إلى بعلبك، و كانوا قوما يعبدون الأصنام، و كانت ملوك بني إسرائيل متفرقة على العامة، كل ملك على ناحية يأكلها، و كان الملك الذي كان إياس معه يقوم له أمره، و يقتدى برأيه، و هو على هدى من بين أصحابه، حتى وقع إليهم قوم من عبدة الأصنام، فقالوا له: ما يدعوك إلّا إلى الضلالة و الباطل، و جعلوا يقولون له: اعبد هذه الأوثان التي تعبد (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٨٠. و الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٠٨-١١١.

(٢) الصافات / ١٢٣-١٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٣

الملوك، و هم على ما نحن عليه، يأكلون، و يشربون، و هم في ملكهم يتقلبون، و ما تنقص دنياهم من ربهم الذي تزعم أنه باطل، و ما لنا عليهم من فضل.

فاسترجع إياس، فقام شعر رأسه، و جلده، فخرج عليه إياس.

قال الحسن: و إن الذي زين لذلك الملك امرأته، و كانت قبله تحت ملك جبار، و كان من الكنعانيين في طول و جسم و حسن، فمات زوجها فاتخذت تمثالا على صورة بعلها من الذهب، و جعلت له حدقتين من ياقوتتين، و توجته بتاج مكلل بالدر و الجواهر، ثم أقعدته على سرير، تدخل عليه، فتدخّنه، و تطيبه، و تسجد له، ثم تخرج عنه. فتزوجت بعد ذلك هذا الملك الذي كان إياس معه.

و كانت فاجرة قد قهرت زوجها، و وضعت البعل في ذلك البيت، و جعلت سبعين سادنا «١»، فعدوا البعل. فدعاهم إياس إلى الله فلم يزداهم ذلك إلّا بعدا، فقال إياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلّا الكفر بك، و عبادة غيرك، فغيّر ما بهم من نعمتك. فأوحى الله إليه: إني قد جعلت أرزاقهم بيدك، فقال: اللهم أمسك عنهم القطر ثلاث سنين، فأمسك الله عنهم القطر. و أرسل إلى الملك فتاه اليسع، فقال: قل له: إن إياس يقول لك: إنك اخترت عبادة البعل على عبادة الله، و أتبعته هوى امرأتك، فاستعد للعذاب و البلاء. فانطلق اليسع، فبلغ رسالته للملك، فعصمه الله تعالى من شر الملك، و أمسك الله عنهم القطر، حتى هلكت الماشية و الدواب، و جهد الناس جهدا شديدا. و خرج إياس إلى ذروة جبل، فكان الله يأتيه برزق، و فجر له عينا معينا لشرابه و طهوره. حتى أصاب الناس الجهد، فأرسل الملك إلى السبعين، فقال لهم: سلوا البعل أن يفرج ما بنا، فأخرجوا أصنامهم، ففربوا لها الذبائح، و عطفوا عليها، و جعلوا يدعون، حتى طال (١) هو الذي يقوم بخدمة الأصنام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٤

ذلك بهم، فقال لهم الملك: إن إله إلياس كان أسرع إجابة من هؤلاء. فبعثوا في طلب إلياس، فأتى، فقال: أ تحبون أن يفرج عنكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخرجوا أوثانكم. فدعا إلياس عليه السَّلام ربه أن يفرج عنهم، فارتفعت سحابة مثل الترس «١»، و هم ينظرون، ثم أرسل الله عليهم المطر، فتابوا و رجعوا.

قال: و أخرج ابن عساكر، عن كعب، قال: «أربعة أنبياء اليوم أحياء، اثنان في الدنيا: إلياس و الخضر، و اثنان في السماء: عيسى و إدريس».

قال: و أخرج ابن عساكر، عن وهب، قال: دعا إلياس عليه السَّلام ربه، أن يريحه من قومه، فقيل له: انظر يوم كذا و كذا، فإذا رأيت دابةً لونها مثل لون النار فاركبها.

فجعل يتوقع ذلك اليوم، فإذا هو بشيء قد أقبل على صورة فرس، لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فكان آخر العهد به، فكساه الله الريش، و كساه النور، و قطع عنه لذة الطعام و المشرب، فصار في الملائكة عليهم السَّلام.

قال: و أخرج ابن عساكر، عن الحسن رضى الله عنه قال: إلياس عليه السَّلام موكل بالفيافي.

و الخضر عليه السَّلام بالجبال، و قد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى «٢»، و أنهما يجتمعان كل عام بالموسم.

قال: و أخرج الحاكم، عن كعب، قال: كان إلياس صاحب جبال و بريء يخلو فيها، يعبد ربه عز و جل، و كان ضخم الرأس، خميص البطن، دقيق الساقين، في صدره شامة حمراء، و إنما رفعه الله إلى أرض الشام، لم يصعد به إلى السماء، و هو الذي (١) ما يلبسه المحارب.

(٢) يعنى النفخة الأولى في الصور.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٥

سماه الله ذا النون «١».

و كل هذا من أخبار بنى إسرائيل و تزديداتهم، و اختلاقاتهم، و ما روى منها عن بعض الصحابة و التابعين، فمرجه إلى مسلمة أهل الكتاب ككعب، و وهب و غيرهما، و قد رأيت كيف تضارب و تناقض كعب و وهب، فكعب يقول:

لم يصعد به إلى السماء، و يزعم أنه ذو النون، و وهب يقول: إنه رفعه إلى السماء، و صار في عداد الملائكة عليهم السَّلام و أن بعض الروايات تقول: إنه الخضر، و البعض الآخر يقول: إنه غير الخضر، إلى غير ذلك من الاضطرابات و الأباطيل، كزعم مختلق الروايات الأولى: «أن الله أوحى إلى إلياس إنى قد جعلت أرزاقهم بيدك».

بينما في بعض الروايات الأخرى: أن الله أبى عليه ذلك مرتين، و أجابه في الثالثة، و هكذا الباطل يكون مضطرباً لجلجا، و أما الحق فهو ثابت أبلج.

و لم يقف الأمر عند نقل هذه الإسرائيليات عمن ذكرنا، بل بلغ الافتراء ببعض الزنادقة و الكذابين إلى نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم كى يؤيد به أكاذيب بنى إسرائيل و خرافاتهم، و كى يعود ذلك بالطعن على صاحب الرسالة العامة الخالدة صلى الله عليه و آله و سلم.

قال السيوطى في «الدرر»: و أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الخضر هو إلياس».

و

أخرج الحاكم و صححه و البيهقى في «الدلائل» و ضعفه عن أنس رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في سفر، فنزلنا منزلاً، فإذا رجل في الوادى يقول:

اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة، المغفورة، المثاب لها، فأشرفت على الوادى، فإذا رجل طوله ثلاثمائة ذراع و أكثر، فقال: من

أنت؟ قلت: أنس، خادم (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٨٠ و ٢٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٦

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أين هو؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأتته و أقرئه مني السلام، و قل له: أخوك إلياس يقرئك السلام. فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فجاء حتى عانقه، و قعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله، إنى إنما آكل فى كل سنة يوماً، و هذا يوم فطرى فكل أنت و أنا، فنزلت عليهما مائدة من السماء، و خبز و حوت و كرفس، فأكلا، و أطعمانى، و صليا العصر، ثم ودعنى و ودعته، ثم رأيت مَرَّ على السحاب نحو السماء.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، و قال الإمام الذهبي: بل هو موضوع، قبح الله من وضعه، قال- أى الذهبي-: و ما كنت أحسب و لا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يصحح مثل هذا.

و أخلق بهذا أن يكون موضوعا، كما قاله الإمام الحافظ الناقد الذهبي.

٢٩- الإسرائيليات فى قصة داود عليه السلام

إشارة

و من الإسرائيليات التى تخلّ بمقام الأنبياء، و تنافى عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين فى قصة سيدنا داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَ لِي نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا «١» وَ عَزَّنِي «٢» فِي الْخِطَابِ. (١) أكفليها: ضمها إلى.

(٢) عزنى: غلبنى فى القول لقوته، و جاهه و ضعفى.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٧

قَالَ لَمَّا ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ «١».

فقد ذكر ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و البغوى، و السيوطى فى «الدر المنثور» «٢» من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، و لا يوافق عقلا، و لا نقلا، عن ابن عباس، و مجاهد، و وهب بن منبه، و كعب الأخبار، و السدى، و غيرهم ما محصى لها: أن داود عليه السلام حدث نفسه؛ إن ابتلى أن يعتصم، فقيل له: إنك ستبتلى و ستعلم اليوم الذى تبتلى فيه، فخذ حذرَكَ، فقيل له: هذا اليوم الذى تبتلى فيه، فأخذ الزبور «٣»، و دخل المحراب، و أغلق بابه، و أقعد خادمه على الباب، و قال:

لا- تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوقه على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، و كان زوجها غازيا فى سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعله فى حمله التابوت «٤»، و كان حمله التابوت إما أن يفتح عليهم، و إما أن يقتلوا، فقدّمه فى حمله التابوت، فقتل. و فى بعض هذه الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل فى الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داود عليه السلام، فتسوّر عليه الملكان، و كان ما كان، مما حكاه (١)

ص / ٢١-٢٥.

(٢) ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٣) كتاب داود عليه السلام.

(٤) صندوق فيه بعض مخلفات أنبياء بنى إسرائيل، فكانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي ينصروا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٨

اللّٰه تعالى.

و لم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة و التابعين، و مسلمة أهل الكتاب، بل جاء بعضها مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللّٰه عليه و آله و سلّم.

قال صاحب «الدر»: و أخرج الحكيم الترمذى فى «نوادير الأصول»، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم بسند ضعيف، عن أنس رضى اللّٰه عنه قال: سمعت رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و آله و سلّم يقول: «إن داود عليه السّلام حين نظر إلى المرأة، قطع «١» على بنى إسرائيل، و أوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت»، و كان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت، لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم معه الجيش، فقتل، و تزوج المرأة، و نزل الملكان على داود عليه السّلام فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدا، حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه، و هو يقول فى سجوده: «ربّ زل داود زلةً أبعد مما بين المشرق و المغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود، و تغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا فى المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السّلام من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود إن اللّٰه قد غفر لك، و قد عرفت أن اللّٰه عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا ربّ دمي الذى عند داود، قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، ففرح جبريل، و سجد داود عليه السّلام، فمكث ما شاء اللّٰه، ثم نزل، فقال: قد سألت اللّٰه يا داود عن الذى أرسلتنى فيه، فقال: قل لداود: إن اللّٰه يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب لى دمك الذى عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك فى الجنة ما شئت، و ما اشتيت عوضا. و قد رواها البغوى (١) هى هكذا فى «الدر المنثور» و فى تفسير البغوى. و لعلها قطع.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٩

أيضا عن طريق الثعلبى «١»

، و الرواية منكرة مختلقة على الرسول. و فى سند هذه الرواية المختلقة على رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و آله و سلّم ابن لهيعة، و هو مضعف فى الحديث، و فى سندها أيضا يزيد بن أبان الرقاشى، كان ضعيفا فى الحديث.

و قال فيه النسائى، و الحاكم أبو أحمد: إنه متروك، و قال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد اللّٰه، من البكّائين بالليل، غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي صَلَّى اللّٰه عليه و آله و سلّم، فلا تحل الرواية عنه إلّا على جهة التعجب «٢».

و قال العلامة ابن كثير فى تفسيره «٣»: «و قد ذكر المفسرون هاهنا قصة؛ أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، و لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه، و لكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى، عن أنس رضى اللّٰه عنه، و يزيد و إن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة».

و من ثم يتبين لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و آله و سلّم، و لا- نكاد نصدق ورود هذا عن المعصوم، و إنما هى اختلافات، و أكاذيب من إسرائيليّات أهل الكتاب، و هل يشك مؤمن عاقل يقرّ بعصمة الأنبياء، فى استحالة صدور هذا عن داود عليه السّلام، ثم يكون على لسان من؟ على لسان من كان حريصا على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم، و هو نبينا محمد صَلَّى اللّٰه عليه و آله و سلّم و مثل هذا التدبير السيئ، و الاسترسال فيه على ما رووا، لو صدر من رجل من سوقه (١) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٥٢-٥٩ و الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٠

الناس و عامتهم، لا-عتبر هذا أمرا مستهجنا مستقبحا، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه، و طهرت سريرته، و عصمه الله من الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و هو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم؟! و لو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، و لنفرت منه الناس، و لكان لهم العذر في عدم الإيمان به، فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، و كيف يكون على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه: «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ؟ قال ابن كثير في تفسيرها: «و إن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عزّ و جل بها و حسن مرجع، و هو الدرجات العالية في الجنة لنبوته و عدله التام في ملكه، كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، و كلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهلهم، و ما ولوا»

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إن أحب الناس إليّ يوم القيامة و أقربهم مني مجلسا إمام عادل، و إن أبغض الناس إليّ يوم القيامة، و أشدهم عذابا إمام جائر» رواه أحمد، و الترمذى (١) . و لكى يستقيم هذا الباطل قالوا: إن المراد بالنعجة هي المرأة، و أن القصة خرجت مخرج الرمز و الإشارة، و رروا: أن الملكين لما سمعا حكم داود، و قضاءه بظلم صاحب التسع و التسعين نعجة لصاحب النعجة، قال له: و ما جزاء من فعل ذلك؟ قال: يقطع هذا، و أشار إلى عنقه. و في رواية: «يضرب من هاهنا، و هاهنا، و هاهنا» و أشار إلى جبهته، و أنفه، و ما تحته، فضحكا، و قالوا، «أنت أحق بذلك منه، ثم صعدا».

و ذكر البغوى في تفسيره و غيره، عن وهب بن منبه: أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا- يرقأ دمه ليلا و لا نهارا، و كان أصاب (١) تفسير ابن كثير، ص ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧١

الخطيئة، و هو ابن سبعين سنة، فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بنى إسرائيل، و يوم لنسائه، و يوم يسيح في الفيافي، و الجبال، و السواحل، و يوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك. فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و يبكي معه الشجر، و الرمال، و الطير، و الوحش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكى معه الجبال، و الحجارة، و الدواب، و الطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكى معه الحيتان، و دواب البحر و طير الماء و السباع (١). و الحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، و ليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، و هي التي عليها المعول، و ليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه، و لا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز و الإشارة. و ما أحسن ما قال الإمام القاضى عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا، و غيروا، و نقله بعض المفسرين، و لم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، و لا ورد في حديث صحيح، و الذى نص عليه في قصة داود: وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ و ليس في قصة داود، و أوربا خبر ثابت (٢)».

و المحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضى، قال الداودى: ليس في قصة داود و أوربا خبر يثبت، و لا يظن بنى محبة قتل مسلم، و

قد روى عن الامام (١) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٥٧-٥٨.

(٢) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى، ج ٢، ص ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٢

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة و ستين جلدة، و ذلك حد الفرية على الأنبياء (١)، و هو كلام مقبول و مروى عن الامام الصادق عليه السلام أيضا (٢).

التفسير الصحيح الآيات

و إذا كان ما روى من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات، فما التفسير الصحيح لها إذا؟
والجواب: أن داود عليه السلام كان قد وزع مهام أعماله، و مسؤولياته نحو نفسه، و نحو الرعية على الأيام، و خص كل يوم بعمل، فجعل يوماً للعبادة، و يوماً للقضاء و فصل الخصومات، و يوماً للاشتغال بشئون نفسه و أهله، و يوماً لوعظ بني إسرائيل.
ففى يوم العبادة بينما كان مشغولاً بعبادة ربه فى محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، و لم يدخل من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، و فرع فزعا لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلا عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل، الواثقين بحفظه، و رعايته، و ظن بهما سوءا، و أنهما جاءا ليقتلاه، أو يبيغيا به شرا، و لكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن، و أنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه.
فلما قضى بينهما، و تبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما، استغفر ربه، و خرّ ساجدا لله تعالى تحقيقاً لصدق توبته و الإخلاص له، و أناب إلى الله غاية (١) لأن حد القذف لغير الأنبياء ثمانين، فرأى رضى الله عنه تضييفه بالنسبة إلى الأنبياء و فى الكذب عليهم رمى لهم بما هم برآء منه، ففيه معنى القذف لداود بالتعدى على حرمت الأعراس و التحايل فى سبيل ذلك.

(٢) راجع الطبرسى، ج ٨، ص ٤٧٢. و البحار، ج ١٤، ص ٢٩ رقم ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٣

الإنباء.

و مثل الأنبياء فى علو شأنهم، و قوة ثقتهم بالله و التوكل عليه أن لا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، و مثل هذا الظن و إن لم يكن ذنباً فى العادة، إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى و الأليق بهم، و قد يما قيل: «حسنت الأبرار سيئات المقرّبين»، فالرجلان خصمان حقيقة، و ليسا ملكين كما زعموا، و النعاج على حقيقتها، و ليس ثمة رموز و لا إشارات. و هذا التأويل هو الذى يوافق نظم القرآن و يتفق و عصمة الأنبياء، فالواجب الأخذ به، و نبذ الخرافات و الأباطيل، التى هى من صنع بني إسرائيل، و تلقفها القصاص و أمثالهم ممن لا علم عندهم، و لا تمييز بين الغث و السمين.

٣٠- الإسرائيليات فى قصة سليمان عليه السلام

إشارة

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ «١».

و قد ذكر الكثير منها فى تفاسيرهم، ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و الثعلبى، و البغوى، و غيرهم. و ذكر كل ما روى من ذلك من غير تمييز بين الصحيح و الضعيف، و الغث و السمين، السيوطى، فى «الدر المنثور» و ليته إذ فعل نقد كل روايته، و بين منزلتها من القبول و الرد، و ما هو من الإسرائيليات، و ما ليس منها.

قال السيوطى فى «الدر»: أخرج النسائى، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، بسند قوى عن ابن عباس قال: (١) ص / ٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٤

أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء «١»، فأعطى الجراد خاتمه، و كانت جرادة امرأته، و كانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان فى صورة سليمان، فقال لها: هاتى خاتمى، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن، و الإنس، و الشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء، قال لها: هاتى خاتمى، فقالت: قد أعطيتك سليمان، قال:

أنا سليمان، قالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتى أحدا يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما

رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عزّ وجل وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهنّ: أ يكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم، إنه يأتينا «٢» ونحن حيض، و ما كان يأتينا قبل ذلك! فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتباً فيها سحر، و مكر، فدفنوها تحت كرسى سليمان، ثم أثاروها «٣»، و قرءوها على الناس، قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس، و يغلبهم. فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، و بعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقتة سمكة، فأخذته، و كان سليمان عليه السلام يعمل على شط البحر بالأجر. فجاء رجل، فاشترى سمكاً؛ فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان عليه السلام فقال له: تحمل لي هذا السمك، ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان عليه السلام، فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلبسه، فلما لبسه دانت له (١) المرحاض.

(٢) يباشرها.

(٣) أخرجوها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٥

الإنس و الجن و الشياطين، و عاد إلى حاله، و هرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه، و كان شيطاناً مريداً يطلبونه و لا- يقدرين عليه حتى وجدوه يوماً نائماً، فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذه، و أوثقه؛ و جاءوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به، فنقر له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سد بالنحاس، ثم أمر به، فطرح في البحر، فذلك قوله:

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً...، يعنى الشيطان الذى كان تسلط عليه.

و قد روى السيوطى فى «الدر» روايات أخرى، عن ابن عباس و قتادة، فى أن هذا الشيطان كان يسمّى صخرا. و روى عن مجاهد: أن اسمه آصف، و أن سليمان سأله: كيف تفتنون الناس؟! فقال الشيطان: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه آصف فى البحر، فساح سليمان، و ذهب ملكه، و قعد آصف على كرسيه، حتى كان ما كان من أمر السمكة، و العثور على الخاتم، و رجوع ملك سليمان إليه.

غير أن فى رواية قتادة، و مجاهد أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان، و منعهن الله منه، فلم يقربهن، و لم يقربنه «١».

و نحن لا- نشك فى أن هذه الخرافات من أكاذيب بنى إسرائيل، و أباطيلهم، و ما نسب إلى ابن عباس و غيره إنما تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب. و ليس أدل على هذا مما ذكره السيوطى فى «الدر» بالإسناد إلى ابن عباس قال: أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هى؟، حتى سألت عنهم كعب الأخبار- و حاشاه أن يسأله-. (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٠٩-٣١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٦

و ذكر منها: و سألته عن قوله تعالى: وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ: الشيطان أخذ خاتم سليمان عليه السلام الذى فيه ملكه، فقذف به فى البحر، فوقع فى بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها، فأكلها، فإذا فيها خاتمها، فرجع إليه ملكه «١».

و كذا ذكرها مطوّلة جداً: البغوى فى تفسيره، عن محمد بن إسحاق- و حاشاه- عن وهب بن مته «٢».

قال الإمام القاضى عياض فى «الشفاء»: «و لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به، و تسلطه على ملكه، و تصرفه فى أمته بالجور فى حكمه؛ لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، و قد عصم الأنبياء من مثله» «٣» و كذلك الحافظ ابن كثير فى تفسيره «٤»، قال بعد أن ذكر الكثير منها:

و هذه كلها من الإسرائيليات، و من أنكرها ما قال ابن أبى حاتم: حدثنا على بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن العلاء، و عثمان بن أبى

شبيهة، و علي بن محمد، قالوا: حدثنا أبو معاوية قال: أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: وَ لَقَدْ فَتَنَّا شَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ: أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء. ثم ذكر الرواية التي ذكرناها أولاً قال: لكنه حديث مفترى و الظاهر أنه من افتراءات أهل الكتاب، و فيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه؛ (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣١٠.

(٢) تفسير البغوي، ج ٤، ص ٦١-٦٤.

(٣) الشفا، ج ٢، ص ١٦٢.

(٤) ج ٤، ص ٣٥-٣٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٧

و لهذا كان في هذا السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء. فإن المشهور عن مجاهد و غير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلب على نساء سليمان، بل عصمهن الله عز و جل منه، تشريفاً، و تكريماً لنبيه عليه السلام. و قد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضی الله عنه كسعيد بن المسيب و زيد بن أسلم، و جماعة آخرين، و كلها متلقاة عن أهل الكتاب، و الله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب.

قال أبو شهبة: و هذه الأحاديث كلها أكاذيب، و تلفيقات. و لكن بعض الكذبة من بنى إسرائيل كان أحرص، و أبعد غورا من البعض الآخر، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض، من ذكر تسلط الشيطان على نساء داود عليه السلام و ذلك حتى يكون لما لفقته، و افتراه، بعض القبول عند الناس. أما البعض الآخر فكان ساذجا في كذبه، مغفلا في تلفيقه، فترك آثار الجريمة بينة واضحة، و بذلك اشتمل ما لفقته على دليل كذبه.

و من العجيب أن الإمام السيوطي نبه في كتابه «تخريج أحاديث الشفا» أنها إسرائيلييات، تلقاها أهل الحديث عن أهل الكتاب. و ليته نبه إلى ذلك في التفسير.

و الحق أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة و الاختلاق، و يصادم العقل السليم، و النقل الصحيح في هذا.

و إذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام، فأى ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟! و كيف يسلب الله الشيطان على نساء نبيه سليمان، و هو أكرم على الله من ذلك؟! و أى ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه، و يزولان بزواله؟! و ما عهدنا في التاريخ البشرى شيئا من ذلك.

و إذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة؛ فكيف يغفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية، و لم يذكره بكلمة؟! و هل غير الله - سبحانه - خلقه

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٨

سليمان في لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به، و هي زوجته جرادة؟! الحق أن نسج القصة مهلهل، لا يصمد أمام النقد، و أن آثار الكذب و الاختلاق باديه عليها.

نسبة بعض هذه الأكاذيب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

و قد تجرأ بعض الرواة، أو غلط، فرفع بعض هذه الإسرائيلييات إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم،

قال السيوطي في «الدر المنثور»، و أخرج الطبراني في «الأوسط» (١)، و ابن مردويه بسند ضعيف، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ولد لسليمان ولد، فقال للشيطان: تواريه من الموت، قالوا: نذهب به إلى المشرق، فقال: يصل إليه الموت، قالوا: فإلى المغرب، قال: يصل إليه الموت، قالوا: إلى البحار، قال: يصل إليه الموت، قالوا: نضعه بين السماء و الأرض، قال:

نعم، و نزل عليه ملك الموت، فقال: إني أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار، و طلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها، فبينما أنا قاعد أصبتها، فقبضتها، و جاء جسده، حتى وقع على كرسی سليمان، فهو قول الله: وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ. و هذا الحديث موضوع على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و قد يكون ذلك من عمل بعض الزنادقة، أو غلط بعض الرواة، و قد تبه على وضعه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي، و قال: يحيى - يعنى ابن كثير - يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم، و لا ينسب إلى نبي الله سليمان ذلك، و وافقه السيوطي على وضعه «٢»، و لا يشك (١) يعنى فى كتابه «المعجم الأوسط».

(٢) اللثالي المصنوعة فى الأحاديث الموضوعه، ج ٢، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٩

فى وضع هذا إلاً من يشك فى عصمة الأنبياء عن مثله، و أحر بمثل هذا أن يكون مختلقا على نبينا صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و على نبي الله سليمان عليه السلام، و إنما هو من إسرائيليات بنى إسرائيل و أكاذيبهم. و الصحيح فى تفسير الفتنة هنا حسبما ذكرناه فى التمهيد، ج ٣، ص ٤٤٣ و ٤٤٤ أن سليمان عليه السلام قال يوماً لأصحابه: لأطوفن الليلة على نسائي لتلد كل واحدة غلاماً يضرب بالسيف فى سبيل الله. قال ذلك قاطعاً بالأمر، فقد تمتى ما لم يكن فى استطاعته إلاً أن يشاء الله. فأراد الله تنبيهه على بادرته تلك، فطاف عليهم كلهم لم تحمل منه سوى واحدة، و جاءت بسقط ميت «١».

٣١- إسرائيليات فى قصة أيوب عليه السلام

إشارة

و من القصص التى تزيد فيها المتزيدون، و استغلها القصاصون، و أطلقوا فيها لخيالهم العنان: قصة سيدنا أيوب عليه السلام، فقد رووا فيها ما عصم الله أنبياءه عنه.

و صوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله.

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِداً وَ شَراباً. وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرَى لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ. وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتاً فاضرب به وَ لا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ «٢». ذكر السيوطي فى «الدر المنثور» و غيره، عن قتادة رضى الله عنه فى قوله تعالى: وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ... (١) مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٧٥.

(٢) ص / ٤١ - ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٠

، قال: ذهب الأهل و المال، و الضر الذى أصابه فى جسده، قال: ابتلى سبع سنين و أشهر، فألقى على كناسه بنى إسرائيل، تختلف الدواب فى جسده، ففرج الله عنه، و أعظم له الأجر، و أحسن.

قال: و أخرج أحمد فى الزهد، و ابن أبى حاتم، و ابن عساكر عن ابن عباس رحمهما الله، قال: إن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا رب سلطنى على أيوب عليه السلام، قال الله: قد سلطتك على ماله، و ولده، و لم أسلطك على جسده، فنزل، فجمع جنوده، فقال لهم: قد سلطت على أيوب عليه السلام فأرونى سلطانكم، فصاروا نيراناً، ثم صاروا ماء، فبينما هم بالشرق إذا هم بالمغرب، و بينما هم بالمغرب إذا هم بالشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، و طائفة إلى أهله، و طائفة إلى بقره، و طائفة إلى غنمه، و قال: إنه لا يعتصم منكم إلاً بالمعروف، فأتوه بالمصائب، بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك، أرسل على زرعى عدواً، فذهب به. و جاء صاحب الإبل، و قال: ألم تر إلى ربك، أرسل على إبلك عدواً، فذهب بها. ثم جاء صاحب البقر، فقال: ألم تر إلى ربك أرسل على بقرى عدواً، فذهب بها. و تفرد هو بينه، جمعهم فى بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، و يشربون، إذ هبت

ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، و يشربون، إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم. فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم و لحومهم بطعامهم، و شرابهم. فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتنى أمى، فقام، فحلق رأسه، و قام يصلى، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء، و أهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أى رب، إنه قد اعتصم، فسُلطنى عليه، فإنى لا أستطيعه إلّا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨١

و لم أسلطك على قلبه، فنزل، فنفخ تحت قدمه نفخة، فرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، و ألقى على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب قد نزل بى و الله من الجهد و الفاقة ما إن بعت قرونى برغيف، فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، و يريحك، قال: و يحك، كنا فى النعيم سبعين عاما، فاصبرى حتى نكون فى الضر سبعين عاما، فكان فى البلاء سبع سنين، و دعا، فجاء جبريل عليه السلام يوما فأخذ بيده، ثم قال: قم، فقام، فنحاه عن مكانه، و قال: أركض برجلك، هذا مغتسل بارد و شراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضا، فقال: أركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، و هو قوله: أركض برجلك هذا مُغتسلُ باردٍ و شرابٍ، و ألبسه الله حلّة من الجنة.

فتنحى أيوب، فجلس فى ناحية، و جاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذى كان هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئب، و جعلت تكلمه ساعة، فقال: و يحك، أنا أيوب!! قد ردّ الله علىّ جسدى، و ردّ الله عليه ماله، و ولده عيانا و مثلهم معهم «١». قال: و أخرج أحمد فى الزهد، عن عبد الرحمن بن جبير رضى الله عنه، قال: ابتلى أيوب بماله، و ولده، و جسده، و طرح فى المزبلة، فجاءت امرأته تخرج، فتكتسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان بذلك، فكان يأتى أصحاب الخير و الغنى، فيقول: اطرّدوا هذه المرأة التى تغشاكم، فإنها تعالج صاحبها، و تلمسه بيدها، فالناس يتقدرون طعامكم من أجلها، فجعّلوا لا يدنونها منهم، و يقولون: تباعدى و نحن نطعمك، و لا تقرينا. (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣١٥ و ٣١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٢

و قد ذكر ابن جرير، و ابن أبى حاتم الكثير من هذه الروايات فى تفسيريهما، منها: ما هو موقوف، و بعضها مرفوع إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و كذلك ذكر ابن جرير، و البغوى، و غيرهما، عند تفسير قوله تعالى: وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنَى الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ «١» الكثير من الإسرائيليات.

فقد روى قصة أيوب و بلائه عن وهب بن متبه، فى بضع صحائف، و قد التبس فيها الحق بالباطل، و الصدق بالكذب «٢». و قال ابن كثير فى تفسيره عند هذه الآية: «و قد روى عن وهب بن متبه فى خبره- يعنى أيوب- قصة طويلة، ساقها ابن جرير، و ابن أبى حاتم بالسند عنه، و ذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، و فيها غرابة، تركناها لحال الطول.

و من العجيب أن الحافظ ابن كثير وقع فيما وقع فيه غيره فى قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات و لم يعقب عليه «٣»، مع أن عهدنا به أنه لا يذكر شيئا من ذلك إلّا و يتبه على مصدره، و من أين دخل فى الرواية الإسلامية، و لا أظن أنه يرى فى هذا أنه مما تباح روايته!! فقد ذكر أنه يقال: إنه أصيب بالجذام فى سائر بدنه، و لم يبق منه سليم سوى قلبه و لسانه، يذكر بهما الله عزّ و جل حتى عافه الجليس، و صار منبوذا فى ناحية من البلد، و لم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته، و تحمّلت فى بلائه ما تحمّلت، حتى صارت تخدم الناس، بل قد باعت شعرها بسبب ذلك، ثم قال: (١) الأنبياء/ ٨٣ و ٨٤.

(٢) تفسير البغوى، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٨-١٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٣

و قد روى، أنه مكث في البلاء مدة طويلة، ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء، فقال الحسن - يعنى البصرى - و قتادة: ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين و أشهر؛ ملقى على كناسه بنى إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، و أعظم له الأجر، و أحسن عليه الثناء. و قال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزيد و لا ينقص. و قال السدى: تساقط لحم أيوب، حتى لم يبق إلا العصب و العظام. ثم ذكر قصة طويلة.

ثم ذكر ما

رواه ابن أبى حاتم بسنده، عن الزهرى، عن أنس بن مالك: أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب و البعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه و يروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم- و الله- لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: و ما ذاك؟ قال: منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه السلام: ما أدرى ما تقول، غير أن الله عز و جل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكر ان الله، فأرجع إلى بيتى، فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق. قال: و كان يخرج فى حاجته، فإذا قضاهما أمسكت امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه: أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب».

و قال ابن كثير: رفع هذا الحديث غريب جدا «١»، و قال الحافظ ابن حجر:

و أصح ما ورد فى قصته ما أخرجه ابن أبى حاتم و ابن جرير، و صححه ابن حبان (١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٤

و الحاكم، بسند عن أنس: أن أيوب ... ثم ذكر مثل ذلك.

و المحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، و أن ذلك من إسرائيليات بنى إسرائيل و افتراءاتهم على الأنبياء. على أن صحة السند فى مصطلحهم لا تنافى أن أصله من الإسرائيليات، و ابن حجر على مكانته فى الحديث ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة العقلية و النقلية، كما فعل فى قصة الغرائق، و هاروت و ماروت، و كل ما روى موقوفا أو مرفوعا لا يخرج عما ذكره وهب بن منبه، فى قصة أيوب، التى أشرنا إليها آنفا، و ما روى عن ابن إسحاق أيضا، فهو مما أخذ عن وهب، و غيره.

و هذا يدل أعظم الدلالة على أن معظم ما روى فى قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و جاء القصاصون المولعون بالغرائب، فزادوا فى قصة أيوب، و أذاعوها، حتى اتخذ منها الشحاذون، و المتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس، و استدرار العطف عليهم.

الحق فى هذه القصة

و قد دل كتاب الله الصادق، على لسان نبى محمد الصادق، على أن الله تبارك و تعالى ابتلى نبى الله أيوب عليه السلام فى جسده، و أهله، و ماله، و أنه صبر حتى صار مضرب الأمثال فى ذلك، و قد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب، قال عز شأنه:

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ، فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدا، و الواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله، و لا يتزيد فى القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب، و ألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم، و ليس هذا بعجيب من بنى إسرائيل الذين لم يتجزءوا

على أنبياء الله و رسله فحسب، بل تجزءوا على

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٥

اللَّهُ تبارك و تعالی و نالوا منه، و فحشوا عليه، و نسبوا إليه ما قامت الأدلة العقلية و النقلية المتواترة على استحاله عليه سبحانه و تعالی من قولهم: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ «١»، و قولهم: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا «٢»، عليهم لعنة الله. و الذى يجب أن نعتقده أنه ابتلى، و لكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام «٣»، و أن جسمه أصبح قرحة، و أنه ألقى على كناسه بنى إسرائيل، يرمى فى جسده الدود، و تعبت به دواب بنى إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري. و أيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزيلة، و أن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، و يفزّزهم منه، و أى فائدة تحصل من الرسالة، و هو على هذه الحال المزريّة، التى لا يرضاها الله لأنبيائه و رسله؟.

و الأنبياء إنما يعيشون من أوساط «٤» قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه، و تطعمه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل و تبع ضفيريها فى سبيل إطعامه!! بل أين كان أتباعه، و المؤمنون منه، فهل تخلّوا عنه فى بلائه؟! و كيف و الإيمان ينافى ذلك؟! الحق أن نسج القصة مهلهل، لا يثبت أمام النقد، و لا يؤيده عقل سليم، و لا نقل صحيح، و أن ما أصيب به أيوب من المرض إنما كان من النوع غير المنفر، (١) آل عمران / ١٨١.

(٢) المائدة / ٦٤.

(٣) الجذام: مرض من أخصب الأمراض، و أقدرها.

(٤) خيارهم و أكرمهم نسبا و عشيرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٦

و المقزز، و أنه من الأمراض التى لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، و أمراض المفاصل، و العظام و نحوها. و يؤيد ذلك أن الله لما أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فضرب فنبعت عين، فاغتسل منها و شرب، فبرأ بإذن الله. قال العلامة الطبرسى: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكون بصفه يستقذره الناس عليها، لأنّ فى ذلك تنفيرا. فأما المرض و الفقر و ذهاب الأهل، فيجوز أن يمتحنه الله بذلك «١».

٣٢- الإسرائيليات فى قصة إرم ذات العمد

إشارة

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين كالطبرى، و الثعلبى، و الزمخشري، و غيرهم فى تفسير قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ «٢».

فقد زعموا أن «إرم» مدينة، و ذكروا فى بنائها و زخارفها ما هو من قبيل الخيال، و روى فى ذلك أنه كان لعاد ابنان: شداد، شديد، فملكا و قهرا، ثم مات شديد و خلس الأمر لشداد فملك الدنيا، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبني مثلها، فبنى «إرم» فى بعض صحارى عدن، فى ثلاثمائة سنة، و كان عمره تسعمائة سنة، و هى مدينة عظيمة، و سورها من الذهب و الفضة، و أساطينها من الزبرجد و الياقوت. و لما تم بناؤها سار إليها بأهب «٣» مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم (١) مجمع البيان، ج، ٧٨.

(٢) الفجر / ٦-٨.

(٣) جمع أهبه، و الأهبة- بضم الهمزة- العدة كما فى القاموس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٧

و ليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء، فهلكوا.

و روى وهب بن متبه عن عبد الله بن قلابه: أنه خرج فى طلب إبل له، فوقع عليها- يعنى مدينة «إرم»-، فحمل منها ما قدر عليه، و بلغ خبره معاوية، فاستحضره، و قص عليه، فبعث إلى كعب الأخبار، فسأله عنها فقال: هى إرم ذات العمد، و سيدخلها رجل من المسلمين

في زمانه أحمر، أشقر، قصير، على حاجبه خال، ثم التفت، فأبصر ابن قلابه، فقال: هذا والله ذاك الرجل «١».

وهذه القصة موضوعه، كما نبه إلى ذلك الحفاظ، و آثار الوضع لائحة عليه، وكذلك ما روى: أن «إرم» مدينة دمشق، وقيل: مدينة الإسكندرية. قال السيوطي في «الدر المنثور»: وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال:

«إرم» هي دمشق، وأخرج ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن عساكر عن سعيد المقبري مثله، وأخرج ابن عساكر، عن سعيد بن المسيب، مثله، قال: وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: «إرم» هي الإسكندرية «٢».

و كل ذلك من خرافات بنى إسرائيل، ومن وضع زنادقتهم، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما روي، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، وألصقت بتفسير القرآن الكريم.

قال ابن كثير في تفسيره: ومن زعم أن المراد بقوله: إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ:

مدينة إما دمشق، أو إسكندرية، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على (١) انظر الكشاف، ج ٤، ص ٧٤٨، عند تفسير هذه الآية، و تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٨٢، والنسفي، والخازن عند تفسير هذه الآية.

(٢) الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٨

هذا أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنْ جَعَلَ بَدَلًا أَوْ عَطْفَ بَيَانٍ؟ «١»، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ، ثم المراد: إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد: الإخبار عن مدينة أو إقليم، وإنما نبهت على ذلك لثلاث يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة، وأن حصباءها لآلىء و جواهر، و ترابها بنادق المسك ... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك. وقال فيما روى عن ابن قلابه: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أصابه نوع من الهوس، والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وهذا ما يقطع بعدم صحته «٢». وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة، والطامعين، والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب والفضة، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفاء، والسفهاء، فيأكلونها بالباطل، في صرفها في بخاير، وعقاقير، ونحو ذلك من الهديات، و يطنزون بهم.

والصحيح في تفسير الآية؛ أن المراد (بعاد، إرم ذات العماد) قبيلة عاد المشهورة، التي كانت تسكن الأحقاف، شمالي حضرموت، و هي عاد الأولى، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم، قال سبحانه: وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ: عاد الآخرة، و هم ولد عاد بن إرم بن عوص، بن سام، بن (١) أي لفظ، إرم، بدل من عاد أو عطف بيان.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٠٧-٥٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٩

نوح. قاله ابن إسحاق وغيره، و هم الذين بعث فيهم رسول الله هوذا عليه السلام فكذبوه، و خالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، و من آمن معه منهم، و أهلكهم بريح صرصر عاتية، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٌ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ؟ «١».

وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، بدل من «عاد» أو عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله تعالى: ذَاتِ الْعِمَادِ؛ لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقه، وأعظمهم أجساما، وأقواهم بطشا. وقيل: ذات الأبنية التي بنوها، والدور، والمصانع التي شادوها. وقيل: لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الغلاظ الشداد. والأول أصح وأولى، فقد ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة، و أرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله - تبارك و تعالی - الذي خلقهم و

منحهم هذه القوة، فقال: وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «٢»، و قال تعالى: فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً «٣»، و قوله هنا: الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ أَي الْقَبِيلَةَ الْمَعْرُوفَةَ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي بِلَادِهِمْ، وَ فِي زَمَانِهِمْ، لِقَوَّتِهِمْ، وَ شَدَّتْهُمْ، وَ عَظَمَ تَرْكِيبَهُمْ.

و مهما يكن من تفسير ذات العماد: فالمراد القبيلة، و ليس المراد مدينته، (١) الحاقّة / ٦-٨.

(٢) الأعراف / ٦٩.

(٣) فصلت / ١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٠

فالحديث في السورة إنما هو عَمَّنْ مَضَى مِنَ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ مَكَنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَ لَمَّا لَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَ بَرَسَلَهُ، بَطَشَ بِهِمْ، وَ أَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. ففیه تخويف لكفار مكة، الذين هم دون هؤلاء في كل شيء، و تحذيرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء.

ما روى في عظم طولهم

و ليس معنى قوتهم، و عظم خلقهم، و شدة بطشهم أنهم خارجون عن المألوف في الفطرة، فمن ثم لا نكاد نصدّق ما روى في عظم أجسامهم، و خروج طولهم عن المألوف المعروف، حتى في هذه الأزمنة، فقد روى ابن جرير في تفسيره، و ابن أبي حاتم و غيرهما عن قتادة، قال: كنا نحدّث أن «إرم» قبيلة من عاد، كان يقال لهم: ذات العماد، كانوا أهل عمود، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر ذراعاً «١» طولاً- في السماء، و هذا من جنس ما روى في العماليق. و أغلب الظن عندنا أن من ذكر لهم ذلك هم أهل الكتاب الذين أسلموا، و أنه من الإسرائيليات المختلفة.

و أيضاً لا نكاد نصدّق، ما روى عن المعصوم صلّى الله عليه و آله و سلّم في هذا،

فقد روى ابن أبي حاتم، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أبو صالح كاتب الليث، قال: حدّثني معاوية ابن صالح، عن حدّثه، عن المقدم بن معديكرب، عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: أنه ذكر إرم ذات العماد فقال: «كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة، فيحملها على كاهله، فيلقبها على أي حى أراد فيهلكهم» «٢». و لعل البلاء، و الاختلاق فيه من (١) حوالى ستة أمتار أو تزيد.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩١

المجهول، و روى مثله ابن مردويه «١».

و أخزى الله من نسب مثل هذا الباطل إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لا- نشك أن هذا من عمل زنادقة أهل الكتاب و غيرهم، الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام، فسلكوا في محاربتة مسلك الدس، و الاختلاق، بنسبة أمثال هذه الخرافات إلى المعصوم صلّى الله عليه و آله و سلّم، و إنّنا لنعجب لمسلم يقبل أمثال هذه المرويات التي تزرى بالإسلام، و تنفر منه، و لا سيّما في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم، و المعارف، و أصبح ذكر مثل هذا يثير السخرية، و الاستنكار و الاستهزاء.

الإسرائيليات و الخرافات فيما يتعلق بعمر الدنيا و بدء الخلق، و أسرار الوجود، و تعليل بعض الظواهر الكونية

و من الإسرائيليات و الموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير و غيرها كثير مما يتعلق بعمر الدنيا و بدء الخلق، و أسرار الوجود، و أسباب الكائنات، و تعليل بعض الظواهر الكونية تعليلاً باطلاً غير صحيح، و قد جاء معظمه موقوفاً على الصحابة و التابعين، و جاء بعضه

مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هنا تكون الطامة؛ لأن هذه الروايات متهافته باطله، فنسبتها إلى المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الخطورة بمكان.

و كأن هؤلاء الذين وضعوها وألصقوها بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زورا؛ كانوا يدركون ببعد نظرهم أنه سيأتي اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق العلميّة لهذه الأمور الكونيّة، و معرفة التعليلات الصحيحة لسنن الله في الكون، فنسبوا إليه هذه الخرافات، كي يشككوا في عصمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و أنه ما ينطق عن الهوى، و يقللوا الثقة بالأنبياء، و هم قوم من الزنادقة الذين جمعوا بين الزندقة، و العلم، (١) الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٤٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٢

و المعرفة ببعض الظواهر، و العلوم الكونيّة، و هم أعظم الطوائف كيذا للإسلام، لخبث نياتهم، و إحكام كيدهم. و لا ندرى ما ذا يكون موقف الداعي إلى الله في المجتمعات العلميّة، و البيئات المتحضرة إذا و وجه بمثل هذه الروايات الباطلة التي تغض من شأن الإسلام، و هو منها براء؟

و لو أن هذه المرويات صحّت أسانيدها لربما كان للمتمسكين بها، و المنتصرين لها بعض المعذرة، أما و هي ضعيفة أسانيدها، واهية مخارجها، فالواجب ردّها و لا كرامة. نعم، إن معظم هذه المرويات في الأمور الكونيّة تخالف مخالفة ظاهرة، المقررات و الحقائق العلميّة التي أصبحت في حكم البديهيّات و المسلّمات ككروية الأرض، و دورانها، و سبب حدوث الخسوف و الكسوف و نحوها، و الانتصار لهذه المرويات التي تصادم الحقائق العلميّة الثابتة، مما يعود على الإسلام بالضرر و النقص، و ينفر منه المفكرون و ذوو العلم، و المعرفة، بل هي أضرت على الإسلام من طعن أعدائه فيه.

ما يتعلق بعمر الدنيا

فقد ذكروا في

عمر الدنيا أنه سبعة آلاف سنة، و أن النبي محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بعث في آخر السادسة، فقد ورد ذلك مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و حكم عليه ابن الجوزي بالوضع في كتابه «الموضوعات»، و أحر به أن يكون مختلقا مكذوبا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و كذلك جاء بعض هذه الأخبار موقفا على ابن عباس رحمهما الله وورد ذكر ذلك في كتب التفسير، و بعض كتب الحديث، و كتب التواريخ و نحوها، و قد قال السيوطي: إنها صحيحة!!

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٣

و لا ندرى ما ذا يقول المنتصرون لمثل هذه الأباطيل، فيما هو ثابت من أن عمر الدنيا أضعاف أضعاف ذلك، حتى أصبح ذلك من البديهيّات المسلّمات، و إن التمسك بمثل هذه الروايات أضرت على الدين من طعن أعدائه.

و لو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعث- كما يقولون- في آخر المائة السادسة، لقامت القيامة من زمن مضى، فظهر أن الواقع و المشاهدة يكذبان ذلك أيضا، و يردّانه.

ما يتعلق بخلق الشمس و القمر

و من ذلك أيضا: ما ذكره ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه و الثعلبي، و غيرهم من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبِتَّغَاوَرَةٍ فَضَلُّوا مِنْ رَبِّكُمْ. وَتَلَعَمُوا عَمَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ

فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً «١».

فقد رووا عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أُبْرِمَ خَلْقَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَلَقَ شَمْسًا مِنْ نُورِ عَرْشِهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَدْعَهَا شَمْسًا، فَإِنَّهُ خَلَقَهَا مِثْلَ الدُّنْيَا، مَا بَيْنَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا، وَ أَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنْ يَطْمِسَهَا وَيَحْوِلَهَا قَمَرًا، فَإِنَّهُ خَلَقَهَا مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الضَّوِّءِ، وَ إِنَّمَا يَرَى النَّاسُ صَغْرَهُمَا لِشِدَّةِ ارْتِفَاعِهِمَا، وَ لَوْ تَرَكَهُمَا اللَّهُ كَمَا خَلَقَهُمَا فِي بَدَأِ الْأَمْرِ لَمْ يَعْرِفِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَ لَا النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ، وَ لَكَانَ الْأَجِيرُ لَيْسَ لَهُ وَقْتُ يَسْتَرِيحُ فِيهِ، وَ لَكَانَ الصَّائِمُ لَا يَدْرِي إِلَى مَتَى يَصُومُ، وَ مَتَى يَفْطُرُ، إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَرْسَلَ جِبْرِيْلَ، فَأَمَرَ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ شَمْسٌ فَمَحَا عَنْهُ الضَّوِّءَ، وَ بَقِيَ فِيهِ النُّورُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ فِي الْقَمَرِ هُوَ أَثَرُ ذَلِكَ (المحو). (١) الإسراء / ١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٤

و كذلك روى هذا الباطل ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و سنده واه؛ لأن فيه نوح بن أبي مریم، و هو وضاع دجال، و قد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع و الاختلاق «١»، و منشؤه من الإسرائيليات التي ألصقت بالنبي زورا، و فيه من الركاكة اللفظية، و المعنوية ما يشهد بوضعه على النبي، و ليس عليه شيء من نور النبوة.

و ما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتعرض للكوتيات بهذا التفصيل، و لما سئل عن الهلال لم يبدو صغيرا ثم يكبر، حتى يصير بدرا، ثم يصغر؟، أجاب بالفائدة، فقال: هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحُجَّ لِأَنَّ بِالْأَهْلِ تُعْرَفُ السَّنُونَ، وَ الْمَشْهُورُ، وَ عَلَيْهَا تَتَوَقَّفُ مَصَالِحُ النَّاسِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَبِهَا يَعْرِفُونَ حُجَّتَهُمْ، وَ صَوْمَهُمْ، وَ إِخْرَاجَ زَكَاتِهِمْ، وَ حُلُولَ آجَالِ دِيُونِهِمْ وَ نَحْوَهَا، وَ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّعَرُّضُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْكُوْتِيَّاتِ بِالتَّفْصِيْلِ، فَتَرَكَهَا لِعُقُولِ النَّاسِ، وَ إِدْرَاكَاتِهِمْ أَوْلَى، وَ لَا سَيِّمًا أَنَّهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأُمَّةِ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ فَائِدَةٌ دِينِيَّةٌ، وَ الْقُرْآنُ وَ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ حِينَمَا يَعْرُضَانِ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْكُوْتِيَّاتِ يَكُونُ غَرَضُهُمَا انْتِرَاعُ الْعِبْرَةِ، وَ الْاِسْتِدْلَالُ بِمَا أُودِعَ فِيهِمَا عَلَى وَجُودِ اللَّهِ - جَلَّ وَ عَزَّ - وَ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَ قُدْرَتِهِ، وَ عِلْمِهِ، وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ، وَ لِذَلِكَ لَا نَقْفُ فِيْمَا صَحَّ وَ ثَبَتَ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ التَّفْصِيْلَاتِ الَّتِي نَجَدُهَا فِي الْآثَارِ الضَّعِيْفَةِ، وَ الْاِسْرَائِيلِيَّاتِ الْبَاطِلَةِ.

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية

و من ذلك ما يذكره بعض المفسرين، و ما يوجد في بعض كتب الحديث في غروب الشمس، و أنها إذا غربت ابتلعها حوت، و ما يتعلق بالسموات، و الأجرام السماوية، و من أي الجواهر هي؛ و الأرض و علام استقرت، و أنها على ظهر (١) اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، ج ١، ص ٢٤ و ما بعدها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٥

حوت، و ما يذكرونه في تعليل برودة الآبار في الصيف، و سخونتها في الشتاء، و عن منشأ الرعد و البرق، و عن منشأ السحاب، إلى نحو ذلك مما لا نصدّق و روده عن المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. و ما ورد منه موقوفا، فمرجه إلى الإسرائيليات الباطلة، أو إلى الزنادقة الذين أرادوا أن يظهروا الإسلام بمظهر الدين الخرافي الذي ينافي العلم، و السنن الكونية.

فقد روى عن أبي أمامة الباهلي: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «و كَلَّ بِالشَّمْسِ تِسْعَةَ أَمْلاَكٍ، يَرْمُونَهَا بِالثَّلْجِ كُلِّ يَوْمٍ، لَوْ لَا ذَلِكَ مَا أَتَتْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقْتَهُ» رواه الطبراني.

و من أحد رواته عقير بن معدان، و هو ضعيف جدا، و لو أن الحديث صحيح السند، أو ثابت، لتمخّلنا، و قلنا: إنه من قبيل التمثيل، أما و هو بهذا الضعف فلتلق به دبر آذانا.

عن ابن عمر، قال: «سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ: أَرَأَيْتَ الْأَرْضَ عَلَى مَا هِيَ؟

قال: «الأرض على الماء» قيل: الماء على ما هو؟ قال: «على صحرة» فقيل:

الصحرة على ما هي؟ قال: «هي على ظهر حوت يلتقى طرفاه بالعرش!!» قيل:

الحوت على ما هو؟ قال: «على كاهل ملك، قدماه على الهواء». رواه البزار عن شيخه عبد الله بن أحمد، يعني ابن شبيب

، و هو ضعيف. و عن الربيع بن أنس قال: «السماء الدنيا موج مكفوف، و الثانية: صحرة، و الثالثة: حديد، و الرابعة:

نحاس، و الخامسة: فضة، و السادسة: ذهب، و السابعة: ياقوت». رواه الطبراني في «الأوسط» هكذا موقوفا على الربيع، و فيه أبو جعفر

الرازي، وثقه أبو حاتم وغيره، و ضعفه النسائي وغيره «١». (١) مجمع الزوائد للهيثمى، ج ٨، ص ١٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٦

و

روى الطبراني في «الأوسط» بسنده، فقال: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد

الصمد السلمى، قال: حدثنا أبو عمران الحراني، قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء، عن جابر بن عبد الله، أن خزيمه بن ثابت - وهو ليس

بالأنصاري المشهور - كان في غير لخديجة، و أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان معه في تلك العير، فقال له: يا محمد، أرى

فيك خصالا، و أشهد أنك النبي الذي يخرج من تهامة، و قد آمنت بك، فإذا سمعت بخروجك أتيتك. فأبطأ عن النبي صَلَّى اللهُ

عليه و آلِهِ وَسَلَّمَ حتى كان يوم فتح مكة أتاه، فلما رآه قال: «مرحبا بالمهاجر الأول» و

ثم قال: يا رسول الله، أخبرني عن ضوء النهار، و ظلمة الليل، و عن حرّ الماء في الشتاء، و عن برده في الصيف، و عن البلد الأمين، و

عن منشأ السحاب، و عن مخرج الجراد، و عن الرعد و البرق، و عن ما للرجل من الولد، و ما للمرأة؟

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أما ظلمة الليل، و ضوء النهار، فإن الشمس إذا سقطت تحت الأرض، فأظلم الليل لذلك،

و إذا أضاء الصبح، ابتدرها سبعون ألف ملك، و هي تقاعس كراهية أن تعبد من دون الله، حتى تطلع، فتضئ، فيطول الليل بطول

مكثها، فيسخن الماء لذلك. و إذا كان الصيف، قلّ مكثها، فبرد الماء لذلك.

و أما الجراد، فإنه نثره حوت في البحر، يقال له: «الأبوات»، و فيه يهلك. و أما منشأ السحاب، فإنه ينشأ من قبل الخافقين، و من بين

الخافقين تلجمه الصبا و الجنوب، و يستدبره الشمال و الدبور. و أما الرعد، فإنه ملك بيده مخراق «١» يدنى القاصية، و يؤخر الدانية،

فإذا رفع برقت، و إذا زجر رعدت، و إذا ضرب «١» المخراق: حرق تفتل و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا، و المراد هنا آلة تزجر بها

الملائكة السحاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٧

صعقت. و أما ما للرجل من الولد، و ما للمرأة، فإن للرجل العظام، و العروق، و العصب، و للمرأة اللحم، و الدم، و الشعر. و أما البلد

الأمين، فمكة».

و قال الهيثمي في «زوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط»، و فيه يوسف بن يعقوب أبو عمران، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته، و

لم يذكر تضعيفه عن أحد! «١».

و الحق أن الذهبي حكم ببطالان هذا الخبر، و قال: إن راويه عن يوسف بن يعقوب مجهول، و هو محمد بن عبد الرحمن السلمى

المذكور، و أحر به أن يكون باطلا، و لقد صدق الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي، الذي أبان لنا قيمة هذه المرويات الباطلة، منذ

بضعة قرون.

و إليك ما قاله الذهبي بنصّه، قال يوسف بن يعقوب أبو عمران عن ابن جريج، بخبر باطل طويل، و عنه إنسان مجهول و اسمه عبد

الرحمن السلمى، قال الطبراني: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب.

ثم ذكر الإسناد الذى ذكرته آنفا، و بعض المتن إلّا أنه قال: «إن خزيمة بن ثابت الأنصارى»، و قال: ذكره أبو موسى فى الطولات، و روى بعضه عبدان الأهوازي، عن السلمى هذا «٢».

فكيف يقول الهيثمى: ذكر الذهبى هذا الحديث فى ترجمته، و لم ينقل تضعيفه عن أحد؟! إنه- و الله- العجب!! و قد وافق الذهبى فيما قاله الإمام الحافظ ابن حجر فى «لسان الميزان» «٣»، فقد ذكر ما ذكره الذهبى، غير أنه قال، عن (١) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٣٢. (٢) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ج ٣، ص ٣٣٥، ترجمه رقم ٢٨٦٦، ط السعادة.

(٣) ج ٦، ص ٣٣٠، ط الهند.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٨

جابر بن عبد الله: أن خزيمة بن ثابت- و ليس بالأنصارى- كان فى غير لخديجة، و ذكر القصة السابقة.

و ما ذكره الحافظ ابن حجر فى «لسان الميزان» من أنه ليس بالأنصارى هو الصحيح، فهو خزيمة بن حكيم السلمى، و يقال له: ابن ثابت أيضا، كان صهر خديجة أم المؤمنين، فهو غير خزيمة بن ثابت الأنصارى، المشهور بأنه ذو الشهادتين قطعا «١».

و مما يروى فى مثل هذا، ما روى عن صباح بن أشرس، قال: «سئل ابن عباس عن المد و الجزر، فقال: إن ملكا موكلا بناموس البحر، فإذا وضع رجله فاضت، و إذا رفعها غاضت»، قال الهيثمى: رواه أحمد، و فيه من لم أعرفه، أقول:

و البلاء غالبا، إنما يكون من المجاهيل.

و

عن معاذ بن جبل، عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: «المجرة التى فى السماء هى عرق حية تحت العرش»، رواه الطبرانى فى «المعجم الكبير» و «الأوسط»

، و قال:

لا يروى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلّا بهذا الإسناد، و فيه: عبد الأعلى بن أبى سحر، و لم أعرفه، و بقیة رجاله ثقات، أقول: و البلاء من هذا الذى لا يعرف.

و

عن جابر بن عبد الله- رضوان الله عليه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا معاذ، إنى مرسلک إلى قوم أهل عناد، فإذا سئلت عن المجرة التى فى السماء فقل:

هى لعاب حية تحت العرش» رواه الطبرانى

، و فيه الفضل بن المختار و هو ضعيف «٢»، أقول: و أحر بمثل هذا أن لا يروى إلّا من طريق ضعيف.

و كل هذا الذى ذكرناه، و أمثاله مما لا نصدق و روده عن المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم (١) الإصابة، ج ١، ص ٤٢٧، ترجمه ٢٢٥٨.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٩

و إنما هو من أكاذيب بنى إسرائيل و خرافاتهم، أو من وضع الزنادقة الخبثاء، و ألصق بالنبى زورا، و ما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليتكلم فى الكونيات، و الفلكيات، و أسباب الكائنات بهذا التفصيل، كما حققنا لك آنفا. و فى هذه المرويات من السذاجة العلمية، و التفاهات، ما لا يليق بعقل، فضلا عن أعقل العقلاء، الذى ما كان ينطق عن الهوى.

و أيضا فهذه التعليقات لا تتفق هى و المقررات العلمية المستقرة الثابتة، التى أصبحت فى حكم اليقینيات اليوم. و لا ندرى، كيف يكون حال الداعية إلى الإسلام اليوم فى البلاد المتقدمة فى العلم و المعرفة إذا لهج بمثل هذه الأباطيل التى تضرّ بالدين أكثر مما ينال

منه أعداؤه؟ ولو أن هذه المروييات كانت في كتب معتمدة من كتب الحديث، و الرواية التي تعنى بذكر الأحاديث الصحيحة و الحسنه، لكان للمنتصرين لها بعض العذر. أما و هي كما علمت غير معتد بها لضعف أسانيدها، و مخالفتها للعقل، و العلم اليقيني، فاضرب بها عرض الحائط و لا كرامة.

ما ذكره المفسرون في الرعد و البرق في كتبهم

و معظم كتب التفاسير بالمأثور و غيره ذكرت: أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، و أن الصوت المسموع صوت زجره السحاب، أو صوت تسيحه، و أن البرق أثر من المخراق الذي يزجر به السحاب، أو لهب ينبعث منه، على أن المخراق من نار، و ذلك عند تفسير قوله تعالى: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ «١» الآية، و يكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم، إلا أن منهم من يحاول أن يوفق بين ظاهر الآية و ما قاله الفلاسفة الطبيعيون في الرعد (١) الرعد / ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٠

و البرق، فيؤول الآية، و منهم من يبقى الآية على ظاهرها، و ينحى باللائمة على الفلاسفة و أضرابهم؛ الذين قاربوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلماء في العصر الحديث. ففي تفسير الخازن «١» قال أكثر المفسرين: على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، و الصوت المسموع منه تسيحه، ثم أورد على هذا القول أن ما عطف عليه، و هو قوله تعالى: وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ يقتضى أن يكون المعطوف عليه مغايرا للمعطوف، لأنه الأصل، ثم أجاب: بأنه من قبيل ذكر الخاص قبل العام تشريفا! و قد بسط الألوسي في تفسيره- كما هي عادته- الأقوال في الآية، و ذكر أن للعلماء في إسناد التسيح إلى الرعد قولين: أن في الكلام حذف، أي سامعو الرعد، أو أن الإسناد مجازى من قبيل الإسناد إلى السبب و الحامل عليه، و الباء في «بحمده» للملابسة، أي يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمد الله، فيقولون: سبحان الله، و الحمد لله.

و من العلماء من قال: إن تسيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال، حيث شبه دلالة الرعد على قدرة الله و عظمته، و إحكام صنعته، و تنزيهه عن الشريك و العجز، بالتسيح و التنزيه، و التحميد اللفظي، ثم استعار لفظ يسبح لهذا المعنى. و قالوا: إن هذا المعنى أنسب.

و كل هذا من العلماء في الحقيقة تخلص من حمل الآية على ظاهرها، و أن المراد بالرعد: الملك الموكل بالسحاب. ثم قال الألوسي: و الذي اختاره أكثر المحديثين أن الإسناد حقيقي؛ بناء على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب. فقد روى أحمد، و الترمذى و صححه، و النسائي، و آخرون عن ابن (١) ج ٣، ص ٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠١

عباس- رضوان الله عليه:- أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ فقال عليه السلام: «ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله تعالى»، قالوا: فما ذلك الصوت الذي نسمعه؟ قال: «صوته» قالوا: «صدقت».

و هذا الحديث إن صح يمكن حمله على التمثيل، و لكن لا يطمئن القلب إليه، و لا يكاد يصدق وروده عن المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم و إنما هو من إسرائيليات بنى إسرائيل ألصقت بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم زورا، ثم كيف يتلاءم ما روى مع قوله قبل:

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبُرُقَ حَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ، و قوله بعد:

وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ «١»، فالآية في بيان قدرة الله و عظمته في إحداث هذه الآيات الكونية، على حسب ما خلقه الله في الكون من نواميس، و أسباب عادية! و إنما المناسب أن نفسير تسيح «الرعد» بلسان الحال، و عطف الملائكة على «الرعد» يقتضى

أن يكون «الرعد» غيرها لما ذكرنا، و كأن السر في الجمع بينهما بيان أنه تواطأ على تعظيم الله و تنزيهه الجمادات و العقلاء، و أن ما لا يعقل منقاد لله و خاضع كانقياد العقلاء سواء بسواء، و لا سيما الملائكة الذين هم مفطورون على الطاعة و الانقياد. و من الحق أن نذكر: أن بعض المفسرين كانت لهم محاولات جادة؛ بناء على ما كان من العلم بهذه الظواهر الكونية في عصرهم، في تفسير: الرعد و البرق، كابن عطية رحمه الله فقد قال: و قيل: إن «الرعد» ريح تخفق بين السحاب. و روى ذلك عن ابن عباس، و اعترض عليه أبو حيان، و اعتبر ذلك من نزغات الطبيعيين، مع أن قول ابن عطية أقرب إلى الصواب من تفسير «الرعد» بصوت (١) الرعد / ١٢ و ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٢

«الملك» الذي يسوق السحاب، و البرق بضوء مخرقه. و قد حاول الإمام الرازي التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكماء، و ما ورد في هذه الأحاديث و الآثار، و قد أنكر عليه أبو حيان هذا أيضا. ثم ذكر الآلوسي آراء الفلاسفة في حدوث الرعد، و البرق، و تكوّن السحاب، و أنه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء، ثم تكثفت بسبب البرد، و لم يقدر الهواء على حملها، فاجتمعت و تقاطرت، و يقال لها: مطر. هذا، و قد أصابوا في تكوّن السحاب و نزول المطر، فأخر ما وصل إليه العلم اليوم هو هذا. و أما في تكون الرعد، و البرق، فقد حاولوا، و قاربوا، و إن لم يصلوا إلى الحقيقة العلمية المعروفة اليوم.

و بعد أن ذكر الآلوسي الردود و الاعتراضات على ما قاله الفلاسفة، و هي - و الحق يقال - لا تنهض أن تكون أدلة في ردّ كلامهم، قال: و قال بعض المحققين: لا يبعد أن يكون في تكوّن ما ذكر أسباب عادية، كما في الكثير من أفعاله تعالى، و ذلك لا ينافي نسبتها إلى المحدث الحكيم - جل شأنه - و من أنصف لم يسعه إنكار الأسباب بالكلية، فإن بعضها كالمعلوم بالضرورة، قال: و بهذا أنا أقول «١». و نحن أيضا بهذا نقول، و كون الظواهر الكونية قد جعل الله نواميس خاصة لحدوثها، لا ينافي قط أنه سبحانه الخالق للكون، و المدبّر له سبحانه، فهو - تعالى - هو الموجد لهذه النواميس، و هو الموجد لهذه السنن التي يسير عليها الكون، فإن بعض هذه النواميس و السنن أصبحت معلومة فإنكارها باسم الدين، أو التشكيك فيها - و منها تكوّن السحب، و حدوث الرعد، و البرق، (١) تفسير الآلوسي، ج ١٣، ص ١٠٦ و ١٠٧، ط منير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٣

و الصواعق - إنما يعود على الدين بالضعف، و يضرّه أكثر من طعن أعدائه فيه.

أقوال الرسول عند سماع الرعد و رؤية البرق

و قد وردت أحاديث أخرى صحاح و حسان، تبين ما كان يقوله صلى الله عليه و آله و سلم عند حدوث هذه الظواهر الكونية، و هي تدل على كمال المعرفة بالله، و أنه سبحانه هو المحدث لها، و أنها تدل على تنزيه الله، و تعظيمه، و حمده؛ فقد أخرج أحمد و البخاري في الأدب المفرد، و الترمذي، و النسائي، و غيرهم، عن ابن عمر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا سمع صوت الرعد، و الصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، و لا تهلكننا بعذابك، و عافنا قبل ذلك» ، لأن احتمال الإهلاك و التعذيب بهذه الآيات الكونية أمر قريب ممكن.

و

أخرج أبو داود في مراسيله، عن عبد الله بن أبي جعفر: أن قوما سمعوا الرعد فكبروا، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إذا سمعتم الرعد فسبحوا، و لا تكبروا»

، و ذلك لما فيه من التآدب بأدب القرآن، و أسلوبه، في قوله تعالى: وَيَسْبُحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، و لأن دلالة على تنزيه الله من النقص و

الشريك أولى من دلالة على التعظيم. و أخرج ابن أبي شيبة، عن ابن عباس أنه عليه السلام كان يقول إذا سمع الرعد: «سبحان الله و بحمده، سبحان الله العظيم». و

أخرج ابن أبي شيبة، و ابن جرير عن أبي هريرة قال: كان صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم إذا سمع الرعد قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده».

فهذا هو اللائق برسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و بعصمته، لا ما روى من أن الرعد ملك أو صوت زجره للسحاب، و أن البرق أثر سوطه الذي يزجر به السحاب.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٤

رأى العلم فى حدوث الرعد، و البرق، و الصواعق

و إكمالاً- للفائدة: سنذكر ما وصل إليه العلم فى حدوث هذه الظواهر الكونية، فنقول، و بالله التوفيق: يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى كتابه «سنن الله الكونية»:

الرياح، و الكهربائىة الجوىة

إن الكهربائىة التى تتولد فى الهواء- و التى ذكرنا لك بعض مصادرها- يكتسبها السحاب عند تكوّنه على الأيونات التى تحملها تلك الكهربائىة فى الطبقات العليا الجوىة، و لا يدري الآن، كيف يفصل الله الأيونات السالبة، من الأيونات الموجبة، قبل تكاثف البخار عليها، إن كان هناك فصل لهما؟ أم كيف يكون السحاب عظيم التكهرب إما بنوع من الكهرباء، و إما بالنوع الآخر، إذا حدث التكاثف على الأيونات، و هى مختلطة. و مهما يكن من سر ذلك، فإن السحاب مكهرب من غير شك، كما أثبت ذلك فرانكلن لأول مرة فى عام (١٧٥٢ م) و كما أثبت غيره، عظم تكهربه بشتى الطرق بعده، و أنت تعرف أن نوعى الكهربائىة يتجاذبان، و أن الموجب و الموجب، أو السالب و السالب يتدافعان، أو يتنافران، كما تشاء أن تقول.

هذا التدافع أو التنافر من شأنه تفريق الكهربائىة، ثم إذا شاء الله ساق السحاب بالريح، حتى يقترب السحاب الموجب، من السحاب السالب قريبا كافيا، فى اتجاه أفقى، أو فى اتجاه رأسى أو فيما شاء الله من الاتجاهات، فإذا اقتربا تجاذبا. و من شأن اقترابهما هذا أن يزيد فى كهربائىة مجموع السحاب بالتأثير، و لا يزالان يتجاذبان، و يتقاربان، حتى لا يكون محيص من اختلاطهما و اتحاد كهربائيتهما أو من اتحاد كهربائيتهما من بعد، و عندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائىة، هى

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٥

البرق الذى كثيرا ما يرى فى البلاد الكثيرة الأمطار.

و «المطر» نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتحاد الكهربائى، سواء حدث فى هدوء أو بالإبراق، فإذا حدث بهدوء، حدث بين القطيرات المختلفة فى السحابتين، فتجذب كل منها قرينتها أو قريناتها، حتى تتحد، و تكون قطرة فيها ثقل، فتتزل، و تكبر أثناء نزولها بما تكتسب من كهربائىة، و ما تجتذب من قطيرات، أثناء اختراقها السحاب المكهرب، الذى يكون بعضه فوق بعض فى السحاب الركام، أما إذا حدث الاتحاد الكهربائى فى شدة البرق، و عنفه، فإنه يحدث لا بين القطيرات، و لكن بين الكتل من السحاب، و يسهل حدوثه تخلخل الهواء، أى قلّه ضغطه فى تلك الطبقات.

و «البرق» يمثّل قوة كهربائىة هائلة، تستطيع أن تكوّن فكرة عنها إذا عرفت أن شراسته قد تبلغ ثلاثة أميال، فى طولها أو تزيده، و أن أكبر شرارة كهربائىة أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار.

فالحرارة الناشئة عن البرق لا شك هائلة، فهى تمدد الهواء بشدة، و تحدث مناطق جوىة عظيمة مخلخلة، الضغط داخلها يعادل الضغط

خارجها، ما دام الهواء داخل المنطقة ساخنا، حتى إذا تشعّعت حرارته و بردت تلك المناطق برودة كافية، و ما أسرع ما تبرّد، خفّ منها الضغط، و صار أقل كثيرا من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها، فهجمت عليها فجأة بحكم الفرق العظيم بين الضغطين و تمدّدت فيها، و حدث لذلك صوت شديد، هو صوت الرعد و هزيمه، هذا الصوت قد يكون له صدى بين كتل السحاب، يتردّد، فنسميه قعقعه الرعد، أما صوت الشرارة الكهربائية البرقية، فهو بدء الرعد، و يكون ضعيفا بالنسبة لهزيمه و قعقعته، لذلك تسمع الرعد ضعيفا في الأول ثم يزداد، كأنما أوّله إيذان بتضخّمه، كما قد تؤذن الطلقة الفردة بانطلاق بطاريات برمتها، من المدافع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٦

الضخمة في الحروب. فالرعد يحدث لا عند اتحاد الكهربائيتين حين يحدث البرق فقط، و لكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدّد الكتل الهوائية الهاجمة في المنطقة المفرغة، و هي إذا تمدّدت بردت برودة شديدة، فيتكاثف ما فيها من البخار، و من كتل السحاب، فينزل على الأرض إما مطرا، و إما بردا، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق، و هذا هو السبب في أن الرعد و البرق يعقبهما في الغالب مطرات شديدة، سواء أ كانت المطرة مائية، أم برديّة، و قطرات الماء أو حبات البرد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم، تحت المنطقة التي حدث فيها التفريغ «١».

الصواعق

و قد يحدث التفريغ الكهربائي بين السحاب و الأرض، بدلا من بين السحاب و السحاب، و هذا يكون عادة إذا كان السحاب عظيم الكهربائيّة، قريبا من الأرض، فإذا حدث التفريغ ظهر له كالعادة ضوء و صوت، نسمّى مجموعهما بالصاعقة، أى أن الصاعقة: تفريغ كهربائي بين السحاب و الأرض، إذا أصاب حيوانا أو نباتا أحرقه، و هو يحدث أكثر ما يحدث بين الأجسام المدبّية على سطح الأرض من شجر أو نحوه، و بين السحاب، و لذا كان من الخطأ الاستئلال بالشجر، أو المظلات في العواصف ذات البرق، على أن الإنسان قد استخدم سهولة حدوث التفريغ بين الأجسام المدبّية، و السحاب لوقاية الأبنية من الصواعق، و ذلك بإقامته على سطوحها قضبانا حديدية أو نحاسية، مدبّية الأطراف، بحيث يكون طرف القضيب المدبّ أعلى قليلا من أعلى نقطة في البناء، و الطرف الآخر متصلا بلوح فلزي مدفون في أرض رطبة، و من شأن (١) سنن الله الكونية، ص ١٥٨ - ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٧

الأطراف المدبّية أن يكون كل منها بابا تخرج منه الكهربائيّة المتجمعة على السطح تدريجا إلى السحاب الذي يظله، فيحدث التفريغ، أى الاتحاد بين كهربائية الأرض، و كهربائية السحاب تدريجا، فيمتنع ذلك التفريغ الفجائي المعروف بالصاعقة، على أنه إذا نزلت الصاعقة بالبناء رغم ذلك فالأرجح جدا أنها تصيب القضيب المدبّ أول ما تصيب، و تنصرف الكهربائيّة إلى الأرض، بدلا من أن تدكّ البناء؛ و لذا يسمّى مثل هذا القضيب المدبّ الواصل إلى الأرض بصارفة الصواعق، و قد وجدوا أن السطح الخارجى للقضيب هو الطريق الذي تمر به الكهربائيّة إلى الأرض، لذلك كلما كان هذا السطح أكبر كان الصرّف أعظم، و البناء أحصن؛ و لذا كانت الصفائح أفعل في حفظ الأبنية، من مثل كتلتها من الأسلاك «١».

جبل «قاف» المزعوم، و حدوث الزلازل

و من ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ «٢»:

فقد ذكر صاحب «الدر المنثور» و غيره، روايات كثيرة عن ابن عباس - رضوان الله تعالى عليه - قال: «خلق الله من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له: (قاف)، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله - تعالى - من وراء ذلك الجبل أيضا مثل تلك الأرض سبع مرات، و استمر على هذا حتى عدّ سبع أرضين، و سبعة أبحر، و سبعة أجبل، و سبع سماوات».

و هذا الأثر لا يصح سنده عن ابن عباس، و فيه انقطاع، و لعل البلاء فيه من المحذوف. (١) سنن الله الكونية، ص ١٦٢.
(٢) ق / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٨

و أخرج ابن أبي الدنيا، و أبو الشيخ عنه أيضا، قال: خلق الله تعالى جبلا يقال له: قاف، محيط بالعالم، و عروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها، و يحركها، ثم تحرك القرية دون القرية.

و كل ذلك كما قال القرافي لا- وجود له، و لا يجوز اعتماد ما لا دليل عليه، و هو من خرافات بنى إسرائيل الذين يقع في كلامهم الكذب، و التغيير، و التبديل، دسّت على السدج من المفسرين، أو تقبلوها بحسن نية. و رويها لغرابتها، لا اعتقادا بصحتها، و نحمد الله أن وجد في علماء الأمة من ردّ هذا الباطل، و تبته له قبل أن تتقدّم العلوم الكونية، كما هي عليه اليوم. و من العجيب أن يتعقب كلام القرافي ابن حجر الهيتمي، فقال: ما جاء عن ابن عباس مروى من طرق خرجها الحفاظ و جماعة، ممن التزموا تخريج الصحيح، و قول الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه، حكمه حكم المرفوع إلى النبي.

و لكن نقول للشيخ الهيتمي: إن تخريج من التزم الصحة ليس بحجة، و كم من ملتزم شيئا لم يف به، و الشخص قد يسهو و يغلط مع عدالته، و أنظار العلماء تختلف، و الحاكم صحح أحاديث، حكم عليها الذهبي و غيره بالوضع، و كذلك ابن جرير أخرج روايات في تفسيره، حكم عليها الحافظ بالوضع، و الكذب. و لو سلمنا إسنادها إلى ابن عباس، فلا ينافى ذلك أن تكون من الإسرائيليات الباطلة، الموضوعه عنه.

ثم إنا نقول للهيتمي و من يرى رأيه: أى فائدة نجنيها من وراء هذه المرويّات التي لا- تتقبلها عقول تلاميذ المدارس، فضلا عن العلماء!! اللهم إنا نفتح- بالانتصار لها- بابا للطعن في عصمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و إذا جاز هذا في عصور الجهل و الخرافات فلا يجوز اليوم، و قد أصبح رواد الفضاء يطوفون حول

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٩

الأرض، و يرونها معلقة في الفضاء بلا عمد، و لا جبال، و لا بحار، و لا صخرة استقرت عليها الأرض، فهذه الإسرائيليات مخالفة للحسّ و المشاهدة قطعاً، فكيف نتعلق بها؟! قال الآلوسى: و الذى أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي، من أنه لا- وجود لهذا الجبل بشهادة الحسّ، فقد قطعوا هذه الأرض، برّها و بحرّها، على مدار السرطان مرات، فلم يشاهدوا ذلك، و الطعن في صحته الأخبار- و إن كان جماعة من روايتها ممن التزم تخريج الصحيح- أهون من تكذيب الحسّ، و أمر الزلازل لا يتوقف أمرها على ذلك الجبل، بل هي من الأبخرة، المتولدة من شدة حرارة جوف الأرض، طلبها الخروج، مع صلابه الأرض، فيحصل هذا الاهتزاز، و إنكار ذلك مكابرة عند من له عرق من الإنصاف «١»، و لا- ندرى لو أن الآلوسى عاش في عصرنا هذا، و وقف على ما وقفنا عليه من عجائب الرحلات الفضائية، ما ذا كان يقول؟، إن كل مسلم ينبغي أن يكون له من العقل الواعي المتفتح، و النظر الثاقب البعيد.

و إليك ما قاله عالم ناقد، سبق الآلوسى بنحو خمسة قرون «٢»: فقد قال في تفسيره عند هذه الآية: و قد روى عن السلف أنهم قالوا: (ق): جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، و كأنّ هذا- و الله أعلم- من خرافات بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم، مما لا يصدق، و لا يكذب. و عندي: أن هذا، و أمثاله، و أشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة- مع جلالة (١) روح المعاني للآلوسى، ج ٢٦، ص ١٢٠.

(٢) ابن كثير توفى سنة (٧٧٤هـ) و الآلوسى توفى سنة (١٢٧٠هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٠

قدر علمائها، و حفاظها، و أئمتها- أحاديث عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و ما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بنى إسرائيل مع

طول المدى، وقلّة الحفاظ النقاد فيهم، و شربهم الخمر، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، و تبديل كتب الله و آياته «١». قال: و قد أكثر كثير من السلف من المفسرين، و كذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب، في تفسير القرآن المجيد، و ليس بهم احتياج إلى أخبارهم- و لله الحمد و المنّة-، حتى أن أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله أورد هنا أثرا غريبا، لا يصح سنده عن ابن عباس، ثم ساق السند، و المتن الذي ذكرناه آنفا.

ثم قال: فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع- أي راو سقط من رواه- و الذي رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رحمهما الله في قوله عزّ و جل (ق): هو اسم من أسماء الله عزّ و جل، و الذي ثبت عن مجاهد- و هو من تلاميذ ابن عباس الملازمين له، الناشرين لعلمه- أنه حرف من حروف الهجاء، كقوله تعالى: ص، ن، حم، طس، الم، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس- رضوان الله عليه- «٢».

الإسرائيليات في تفسير ن و القلم

و من ذلك ما يذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى: ن و القلم من أنه الحوت الذي على ظهره الأرض، و يسمّى «اليهموت»، و قد ذكر ابن جرير، و السيوطي روايات عن ابن عباس، منها: «أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو (١) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٢١. و البغوي، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١١

كائن، ثم رفع بخار الماء، و خلقت منه السماوات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض عليه، فاضطرب النون، فمادت الأرض «١»، فأثبتت بالجبال. و قد روى عن ابن عباس أيضا: أنه الدواة، و لعل هذا هو الأقرب، و المناسب لذكر القلم. و قد أنكر الزمخشري ورود «نون» بمعنى الدواة، في اللغة، و روى عنه أيضا: أنه الحرف الذي في آخر كلمة الرّحمن، و أن هذا الاسم الجليل فرق في الر و حم و ن. و اضطراب النقل عنه يقلل الثقة بما روى عنه، و لا سيما الأثر الأول عنه، و الظاهر أنه افتراء عليه، أو هو من الإسرائيليات ألصق به. و إليك ما قاله الإمام ابن قيم الجوزية، قال في أثناء كلامه على الأحاديث الموضوعية: و من هذا حديث أن قاف: جبل من زمردة خضراء، محيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان، و السماء واضعة أكنافها عليه.

و من هذا حديث: أن الأرض على صخرة، و الصخرة على قرن ثور، فإذا حرّك الثور قرنه، تحرّكت الصخرة، فهذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسول. و قال الإمام أبو حيان في تفسيره: لا يصح من ذلك شيء ما عدا كونه اسما من أسماء حروف الهجاء «٢». (١) تحرّكت و مالت.

(٢) و الصحيح عندنا- على ما أسلفنا البحث فيه في التمهيد (ج ٥ ص ٣٠٥-٣١٤)-: أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور، هي إشارات رمزية إلى أسرار بين الله و رسوله، و لم يهتد إليها سوى المأمونين على وحيه. و لو كان يمكن الاطلاع عليها لغيرهم لم تكن حاجة إلى الرمز بها.

نعم لا يبعد اشتغالها على حكم و فوائد تزيد في فخامة مواضعها في مفتحات السور، حسبما احتملتها قرائح العلماء، فيما ذكروه من فوائد. و الله العالم بحقائق أسرار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٢

أشهر كتب التفسير بالمأثور

أهم كتب تفسير القدماء تعتمد المأثور في تفسير القرآن، فيذكرون الآيه و يعقبونها بذكر أقوال السلف من الأئمة و الصحابة و التابعين، و أحيانا مع شىء من ترجيح بعض الأقوال، أو زيادة استشهاد بآيه أو رواية أو إنشاد شعر. و هذا ديدنهم فى التفسير، لا يتجاوزونه إلا القليل. أما التعرض بمعانى الفلسفة أو الكلام أو الأدب، فشىء حصل مع تأخير عن العهد الأول، و من ثم فجّل تفاسير القدماء هى من نمط التفسير بالمأثور، و إليك أشهرها:

١- جامع البيان للطبرى

إشارة

مؤلف هذا التفسير هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى، نسبة إلى طبرستان، هو من أهل آمل، من بلاد مازندران- إيران- ولد بها سنة (٢٢٤)، و رحل فى طلب العلم و هو شاب، و طوّف الأقاليم، فسمع بمصر و الشام و العراق، ثم ألقى رحله و استقر ببغداد، و نشر علمه هناك، إلى أن توفى بها سنة (٣١٠).

كان الرجل خيرا بالتاريخ و بأقوال السلف، عالما فاضلا و ناقدا بصيرا. و له بعض الاجتهاد فى تفسيره، و ترجيح بعض الأقوال على بعض. و قد اعتبر الطبرى أبا للتفسير كما اعتبر أبا للتاريخ؛ و ذلك باعتبار جامعيتة تفسيره و سعته و شموله. و يذكر أقوال السلف بالأسانيد مما يستدعى الثقة به فى نقله. لكنه قد أكثر فى النقل عن الضعفاء و المجاهيل، و لفيف من المعروفين بالكذب التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٣

و الاختلاق، و لا سيما جانب إكثاره من نقل الإسرائيليات، بما أفسد و شوّه وجه التفسير. الأمر الذى أخذ على تفسير ابن جرير؛ حيث يذكر الروايات من غير تمييز بين صحيحها و سقيمها، و لا تعرض لبيان ضعفها عن قوّيتها، و لعله حسب أن ذكر السند- و لو لم ينص على درجة الرواية قوّه و ضعفا- يرفع المؤاخذه و التبعات عن المؤلف. فى حين أنّ تفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية و المنكرة، و الموضوعات و الإسرائيليات، و لا سيما عند ما يتعرض لذكر الملاحم و الفتن، و قصص الأنبياء بالذات.

نعم كان ابن جرير من المحدّثين المكثرين، و من الحشويّة الذين يحشون حقائبهم بالغثّ و السمين، و ممن وصفهم الإمام الشيخ محمد عبده بجنون التحديث. قال فى ذيل آيه البشارة لذكرى يحيى: «و لو لا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزء و السخف الذى ينبذه العقل، و ليس فى الكتاب ما يشير إليه. و لو لم يكن لمن يروى مثل هذه الروايات إلا هذا لكفى فى جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه. فعفا الله عن ابن جرير إذ جعل هذه الرواية مما ينشر...» (١)

و من ثم فإنّ تفسير ابن جرير بحاجة إلى نقد فاحص و تمحيص شامل، كاحتياج كثير من كتب التفسير المشتملة على الموضوع و القصص الإسرائيلى.

و ليس ذكر السند بعذر له، و لا يجرى هنا قولهم: من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند، كما زعمه الأستاذ الذهبى «٢»، لأنّ تجويز نشر مثل هذا الخضمّ من الموضوعات و الإسرائيليات، لعله ذنب لا يغفر، كما نوّه عنه الإمام (١) تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢١٢ و ٢١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٤

عبده.

و على أى تقدير، فإنّ مثل تفسير ابن جرير يعدّ اليوم من خير كتب التفسير الجامعة لآراء السلف و أقوالهم، و لولاه لربّما ضاعت أكثر هذه الآراء، فهو من أمّهات التفاسير المعتمدة فى النقل و التفسير بالمأثور. و نحن نعتد صحة نقله، و إن كان فى المنقول على يديه كثير من الغثّ و الفاسد، مما ألزم علينا النقد و التمحيص.

منهجه في التفسير و نقد الآراء

إنه يذكر الآية أولاً، ثم يعقبها بتفسير غريب اللغوة فيها، أو إعراب مشكلها، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وربما يستشهد بأشعار العرب و أمثالهم. و بعد ذلك يأتي إلى تأويل الآية، أى تفسيرها على الوجه الراجح، فيأتى بحديث أو قول مأثور إن كان هناك رأى واحد. أما إذا ازدحمت الأقوال و الآراء، فعند ذلك يذكر كل تأويل على حده، و ربما رجح لدى تضارب الآراء أحدها و أتى بمرجحاته إن لغوة أو اعتباراً، و ربما فضل الكلام فى اللغوة و الإعراب، و استشهاده بالشعر و الأدب. مثلاً- نراه عند قوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «١» يقول: و تأويل «سواء»: معتدل، مأخوذ من التساوى، كقولك:

متساو هذان الأمران عندى، و هما عندى سواء، أى هما متعادلان عندى. و منه قول الله- جل ثناؤه:- فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ «٢» يعنى: أعلمهم و آذنهم بالحرب حتى يستوى علمك و علمهم، بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر. فكذاك قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ مُعْتَدِلٌ عَنْدَهُمْ أَى الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِمْ: الإنذار (١) البقرة/ ٦. (٢) الأنفال/ ٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٥

أم ترك الإنذار؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون، و قد ختمت على قلوبهم و سمعهم. و من ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات: تعذبنى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلىها و نهارها يعنى بذلك: معتدل عندها فى السير الليل و النهار؛ لأنه لا فتور فيه. و منه قول الآخر:

و ليل يقول المرء من ظلماته سواء صحىحات العيون و عورها لأن الصحيح لا يبصر فيه إلّا بصراً ضعيفاً من ظلمته.

و أما قوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ فَإِنَّهُ ظَهَرَ بِهِ الْكَلَامُ ظُهُورَ الْاسْتِفْهَامِ، و هو خبر؛ لأنه وقع موقع «أى»، كما تقول: لا نبالى أقمت أم قعدت، و أنت مخبر لا مستفهم، لوقوع ذلك موقع «أى»؛ و ذلك أن معناه- إذا قلت ذلك:- ما نبالى أى هذين كان منك، فكذاك ذلك فى قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لِمَا كَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: سواء عليهم أى هذين كان منك إليهم، حسن فى موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل. و قد كان بعض نحوى أهل البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع «سواء» و ليس باستفهام؛ لأن المستفهم إذا استفهم غيره فقال: أزيد عندك أم عمرو، مستثبت صاحبه أيهما عنده، فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر، فلما كان قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ بِمَعْنَى التَّسْوِيَةِ، أشبه ذلك الاستفهام، إذ أشبهه فى التسوية، و قد بينا الصواب فى ذلك.

فتأويل الكلام: إذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة، بعد علمهم بها، و كنتموا بيان أمرك للناس بأتك رسولى إلى خلقى، و قد أخذت عليهم العهد و الميثاق أن لا يكتموا ذلك و أن يبينوه للناس، و يخبروهم أنهم يجدون صفتك فى كتبهم، أأنذرتهم أم لم تنذرهم فإنهم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٦

لا يؤمنون و لا يرجعون إلى الحق، و لا يصدقون بك و بما جئتكم به.

كما حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم

من ذكر، و جحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك و بما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذارا و تحذيرا، و قد كفروا بما عندهم من علمك «١».

انظر إلى هذا التفصيل في مجال الأدب، الذي ينبؤك عن سعة اضطلاعك بالأدب و بأقوال النحاة. و نراه يقول في تأويل قوله- جل ثناؤه:- حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ «٢» و أصل الختم: الطبع، و الخاتم: الطابع، يقال: منه ختمت الكتاب، إذا طبعته.

فإن قال لنا قائل: و كيف يختم على القلوب، و إنما الختم طبع على الأوعية و الظروف و الغلف؟ قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، و ظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمر، فمعنى الختم عليها و على الأسماع التي بها تدرك المسموعات، و من قبلها يوصل إلى معرفته حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية و الظروف. فإن قال: فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها، أهي مثل الختم الذي يعرف (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٨٦. (٢) البقرة/ ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٧

لما ظهر للأبصار أم هي بخلاف ذلك؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك، و سنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم. ثم ذكر قول مجاهد، بإسناده عن الأعمش، قال: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا، يعنى الكف. فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه، و قال بإصبعه الخنصر هكذا. فإذا أذنب ضم، و قال بإصبع أخرى- فإذا أذنب ضم، و قال بإصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعه كلها، قال: ثم يطبع بطابع. قال مجاهد، و كانوا يرون أن ذلك الزين. و ذكر قولاً آخر لبعضهم: أن «الختم» هنا كناية عن تكبرهم و إعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق، كما يقال: إن فلانا لأصم عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه و رفع نفسه عن تفهمه تكبرا.

قال: و الحق في ذلك عندي ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كان نكتته سوداء في قلبه، فإن تاب و نزع و استغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك «الران» الذي قال الله- جل ثناؤه:- كَلَّا يَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «١».

فأخبر صلى الله عليه و آله و سلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها، و إذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز و جل و الطبع، فلا- يكون للإيمان إليها مسلک، و لا- للكفر منها مخلص. ثم أخذ في مناقشة القول الثاني، و فصل الكلام فيه على عادته في مناقشة الأقوال «٢». (١) المطففين / ١٤.

(٢) تفسير الطبري، ج ١، ص ٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٨

هذا منهجه في التفسير، و هو من خير المناهج المعروفة في التفسير بالمأثور، و مناقشة الآراء المتضاربة في التفسير. و حقا أنه طويل الباع في هذا المجال، سواء في النقل أم في النقاش.

موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير

أنه يقف في وجه أهل الرأي في التفسير موقفا عنيفا، و يرى من إعمال الرأي في تفسير كلام الله مخالفة بينة لظاهر دلائل الشرع، و يشدد في ضرورة الرجوع إلى العلم المأثور عن الصحابة و التابعين، و أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح. فمثلا عند ما تكلم عن قوله تعالى: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يُعْصِرُونَ «١» نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف، مع توجيهه

للأقوال و تعرضه للقراءات، بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم يعرج بعد ذلك على من يفسر القرآن برأيه، و بدون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة، فيفتد قوله و يحاول إبطال رأيه. فيقول ما نصّه: «و كان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ إِلَى: و فيه ينجون من الجذب و القحط بالغيث، و يزعم أنه من العصر بمعنى المنجاء، كما جاء فى قول أبى زبيد الطائى:

صاديا يستغيث غير مغاث و لقد كان عصره المنجود

أى المقهور.

و قول لبيد:

فبات و أسرى القوم آخر ليلهم و ما كان وقفا بغير معصر

قال: و ذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه، خلافه قول جميع أهل (١) يوسف / ٤٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٩

العلم من الصحابة و التابعين.

قال: و أمّا القول الذى روى الفرج بن فضالة عن على بن أبى طلحة- أن يعصرون بمعنى يحلبون- فقول لا- معنى له؛ لأنه خلاف المعروف من كلام العرب، و خلاف ما يعرف من قول ابن عباس: إنه عصر الأعناب و الثمرات «١».

نزعته التعصية

هو بالرغم من ادعاء ابن أخته محمد بن العباس أبى بكر الخوارزمى أنه شيعى «٢» نراه يقف عند دلائل الآيات الكريمة على فضيلة من فضائل آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم موقف أهل النصب، محاولا إخفاء تلك الفضيلة. من ذلك تأويله آية المودة فى القربى «٣» فى قريش، لتحمى النبى و تمنعه شرّ الأعداء، و نفى بشدة أن يكون المقصود هم أهل بيته الأطيبين.

قال: الآية خطاب مع قريش لتحفظ قرابته فيهم فتحميه و تمنعه شرّ الأعداء، فقد طلب إليهم المودة لكونهم ذوى رحم له، حتى و إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا. فقد كان لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قرابة فى جميع قريش، فلما كذبوه و أبوا أن (١) تفسير الطبرى، ج ١٢، ص ١٣٨.

(٢) يقول الخوارزمى:

بآمل مولدى و بنو جرير فأخوالى، و يحكى المرء خاله

فها أنا رافضى عن تراث و غيرى رافضى عن كلاله

لكن ياقوت الحموى يفتد هذا الزعم، يقول: و كذب، لم يكن أبو جعفر رافضيا، و إنما حسدته الحنابلة فرموه بذلك، فاعتنمها الخوارزمى متبجحا به. و كان سببا رافضيا مجاهرا بذلك. (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٧).

(٣) الشورى / ٢٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٠

يباعوه، قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتي فيكم، لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظى و نصرتى منكم.

ثم ذكر وجوها ثلاثة أخرى: طلب المودة مع قرابته أهل بيته، و طلب القربى إلى الله و الزلفى لديه تعالى، و صلة الأرحام بعضهم مع بعض. ثم يحاول ترجيح الوجه الذى ذكره على هذه الوجوه الثلاثة، و يستند فى ترجيحه إلى موضع «فى» فى قوله: الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى يقول: إذ لا- وجه معروف لدخول «فى» فى هذا الموضع. و كان ينبغى على سائر الوجوه أن يكون التنزيل «إلا مودة القربى» أو «المودة

بالقربى» أو «ذا القربى» على الترتيب.

قال: و أولى الأقوال فى ذلك بالصواب و أشبهها بظاهر التنزيل، قول من قال: معناه قل لا أسألكم عليه أجرا- يا معشر قريش- إلاً أن تودوني فى قرابتى منكم و تصلوا الرحم ألتى بينى و بينكم، و إنما قلت: هذا التأويل أولى بتأويل الآية، لدخول «فى» فى قوله: إلاً المودّة فى القربى و لو كان معنى ذلك على ما قاله من قال: إلاً أن تودوا قرابتى أو تقربوا إلى الله، لم يكن لدخول «فى» فى الكلام فى هذا الموضوع وجه معروف؛ و لكان التنزيل «إلاً مودّة القربى» إن عني به الأمر بمودّة قربى الرسول، أو «إلاً المودّة بالقربى» أو «ذا القربى» إن عني به التودد و التقرب. و فى دخول «فى» فى الكلام أوضح دليل على أن معناه: إلاً مودّتى فى قرابتى منكم، و أن الألف و اللام فى المودّة أدخلتا بدلا من الإضافة. و قوله «إلاً» فى هذا الموضوع استثناء منقطع، و معنى الكلام: «قل لا أسألكم عليه أجرا، لكننى أسألكم المودّة فى القربى» (١). (١) تفسير الطبرى، ج ٢٥، ص ١٥-١٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢١

لكنها محاولة فاشلة، و فى نفس الوقت فاضحة، إذ كيف يخفى على ذى لب أن مثل هكذا مواجهة مما يمتنع مع قوم ناكرين و مستهزئين بموقف النبى الكريم، إنهم رفضوا دعوته و لجّوا فى معاندته، و حاولوا بكل جهدهم فى تقويض دعائم الدعوّة و الكسر من شوكتها. ثم جاء يطالبهم الأجر عليها، أو يرغبهم فى نصرته عليها. إن هذا إلاً احتمال موهون، و إزراء بمقامه صلى الله عليه و آله و سلّم المنيع.

إنه صلى الله عليه و آله و سلّم لا- يمد يد الوداد إلى أعداء الله، حتى و لو كانوا ذوى قرابته، فكيف يطالبهم المودة فى قرباه! إذ لا قرابة مع الشرك، و لا رحم مع رفض التوحيد. قال تعالى: لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ (١). و أما الذى ذكره دليلاً على اختياره، فليته لم يذكره؛ إذ يتنافى ذلك تنافياً كلياً مع ما لمسناه فى الرجل من براعة فى الأدب. هذا الإمام جبار الله الزمخشري يصرح بنقيض اختيار الطبرى و يسلك مسلكاً نزيهاً مشرفاً، و تبعه على ذلك عامة أهل النظر و الاختيار فى التفسير.

قال: ما معنى قوله: إلاً المودّة فى القربى فأجاب بقوله:

قلت: جعلوا مكاناً للمودّة و مقراً لها، كقولك: لى فى آل فلان مودّة، و لى فيهم هوى و حبّ شديد، تريد: أحبهم و هم مكان حبيبى و محلّه.

قال: و ليست «فى» بصلة- أى متعلقة- للمودّة، كاللام إذا قلت: إلاً المودّة للقربى، إنما هى متعلقةً بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك: المال فى الكيس، و تقديره: إلاً المودّة ثابتة فى القربى و متمكنة فيها. و القربى: مصدر كالزلفى و البشرى، بمعنى: قرابة. و المراد: أهل القربى.

قال: روى أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم من قرابتك، هؤلاء الذين (١) الممتحنة/ ١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٢

وجبت علينا مودّتهم؟ قال: على و فاطمة و ابناهما

. و أتبعها بروايات أخر فى هذا الشأن، جزاه الله عن آل محمد خير الجزاء (١).

٢- تفسير العياشى

إشارة

تأليف أبى النصر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى السمرقندى المتوفى سنة (٣٢٠) كان من أعلام المحدثين، سمع جماعة من شيوخ الكوفيين و البغداديين و القميين. كانت داره معهد علم و دراسة، و كانت محل رواد الحديث بين ناسخ أو مقابل أو قار أو

معلق. وقد أنفق جميع تركه أبيه - ثلاثمائة ألف دينار - في طلب العلم و تحصيله و بثه و نشره. قالوا: و كان أكثر أهل المشرق علما و أدبا و فضلا و فهما و نبلا في زمانه. و كان له مجلسان: مجلس للخواص، و مجلس للعوام. قال ابن النديم: إنه من بنى تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره و زمانه في غزارة العلم. و لكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن. و هو شيخ أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، صاحب كتاب الرجال. و كتبه ما ينوف على مائتي كتاب و رسالة. كان في حدائمه سنة عامي المذهب، ثم استبصر و خدم الإسلام في مصنفاته الكثيرة، و علمه الغزير. و له كتاب «التفسير»، جمع فيه المأثور من أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن، و لقد أجاد و أفاد، و ذكر الروايات بأسانيدها في دقة و اعتبار.

غير أن هذا التفسير لم يصل إلينا إلا مبتورا. فقد بتره أولا ناسخه؛ حيث أسقط (١) تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٣

الأسانيد، و اقتصر على متون الأحاديث، معتذرا بأنه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع أو إجازة من المؤلف؛ فلذلك حذف الأسانيد و اكتفى بالباقي. و من ثم قال المولى المجلسي بشأنه: إن اعتذاره هذا أشنع من فعلته بحذف الأسانيد. و الجهة الأخرى في بتر الكتاب، عدم العثور على الجزء الثاني من جزئي التفسير، فإن هذا الموجود ينتهي إلى نهاية سورة الكهف، و لم توجد بقيته.

نعم هناك بعض المتقدمين، نقلوا منه أحاديث بأسانيد كاملة، كانت عندهم منه نسخة كاملة، منهم الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحسكاني النيسابوري، من أعلام القرن الخامس، و من شيوخ مشايخ العلامة الطبرسي، صاحب التفسير الأثرى القيم «مجمع البيان» و ينقل عنه في تفسيره كثيرا. ففي «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكاني كثير من روايات العياشي، ينقلها فيه بالأسانيد التامة «١».

منهجه في التفسير

إنه يسترسل في ذكر الآيات، في ضمن أحاديث مأثورة، عن أهل البيت عليهم السلام تفسيراً و تأويلاً للآيات الكريمة. و لا يتعرض لنقدها جرحاً أو تعديلاً، تاركا ذلك إلى عهده الأسناد التي حذفت مع الأسف. و يتعرض لبعض القراءات الشاذة المنسوبة إلى أئمة أهل البيت، مما جاءت في سائر الكتب بأسانيد ضعاف، أو مرسله لا حجيتها فيها، و القرآن لا يثبت بغير التواتر باتفاق الأمة. نراه عند ما يتعرض لقوله تعالى: (١) راجع: مقدمه تفسير العياشي المطبوع، و الذريعة للطهراني، ج ٤، ص ٢٩٥. و الكنى و الألقاب للقمي، ج ٢، ص ٤٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٤

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١﴾

يسند إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قرأها: «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر» ثم قال: و كذلك كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و

في رواية زرارة عنه عليه السلام: هي أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هي وسط صلاتين بالنهار: صلاة الغداة، و صلاة العصر.

و

قال عليه السلام في قوله تعالى: وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ: في الصلاة الوسطى، قال:

نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في سفر، فقنت فيها، و تركها على حالها في السفر و الحضر

و.

عن زرارة و محمد بن مسلم، أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: صلاة الظهر. و فيها فرض الله الجمعة، و فيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم، فيسأل خيرا إلّا أعطاه الله إياه.

و

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: الصلاة الوسطى الظهر، و قوموا لله قانتين: إقبال الرجل على صلاته، و محافظته على وقتها، حتى لا يلهيه عنها و لا يشغله شيء. و أخيرا يذكر تأويلا للآية: أن الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله، و علي، و فاطمة، و ابناهما، و قوموا لله قانتين: طائعين للأئمة عليهم السلام «٢».

كما أنه عند ما

يروى عن الصادق عليه السلام تفسير «السبع المثاني» بسورة الحمد، يعرج إلى نقل روايات تفسر باطن الآية إلى الأئمة.

قال: إن ظاهرها: الحمد، (١) البقرة/ ٢٣٨.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، رقم ٤١٦-٤٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٥

و باطنها: ولد الولد. و السابع منها: القائم عليه السلام «١».

و من ثم فإنه عند ما يرد في التأويل، نراه غير مراعى لضوابط التأويل الصحيح، على ما أسلفنا بيانه، من كونه مفهوما عاما منتزعا من الآية بعد إلغاء الخصوصيات ليكون متناسبا مع ظاهر اللفظ، و إن كانت دلالاته عليه غير بيّنة.

٣- تفسير القمي

إشارة

منسوب إلى أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى سنة (٣٢٩) من مشايخ الحديث، روى عنه الكليني و كان من مشايخه، واسع العلم، كثير التصانيف، و كان معتمدا لأصحاب. قال النجاشي: ثقة ثبت معتمد صحيح المذهب. و أكثر رواياته عن أبيه إبراهيم بن هاشم، أصله من الكوفة و انتقل إلى قم. يقال: إنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، و هو أيضا ثقة على الأرجح، حسن الحال.

و هذا التفسير، المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، هو من صنع تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام و هو تليف من إملاءات القمي، و قسط وافر من تفسير أبي الجارود زياد بن المنذر السرحوب المتوفى سنة (١٥٠) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام و هو رأس الجارودية من الزيدية.

فكان ما أورده أبو الفضل في هذا التفسير من أحاديث الإمام الباقر، فهو من طريق أبي الجارود، و ما أورده من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام فمن طريق علي بن إبراهيم، و أضاف إليهما بأسانيد عن غير طريقهما. فهو مؤلف ثلاثي (١) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥١، سورة الحجر، رقم ٣٣-٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٦

المأخذ، و على أي حال فهو من صنع أبي الفضل، و نسب إلى شيخه؛ لأن أكثر رواياته عنه، و لعله كان الأصل فأضاف إليه أحاديث أبي الجارود و غيره؛ لغرض التكميل.

و أبو الفضل هذا مجهول الحال، لا يعرف إلا أنه علوي، و ربما كان من تلاميذ علي بن إبراهيم؛ إذ لم يثبت ذلك يقينا، من غير روايته في هذا التفسير عن شيخه القمي.

كما أن الإسناد إليه أيضا مجهول، لم يعرف من الراوي لهذا التفسير عن أبي الفضل هذا. و من ثم فانتساب هذا التفسير إلى علي بن إبراهيم أمر مشهور لا- مستند له. أما الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، فيروى أحاديث التفسير عن شيخه علي بن إبراهيم من غير هذا التفسير، و لم نجد من المشايخ العظام من اعتمد هذا التفسير أو نقل منه.

منهجه في التفسير

يبدأ هذا التفسير بذكر مقدمة يبين فيها صنوف أنواع الآيات الكريمة، من ناسخ و منسوخ، و محكم و متشابه، و خاص و عام، و مقدم و مؤخر، و ما هو لفظه جمع و معناه مفرد، أو مفرد معناه الجمع، أو ماض معناه مستقبل، أو مستقبل معناه ماض، و ما إلى ذلك من أنواع الآيات و ليست بحاصرة.

و بعد ذلك يبدأ بالتفسير مرتبا حسب ترتيب السور و الآيات آية فآية، فيذكر الآية و يعقبها بما رواه علي بن إبراهيم، و يستمر على هذا النمط حتى نهاية سورة البقرة. و من بدايات سورة آل عمران نراه يمزجه بما رواه عن أبي الجارود، و كذا عن غيره من سائر الرواة، و يستمر حتى نهاية القرآن.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٧

و هذا التفسير في ذات نفسه تفسير لا بأس به، يعتمد ظواهر القرآن و يجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ، في إيجاز و اختصار بديع، و يتعرض لبعض اللغة و الشواهد التاريخية لدى المناسبة، أو اقتضاء الضرورة. لكن مع ذلك لا يغفل الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت، مهما بلغ الإسناد من ضعف و وهن، أو اضطراب في المتن؛ و بذلك قد يخرج عن أسلوبه الذاتي فنراه يذكر بعض المناكير مما ترفضه العقول، و يتحاشاه أئمة أهل البيت الأطهار. لكنه قليل بالنسبة إلى سائر موارد تفسيره. فالتفسير في مجموعه تفسير نفيس لو لا وجود هذه القلة من المناكير. و قد أشرنا إلى طرف من ذلك، عند الكلام عن التفاسير المعزوة إلى أئمة أهل البيت.

٤- تفسير الحوزي (نور الثقلين)

إشارة

تأليف عبد علي بن جمعة العروسي الحوزي، من محدثي القرن الحادي عشر، المتوفى سنة (١١١٢). كان على مشرب الأخبارية، كان محدثا فقيها، و شاعرا أديبا جامعا. سكن شيراز و حدث بها، و تتلمذ على يديه جماعة، منهم السيد نعمه الله الجزائري، و غيره. إنه جمع ما عثر عليه من روايات معزوة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام مما يرتبط نحو ارتباط بأبي الذكر الحكيم، تفسيراً أو تأويلاً، أو استشهاداً أو تأييداً. و في الأغلب لا مساس ذاتيا للحديث مع الآية في صلب مفهومها أو دلالتها، و إنما تعرض لها بالعرض لغرض الاستشهاد، و نحو ذلك، هذا فضلا عن ضعف الأسانيد أو إرسالها إلا القليل المنقول من المجامع الحديثية المعتمدة.

و هو لا- يستوعب جمع آي القرآن، كما أنه لا يذكر النص القرآني، سوى سرده للروايات تباعا، حسب ترتيب الآيات و السور. و لا يتعرض لنقد الروايات

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٨

و لا علاج معارضاتها.

يقول المؤلف في المقدمة: «و أما ما نقلت مما ظاهره يخالف لإجماع الطائفة فلم أقصد به بيان اعتقاد و لا عمل، و إنما أوردته ليعلم الناظر المطلع كيف نقل و عمّن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرج من ذلك، مع أنني لم أخل موضعا من تلك المواضع عن نقل ما

يضاده، و يكون عليه المعول في الكشف و الإبداء» (١).

و بذلك يتخلص بنفسه عن مآزق تبعات ما أورده في كتابه من مناقضات و مخالفات صريحة، مع أسس قواعد المذهب الحنيف، و يوكل النظر و التحقيق في ذلك إلى عاتق القارئ.

و نحن نرى أنه قصير في ذلك؛ إذ كان من وظيفته الإعلام و البيان لمواضع الإبهام و الإجمال، كما فعله المجلسي العظيم في بحار أنواره؛ إذ ربّ رواية أوهنت من شأن الدين فلا- ينبغى السكوت عليها و المرور عليها مرور الكرام، مما فيه إغراء الجاهلين أحياناً، أو وضعه عقيدة بالنسبة إلى مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام فلم يكن ينبغى نقل الرواية و تركها على عواهنها، الأمر الذي أوجب مشاكل في عقائد المسلمين.

من ذلك أنه يذكر في ذيل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا (٢) رواية مشوهة موهونة، و ينسبها إلى الإمام الصادق عليه السلام: «البعوضة: أمير المؤمنين، و ما فوقها: رسول الله» (٣).

كما أنه ينقل أخباراً مشتملة على الغلوّ و الوهن بشأن الأئمة. و يسترسل في (١) نور الثقلين، ج ١، ص ٢. (مقدمة الكتاب). (٢) البقرة/ ٢٦.

(٣) نور الثقلين، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٩

نقل الإسرائيليات و الموضوعات كما في قصّة هاروت و ماروت، و أن الزهرة كانت امرأة فمسخت، و أن الملكين زنيا بها. و نحو ذلك من الأساطير الإسرائيلية و الأكاذيب الفاضحة (١)، ملأ بها كتابه، و شحنه شحنا بلا هوادة.

منهجه في التفسير

نعم إنه يسرد الروايات سرداً تباعاً من غير هوادة، يذكر الرواية تلو الأخرى أياً كان نمطها، و في أيّ بنية كانت صيغتها، إنما يذكرها لأنها رواية تعرّضت لجانب من جوانب الآية بأيّ أشكال التعرض.

مثلاً- في سورة النساء- يبدأ بذكر ثواب قراءتها، فيذكر رواية مرسله عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنّ من قرأها فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثاً، و لعل المناسبة أن السورة تعرضت لأحكام الموارث، ثم يأتي لتفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (٢) فيذكر رواية: أنّهم قرأه الرسول و سيدهم أمير المؤمنين، أمروا بمودّتهم فخالفوا ما أمروا به. لم نعرف وجه المناسبة بين هذا الكلام و الآية الكريمة.

ثم يروي: أنّ حواء إنما سميت حواء؛ لأنها خلقت من حيّ. فلو صح، لكان الأولى أن يقال لها: حيا. و هكذا يروي أن المرأة سميت بذلك؛ لأنها مخلوقة من المرء، أي الرجل، لأنها خلقت من ضلع آدم. ثم يناقض ذلك بذكر رواية تنفي أن تكون خلقت من ضلع آدم، بل إنها خلقت من فاضل طينته.

في حين أنّ الصحيح في فهم الآية: أنّ حواء خلقت من جنس آدم ليسكن (١) نور الثقلين، ج ١، ص ٩١.

(٢) النساء/ ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٠

إليها، كما في قوله تعالى: خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا (١).

و يذكر: أن النساء إنما سمّين نساء؛ لأن آدم أنس بحواء، فلو كان كذلك لكان الأولى أن يقال لهن: «أنساء».

و يتعرّض بعد ذلك لكيفية تزواج ولد آدم، و ينفي أن يكون قد تزوج الذكر من كل بطن مع الأنثى من بطن آخر؛ لأن ذلك مستنكر حتى عند البهائم. و بلغه أنّ بهيمة تنكرت له أخته فنزا عليها، فلما كشف عنها أنها أختها قطع غرموله (٢) بأسنانه و خرّ ميتاً.

و هكذا يذكر الروايات تباعا من غير نظر في الأسناد و المتون، و لا مقارنتها مع أصول المذهب أو دلالة العقول. و نحن نجلّ مقام الأئمة المعصومين عن الإفادّة بمثل هذه التافهات الصيانية، التي تحطّ من مقامهم الرفيع، فضلا عن منافاتها مع رفعة شأن القرآن الكريم. نعم قد يوجد خلال هذه التافهات بعض الكلام المتين؛ إذ قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط، لكنه من خلط السليم بالسقيم، الذي يتحاشاه أئمة أهل البيت عليهم السّلام.

٥- تفسير البحراني (البرهان)

إشارة

هو السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني الكتكاني. و هي قرية من قرى توبلي من أعمال البحرين توفى سنة (١١٠٧). كان من المحدثين (١) الروم/ ٢١. (٢) الغرمل: الذّكر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣١

الأفاضل متتبعاً للأخبار جماعاً للأحاديث، من غير أن يتكلّم فيها بجرح أو تعديل، أو تأويل ما يخالف العقل أو النقل الصريح، كما هو دأب أكثر الأخباريين المتطرّفين.

و في تفسيره هذا يعتمد كتباً لا اعتبار بها أمثال: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السّلام الذي هو من صنع أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و أبي الحسن علي بن محمد بن سيار، الأستراآباديين و لم يعلم وجه انتسابه إلى الإمام الحسن العسكري عليه السّلام و التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي و هو من صنع أبي الفضل العباس بن محمد العلوي، و نسب إلى القمي من غير وجه وجيه و كتاب «الاحتجاج» المنسوب إلى الطبرسي و لم يعرف لحدّ الآن و كتاب «سليم بن قيس الهلالي»، المدسوس فيه، و غير ذلك من كتب لا اعتبار فيها، فضلا عن ضعف الإسناد أو الإرسال في أكثر الأحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.

و مما يؤخذ على هذا التفسير أنه يسند القول في التفسير إلى الإمام المعصوم، إسناداً رأساً، في حين أنه وجده في كتاب منسوب إليه صرفاً، مثلاً يقول: قال الإمام أبو محمد العسكري في تفسير الآية كذا و كذا، الأمر الذي ترفضه شريعة الاحتياط في الدين «(١)». و هذا التفسير غير جامع للآيات، و إنما تعرّض لآيات جاء في ذيلها حديث، و لو في شطر كلمة. و من ثم فهو تفسير غير كامل، فضلا عن ضعف الأسانيد و إرسالها، و هن غالبية الكتب التي اعتمدها، كما هو خال عن أيّ ترجيح أو تأويل، عند مختلف الروايات، ولدى تعارض بعضها مع بعض. (١) راجع - مثلاً - الجزء الأول صفحات ٧٣ و ٧٩ و ٨٧ و ٩١، و هو كثير منتشر في الكتاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٢

منهجه في التفسير

بدأ المؤلف بمقدمة يذكر فيها فضل العلم و المتعلّم، و فضل القرآن، و حديث الثقلين، و النهي عن تفسير القرآن بالرأى، و إن للقرآن ظاهراً و باطناً، و أنه مشتمل على أقسام من الكلام، و ما إلى ذلك.

و يبدأ التفسير بعد المقدمات بمطلع جاء في مقدمة التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، من ذكر أنواع الآيات و صنوفها، حسبما جاء في التفسير المنسوب إلى محمد بن إبراهيم النعماني، و هي رسالة مجهولة النسب لم يعرف مؤلفها لحدّ الآن.

و بعد ذلك يرد في تفسير الآيات حسب ترتيب السور فيذكر الآية أولاً ثم يعقبها بما ورد في شأنها من حديث مأثور عن أحد الأئمة

المعصومين، من غير ملاحظة ضعف السند أو قوته، أو صحة المتن أو سقمه.

نعم لا- يعنى ذلك أن الكتاب ساقط كله، بل فيه من الأحاديث الغرر والكلمات الدرر، الصادرة عن أهل بيت الهدى و مصابيح الدجى، ما يروى الغليل و يشفى العليل. و الكتاب بحاجة إلى تمحيص و نقد و تحقيق، ليمتاز سليمه عن السقيم، و الصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.

فالكتاب بمجموعته موسوعه فريده، جمعت فى طيها الآثار الكريمة التى زخرت بها ينابيع العلم و الهدى، يجدها الباحث اللبيب عند البحث و التنقيب، فى هذا التأليف الذى جمع بين الغث و السمين.

٦- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور

لجلال الدين أبى الفضل، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى المتوفى سنة (٩١١). انحدر من أسرة كان مقرها مدينة أسيوط. قيل: كانت الأسرة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٣

من أصل فارسى، كانت تعيش فى بغداد، ثم ارتحلت إلى مصر.

كان جلال الدين من أكبر الحفاظ و الرواة، جماعاً للأحاديث، مولعاً بمطالعة الكتب و النقل عنها، و بذلك أصبح رأساً فى التأليف و التصنيف، و جلّ تأليفه ذات فوائد جمّة شريفة، مما يشهد بتبحره و سعة اطلاعه.

و قد ألف السيوطى تفسيراً مبسطاً جمع فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، ثم اختصره بحذف الأسانيد، و هو المعروف اليوم بـ «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور». يقول هو:

فلما ألفت كتاب «ترجمان القرآن» و هو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه، و تم بحمد الله فى مجلّدتان. فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، و رغبتهم فى الاقتصار على متون الأحاديث، دون الإسناد و تطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصرًا فيه على متن الأثر، مصدرًا بالعزو و التخرّيج إلى كل كتاب معتبر، و سمّيته بـ «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» (١).

و كان قد شرع فى تفسير أبسط و أوسع، جامع بين فنون الكلام و أنواع التفسير، لكنه لم يعرف اتمامه. يقول عنه: و قد شرعت فى تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة، و الأقوال المقولة و الاستنباطات و الإشارات و الأعراب و اللغات و نكت البلاغة و محاسن البدائع و غير ذلك؛ بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، و سمّيته بـ «مجمع البحرين و مطلع البدرين». و هو الذى جعلت هذا الكتاب «الإثقان» مقدمه له. و الله أسأل أن يعين على إكماله (١) الدر المنثور، ج ١، ص ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٤

بمحمد و آله (١).

و قد اقتصر المؤلف فى الدر المنثور على مجرد ذكر الروايات ذيل كل آية، بلا أن يتكلم فيها أو يرحّج أو ينقد أو يمحّص. فهذا التفسير فريد فى باب، من حيث الاقتصار على نقل الآثار، و توسّعه فى ذلك. و مع ذلك فإنه لم يتحرّ الصحّة، و إنما جمع بين الغث و السمين، و أورد فيه الكثير من الإسرائيليات و الأحاديث الموضوعية، عن لسان الأئمة السلف. و من ثمّ فإن الأخذ منه يحتاج إلى إمعان نظر و دقّة و تمييز.

٧- تفسير البرغانى (بحر العرفان)

للمولى صالح بن آغا محمد البرغانى القزوينى الحائرى المتوفى حدود سنة (١٢٧٠).

له ثلاثة تفاسير: كبير فى سبعة عشر مجلداً، مخطوط، محفوظ فى خزائنه كتبه، لدى ورثته بقزوين. و وسيط فى تسعة مجلدات. و صغير فى مجلد واحد.

استقصى فيه الأحاديث المرويّة عن الأئمة الأطهار فى التفسير، و رتبها حسب ترتيب الآيات و السور، و لكنّه إنما ذكر الروايات التى زعمها صالحه، و ترك ما زعمه باطلا، صادرا من جراب النوره حسب تعبيره.

فراه عند سرد روايات بدء النسل، يقتصر على روايه التزاوج بالحوريّه و الجنيّه، زاعما صحتها، و يترك روايه تزاوج الذكر من حمل و الأنثى من حمل آخر، لزعم بطلانه.

فهو تفسير بالمأثور مع إعمال النظر فى الأخذ و الترك فحسب. (١) الإيتقان، ج ٤، ص ٢١٣-٢١٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٥

نمط آخر من التفسير بالمأثور

هناك نمط آخر من التفسير بالمأثور، يفسّر القرآن تفسيرا حسب المتعارف، آيه فآيه و جمله فجمله، و كلمه فكلمه، حسبما يساعده اللغه و الفهم العرفى، لكنه يعتمد فى حلّ معضلاته و رفع مبهماتة على المأثور من الروايات فحسب، لا غيرهنّ من أدوات التفسير، بل و ربما غلب الاعتماد على النقل على الاعتماد على العقل و إعمال النظر و الرأى و الاجتهاد، فيظهر بمظهر التفسير النقلي أكثر من ظهوره بمظهر التفسير النظرى الاجتهادى.

و هذا كتفسير المولى الفيض الكاشانى، و تفسير الميرزا محمد المشهدى، و تفسير شبّر، مما كتب فى عهد متقارب، بعد سنة الألف من الهجرة.

و تفسير السمرقندى، و الثعلبى، و الثعالبى، و البغوى، و ابن كثير، و المحرّر الوجيز، من تفاسير أهل السنّه، كتبت فى القرون الوسطى من الهجرة.

إذ كل ذلك يعدّ من التفسير بالمأثور، نظرا لكثرة الاعتماد على النقل فى التفسير، و قلّه النظر و الاجتهاد. و إليك بعض الكلام عنها:

٨- تفسير الصافى

إشارة

للمولى محسن محمد بن المرتضى المعروف بالفيز الكاشانى، المتوفى (١٠٩١). هو المحدّث الفقيه و الفيلسوف العارف، ولد بكاشان و نشأ بها نشأة علمية راقية له تفسير كبير و متوسط و موجز، و سمّيت على الترتيب ب «الصافى و الأصفى و المصطفى».

يعتبر تفسيره هذا مزجا من الرواية و الدراية، تفسيرا شاملا- لجميع آى القرآن، و قد اعتمد المؤلف فى نقل عباراته على تفسير البيضاوى، ثم على نصوص الأحاديث المرويّه عن أئمة أهل البيت.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٦

و قدّم لتفسيره مقدّمة تشتمل على اثنى عشر فصلا، بحث فيها عن مختلف شئون القرآن و فضله و تلاوته و تفسيره و تأويله.

و تعتبر هذه المقدمة من أحسن المقدمات التفسيرية، التى أوضح فيها المؤلف مواضع أهل التفسير فى النقل و الاعتماد على الرأى، و ما يجب توفّره لدى المفسّر عند تفسيره للقرآن، من مؤهلات ضرورية.

و هذه الفصول سمّاهن مقدمات: كانت المقدمة الأولى- بعد الديباجة- فى نقل ما جاء فى فضل القرآن، و الوصية بالتمسك به. و الثانية فى أن علم القرآن كله عند أهل البيت عليهم السّلام، هم يعلمون ظاهر القرآن و باطنه، علما شاملا لجميع آى القرآن الكريم. و

الثالثة فى أن جلّ القرآن وارد بشأن أولياء الله و معاداة أعداء الله.

و الرابعة فى بيان وجوه معانى الآيات من التفسير و التأويل، و الظهر و البطن، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و غير ذلك. و الخامسة فى المنع من التفسير بالرأى و بيان المراد منه. و السادسة فى صيانة القرآن من التحريف. و السابعة فى أن القرآن تبيان لكل شىء، فيه أصول معارف الدين، و قواعد الشرع المبين. و الثامنة فى القراءات و اعتبارها. و التاسعة فى نزول القرآن الدفعى و التدريجى. و العاشرة فى شفاعته القرآن و ثواب تلاوته و حفظه. و الحادية عشرة فى التلاوة و آدابها. و الثانية عشرة فى بيان مصطلحات تفسيرية اعتمدها المؤلف فى الكتاب. و هذا التفسير - على جملة - من نفايس التفاسير الجامعة لجلّ المرويات عن أئمة أهل البيت إن تفسيراً أو تأويلاً. و إن كان فيه بعض الخلط بين الغث و السمين.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٧

منهجه فى التفسير

يعتمد اللغة أولاً، ثم الأعراب أحياناً، و بعد ذلك يتعرض للمأثور من روايات أهل البيت عليهم السلام، معتمداً على تفسير القمى و العياشى، و غيرها من كتب الحديث المعروفة. لكنه لا يتحرز الصحة فى النقل، و يتخلى بنفسه لمجرد ذكر مصدر الحديث، الأمر الذى يؤخذ عليه؛ حيث فى بعض الأحيان نراه يذكر الحديث، و كان ظاهره الاعتماد عليه، مما يوجب إغراء الجاهل، فيظنه تفسيراً قطعياً للآية الكريمة، و فيه من الإسرائيليات و الروايات الضعاف الشىء الكثير.

و له فى بعض الأحيان بيانات عرفانية قد تشبه تأويلات غير متلائمة مع ظاهر النص، بل و مع دليل العقل و الفطرة. مثلاً نراه عند ما يذكر قصة هاروت و ماروت - حسب الروايات الإسرائيلية - و تبعاً لما ذكره البيضاوى فى تفسيره: أنهما شربا الخمر و سجدا للصنم و زنيا، نراه يؤول ذلك تأويلاً غريباً، يقول: لعل المراد بالملكين: الروح و القلب، فإنهما من العالم الروحانى، أهبطاً إلى العالم الجسمانى، لإقامة الحق، فافتتنا بزهره الحياة الدنيا، و وقعا فى شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة، و عبدا صنم الهوى، و قتلا عقلهما الناصح لهما، بمنع تغذيته بالعلم و التقوى، و محو أثر نصحه عن أنفسهما، و تهيأ للزنى ببغى الدنيا الدنية التى تلى تربية النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمى بزهره، فهربت الدنيا منهما و فاتتهما، لما كان من عاداتها أن تهرب من طالبيها؛ لأنها متاع الغرور، و بقى إشراق حسنهما فى موضع مرتفع؛ بحيث لا تنالها أيدي طلبائها، ما دامت الزهرة باقية فى السماء. و حملهما حبها فى قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر، و هو ما لطف مأخذه و دق، فخيراً للتخلص منهما، فاختارا بعد التتبه و عود العقل إليهما أهون العذابين، ثم رفعاً

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٨

إلى البرزخ معدّين، و رأسهما بعد إلى أسفل، إلى يوم القيامة «١».

و لقد كان الأجدر به - و هو الفقيه النابه المحقق - أن ينبذ تلكم الروايات الإسرائيلية المشوهة، حتى و لو كانت بصورة الرواية عن أهل البيت افتراء عليهم، كان الأجدر به أن يتركها دون ارتكاب التأويل.

٩- تفسير المشهدى (كنز الدقائق و بحر الغرائب)

للميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمى المعروف بالمشهدى؛ لأنه نشأ بمشهد الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام توفى حدود سنة (١١٢٥). و تتلمذ على يد المولى محسن الفيض الكاشانى، و سار على منهجه فى التفسير. و تفسيره هذا هو حصيلة ما سبقه من أمهات تفاسير أصحابنا الإمامية، جمع فيه لباب البيان و عباب التعبير أينما وجده، طى الكتب و التأليف السابقة عليه.

فقد اختار حسن تعبير أبي سعيد الشيرازي البيضاوي - كما فعله أستاذه و شيخه المقدم المولى الفيض الكاشاني من قبل - كما انتخب من أسلوب الطبرسي في «المجمع» ترتيبه و تبويبه، مضيفا إليه ما استحسنته من «كشاف» الزمخشري و «حواشي» العلامة الشيخ البهائي، فصار تأليفه مجموعة من خير الأقوال و أحسن الآثار كما صرح هو في مقدمته تفسيره، و حسبما جاء في تقييد العلامة المجلسي، و المحقق الخوانساري على الكتاب، و راجع مقدمتنا على التفسير.

و هذا التفسير جمع بين العقل و النقل، فاعتمد المأثور من روايات معزوة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام مردفا لها بما سنح له خاطره من رأى و نظر، أو وجده في (١) تفسير الصافي، ج ١، ص ١٣٠، ذيل الآية رقم ١٠٣، من سورة البقرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٩

تأليف أو أثر، و لم يدع مناسبة أدبية أو كلامية أو عرفانية إلا أتى فيها ببيان، منتهجا أثر شيخه الفيض في تفسير «الصافي». و أما موقفه من الإسرائيليات و الموضوعات فهو موضع الرد و الاجتناب عنها، دون ذكر التفصيل، مثلا- يذكر في قصة هاروت و ماروت ما يفندها؛ حيث يقول: و ما روى أنهما مثلا بشرين و ركب فيهما الشهوة ... فمحكى عن اليهود.

و الخلاصة: كان لهذا التفسير مكانته في الجمع بين الرواية و الدراية، و إعطاء صورة واضحة للتفسير عند الإمامية، و يشتمل على ما في كتب التفسير من اللغة و الإعراب و البيان، بشكل موجز رائع.

فهو تفسير جامع شامل لجوانب عدة من الكلام، حول تفسير آي القرآن، الأمر الذي جعله فذا في بابه، و فردا في أسلوبه، و ممتازا على تفاسير جاءت إلى عرصه الوجود، ذلك العهد.

و قد طبع عدة طباعات أنيقة في مفتح هذا القرن - الخامس عشر للهجرة - أحسنها طبعه مؤسسة دار النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

١٠- تفسير ابن كثير

للحافظ عماد الدين، أبي الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير، الدمشقي الفقيه المؤرخ الشافعي أخذ عن ابن تيمية، و شغف بحبه، و امتحن بسببه. قال ابن شهبه في طبقاته: إنه كانت له خصوصية بابن تيمية، و مناضلة عنه، و أتباع له في كثير من آرائه. و كان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، و امتحن بسبب ذلك و أودى. توفي سنة (٧٧٤)، و دفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. و كان قد كف بصره في آخر عمره الذي ناهز السبعين.

و هو صاحب التاريخ الذي سماه: «البداية و النهاية» فكان مؤرخا مفسرا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٠

كابن جرير الطبري.

و تفسيره هذا من أشهر ما دون في التفسير المأثور، بل من أجوده؛ حيث اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف، ففسر كلام الله تعالى بالأحاديث و الآثار مسنده إلى أصحابها، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحا و تعديلا، و نقدا و تحليلا، و قدم له بمقدمة طويلة، تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق و اتصال بالقرآن و تفسيره. و لكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في مقدمته، في أصول التفسير.

و يمتاز في طريقته في التفسير بأن يذكر الآية، ثم يفسرها بعارة سهلة جزلة، و إن أمكن توضيح الآية بآية أو آيات أخرى ذكرها، و قارن بينهما حتى يتبين المعنى و يظهر المراد، و هو شديد العناية و كثير الإحاطة بهذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن، و لعل هذا الكتاب من أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة، و مقارنة بعضها مع البعض، لكشف المعنى المراد.

و بعد ذلك يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي لها تعلق بالآية، و يبين ما يحتج به و ما لا يحتج به منها، ثم يردفها بأقوال الصحابة

و التابعين، و من يليهم من علماء السلف.

و نجده أحيانا يريجح بعض الأقوال على بعض، و يضعف بعض الروايات، و يصحح بعضها آخر منها، و يعدل بعض الرواة، و يجرح بعضها آخر، و هذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بأصول نقد الحديث، و معرفة أحوال الرجال.

و مما يمتاز به أنه يتبّه بين حين و آخر إلى ما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات و الموضوعات، و يحذّر منها على وجه الإجمال تارة، و على وجه التعيين و البيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

مثلا، هو فى قصة هاروت و ماروت، يراها متصادمة مع ما ورد من الدلائل

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤١

على عصمة الملائكة، فإن كان و لا بدّ فهو تخصيص، كما فى شأن إبليس على القول بأنه من الملائكة، ثم يذكر القصة نقلا عن الإمام أحمد فى مسنده، يرفعها إلى النبى، لكنه يشكك فى صحة السند و رفعه. و أخيرا يستغربها. و يذكرها أيضا بطريقتين آخرين و يستغربهما، و فى نهاية الأمر يقول: و أقرب ما يكون فى هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، لا عن النبى، إذن فدار الحديث و رجع إلى نقل كعب الأحبار، عن كتب بنى إسرائيل.

ثم يذكر الآثار الواردة فى ذلك عن الصحابة و التابعين. و

يذكر عن على عليه السلام أنه لعن الزهرة، لأنها فتنت الملكين.

و يعقبه

بقوله: و هذا أيضا لا يصح و هو منكر جدا.

و يذكر عن ابن مسعود و ابن عباس و عن مجاهد أيضا، ثم يقول: و هذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر، و أضاف: و قد تقدّم أنه من روايته عن كعب الأحبار.

و فى النهاية يقول: و قد روى فى قصة هاروت و ماروت عن جماعة من التابعين و قصّ بها خلق من المفسرين من المتقدمين و المتأخرين، و حاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح، متصل الإسناد إلى الصادق المصدّق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى «١».

انظر إلى هذا التحقيق الأنيق بشأن خرافة إسرائيلية غفل عنها أكثر المفسرين.

و كذا فى قصة البقرة، نراه يقصّ علينا قصة طويلة مسهبة و غريبة على ما ذكره المفسرون و يعقبها بقوله: و هذه السياقات عن عبدة و أبى العالية و السدى و غيرهم، فيها اختلاف، و الظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى إسرائيل، و هى مما (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣٧-١٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٢

يجوز نقلها، و لكن لا تصدق و لا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلّا ما وافق الحق عندنا «١».

قوله: «و هى مما يجوز نقلها» هذا إنما تبع فى ذلك شيخه ابن تيمية فى تجويز الحديث عن بنى إسرائيل، و لكن من غير تكذيب و لا تصديق. و قد تكلمنا فى ذلك عند الكلام عن الإسرائيليات، و أنه يجب نبذها و عدم نقلها، و لا سيما إذا كانت من الشائعات عندهم، غير مثبتة فى كتبهم، و الأكثر هو من ذلك.

و هكذا فى تفسير سورة «ق»، يذكر عن بعض السلف أنه جبل محيط بالأرض، ثم يعقبه بقوله: و كأنّ هذا- و الله أعلم- من خرافات بنى إسرائيل التى أخذها عنهم، مما لا يصدق و لا يكذب، و عندى أنّ هذا و أمثاله و أشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم. كما افترى فى هذه الأمة- مع جلاله قدر علمائها و حفاظها و أئمتها- أحاديث عن النبى و ما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بنى إسرائيل مع طول المدى و قلة الحفاظ النقاد فيهم، و شربهم للخمر، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، و تبديل

كتب الله و آياته. و إنما أباح الشارع الرواية عنهم في

قوله: «حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج»

فيما قد يجوزُه العقل، فأما فيما تحيله العقول و يحكم فيه بالبطلان و يغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل «٢». (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٠٨-١١٠.

(٢) المصدر، ج ٤، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٣

١١- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي كان عالما شغوفا باقتناء الكتب، فكان فقيها عارفا بالأحكام و الحديث و التفسير، نحوياً أديبا بارعا في الأدب و النظم و النشر. توفى سنة (٤٨١).

و تفسيره هذا من أعظم التفاسير بالمأثور؛ حيث ملؤه النقد و التحقيق و التمحيص. فكانت له قيمته العلمية بين كتب التفسير؛ حيث أضفى مؤلفه عليه من روحه العلمية الفياضة، ما أكسبه دقة و رواجاً و قبولاً.

يقول ابن خلدون عند ما يتعرض لكتب التفسير بالمأثور: فكتب الكثير من ذلك و نقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة و التابعين، و انتهى ذلك إلى الطبري و الواقدي و الثعالبي و أمثال ذلك من المفسرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ... و قد جمع المتقدمون في ذلك و أوعوا، إلما أن كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث و السمين و المقبول و المردود ... فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم (مسلمة اليهود) في أمثال هذه الأغراض (أسباب المكوّنات) أخبار موقوفة عليهم، و ليست مما يرجع إلى الأحكام، فتحرّى في الصّحة التي يجب بها العمل.

و تساهل المفسرون في مثل ذلك، و ملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها- كما قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلّا أنهم بعد صيتهم و عظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين و الملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ.

فلما رجع الناس إلى التحقيق و التمحيص، و جاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، و تحرّى ما هو أقرب إلى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٤

الصّحة منها، و وضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب و الأندلس، حسن المنحى. و تبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد، في كتاب آخر مشهور بالمشرق «١».

و بحق هو تفسير محرّر من أفاصيص مشوّهة إسرائيلية، كانت دارجة لحد ذلك الحين. فهو من خير التفاسير بالمأثور، و قد طبع أخيراً، و خرجت منه مجلدات لحد الآن.

و نجد أبا حيان- في مقدمه تفسيره- يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية و تفسير الزمخشري، فيقول: و كتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص. و كتاب الزمخشري أخلص و أغوص «٢».

و لهذا التفسير مقدمه جامعة نافعة تحتوى على مسائل ذات أهمية، طبعت مستقلة عن التفسير، مع مقدمه كتاب «المباني». قام بنشرهما المستشرق آرثر جفري، و طبعتا عدة طبعات.

١٢- تفسير النعلبي (الكشف و البيان)

هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. توفّي سنة (٤٢٧). كان رأساً في التفسير والعريية. قال ابن خلكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير، و صنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير «٣». و قال ياقوت: صاحب التصانيف الجليّة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، (١) المقدمة لابن خلدون، ص ٤٣٩-٤٤٠، الفصل الخامس.

(٢) تفسير البحر المحيط، ج ١، ص ١٠.

(٣) راجع: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٥

و كلمات أرباب الحقائق، و وجوه الإعراب و القراءات «١». و هو صاحب كتاب «العرائس» في قصص الأنبياء.

من ميزات هذا التفسير: توسّعه في اللغّة والأدب و الوجوه و القراءات، و الإحاطة بكلام السلف، و الإجادّة في نقلها و بسطها. فقد كان مفسّرينا كثير الشيوخ كثير الحديث صحيح النقل موثوق به «٢»، غير أنه لم يتحرّ الصّحة فيما ينقله من تفاسير السلف، و من وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين المكثّرين من النقل. و قد جرّ على نفسه و على تفسيره، بسبب هذه الكثرة من الإسرائيليات و الموضوعات، ما جرّه أكثر المفسرين السلف من اللوم و النقد اللاذع. و قد اعتمد روايات الشيعة أيضا في تفسيره، الأمر الذي أثار العتاب عليه بالخصوص، و إلّا فهو و سائر أصحاب التفسير بالمأثور سواء.

١٣- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، توفّي سنة (٨٧٦).

كان من الأئمة الرّحّالين في طلب العلم. و طار صيته بالفضل و الزهد عن الدنيا.

و أصبح آية في علم الحديث، و خلف كتبا كثيرا ألفها على نمط أهل الحديث المكثّرين.

إنه يتعرّض للقراءات أحيانا، و يدخل في الصنّاعة النحوية نقلا عن غيره، و يذكر الروايات المأثور في التفسير، يذكرها بلا إسناد، و يخوض الإسرائيليات خوضا بلا هوادة، و فيه من آثار التعصب الشئ الكثير. و الخلاصة: أن تفسيره هذا (١) معجم الأدباء، ج ٥، ص ٣٧.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٢٨-٢٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٦

لا يوازن نظائره من تفاسير سالفه.

١٤- منهج الصادقين

للمولى فتح الله الكاشاني، فقيه متكلم صاحب نظر و اختيار في التفسير، من علماء العهد الصفوي. له تفسير باللغّة العريية باسم «زبدة التفاسير» و هذا التفسير وضعه باللغّة الفارسيّة خدمة لأبناء بلاده. و هو أوّل تفسير فارسي اشتهر و طبع عدّة مرّات في عشر مجلّدات. ثم ظهر تفسير أبي الفتوح الرازي في عهد متأخر و الذي سبقه بقرون. و قد اعتمد المفسّر على أشهر التفاسير المعتمدة، منها تفسير أبي الفتوح و مجمع البيان و البيضاوي و الكشاف. و قد اعتنى بالروايات اعتناء البالغ. و هو تفسير جيّد لطيف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٧

النمط الثاني التفسير الاجتهادي

إشارة

* التفسير الفقهي (آيات الأحكام) * التفاسير الجامعة * التفسير في العصر الحديث * التفاسير الأدبية * التفاسير اللغوية * التفاسير الموجزة * التفاسير العرفانية (التفسير الرمزي و الإشاري)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٩

النمط الثاني التفسير الاجتهادي و التفسير الاجتهادي يعتمد العقل و النظر أكثر مما يعتمد النقل و الأثر؛ ليكون المناط في النقد و التمحيص هو دلالة العقل الرشيد و الرأي السديد، دون مجرد الاعتماد على المنقول من الآثار و الأخبار. نعم لا ننكر أن مزالّ الأقدام في هذا المجال كثيرة، و عواقبه و خيمه، و من ثم تجب الحيطه و الحذر و إمعان النظر، بعد التوكل على الله و الاستعانة به، الأمر الذي يحصل عند حسن التيه و الإخلاص في العمل المستمر، و الله من وراء القصد.

و العمل الاجتهادي في التفسير شيء حصل في وقت مبكر، في عهد التابعين؛ حيث انفتح باب الاجتهاد و إعمال الرأي و النظر في التفسير، و شاع النقد و التمحيص في المنقول من الآثار و الأخبار. و لم يزل يتوسّع دائرة ذلك مع تقادم الزمان، و مع تنوع العلوم و المعارف التي ما زالت تتوفر في الأوساط

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٠

الإسلامية حينذاك.

و قد أسبقنا أن من ميزات تفسير التابعين، فتح باب الاجتهاد و التوسع فيه، و هكذا دأب من جاء بعدهم على التوسّع في النظر، و التنوع في أبعاده و مراميه.

نعم كانت آفة ذلك - لدى الخروج عن دائرة التوقيف، و ولوج باب النظر و إعمال الرأي - هو خشية أن ينخرط التفسير في سلك التفسير بالرأي الممقوت عقلا، و الممنوع شرعا؛ حيث لا يؤمن من عاقبه ذلك أن تزلّ قدم أو تهوى إلى مكان سحيق، و بالفعل قد سقط أناس كثير.

و من ثمّ تجب معرفة حدود «التفسير بالرأي» و الوقوف على ثغوره، و جوانبه و أبعاده؛ لغاية الاجتناب عنه.

و نحن قد أوفينا الكلام حول مسألة «التفسير بالرأي» «١» و يتلخّص في أن الممنوع منه هو ما كان بأحد وجهين:

١- الاستبداد بالرأي في تفسير كلامه تعالى، فيعتمد ما حانت له نظرتة الخاصة، غير مبال بما قاله العلماء من قبله، فيعتمد إلى تفسير آية، اعتمادا على ما فهمه من لغة و أدب مجرّد، من غير مراجعة لأقوال السلف و نظراتهم و توجيهاتهم، و المسالك التي سلكوها في فهم الآيه، و ربما كانت قرائن و دلائل حافّة، لا ينبغي التغافل عنها. من ذلك معرفة أسباب النزول، و شرح الحوادث المقارنة لنزول الآيه، و المناسبة التي استدعت نزولها، و كذا المأثور من كلام النبي و الصحابة الأولين، مما يعين على فهم كلام الله النازل على رسوله. و إنما يعرف القرآن من خوطب به، فإغفال ذلك و إعفاء الآثار و الدلائل المكتنفة، حياذ عن طريقه العقلاء في فهم الكلام، فضلا عن كلامه تعالى، و

من استبدّ برأيه هلك، كما (١) عند البحث عن صلاحية المفسر في الجزء الأول، ص ٦١-٩٦؛ و ما كاد يزلّه لو لم يتحدّر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥١

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و أيضا فإن علم التفسير، علم انحدر من نقطة أولى ثم توسّع و تنوع، كسائر العلوم التي ورثتها البشرية من أسلافها العلماء. و لا ينبغي لعالم أن يعنى ما حققه الأسلاف، و ليس له أن يبدأ بما بدأ به الأولون، و إلّا لم تكن العلوم لتزدهر و تتوسّع مع أطراد الزمان.

و الخلاصة: إن مراجعة الدلائل و الشواهد القرآنية، إلى جنب أقوال السلف و آرائهم، شرط أساسي في معرفة كلام الله، فمن استبد

برأيه من دون مراجعة ذلك، هلك و أهلك.

و هذا معنى

الحديث الوارد: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»

فلو فرض أنه ربّما أصاب الواقع صدفة، لكنه قد أخطأ الطريق التي تؤمن عليه الإصابة لدى العقلاء.

٢- أن يعتمد إلى آية فيحاول تطبيقها على رأيه- مذهب أو عقيدة أو سلوك- ليبرّر موضعه من ذلك، أو يجعل ذلك داعية لعقيدته أو سلوكه، و هو- في الأغلب- يعلم أن لا مساس للآية بذلك، و إنما هو تحميل عليها. و العمدة: أنه لم يرم فهم معنى الآية و تفسيرها الواقعي، و إنما رام دعم مذهبه و عقيدته بأيّ وسيلة كانت، و منها الآية إن وافق التقدير.

فهذا تحميل على الآية، و ليس تفسيراً لها، و من ثم فليتبوأ مقعده من النار.

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قال الله عزّ و جل: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي» (١).

و

روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من (١) الأملالي للصدوق، ص ٦، المجلس الثاني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٢

قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (١).

إذن فمن سلك طريقة العقلاء في فهم الكلام، و اعتمد الدلائل و الشواهد، و راجع أقوال السلف الصالح، ثم أعمل نظره في فهم كلام الله، لم يكن مفسراً بالرأى، لا مستبدا برأيه و لا محمّلاً برأيه على القرآن الكريم، و العصمة بالله سبحانه.

تنوع التفسير الاجتهادي

إشارة

و مما يجدر التنبه له، أن التفسير الاجتهادي المبني على إعمال الرأى و النظر، يتنوع تنوعاً حسب مواهب المفسرين و قدراتهم العلميّة و الأدبيّة، و معطياتهم في العلوم و المعارف؛ إذ كل صاحب فنّ و علم إنما يجعل من صناعته العلميّة وسيلة لفهم القرآن، و ينظر إليه من الزاوية التي كانت مقدّرتة متركّزة عليها، و من ثمّ تختلف براعة كل مفسر عن غيره، في الجهة التي كانت قدرته العلميّة أبرع و أمتن. فصاحب الأدب الرفيع، إنما يفوق غيره في براعته الأدبيّة في التفسير، و هكذا صاحب الفلسفة و الكلام و الفقه و اللغة، و حتى صاحب العلوم الطبيعيّة و الرياضيات و الأفلاك، و نحو ذلك. فكل صاحب مهنة إنما يبرع في عمله، إذا خاض التفسير من جهة صناعته، و من زاوية اختصاصه، الأمر الذي جعل من التفسير متنوعاً، حسب معطيات أصحاب التفاسير.

و من ثم نستطيع أن ننوع ألوان التفسير إلى: أدبي و لغوي، كلامي و فلسفي و عرفاني، اجتماعي و علمي، و جامع بين أمرين أو أمور من ذلك؛ ليكون من (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٣

النوع الجامع، الذي يغلب أكثر التفاسير. و ليس معنى ذلك أن الأديب يتمحّض تفسيره في الأدب و اللغة محضاً أو الفقيه في الفقه محضاً، و كذا المتكلم و الفيلسوف و العارف و غيرهم، بل إنما يغلب على تفسير الأديب صياغته الأدبيّة، و على تفسير الفقيه صياغته

الفقهية، وهكذا... وإن كان لا يخلو سائر أنواع التفسير مما كان في بعضها من اختصاص. أما تفاسير أصحاب المذاهب كالمعتزلة والخوارج والصوفية وأمثالهم، فهي إما داخله في النوع الكلامي أو العرفاني، وليس بخارج عن هذين اللونين، ولذلك كان تنوعنا للتفسير يختلف عن تنوع الآخرين بعض الشيء. وعليه فينقسم التفسير الاجتهادي إلى: أدبي، وفقهي، وكلامي، وفلسفي، وعرفاني رمزي، وصوفي إشاري، واجتماعي، وعلمي، وجامع.

تلك أقسام للتفسير الغالبة عليه، حسب ألوان الاجتهاد فيه. ولنتعرض للأهم من كتب التفسير المدونة على هذه الألوان.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٤

التفسير الفقهي (آيات الأحكام)

إشارة

وهي التفاسير التي تتعرض للآيات التي تتعلق بالأحكام التكليفية والوضعية المرتبطة بأعمال المكلفين، ومن ثم فهو من التفسير الموضوعي الذي له تعرض لجانب من الآيات القرآنية. قالوا: ويقرب من نحو خمسمائة آية «١»، لها تعلق مباشر بأعمال المكلفين من عبادات ومعاملات، وإلا فجميع آي القرآن هي دستورات عملية يجب على المسلمين أن يطبقوا حياتهم الفكرية والعملية عليها، دستوراً عاماً شاملاً لمناحي الحياة كلها.

على أن الأرجح أن الآيات المرتبطة بأعمال المكلفين ارتباطاً تكليفياً في حياتهم، تزيد على الخمسمائة، بكثير، وهي إلى الألفين آية أقرب منها إلى الخمسمائة، ذلك أنا لو أمعنا النظر في سائر الآيات، وحققتنا من فحواها العام، مثلاً: كان قوله تعالى - بشأن المرأة -: «أَوْ مَنْ يُشِئُوا فِي الْحَيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُبِينٍ» (٢) ناظراً إلى جانب نفسياتها الخاصة الرقيقة الفارضة، وقصورها الذاتي عن الخوض في خصم معارك الحياة، وهي نظرة علمية بشأن نفسيّة المرأة أبقاها (١) على ما ذكره الفاضل المقداد في مقدمة كتابه «كنز العرفان» ج ١، ص ٥. لكن جاء في فهرس آيات الاحكام لابن العربي أنها نحو من ثمانمائة آية (ج ٤، ص ١٩٩٤ - ٢٠٩٨). غير أنا لو نظرنا إلى القرآن من زاوية عنايته الخاصة بمسائل السياسة والاجتماع، والتي أغفلها السلف، واعتنى بها المتأخرون، لارتفعت أعداد آيات الأحكام إلى ما ينوف على الألفين آية.

(٢) الزخرف / ١٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٥

القرآن الكريم.

لكن يستفاد من ذلك - فقهيًا - أنها لا تصلح لتصدى الشؤون الإدارية الشائكة من ذوات التشابك والتصادم العنيف؛ ومنها: أمور القضاء، التي هي بحاجة إلى حدة و شدة، من ورائها تعقل واختيار حر؛ حيث المرأة بطبيعتها أسيرة عاطفتها وأحاسيسها الرقيقة العاطفية الحادة، مما تجرف بها عن إمكان الخوض في معركة قضايا ذوات شجون، وهي بحاجة إلى صلابه و صمود و وعى، و اختيار فكري تام.

المرأة تنظر إلى الحياة كمظاهر للزينة، و تبهرها زبرجتها، و من ثم فجلّ اهتمامها التبرج بمباهج الحياة الناعمة. أما هي في خصم معاركها ضعيفة، خائفة القوى، لا تستطيع إبداء ما في ضميرها إبداء كاملاً لدى خصامها هي مع غيرها، فكيف بها و هي تريد الفصل في خصومات الآخرين.

وقد استفدنا من هذه الآيه، عدم جواز تصديها لمنصب القضاء، و هي من المئات الآيات التي أغفلت في كتب آيات الأحكام المعروفة.

أهم كتب آيات الأحكام

لا شك أن السنّة إلى جنب القرآن، تفسير لجانب آيات أحكامه، فما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و بينته الصحابة الخيار و الأئمة الأطهار، هي تفاسير فقهية، ورثته الأمة كابرا عن كابر، و لكن بشكل غير مدوّن. و قد كان الصحابة و التابعون، و كذا من بعدهم من علماء و فقهاء، يراجعون القرآن فيما أشكل عليهم من أحكام و تكاليف و فرائض. و كانت الخلافات بين الصحابة و كذا بين التابعين و هكذا غيرهم من العلماء، كانت ترجع إلى كيفية فهم النص القرآني في الفرائض

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٦

و غيرها، و الشواهد على ذلك كثير.

و ظل الأمر على ذلك إلى عهد ظهور أئمة المذاهب و الفقهاء المستنبطين من الكتاب و السنّة. و فيه وجدت حوادث للمسلمين لم يسبق لمن تقدّم عليهم حكم عليها؛ حيث لم تكن في عهدهم و لم تكن مورد ابتلائهم حينذاك، و هي التي اصطالحوا على تسميتها ب «المسائل المستحدثة» و لا تزال تتجدّد مسائل هي تمس حياة المسلمين، في مختلف شؤونهم الفرديّة و الاجتماعيّة، السياسيّة و الإداريّة و غيرها. و هي كثير في كثير.

فكان كل فقيه ينظر في القرآن قبل كل شيء ليحلّ تلك المشاكل، و يجيب على تلك المسائل، في ظل توجيهاته الكريمة، و يحكم عليها بالحكم الذي يندح في ذهنه، و يعتقد أنه الصحيح في رأيه، و يدعّمه بما لديه من أدلّة و براهين. و هذه الاستنباطات كان منها ما يتفق فيه آراء الفقهاء، و كان منها ما يختلف. و لكن من غير أن تظهر منهم بادرة تعصّب في هذا الاختلاف، و إنما هو مجرد اختلاف نظر، قابل للتفاهم و التشاور أحيانا؛ لأن الكل كانوا ينشدون الحق و يطلبون حكم الله الصحيح، و ليس بعزيم على الواحد منهم- و هم جميعا يخلصون العمل لله- أن يرجع إلى رأى مخالفه إن ظهر له الحق في جانبه.

و كان من نتيجة تلك الخلافات في استنباط مباني الأحكام من القرآن الكريم، أن دوّنت كتب مخصّصة لعرض الخلاف و الوفاق، في فهم معاني آيات الأحكام.

أحكام القرآن - للجصاص الحنفى

هو أبو بكر أحمد بن على الرازى المشهور بالجصاص، توفى سنة (٣٧٠).

كان إمام الحنفية في وقته و إليه انتهت رئاسة الأصحاب. صاحب التأليف الكثيرة،

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٧

منها: أحكام القرآن، كتبه على مباني مذهب أبى حنيفة، و يعدّ من أهم الكتب المدوّنة في الموضوع، و لعله أبسط الكتب في ذلك، و قد تعرّض فيه لجوانب كثيرة من معاني آيات الأحكام في صورة مسهبة، و مستوعبة كل جوانب الكلام، بعيدا عن التعصّب المذهبي في غالب ما يكتبه، و إن كان الأستاذ الذهبي قد رماه بالتعصّب لمذهب أبى حنيفة، و تحامله على سائر الأئمة. لكننا لم نر تحاملا منه و لا تعصبا أعمى و إنما هو بيان الحق، حسبما يراه.

مثلا عند ما تعرّض لقوله تعالى: **تُمْ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** (١) نجده يحاول أن يجعل الآية دالّة على أنّ من دخل في صوم التطوع لزم اتمامه (٢).

و قد عدّ الذهبي ذلك منه تعسفا و تعصبا لرأى أبى حنيفة في ذلك (٣).

قلت: لا- تعسف و لا- تعصّب، بعد ظهور الآية في ذلك، نظرا لإطلاق لفظها، و هو مذهب المالكية أيضا. و عند الشافعي و أحمد الإتمام مسنون (٤).

و الاختلاف في قضاء صوم التطوع إذا لم يكن عن عذر، ناشئ عن اختلاف الأحاديث في ذلك «٥». و الجصاص ربح القضاء استنادا إلى ظاهر إطلاق الآية، فلم يكن هناك تعسف؛ لأنه استناد إلى ظاهر الدليل، كما لم يكن تعصبا لمذهب أبي حنيفة بعد ذهاب مالك إليه أيضا.

و أما عند الشيعة الإمامية فهو بالخيار في صوم التطوع ما بينه و بين الزوال، (١) البقرة/ ١٨٧.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٢٧٤-٢٨٥.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٥٨.

(٥) راجع: ابن رشد الأندلسي، في بداية المجتهد، ج ١، ص ٣٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٨

و يكره بعد الزوال «١».

و عند ما تعرض لقوله تعالى: وَ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُمُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ «٢» قال الذهبي: نجده يحاول أن يستدل بالآية من عدة وجوه، على أن للمرأة أن تعقد نفسها بغير الولي و بغير إذنه «٣».

و هذا أيضا استظهار لطيف من الآية الكريمة، و لعل الآخرين غفلوها، على أن مسألة الولاية إنما تكون على الأبكار غير المتزوجات؛ و ذلك على القول به، و المشهور عدم الولاية إطلاقا. نعم هو مندوب إليه.

و عند ما تعرض لقوله تعالى: وَ آتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَبَدِّلُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ «٤» و قوله: وَ ابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ «٥» قال الذهبي: نجده يحاول أن يأخذ من مجموع الآيتين دليلا لمذهب أبي حنيفة، القائل بوجوب دفع المال لليتم إذا بلغ خمسا و عشرين سنة، و إن لم يؤنس منه الرشد «٦».

نعم هنا تعسف في الرأي؛ لأنه أخذ بإطلاق الآية الأولى و حملها على ما بعد هذا السن؛ و ذلك لاتفاق الفقهاء على الاشتراط بإيناس الرشد قبل ذلك، فما لم يبلغ خمسا و عشرين، لا يدفع إليه ما لم يؤنس منه الرشد، و أما إذا بلغها فيدفع (١) راجع: الخلاف للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٠٠، م ٨٣.

(٢) البقرة/ ٢٣٢.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٤٠٠.

(٤) النساء/ ٢.

(٥) النساء/ ٦.

(٦) أحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٩

إليه مطلقا؛ و ذلك عملا بالآيتين.

و هذا تعسف في الاستدلال؛ لأنه حمل للظاهر على بعض صورته من غير دليل، على أن الإطلاق في الآية الأولى يجب تقييده بالآية الثانية، و حمل المطلق على المقيّد ليس إبطالا للمطلق، كما زعمه الجصاص.

و مما أخذ عليه الذهبي حملته على مخالفه؛ بحيث لا يعفّ لسانه عنهم.

قال: ثم إن الجصاص مع تعصبه لمذهبه و تعسفه في التأويل، ليس عفّ اللسان مع الإمام الشافعي، و لا مع غيره من الأئمة.

و كثيرا ما نراه يرمى الشافعي و غيره من مخالفى الحنفية بعبارات شديدة، لا تليق من مثل الجصاص، فمثلا- عند ما تعرض لآية

المحرّمات من النساء نجده يعرض الخلاف الذي بين الحنفية و الشافعية، في حكم من زنى بامرأة، هل يجوز التزويج ببناتها أو لا؟

و تمسك الشافعي بأن الحرام لا- يحرم الحلال، ثم ذكر مناظرة له مع سائل سأله: كيف تحرم بنت المنكوحه و لا تحرم بنت المزني بها؟ فأجابه الشافعي بأن ذاك حلال و هذا حرام، و لم يزد في الفرق بينهما على ذلك. و هنا يقول الجصاص: فقد بان أن ما قاله الشافعي و ما سلمه له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه. ثم يقول: ما ظننت أن أحدا ممن ينتدب لمناظرة خصم، يبلغ به الإفلاس من الحجاج، إلى أن يلجأ إلى مثل هذا، مع سخافة عقل السائل و غباوته «١».

و في هذا الكلام إهانة بموضع الشافعي، و فرضه فيمن لا يعتد بشأنهم. (١) أحكام القرآن، ج ٢، ص ١١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٠

قلت: لا شك أن استدلال الشافعي هنا ضعيف؛ إذ كثير من المحرمات حرم من المحلات، كما في مسألة اللواط يحرم أخته و أمه و بنته على اللاطي، و كالعقد على المعتدة و الدخول بها، و الزنى بذات البعل.

و

حديث «الحرام لا يحرم الحلال»

وارد فيمن أحل له فرج ثم زنى بأماها أو بنتها «١» فهو ناظر إلى السابق، أي الحلال الفعلي لا الحلال الشأني. و من الغريب أن الشافعي هنا أخذ بالقياس مع الفارق.

و هكذا أخذ عليه الذهبي ميله إلى مذهب الاعتزال، و كذا تحامله على معاوية.

أما ميله إلى الاعتزال فلأنه نفى إمكان رؤيته تعالى، و حمله أخبار الرؤية على العلم لو صحت «٢».

قلت: و هذا من كمال فضله؛ حيث حكم العقل على النقل، و هو دأب المحصلين.

و أما تحامله على معاوية فمن ثبات عقيدته و صلابته في دينه. إن معاوية بغى على إمام زمانه و خرج عليه بالسيف، فعلى كل مسلم منابذته و التحامل عليه بالسيف، فضلا عن اللسان. و سكوت بعض السلف في ذلك مراوغة خبيثة.

يقول الذهبي: إننا نلاحظ على الجصاص أنه تبدو منه البغضاء لمعاوية، و يتأثر بذلك في تفسيره، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ - إلى (١) راجع: المسألة (٢٨) من أحكام المصاهرة، من العروة الوثقى.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤-٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦١

قوله- الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ «١» يقول: و هذه صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنتهم الله في الأرض ... و فيه الدلالة الواضحة على صحة إمامتهم؛ لإخبار الله تعالى بأنهم إذا مكنتوا في الأرض أقاموا بفروض الله عليهم، و قد مكنتوا في الأرض، فوجب أن يكونوا أئمة قائمين بأوامر الله، منتهين عن زواجره و نواهيه.

و لا يدخل معاوية في هؤلاء؛ لأن الله إنما وصف بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم، و ليس معاوية من المهاجرين، بل هو من الطلقاء «٢».

و عند قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ «٣» يقول: و فيه الدلالة على إمامة الخلفاء الأربعة أيضا؛ لأن الله استخلفهم في الأرض و مكّن لهم كما جاء الوعد، و لا يدخل فيهم معاوية؛ لأنه لم يكن مؤمنا في ذلك الوقت «٤».

و عند قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْرِلْهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ «٥». نجد أنه يجعل علينا عليه السلام هو المحق في قتاله، و معه كبراء الصحابة و أهل بدر من قد علم مكانهم، و كان معاوية من الفئة

الباغية؛ لحديث عمار، و لم ينكره معاوية، بل حاول تأويله «٦». قال الذهبي: فجعل عليا هو المحق و أما معاوية و من معه فهم الفئة (١) الحج / ٣٩ - ٤١.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٣) النور / ٥٥.

(٤) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٥) الحجرات / ٩.

(٦) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٢

الباغية، و كذلك كل من خرج على علي عليه السلام.

قال: و ما كان أولى بصاحبنا أن يترك هذا التحامل على معاوية الصحابي، و يفوض أمره إلى الله، و لا يلوى مثل هذه الآيات إلى ميوله و هواه «١».

قلت: و لعل نحوسة الدفاع عن معاوية قد أخذت صاحبنا الذهبي فانجرفت به إلى مهاوى الضلال، و أخيرا إلى شر قتله، حشره الله مع مواليه «٢».

أحكام القرآن (المنسوب إلى الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤)

جمعه الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الشافعي، صاحب السنن الكبرى، المتوفى سنة (٤٥٨). و الكتاب يشتمل على ما جاء في كلام محمد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية، من استناد و استشهاد بآيات قرآنية، في عامة أبواب الفقه، فعمد البيهقي إلى جمعه و ترتيبه و إبدائه في صورة تأليف مستقل. قال البيهقي: فرأيت من دلت الدلالة على صحته قوله - أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبى ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - قد أتى على بيان ما يجب علينا معرفته من أحكام القرآن، و كان ذلك مفزقا في كتبه المصنفة في الأصول و الأحكام، فميزته و جمعته في هذه الأجزاء على ترتيب المختصر؛ ليكون طلب ذلك منه على من أراد أيسر، و اقتصرت في حكاية كلامه على ما يتبين منه المراد دون الإطناب، (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٢) إنه في أخريات حياته صانع حكومة مصر في مسالمتها مع أعداء الإسلام، و من ثم اغتالته أيدي مسلمة مصر دفاعا عن حريم الإسلام. و ذلك في شعبان عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧ م. و ١٣٥٦ ش.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٣

و نقلت من كلامه في أصول الفقه، و استشهاده بالآيات التي احتاج إليه من الكتاب، على غاية الاختصار، ما يليق بهذا الكتاب. و مما استند إليه الشافعي في مسائل العقيدة، قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ «١» قال: فلما حج بهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا.

و هكذا استدلل على أن المشيئة لله بقوله تعالى: وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ «٢» قال: فأعلم خلقه أن المشيئة له «٣».

و في مسائل أصول الفقه، استند في حججه خبر الواحد بآيات بعث الرسل، إلى كل أمة برسول واحد، ثم جعل يسرد الآيات في ذلك: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... «٤». وَ إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... «٥». وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ... «٦»

و غير ذلك من آيات. قال: فأقام - جل ثناؤه - حجته على خلقه في أنبيائه بالأعلام التي باينوا بها خلقه سواهم، و كانت الحججة على من شاهد أمور الأنبياء دلائلهم التي باينوا بها غيرهم، و على من بعدهم - و كان الواحد في ذلك و أكثر منه سواء - تقوم الحججة بالواحد

منهم قيامها بالأكثر... وكذا أقام الحجّة على الأمم بواحد.

قال البيهقي: واحتج الشافعي بالآيات التي وردت في القرآن في فرض طاعة (١) المطففين / ١٥.

(٢) الدهر / ٣٠.

(٣) أحكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج ١، ص ٤٠.

(٤) نوح / ١.

(٥) الأعراف / ٦٥.

(٦) الأعراف / ٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٤

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ومن بعده إلى يوم القيامة واحدا واحدا، في أن على كل واحد طاعته، و لم يكن أحد غاب عن رؤية رسول الله، يعلم أمره إلّا بالخبر عنه، و بسط الكلام فيه «١».

و مما استدللّ به في مسائل الأحكام و هي الكثرة الكثيرة ما حدّث الشافعي بإسناده إلى مجاهد، قال: أقرب ما يكون العبد من الله - أو إلى الله - إذا كان ساجدا، أ لم تر إلى قوله تعالى: وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ «٢» يعني: اقبل و اقرب. قال الشافعي: و يشبه ما قال مجاهد، و الله أعلم ما قال، أي ما قاله النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم «٣».

و في رواية حرمله عنه في قوله تعالى: يَخْرُونَ لِلَّذِينَ سَجَدُوا لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ: قال الشافعي: و احتمل السجود: أن يخزّ، و ذقنه - إذا خزّ - تلى الأرض، ثم يكون سجوده على غير الذقن.

و استدللّ بآية إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا «٥» بوجوب الصلاة عليه صَلَّى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الفرائض.

قال: فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع، أولى منه في الصلاة «٦».

و من غريب استدلاله: أنه فهم من قوله تعالى: وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ «٧» أن المنى طاهر؛ حيث كان أصل الإنسان (١) أحكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج ١، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) العلق / ١٩.

(٣) ممّا أثبتته الشافعي قبل أثر مجاهد.

(٤) الإسراء / ١٠٧.

(٥) الأحزاب / ٥٦.

(٦) أحكام القرآن، ج ١، ص ٧٠ - ٧٢.

(٧) السجدة / ٧ - ٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٥

من ماء و تراب، و هما طاهران، فخلق النسل من ماء يدلّ على طهارته أيضا. قال:

بدأ الله خلق آدم من ماء و طين، و جعلهما معا طهارة، و بدأ خلق ولده من ماء دافق. فكان في ابتداء خلق آدم من الطاهرين اللذين هما الطهارة دلالة لابتداء خلق غيره أنه من ماء طاهر لا نجس. قال: المنى ليس بنجس؛ لأن الله أكرم من أن يبتدئ خلق من كرمه من نجس. قال: و لو لم يكن في هذا - أي طهارة المنى - خبر عن النبي؛ لكان ينبغي أن تكون العقول تعلم أن الله لا يبتدئ خلق من كرمه و أسكنه جنّته من نجس. ثم ذكر الخبر الوارد في أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم لم يغسل ثوبه من منى أصابه «١».

و الكتاب مطبوع جزئين في مجلد واحد.

أحكام القرآن لكيا الهراسي الشافعي أيضا

هو عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي «٢». فقيه شافعي، أصله من خراسان ثم رحل إلى نيسابور، و تفقه على إمام الحرمين الجويني مدّة حتى برع، ثم خرج إلى بيهق ثم إلى العراق، و تولّى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، إلى أن توفي سنة (٥٠٤).

يعتبر كتابه هذا من أهمّ المؤلفات في أحكام القرآن عند الشافعية؛ ذلك لتعصّب المؤلف فيه لمذهب الشافعي، محاولا بكل جهده تفسير الآيات في صالح مذهبه. يقول في مقدمته: «إن مذهب الشافعي أسدّ المذاهب و أقومها و أرشدها و أحكمها، و إن نظر الشافعي في أكثر آرائه و معظم أبحاثه، يترقى عن (١) أحكام القرآن، ج ١، ص ٨١-٨٢. (٢) كيا: كلمة فارسية، معناها: الكبير القدر، المقدم بين الناس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٦

حدّ الظنّ و التخمين إلى درجة الحق و اليقين ... و إن الله فتح له من أبوابه، و يسّر عليه من أسبابه، و رفع له من حجابيه، ما لم يسهل لمن سواه، و لم يتأتّ لمن عداه».

هكذا يتعصّب لمذهب الشافعي، و يحاول ترجيحه على سائر المذاهب.

قال الذهبي: إنّ تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام ناطق بأن الرجل متعصّب لمذهبه، و شاهد عليه بأنه سوف يسلك في كتابه مسلك الدفاع عن قواعد الشافعي و فروع مذهبه، و إن أداه ذلك إلى التعسف و التأويل. قال: و دونك الكتاب، لتقف على مبلغ تعصّب صاحبه و تعسّفه «١».

و له حملات عنيفة على الجصاص، مقابلة له بالمثل، فراجع الكتاب.

و الكتاب مطبوع أربعة أجزاء في مجلدين.

أحكام القرآن لابن العربي المالكي

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي، ختام علماء الأندلس و آخر أئمتها و حفّاظها، توفي سنة (٥٤٣). كان من أهل التفنّن في العلوم و التبجّر فيها، متكلمًا في أنواعها، نافذا في جمعها، حريصا في طلبها.

و يعتبر هذا الكتاب مرجعا مهمًا للتفسير الفقهي عند المالكية؛ حيث مؤلفه مالكي متأثر بمذهبه، فظهرت عليه في تفسيره روح التعصّب و الدفاع عنه، و ربما حمل على مخالفه حملة عشواء، بما لا يتناسب و مقام الفقهاء العظام.

و على أي حال، فهو كتاب حافل بالأدب و اللغة مضافا إلى عرض مذاهب السلف في الفتيا، و الاستظهار من كتاب الله. تراه قد يطيل البحث بالقبيل و القال، (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٧

و ردّا على مخالفه رأى أصحابه، من غير جدوى. نجده عند آية الوضوء «١» يتعرّض لأصحاب الشافعي في اعتبارهم التية في الوضوء، يقول: ظنّ ظانّون من أصحاب الشافعي الذين يوجبون النية في الوضوء، أنه لما أوجب الوضوء عند القيام إلى الصلاة دلّ على أنه أوجبه لأجله، و أنه أوجب به النية.

و هذا لا يصحّ، فإن إيجاب الله سبحانه الوضوء لأجل الحدث لا يدلّ على أنه يجب عليه أن ينوي ذلك، بل يجوز أن يجب لأجله، و يحصل دون قصد تعليق الطهارة بالصلاة و بنيتها لأجله ... و يسهب في الكلام هنا، و ينتهي إلى قوله:

فركب على هذا سفاسفة المفتين، و أوردوا فيها نصّا عن لا يفرّق بين الظن و اليقين.

و ينتقل بعد ذلك إلى الكلام حول وَ أَيْدِيكُمْ، فيقول: اليد عبارة عمّا بين المنكب و الظفر، و هي ذات أجزاء و أسماء، منها المنكب و منها الكف و الأصابع، و هو محل البطش و التصرف العام في المنافع، و هو معنى اليد.

و غسلهما في الوضوء مرتين: إحداهما عند أول محاولة الوضوء و هو سنه، و الثانية في أثناء الوضوء و هو فرض.

قوله: إلی المرافِقِ. و ذكر أهل التأويل في ذلك ثلاثة أقاويل:

الأول: أن «إلى» بمعنى «مع»، كما قال تعالى: وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ «٢» معناه: مع أموالكم.

الثاني: أن «إلى» حدّ، و الحدّ إذا كان من جنس المحدود دخل فيه.

الثالث: أن المرافق حد الساقط لا حد المفروض. قاله القاضي عبد الوهاب، (١) المائدة / ٦.

(٢) النساء / ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٨

و ما رأيت له غيره.

و تحقيقه أن قوله: «و أيديكم» يقتضى بمطلقه من الظفر إلى المنكب، فلما قال: إلى المرافق أسقط ما بين المنكب و المرافق، و بقيت المرافق مغسولة إلى الظفر. و هذا كلام صحيح يجرى على الأصول، لغه و معنى.

و أما قولهم: إن «إلى» بمعنى «مع» فلا سبيل إلى وضع حرف موضع حرف، و إنما يكون كل حرف بمعناه، و تتصرف معاني الأفعال، و يكون التأويل فيها لا في الحروف. و معنى قوله: إلی المرافِقِ على التأويل الأول: فاعسلوا أيديكم مضافه، إلى المرافق. و كذلك قوله: وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ معناه:

مضافة إلى أموالكم.

و

قد روى الدارقطني و غيره، عن جابر بن عبد الله: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لَمَّا تَوَضَّأَ أَدَارَ الْمَاءِ عَلَىٰ مَرْفِقِيهِ «١».

و مما يمتاز به هذا الكتاب، كراهته للإسرائيليات، كما أنه شديد النفرة من الخوض فيها، فهو عند ما تعرض لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُدْبِحُوا بَقَرَةً «٢» نجده يقول: «المسألة الثانية» في الحديث عن بنى إسرائيل، كثر استرسال العلماء في الحديث عنهم في كل طريق. و

قد ثبت عن النبي أنه قال: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج»

و معنى هذا الخبر: الحديث عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم و قصصهم، لا بما يخبرون به عن غيرهم؛ لأن إخبارهم عن غيرهم مفتقرة إلى العدالة و الثبوت إلى منتهى الخبر، و ما يخبرون به عن أنفسهم فيكون من باب (١) أحكام القرآن لابن العربي، ج ٢، ص ٥٦٢-٥٦٥.

(٢) البقرة / ٦٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٩

إقرار المرء على نفسه أو قومه، فهو أعلم بذلك. و إذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله.

ففي رواية مالك عن عمر، أنه قال: رأني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و أنا أمسك مصحفا قد تشرمت حواشيه «١». فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة! فغضب و قال: و الله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أتباعي «٢».

و الكتاب مطبوع في أربع مجلدات، طبعة أنيقة.

أحكام القرآن - للراوندي (فقه القرآن)

تأليف الفقيه المحدث المفسر الأديب، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى، المتوفى سنة (٥٧٣). كان فاضلا و عالما جامعاً لأنواع العلوم، له مصنّفات فى مختلف العلوم الإسلاميه، فيما يقرب من ستين مؤلفاً، من أجملها: منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغه، و عليه اعتمد ابن أبى الحديد فى شرح النهج.

و منها هذا الكتاب الذى نحن بصدده، و هو من خير كتب أحكام القرآن و أقدمها و أجلها. و هو مرتّب حسب ترتيب أبواب الفقه، حاوياً فى كل باب على آيات متناسبه مع فروع المسائل فى ذلك الباب. و من ثم فهو أشبه بالتفسير الموضوعى للآيات المرتبطة بالأحكام. و هو غاية فى الإيجاز و الاختصار بما أوجب إبهاماً، فى أكثر الأحيان.

مثلاً يذكر قوله تعالى: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ «٣» و يروى عن ابن عباس: كل تسييح (١) المصحف: مجموعته صحائف. تشرّم: تشقق و تمزق.

(٢) أحكام القرآن لابن العربى، ج ١، ص ٢٣.

(٣) النور / ٣٦-٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٠

فى القرآن صلاة.

و

عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام: أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم و بيعهم و اشتغلوا بالصلاة. قال: و هذان الوقتان من أصعب ما يكون على المتبايعين، و هما: الغداء و العشى؟! ثم ذكر قوله تعالى: قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ «١» قال: إنما أضاف الصلاة إلى أصل الواجبات من التوحيد و العدل؛ لأن فيها التعظيم لله عند التكبير، و فيها تلاوة القرآن التى تدعو إلى كل برّ، و فيها الركوع و السجود، و هما غاية خضوع لله، و فيها التسييح الذى هو تنزيه الله تعالى.

و إنما جمع بين صلاته و حياته و إحداهما من فعله و الأخرى من فعل الله؛ لأنهما جميعاً بتدبير الله؟! و الكيفيات المفروضة فى أول كل ركعة ثمانية عشر. و فى أصحابنا من يزيد فى العدد. و إن كانت الواجبات بحالها فى القولين «٢».

قلت: لا يخفى مواضع الإبهام و الإجمال فى هذا الوجيز من الكلام.

و الكتاب مطبوع فى مجلدين، بتحقيق السيد أحمد الحسينى - قم -.

أحكام القرآن - للسيورى (كنز العرفان فى فقه القرآن)

هو جمال الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد (١) الأنعام / ١٦٢-١٦٣.

(٢) فقه القرآن، ج ١، ص ١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧١

السيورى الحلى الأسدى، المعروف بالفاضل المقداد. كان من أجلاء الأصحاب و عظماء المشايخ، عالماً فاضلاً متكلماً محققاً فقيهاً. توفى سنة (٨٢٦)، و دفن فى النجف الأشرف.

و هو صاحب مؤلفات جليله و قيمه، منها هذا الكتاب، و منها: التنقيح الرائع فى شرح المختصر النافع، فى الفقه. و منها: اللوامع فى المباحث الكلامية.

و كتابه: «النافع فى شرح الباب الحادى عشر»، معروف.

و كتابه هذا - كنز العرفان - مرتّب حسب ترتيب أبواب الفقه أيضاً. و قد طبع الكتاب جزءين فى مجلد واحد، و هو كثير الفائدة،

متوسّع في البحث على اختصاره. و يتعرّض للمباحث اللغوية و الأديبية المتناسبة، في غاية الوجة و الإيفاء، الأمر الذي يدلّ على سعة باع المؤلف، و تطلّعه في الأدب و اللغة و البيان، مضافا إلى قوّة الاستدلال، و صلابته في إقامة البرهان.

زبدة البيان في أحكام القرآن للمقدس الأردبيلي

هو المولى الفقيه المحقّق أحمد بن محمد الأردبيلي المتوفّى سنة (٩٩٣).

كان أعلم أهل زمانه في الفقه و الكلام، عظيم المنزلة رفيع الشأن، صاحب كتاب «مجمع الفائدة» في شرح الإرشاد. و هذا الكتاب أيضا مرتّب حسب ترتيب أبواب الفقه، و لا- يتجاوز في البحث عن مسائل الأحكام العملية، على غرار متون الكتب الفقهية البحتة. و أكثر كتب آيات الأحكام التي ألفها الأصحاب، على ذلك، لم يتجاوزوا حدود الأحكام. و هو كتاب جيّد حسن الترتيب، متين الاستدلال، قويّ البرهان.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٢

مسالك الأفهام – إلى آيات الأحكام للفاضل الجواد الكاظمي

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد الجواد بن سعد بن الجواد الكاظمي، من أعلام القرن الحادي عشر. و هو أيضا مرتّب حسب ترتيب الفقه، مطبوع أربعة أجزاء في مجلدين. و هو من أبسط التفاسير الفقهية، على مشرب أصحابنا الإمامية، و من اتقنها.

قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر

لأحمد بن إسماعيل بن عبد النبي الجزائري، المتوفّى سنة (١١٥١). و هو من أجلّ كتب آيات الأحكام و أنفعها، و أشملها لفروع المسائل، و هو مطبوع طبعه أئيقه.

آيات الأحكام – للسيد الطباطبائي اليزدي

هو السيد محمد الحسين اليزدي المتوفّى (١٣٨٦). و هو مرتّب حسب ترتيب السور، مع مقدمة و جيزة نافعة.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٣

التفاسير الجامعة

إشارة

و هو ثالث أنواع التفسير التي ظهرت إلى الوجود: التفسير النقلى (التفسير بالمأثور)، ثم التفسير الفقهي (آيات الأحكام)، و ثالثا التفاسير الاجتهادية الجامعة، و التي تعرضت لجوانب من الكلام النظرى حول تفسير القرآن. و هذه التفاسير الاجتهادية الجامعة من أقدم أنواع التفسير بعد التفسير بالمأثور، و تشمل الكلام في جوانب مختلفة من التفسير، لغة و أدبا و فقها و كلاما، حسب تنوع العلوم و المعارف التي كانت دارجة ذلك العهد. نعم كان قد يغلب على بعض هذه التفسير لون التخصص الذي كان يتخصّص فيه صاحب التفسير، من براعة في أدب أو فقه أو كلام. غير أنّ ذلك لم يكد يخرج بالتفسير عن كونه من التفسير الاجتهادى الجامع، و ليس في طابع ذى لون واحد. و نحن ذاكرون الأهمّ من هذه التفاسير التي احتلت المحل الأرفع في الأوساط العلمية، طول عهد الإسلام، و نضعها موضع دراستنا،

بحثا وراء معرفة قيمتها في عالم التفسير:

التبيان - في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي (٤٦٠)

إشارة

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى «طوس» من بلاد خراسان، الأهل بالعلم والثقافة والعمران، ولا تزال معهدا للدراسات الإسلامية؛ حيث مثوى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وتعد اليوم من أكبر مدن إيران الإسلامية المزدهرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٤

و شيخنا العلامة الطوسي، يعدّ علما من أعلام الطائفة و شيخها المقدم و إمامها الأسبق، سبّاق العلوم و المعارف الإسلامية، و القدوة العليا لمن كتب و ألف في شتى شئون العلوم الإسلامية، من فقه و تفسير و كلام، فضلا عن الأصول و الرجال و الحديث. و لقب بشيخ الطائفة؛ لأنه زعيمها و قائدها و سائقها و معلّمها الأول في مختلف العلوم.

ولد بطوس في شهر رمضان سنة (٣٨٥). و هاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨) أيام زعامة عميد الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد. فلزمه ملازمة الظل، و عكف على الاستفادة منه، و أدرك ابن الغضائري و شارك النجاشي. و بعد وفاة شيخه المفيد سنة (٤١٣) و انتقال الزعامة إلى علم الهدى السيد المرتضى، انحاز الشيخ إليه و لازم الحضور تحت منبره، و عنى به المرتضى و بالغ في توجيهه و تلقينه. و بقي ملازما له طيلة (٢٣) سنة، حتى توفي السيد سنة (٤٣٦) فاستقل شيخ الطائفة بأعباء الإمامة، و ظهوره على منصبة الزعامة، و أصبح علما من أعلام الشيعة و منارا للشريعة، و كانت داره في الكرخ مأوى الأئمة و مقصد الوفاة، يأتونه من كل صوب و مكان. و تصدّر كرسي الكلام في بغداد، يطلب من الخليفة القادر بالله العباسي؛ حيث لم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدرا أو يفصل عليه علما و معرفة، بمباني الشريعة و أصول الكلام فيها.

و لم يزل شيخنا المعظم إمام عصره و عزيز مصره، حتى ثارت القلاقل و حدثت الفتن في بغداد، و اتسع ذلك على عهد طغرل بيك أول ملوك السلاجقة، فإنه ورد بغداد و كان أول ما فعل أن شنّ الإغارة على الكرخ، و أحرق مكتبة الشيعة هناك، و التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهى.

و كان قد جمع فيها من كتب فارس و العراق، و استجلب من بلاد الهند و الصين

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٥

و الروم. فكانت مكتبة ضخمة ثرية، ربما تنوف كتبها على عشرات الألوف، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين. و من ثم اضطرّ شيخنا أبو جعفر إلى الهجرة إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٩)، و استفرغ للعكوف على التأليف و التصنيف، و فيها خرجت أمّهات كتبه و تأليفه، أمثال: المبسوط، و الخلاف، و النهاية في الفقه، و التبيان في التفسير، و التهذيب، و الاستبصار في الحديث، و الاقتصاد، و التمهيد في الكلام، و سائر كتبه الرجالية و غيرها.

فيا له من منبع علم و مدّخر فضيلة، ازدهر به العالم الإسلامي، نورا و علما و حياة نابضة، فقد بارك الله فيه و في عمره (٣٨٥ - ٤٦٠)

التعريف بهذا التفسير

هو تفسير حافل جامع، و شامل لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن، لغه و أدبا، قراءة و نحوا، تفسيريا و تأويلا، فقها و كلاما ... بحيث لم يترك جانبا من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد، إلّا و بحث عنه بحثا وافيا، في وجازة و إيفاء بيان.

يبدو من ارجاعات الشيخ في تفسيره إلى كتبه الفقهية و الأصولية و الكلامية، أنه كتب التفسير متأخرا عن سائر كتبه في سائر العلوم، و من ثم فإن هذا الكتاب يحظى بقوة و متانة و قدرة علمية فائقة، شأن أى كتاب جاء تأليفه فى سنين عالية من حياة المؤلف. و بحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحد ذاك الوقت، و التي كانت أكثرها مختصرات، تعالج جانبا من التفسير دون جميع جوانبه، مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعا لكل ما ذكره

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٦

المفسرون من قبل، و حاويا لجميع ما بحثه السابقون عليه.

قال الشيخ فى مقدمته تفسيره: فإن الذى حملنى على الشروع فى عمل هذا الكتاب، أنى لم أجد أحدا من أصحابنا قديما و حديثا من عمل كتابا يحتوى على تفسير جميع القرآن، و يشتمل على فنون معانيه، و إنما سلك جماعة منهم فى جمع ما رواه و نقله و انتهى إليه فى الكتب المروية فى الحديث، و لم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك و تفسير ما يحتاج إليه، فوجدت من شرع فى تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل فى جميع معانيه، و استيعاب ما قيل فيه من فونه - كالتبرى و غيره - و بين مقصّر اقتصر على ذكر غريبه، و معانى ألفاظه.

و سلك الباقيون المتوسطون فى ذلك مسلك ما قويت فيه متتهم (١)، و تركوا ما لا معرفة لهم به قال: و أنا إن شاء الله تعالى أشرع فى ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فونه، و لا أطيل فيملّ الناظر فيه، و لا اختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه. فهو تفسير وسط جامع شامل، حاويا لمحاسن من تقدّمه، تاركا فضول الكلام فيه مما يملّ قارئه، فجاء فى أحسن ترتيب و أجمل تأليف؛ فله درّه و عليه أجره.

منهجه فى التفسير

أما المنهج الذى سلكه فى تفسير القرآن، فهو المنهج الصحيح الذى مشى عليه أكثر المفسرين المتقنين، فيبدأ بذكر مقدمات تمهيدية، تقع نافعة فى معرفة أساليب القرآن، و مناهج بيانه و سائر شئونه، مما يرتبط بالتفسير و التأويل، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و معرفة وجوه إعجاز القرآن، و أحكام تلاوته و قراءته، و أنه نزل بحرف واحد، و الكلام عن الحديث (١) المنه - بضم الميم -: القوة. و الكلمة من الأضداد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٧

المعروف: نزل القرآن على سبعة أحرف. و التعرّض لأسمى القرآن و أسامى سوره و آياته، و ما إلى ذلك.

أما صلب التفسير، فيبدأ بذكر الآية، و يتعرّض لغريب لغتها، و اختلاف القراءة فيها، ثم التعرّض لمختلف الأقوال و الآراء و ينتهى إلى تفسير الآية تفسيراً معنوياً فى غاية الوجازة و الإيفاء. و هكذا يذكر أسباب النزول، و المسائل الكلامية المستفادة من ظاهر الآية، حسب إمكان اللغة و الأدب الرفيع، كما يتعرّض للمسائل الخلافية فى الفقه و الأحكام، و مسائل الاعتقاد و نحوها. كل ذلك مع عفّ اللسان و حسن الأدب فى التعبير.

و مما يجدر التنبه له، أنّ هذا التفسير يتعرّض لمسائل علم الكلام، فى صبغة أدبية رفيعة، و لا يترك موضعا من الآيات الكريمة التى جاءت فيها الإشارة إلى جانب من مسائل العقيدة، إلّا و تعرض لها، و أكثر فى تفصيل و بسط كلام. و هذا من اختصاص هذا التفسير.

يقول المؤلف فى المقدمة: و سمعت جماعة من أصحابنا قديما و حديثا يرغبون فى كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن: من القراءة، و المعانى، و الإعراب، و الكلام على المتشابه، و الجواب عن مطاعن الملحدين فيه، و أنواع المبطلين، كالمجبرة و المشبهة و المجسمة و غيرهم، و ذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه، على صحّة مذهبهم فى أصول الديانات و فروعها. و أنا إن شاء الله تعالى أشرع فى ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فونه، و لا أطيل، فيملّ الناظر فيه، و لا

اختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه.

و لنذكر أمثلة على ذلك:

مثلا عند تفسير قوله تعالى: إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٨

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ «١» يقول:

و اعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل. وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولي و الأحق، و ثبت أيضا أن المعنى بقوله: «و الذين آمنوا» أمير المؤمنين. فإذا ثبت هذان الأصلان، دل على إمامته. ثم أخذ في بيان كون المراد من «الولي» في الآية هو الأولي بالأمر؛ لأنه المتبادر من اللفظ. و استشهد بقول العرب، و آيات و أشعار، و شواهد أخر.

و أخذ في بيان دلالة «إنما» على الحصر، كما أثبت من رواية أكثر المفسرين على نزولها في على عليه السلام «٢».

و عند قوله تعالى: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «٣»

يروى عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: أنهم الأئمة المعصومون

، و قيل: هم أمراء السرايا و الولاة، و قيل: هم أهل العلم و الفقه الملازمين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم. قال الجبائي: هذا لا يجوز؛ لأن «أولى الأمر»، من لهم الأمر على الناس بولاية. قال الشيخ: و الأول أقوى؛ لأنه تعالى بين أنهم متى ردوه إلى أولى العلم علموه، و الرد إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم؛ لجواز الخطأ عليه بلا خلاف، سواء أ كانوا أمراء السرايا، أو العلماء «٤».

و عند قوله تعالى: (١) المائدة / ٥٥.

(٢) التبيان، ج ٣، ص ٥٥٩.

(٣) النساء / ٨٣.

(٤) التبيان، ج ٣، ص ٢٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٩

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدِيَهُمْ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «١» قال: فيمن تعود «الهاء» إليه قولان: أحدهما: قال الزجاج: إنها تعود إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و الثاني: قال الجبائي: تعود إلى أبي بكر؛ لأنه كان الخائف و احتاج إلى الأمن. قال الشيخ: و الأول أصح؛ لأن جميع الكنايات قبل هذا و بعده راجعة إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره.

ثم قال: و ليس في الآية ما يدل على تفضيل أبي بكر؛ لان قوله: «ثاني اثنين» مجرد الإخبار أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم خرج و معه غيره. و كذلك قوله: «إذ هما في الغار» خبر عن كونهما فيه. و قوله: «إذ يقول لصاحبه» لا مدح فيه أيضا؛ لان تسمية صاحب لا تفيد فضيلة، ألا ترى أن الله تعالى قال في صفة المؤمن و الكافر: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ «٢»، و قوله: «لا تحزن» إن لم يكن ذمًا فليس بمدح، بل هو نهى محض عن الخوف. قوله: «إن الله معنا»، قيل: إن المراد به النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و لو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة؛ لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد. إلى أن يقول: فأين موضع الفضيلة للرجل لو لا العناد. ثم أضاف: و لم نذكر هذا للطعن على أبي بكر، بل بينا أن الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح «٣».

و في مسألة «العدل» و تحكيم العقل في معرفة الصفات، نراه يذهب مذهب (١) التوبة / ٤٠.

(٢) الكهف / ٣٧.

(٣) التبيان، ج ٥، ص ٢٢٠-٢٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٠

أهل الاعتدال في النظر، فيؤول الآيات على خلاف ما يراه أهل الظاهر من الصفتيين، من الأشاعرة و أهل القول بالجبر و التشبيه. مثلا، في قوله تعالى: **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً** «١» يقول: «ختم الله على قلوبهم» أى شهد عليها بأنها لا تقبل الحق. يقول القائل:

أراك تختم على كل ما يقول فلان، أى تشهد به و تصدقه، و ذلك استعارة. و قيل:

«ختم» بمعنى طبع فيها أثرا للذنوب، كالسمة و العلامة، لتعرفها الملائكة فيتبرءوا منهم، و لا يوالوهم، و لا يستغفروا لهم. و قيل: المعنى أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها فى أنها لا يدخلها الإيمان، و لا يخرج عنها الكفر. قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياة لمن تنادى «٢»

و عند قوله: **صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** «٣» يقول: و المعنى أنهم صم عن الحق لا يعرفونه؛ لأنهم كانوا يسمعون بأذانهم. و بكم عن الحق لا ينطقون. مع أن ألسنتهم صحيحة، عمى لا يعرفون الحق و أعينهم صحيحة، كما قال:

و تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ «٤». قال: و هذا يدل على أن قوله:

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا «٥» ليس هو على وجه الحيلولة بينهم و بين الإيمان؛ لأنه و صفهم بالصم و البكم و العمى مع صحة حواسهم، وإنما أخبر بذلك عن إلفهم الكفر و استثقالهم للحق و الإيمان، كأنهم ما سمعوه (١) البقرة/٧.

(٢) التبيان، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

(٣) البقرة/١٨.

(٤) الأعراف/١٩٨.

(٥) النساء/١٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨١

و لا رأوه، فلذلك قال: **طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** «١» و **أَصَلَّهُمْ** «٢» و **فَأَصَمَّهُمْ** و **أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ** «٣» و **جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً** «٤» و **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** «٥». و كان ذلك إخبارا عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم، و أمره لهم بالطاعة و الإيمان؛ لأنه ما فعل بهم ما منعهم من الإيمان.

و قد يقول الرجل: حب المال قد أعمى فلانا و أصمه، و لا يريد بذلك نفى حاسته، لكنه إذا شغله عن الحقوق و القيام بما يجب عليه، قيل: أصمه و أعماه.

و كما قيل فى المثل: **حبك الشيء يعمى و يصم، و يريدون ما قلناه.** و قال مسكين الدارمي:

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر

و يصم عما كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر

و قال آخر: أصم عما ساءه سمع، فجمع الوصفين «٦».

و عند قوله: **كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ** «٧» يقول: و ليس المراد بالطبع - فى الآية - المنع من الإيمان؛ لأن مع المنع من الإيمان لا يحسن تكليف الإيمان «٨». (١) التوبة/٩٣- النحل/١٠٨- محمد/١٦.

(٢) طه/٨٥.

(٣) محمد/٢٣.

(٤) الأنعام/٢٥، الإسراء/٤٦، الكهف/٥٧.

(٥) الصف / ٥.

(٦) التبيان، ج ١، ص ٨٨ - ٩٠.

(٧) يونس / ٧٤.

(٨) التبيان، ج ٥، ص ٤١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٢

مجمع البيان - في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي**إشارة**

هو تفسير حافل جامع، و شامل لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن، لغه و أدبا، قراءة و نحوه، تفسيراً و تأويلاً، فقها و كلاماً ... بحيث لم يترك جانباً من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد، إلّا و بحث عنه بحثاً وافياً، في وجازة و إيفاء بيان.

يبدو من ارجاعات الشيخ في تفسيره إلى كتبه الفقهية و الأصولية و الكلامية، أنه كتب التفسير متأخراً عن سائر كتبه في سائر العلوم، و من ثم فإن هذا الكتاب يحظى بقوة و متانة و قدرة علمية فائقة، شأن أي كتاب جاء تأليفه في سنين عالية من حياة المؤلف.

و بحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحد ذاك الوقت، و التي كانت أكثرها مختصرات، تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكل ما ذكره

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٦

المفسرون من قبل، و حاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

قال الشيخ في مقدمته تفسيره: فإن الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أني لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً و حديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن، و يشتمل على فنون معانيه، و إنما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه و نقله و انتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، و لم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك و تفسير ما يحتاج إليه، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، و استيعاب ما قيل فيه من فونه - كالطبري و غيره - و بين مقصّر اقتصر على ذكر غريبه، و معاني ألفاظه.

و سلك الباقيون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه متتهم (١)، و تركوا ما لا معرفة لهم به قال: و أنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فونه، و لا أطيل فيمّله الناظر فيه، و لا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

فهو تفسير وسط جامع شامل، حاوياً لمحاسن من تقدّمه، تاركاً فضول الكلام فيه مما يملّ قارئه، فجاء في أحسن ترتيب و أجمل تأليف؛ فله درّه و عليه أجره.

منهجه في التفسير

أما المنهج الذي سار عليه مفسرنا فهو منهج رتيب، يبدأ بالقراءات، فيذكر ما جاء عن اختلاف القراءة في الآية، و يعقبها بذكر الحجج التي استندت إليها كل قراءة، ثم اللغة ثم الإعراب، و أخيراً المعنى. و قد يتعرّض لأسباب النزول، و القصص التي لها بعض الصلة بالآيات. و بحق قد وضع تفسيره على أحسن ترتيب و أجمل تبويب. يقول هو عن تفسيره:

و ابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص و التهذيب، و حسن النظم و الترتيب، يجمع أنواع هذا العلم و فونه، و يحوى فصوصه و عيونه، من علم قراءته و إعرابه و لغاته و غوامضه و مشكلاته، و معانيه و جهاته، و نزوله و أخباره، و قصصه و آثاره، و حدوده و أحكامه، و حلاله و حرامه. و الكلام عن مطاعن المبطلين فيه، و ذكر ما ينفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع

كثيرة منه، على صحته ما يعتقدونه من الأصول و الفروع، و المعقول و المسموع، على وجه الاعتدال و الاختصار، فوق الإيجاز و دون الإكثار. فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة، و تضعف عن الإجراء في الحلقات الخطيرة؛

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٤

إذ لم يبق من العلماء إلّا الأسماء، و من العلوم إلّا الذمائم و هو بقاء الروح في المذبوح.

قال: و قدّمت في مطلع كل سورة ذكر مكّيها و مدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها. ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم ذكر العلل و الاحتجاجات، ثم ذكر العربيّة و اللغات، ثم ذكر الإعراب و المشكلات، ثم ذكر الأسباب و النزولات، ثم ذكر المعاني و الأحكام و التأويلات، و القصص و الجهات. ثم ذكر انتظام الآيات.

ثم إنني قد جمعت في عربيته كل غزوة لائحة، و في إعرابه كل حجة واضحة، و في معانيه كل قول متين، و في مشكلاته كل برهان مبين. و هو بحمد الله للأديب عمدة، و للنحوي عدّة، و للمقري بصيرة، و للناسك ذخيرة، و للمتكلم حجة، و للمحدّث محجة، و للفقيه دلالة، و للواعظ آله.

قال الذهبي بشأن هذا التفسير: و الحق أنّ تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية و آراء اعتزالية - كتاب عظيم في بابه، يدلّ على تبخر صاحبه في فنون مختلفة من العلم و المعرفة. و الكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام، و ترتيب جميل. و هو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها. فإذا تكلم عن القراءات و وجوها الإعراب أجاد، و إذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، و إذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، و إذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، و إذا تكلم عن أسباب النزول و شرح القصص استوفى الأقوال و أفاض، و إذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، و جهر بمذهبه و نصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، و إذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، و أوضح لنا عن حسن السبك و جمال النظم، و إذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال و أراح البال. و هو ينقل أقوال من تقدّمه من

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٥

المفسرين معزوة لأصحابها، و يرجح و يوجه ما يختار منها.

ثم يقول عنه الذهبي: و إذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشيعه لمذهبه و انتصاره له، و حملة لكتاب الله على ما يتفق و عقيدته، و تنزيلة لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو و من على شاكلته. و روايته لكثير من الأحاديث الموضوعية. غير أنه - و الحق يقال - ليس مغاليا في تشيعه، و لا متطرفا في عقيدته، كما هو شأن كثير غيره، من علماء الإمامية «١».

ثم يذكر الذهبي أمثلة لما ظنه مؤاخذه على مفسرنا الجليل، و حسب أنه تعصّب لها انتصارا لمذهبه في التشيع، في حين أنه أدى الكلام حقه و لم يفرط في القول، كما أنه لم يفرط كما فرط الآخرون من سائر المفسرين.

مثلا في قصّة الخاتم عند تفسير قوله تعالى: **إِنَّمَا وَكَلَّمَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** «٢» نراه يفضّل في الكلام عن شأن نزول الآية، و دلالتها الصريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بما أتم الحجة و بلغ في البيان.

أما الأستاذ الذهبي فلم يرقه ذلك، و قال ناقما عليه: و لا شك أنّ هذه محاولة فاشلة، فإنّ حديث تصدّق عليّ بخاتمه في الصلاة - و هو محور الكلام - حديث موضوع لا أصل له. و قد تكفّل العلامة ابن تيميّه بالرد على هذه الدعوى في كتابه «منهاج السنّة»، ج ٤، ص ٣-٩ «٣».

قلت: أ ترى ابن تيميّه لم يتعصّب لمذهبه في النصب لعليّ و آل الرسول، في (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) المائدة / ٥٥.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٦

إنكاره لمنقبة هي من أكبر المناقب التي نزل بها القرآن الكريم، و أذعن لها أهل العلم و التحقيق، في الحديث و التفسير. إن لهذا الحديث أسنادا متظافرة- إن لم تكن متواترة- أوردها جلّ أهل الحديث، حتى أن الحاكم النيسابوري عدّه من الأحاديث التي رواها أهل مدينة عن أهل مدينة، فقد رواه الرازيون عن الكوفيين «١»، و قد تعددت طرقه و كثرت مخارجه.

قال ابن حجر العسقلاني: و إذا كثرت الطرق و تباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلا «٢».

كيف، و هذا الحديث قد أخرجها الأئمة الحفاظ بعده أسانيد، و فيها الصحاح. صرح بذلك الحافظ أبو بكر ابن مردويه الأصبهاني، قال: إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، و هكذا ابن أبي حاتم الرازي «٣».

و أورده جلال الدين السيوطي، في أسباب النزول، بعدة طرق، و ذكر له شواهد، ثم قال: فهذه شواهد يقوى بعضها بعضا «٤». و قد استقصى العلامة الأميني موارد ذكر الحديث، فأنهاه إلى (٦٦) موردا في أمهات الكتب الحديثية، و كتب المناقب و التفسير و الكلام «٥».

و هذا الحديث مما سارت به الركبان، و أنشد فيه الشعراء، منهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم حيث يقول: (١) معرفة علوم الحديث، ص ١٠٢، للإمام الحافظ الحاكم النيسابوري.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٣٣٣.

(٣) راجع: الغدير للعلامة الأميني، ج ٣، ص ١٥٧ رقم ٦ و ١٦.

(٤) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٠٧.

(٥) الغدير، ج ٣، ص ١٥٦-١٦٢. و راجع تفسير أبي الفتح، ج ٤، ص ٢٤٤-٢٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٧

أبا حسن أفديك نفسي و مهجتي و كل بطيء في الهدى و مسارع

أ يذهب مدحي ذا المحبّر ضايعا و ما المدح في ذات الإله بضائع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راکعا فدتك نفوس القوم يا خير راکع

بخاتمك الميمون يا خير سيّد و يا خير شار ثم يا خير بايع

فأنزل فيك الله خير ولاية و بينها في محكمات الشرائع «١»

كل ذلك يدل على شيوعه و استفاضته بما لا يكاد يمكن إنكاره، إلّا من عمى قلبه و أعمته عصبيته أمثال الذهبي، و من قبله ابن تيمية. هذا و قد أرسله الفقهاء و هم أبصر بمواضع الأحاديث إرسال المسلمات، و أخذوه حجّة على أن الفعل القليل لا يبطل الصلاة، و من ثم عدّوا هذه الآية من آيات الأحكام، الأمر الذي ينم عن اتفاقهم على صحة الحديث. هكذا أورد الجصاص هذه الآية دليلا على جواز العمل اليسير في الصلاة، و روى نزولها في علي عليه السلام عن مجاهد و السدي و أبي جعفر و عتبة بن أبي حكيم «٢».

كما استوفى الكلام فيه الحاكم الحسكاني و أورده بإسناده إلى جماعة من كبار الصحابة، أمثال: عمار بن ياسر، و المقداد بن الأسود، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و عبد الله بن عباس، و أنس بن مالك، و أبي ذر الغفاري، فضلا عن أقوال التابعين في ذلك، فراجع «٣». و راجع- أيضا- فضائل الخمسة للسيد الفيروزآبادي «٤». (١) و نسبت هذه الأبيات إلى خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين أيضا، و

لعله الأرجح. غير أن المشهور نسبتها إلى حسان، راجع هامش ابن عساكر- ترجمة الإمام عليه السلام، ج ٢، ص ٤١٠.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٣) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، ج ١، ص ١٦١-١٨٤.

(٤) فضائل الخمسة، ج ٢، ص ١٣-١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٨

و تعرّض الذهبي لمسائل فى الأصول و الفروع مما اختصت الشيعة القول به، مثل: «الرجعة» و «المهدى» و «التقية» و «المسح على الأرجل» و نحوها، مما صرّحت به الآيات، أو جاء به النقل المتواتر متوافقا مع ظاهر القرآن. و قد أشاد به شيخنا الطبرسى فى تفسيره حسب مسلكه، فى تحكيم ظواهر القرآن عند تراحم الآراء فى مسائل الخلاف.

و أخيرا يقول عنه: و الطبرسى معتدل فى تشيعه غير مغال فيه، كغيره من متطرفى الإمامية، و لقد قرأنا فى تفسيره فلم نلمس عليه تعصبا كبيرا، و لم نأخذ عليه أنه كفر أحدا من الصحابة، أو طعن فيهم بما يذهب بعدالتهم و دينهم، كما أنه لم يغال فى شأن على بما يجعله فى مرتبة الإله أو مصاف الأنبياء، و إن كان يقول بالعصمة.

و كل ما لاحظناه عليه من تعصبه لمذهب أنه يدافع بكل قوة عن أصول مذهبه و عقائد أصحابه. كما أنه إذا روى أقوال المفسرين فى آية من الآيات، و نقل أقوال المفسرين من أهل مذهبه فيها، نجده يرتضى قول علماء مذهبه و يؤيده، بما يظهر له من الدليل «١».

قلت: و قد أساء الظنّ بالشيعة و لعله تعمّد مقيت حيث حسب منهم من يجعل عليا عليه السلام فى مرتبة الإله؛ إذ لم نجد من ينتمى إلى الشيعة من يزعم ذلك، اللهم إلا الغلاة و هم خارجون عن الملّة، و تحكّم الشيعة عليهم بالكفر و الإلحاد.

أما مصاف الأنبياء، فهو بلوغ مرتبة توازي مرتبة الأنبياء فى الفضيلة دون النبوة، فهو أمر معقول. و قد جعل النبى صلى الله عليه و آله و سلّم العلماء فى مصاف الأنبياء؛ حيث (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٩

قال: علماء أمتى كأنياء بنى إسرائيل «١». و

العلماء ورثة الأنبياء «٢». و قال بشأن على عليه السلام: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى. حديث متواتر مستفيض، و قد رواه أصحاب الصحاح و المسانيد من أهل الحديث. «٣»

و أما المسائل التى تعرّض لها الذهبي؛ حيث وقعت مورد تأييد مفسرى الشيعة، فأظنّها خارجة عن اختصاص مثل الذهبي البعيد عن مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، فى الأصول و فى الفروع، كل يدافع عن رأيه، و يتكلم حسب فهمه من الكتاب و السنة و العقل الرشيد، ما لم يكن تحميلا ظاهرا، الأمر الذى يتحاشاه أمثال الطبرسى و قبله الشيخ فى «التبيان».

و ليعلم أن فى الشيعة جماعة أخبارية هم أصحاب جمود، نظير إخوانهم الحشوية من أهل الحديث فى السنّة و الجماعة، و لا تحسب الطائفة على حساب هذه الفئة. و تفاسير علماء الشيعة من لدن شيخ الطائفة أمثال «التبيان» و «روح الجنان» و «مجمع البيان»، كلها على نمط واحد، تفاسير وضعت على أساس معقول لا إفراط فيها و لا قصور، و لا فيها شىء من التعصّب المقيت.

و أما النزعة الاعتزالية التى نسبهم إليها أمثال الذهبي، فهى نسبة خاطئة، إن للشيعة الإمامية مباني فى أصول معارفها قد تتفق مع مشرب الاعتزال، كمسألة العدل فى الأفعال، و تجريد الذات عن مبادئ الصفات، و تحكيم العقل فى معرفة الحسن و القبح فى التكليف، و ما إلى ذلك. و هذا لا يعنى أن الشيعة أخذت عن المعتزلة و لا العكس، بل هو اتفاق نظر فى مسائل من الكلام، كما اتفقت الأمة (١) عوالى اللثالى، لابن أبى جمهور الأحسائى، ج ٤، ص ٧٧ رقم ٦٧.

(٢) المصدر، ج ١، ص ٣٥٨ رقم ٢٩ و ج ٢ ص ٢٤١ رقم ٩. و سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٨.

(٣) راجع: فضائل الخمسة، ج ١، ص ٢٩٩ فما بعد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٠

على مسائل فى أصول العقيدة و فروع من مسائل الأحكام.

ففى مثل مسألة «الهداية و الضلال» حيث زعم الذهبي أن مفسرنا الجليل وافق المعتزلة فى عقيدتهم و دافع عنها، و هدّم ما عداها «١». إنما هو توافق محض، و لعل الشيعة هم الأصل فى هذا النظر؛ لأنهم إنما أخذوها عن أهل بيت الرسالة، و منهم نشر العلم و المعرفة فى

أرجاء الإسلام.

و كذا مسألة «الرؤية» و إنكار تأثير السحر لو لا إذنه تعالى، و هكذا مسألة «الشفاعة» و معرفة حقيقة الإيمان، و ما إليها. فإننا نرى الذهبي أخذها دليلا على محاكاة الشيعة فيها لأصحاب الاعتزال، و لعل الصواب العكس.

روح الجنان و روح الجنان لأبي الفتوح الرازي

إشارة

هو جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزاعي الرازي، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي. و نافع و أبوه بديل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و استشهد نافع و مات بديل في حياة الرسول، و أخوه عبد الله بن بديل استشهد بصفين في ركاب علي عليه السَّلام. كانت أسرته ممن هاجر إلى بلاد فارس و سكنت في مدينة نيسابور، و انتقل جده إلى الرِّي، فاشتهر بها. و كان جده أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي، نزيل الرِّي من تلامذة السيد المرتضى قدس سرّه و تتلمذ على يد السيد ابن زهره، و الشيخ أبي جعفر الطوسي أيضا. كان مترجمنا عالما خبيراً بأحوال الرواة و المحدثين، و كان له صيت في أرجاء البلاد، كان يرتحل إليه رواد العلم و طلاب الحديث. و من أشهر تلاميذه (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩١

ابن شهر آشوب و الشيخ منتجب الدين، و غيرهما من كبار العلماء. و تتلمذ على أيدي علماء مشاهير، أمثال الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار المقرئ تلميذ الشيخ الطوسي، و الشيخ أبي علي ابن الشيخ، و القاضي عماد الدين الاسترابادي قاضي الري، و جار الله الزمخشري و غيرهم.

من أشهر مؤلفاته: التفسير الكبير، المعروف بروح الجنان و روح الجنان، الذي وضعه باللغة الفارسية، التي كانت دارجة ذلك العهد، في بلاد إيران؛ و ذلك أن أحسن بحاجة الأمة إلى تفسير يقرب من تناول أهل تلك البلاد، فكان في نثر أدبي بليغ و سبك سهل بديع. يقول هو في سبب تأليفه: إن جماعة من أعظم أهل العلم في بلده التمسوا منه أن يضع لهم تفسيراً يقرب من أفهامهم، و يسهل تناول منه لدى عامة أهل زمانه؛ حيث إغواهم تفسيراً جامعاً و شاملاً و سهلاً على الناس، فأجاب لملتسمهم و أزاح الإشكال من نفوسهم. فوضع تفسيراً جامعاً و شاملاً، و في نفس الوقت متوسطاً بين الإيجاز المخل و الإطناب الممل.

فقدّم على تفسيره مقدمات، ذكر فيها: أقسام معاني القرآن، و أنواع آيه، و أسماءه، و معنى السورة و الآية، ثم ثواب تلاوته، و الترغيب في معرفة غريبه، و معنى التفسير و التأويل.

و هو تفسير جيد متين، قد فصل في الكلام عن معضلات الآيات، و شرحها شرحاً وافياً في أوجز كلام و أخصر بيان. متعرضاً لجوانب مختلفة من الكلام حول الآية، إن كلامية أو أدبية أو فقهية و نحو ذلك، و إنما يتكلم عن علم و معرفة واسعة، و يؤدي المسألة حقها بإيجاز و إيفاء.

و لهذا التفسير مكانة رفيعة في كتب التفاسير، فكثير من كتب التفسير رست مبانيها على قواعده الركيئة و بنت مسائلها على مباحثها الحكيمة. هذا الإمام

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٢

الرازي، شيخ المفسرين، بنى تفسيره الكبير على مباني شيخنا أبي الفتوح، فيما فتح الله عليه أمهات المباحث الجليلة. قال العلامة القاضي نور الله التستري المرعشي: إن هذا التفسير من خير التفاسير، و قد سمحت به قريحه شيخنا الرازي الوقادة، و مما لا نظير له في كتب التفسير، في عدوبة ألفاظه و سلاسة عباراته، و ظرافة أسلوبه و دقة اختياره، و قد بنى عليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير، فأخذ

منه اللباب، و زاد عليه بعض تشكيكاته، مما زاد في الحجم، و لكن الأصل اللباب، هو ما ذكره مفسرنا الرازي أبو الفتوح الكبير «١». و قد تتبعت مواضع من التفسيرين، فوجدت الأمر كما ذكره القاضى، كان الأصل ما ذكره أبو الفتوح الرازي، و جاء تحقيق الفخر فرعا عليه و مقتبسا منه، و لو مع زيادات.

مثلا عند قوله تعالى: فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ «٢» ذهب أبو الفتوح إلى أن إبليس لم يزل كان كافرا، و أن المؤمن سوف لا- يكفر؛ لأن الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، و كذا الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، و الجمع بين الاستحقاقين محال «٣».

و هكذا جاء الاستدلال في «التفسير الكبير»، قال: الوجه الثانى فى تقرير أنه كان كافرا أبدا، قول أصحاب الموافاة؛ و ذلك لأن الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، و الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، و الجمع بين الثواب الدائم و العقاب الدائم محال، فإذا صدر الإيمان من المكلف فى وقت ثم صدر (١) راجع: مجالس المؤمنين للقاضى التستري، ج ١، ص ٤٩٠. (٢) البقرة/ ٣٤.

(٣) راجع: تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ١٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٣

عنه- و العياذ بالله- بعد ذلك كفر، فإما أن يبقى الاستحقاقان معا و هو محال- على ما بيناه- أو يكون الطارئ مزيلا للسابق، و هو أيضا محال؛ لأن القول بالإحباط باطل ... «١».

و يبحث الرازي عن قوله: «و كان من الكافرين» هل كان هناك كفار غير إبليس حتى يكون واحدا منهم؟ فيجيب عن ذلك بجوابات، كلها واردة فى كلام أبى الفتوح الرازي «٢».

أما منهجه فى التفسير

فجرى على منوال سائر التفاسير، فيبدأ بذكر السورة و أسمائها و فضلها و ثواب قراءتها، ثم يذكر جملة من الآيات، مع ترجمتها بالفارسية، و يفسرها جملة جملة، فيبدأ باللغة و النحو و الصرف، ثم القراءة أحيانا ثم ذكر أسباب النزول، و التفسير أخيرا، كل ذلك باللغة الفارسية القديمة، و لكن فى أسلوب سهل بديع.

و من براعته فى اللغة: إحاطته بمفردات اللغة الفارسية المرادفة تماما مع مفردات لغة العرب، فى مثل: «فسوس» مرادفة لكلمة «الاستهزاء»، و «ديو» لكلمة «الشیطان»؛ لأنه من الجنّ، و الجنّ فى الفارسية: «ديو» «٣» و «پیمان» لكلمة «الميثاق» و «برفروزد» لقوله «استوقد» و «دوزخ» لجهنم، و «كارشكسته» بمعنى (١) راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٢) راجع: تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ١٣٩، و التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ٧٩ و ٨٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٤

«كاركشته» مرادفة لكلمة «ذلول» «١» و «شكمش بياماساند» بمعنى «انفخ بطنه» «٢» و «خداوندان علم» بمعنى «أولوا العلم» «٣» و «خاك باز شياراند» بمعنى «تثير الأرض» «٤» و «همتا» و «انبار» بمعنى «الشريك» «٥» و «ستون چوب دركش گرفت» بمعنى «چوب ستون را در بغل گرفت» مرادفة لقولهم: «احتضن الشيء» «٦» و «ما خواستمانى كه در آن خيرى بودى تا ما نيز به آن خير برسيدمانى» تعبير فارسى قديم «٧» و هكذا «و ما را پاي، و گوش نما» مرادفة لكلمة «راعنا» «٨» و «با من بازار مى كنى» ترجمة لعبارة:

«أم إلى تشوقت» من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٩»

، و ربما قرئ بالسين، و لعل العبارة ترجمة «تسوّت» بالسين لتكون ترجمتها «بازار گرمى مى كنى».

و استعمل «مه» - بكسر الميم - بمعنى «الأ-كبر» في قوله: «هارون در سال امن و عفو زاد و به يكسال مه موسى بود». «١٠»، و هو في مقابلة «كه» - بكسر الكاف - بمعنى «الأصغر». و قد جاء في كلام «سعدى» الشيرازى (١) تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٣) المصدر، ص ٤٧٧.

(٤) المصدر، ج ١، ص ٢٥٥.

(٥) المصدر، ص ٢٤٠.

(٦) المصدر، ص ٢٤١.

(٧) المصدر، ص ٢٨٣.

(٨) المصدر، ص ٢٨٠.

(٩) الكلمة رقم ٧٧، من قصار الكلم - نهج البلاغة.

(١٠). تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ١٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٥

چه از قومى يکى بى دانشى کرد نه که را منزلت مانند نه مه را

كما أنه لم يتقيد بترجمة ظاهر الكلمة، و إنما فسر معناها تفسيراً يتطابق مع العقل و الواقع.

مثلاً: فسر قوله تعالى: وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ... «١»: «بأذا خلوا إلى رؤسائهم و أكابرههم؛ لأنه فسر «الشیطان» بكل متمردات، سواء أ كان من الجن أم الإنس، و حتى الحيوان الخبيث يقال له: شیطان عند العرب، كالأفعى فى قوله تعالى: كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ «٢» أى رءوس الأفاعى و الحيات «٣».

و المطالع فى هذا التفسير يجد براعته الفائقة فى مختلف العلوم الإسلامية، و لا سيما الفقه و علم الكلام.

من ذلك نجده عند تفسير قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً ... «٤»

يبحث هل كان بنو إسرائيل مكلفين بالخصوصيات من بدء الأمر؟ أو ليس فى ذلك تأخير للبيان عن وقت الخطاب؟ فيقول: هذا عند المعتزلة و أصحاب الحديث و أكثر أهل الكلام غير جائز، لكن السيد المرتضى علم الهدى أجاز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، و يأخذ الآية دليلاً على صحة مذهب المرتضى «٥». (١) البقرة/ ١٤.

(٢) الصفات/ ٦٥.

(٣) تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ٧٩ - ٨٠.

(٤) - البقرة/ ٦٧.

(٥) تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ٢٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٦

و هكذا يذهب إلى أن المؤمن لا يرتد و لا يكفر بعد الإيمان، و يؤول ما ظاهره الخلاف، مستدلاً بأن الإيمان عمل يستحق صاحبه المثوبة الدائمة، و لا مثوبة مع موافاة الكفر، و كانت عقوبته دائمة أيضاً؛ إذ لا يجتمع تداوم الأمرين.

قال عند تفسير قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ «١» القائل بأن ذلك كفر من إبليس، جعلوا «كان» بمعنى «صار» أى و صار من الكافرين، لكنه خطأ من وجهين: أولاً:

ذلك عدول عن ظاهر اللفظ بلا ضرورة تدعو إليه، ثانياً: جعل العمل الجوارحى كفراً، أى موجبا للكفر، فى حين أنه يوجب الفسق، حتى و لو كانت كبيرة، على خلاف مذهب أهل الاعتزال؛ حيث جعلوا فعل الكبيرة موجبا للكفر، و هذا خلاف البرهان.

ثم أخذ في الاستدلال على أن الإيمان لا يتعقبه كفر أو نفاق، وإنما هو كاشف عن عدمه من قبل، و لم يكن سوى إيمان ظاهري لا واقعي. قال - ما لفظه بالفارسية:-

«و مذهب ما آن است که مؤمن حقیقی، که خدای تعالی از او ایمان داند، کافر نشود، برای منع دلیلی، و آن دلیل آن است که اجماع امت است که مؤمن مستحق ثواب ابد بود، و کافر مستحق عقاب ابد بود، و جمع بین استحقاقین بر سبیل تأیید محال بود، چه استحقاق در صحت و استحالت، تبع وصول باشد. و احباط به نزدیک ما باطل است، چنانکه بیان کرده شود، پس دلیل مانع از ارتداد مؤمن این است که گفتیم. و ابلیس همیشه کافر بود و منافق و کافر من الکافرین» (٢). (١) البقرة/ ٣٤.

(٢) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩. و راجع ايضا ج ٤، ص ٢٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٧

يقول: انعقد إجماع الأمة على أن المؤمن يستحق مثوبة دائمة، و كذلك الكافر يستحق عقوبة دائمة، و الجمع بين تداوم الاستحقاقين محال؛ ذلك لأن الاستحقاق يستدعي بلوغ الثواب و وصوله إليه. فإذا كان الإيمان متأخرا كفر ما قبله «الإسلام يجب ما قبله» (١) و أما الكفر المتأخر فلا يوجب حبط الإيمان؛ لأن فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. و نجده يفصل الكلام حول الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر، كلما حن الكلام في تفسيره بالمناسبة.

مثلا: يقول

في تفسير «الغيب» من قوله تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (٢) جاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام: أن المراد به هو المهدي عليه السلام و هو الغائب الموعود في الكتاب و السنة، أما الكتاب فقوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (٣) و أما الأحاديث، فكثيرة، منها قوله عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي و كنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما».

و هذه الأوصاف لم تجتمع إلّا في شخص المهدي المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ثم يقول: كلما مررنا بآية تعرّضت لهذا المعنى، استقصينا الأخبار (١) المستدرک، ج ٧، ص ٤٤٨، رقم ٨٦٢٥ و البحار، ج ٢١، ص ١١٤.

(٢) البقرة/ ٣.

(٣) النور/ ٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٨

بشأنه (١).

و له في مباحث الهداية و الضلال بحوث مديلة، و في نفس الوقت ممتعة، استفاد فيها الكلام من جميع جوانبه (٢). ثم إنه لا يترك موضعا من التفسير يناسب ذكر مسائل الخلاف إلّا بينه بتفصيل، و ذكر مواقف الشيعة الإمامية في ذلك. مثلا، عند تفسير قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا (٣) تعرّض لأنحاء السجود، منها: السجود في الصلاة، و هو ركن من أركانها - و يفسّر معنى الركن - و سجدة السهو، و سجدة الشكر، و سجدة القرآن، و هذه الأخيرة إما واجبة في أربعة مواضع: الم تنزّل، حم السجدة، النجم، اقرأ.

أو سنه، ففي أحد عشر موضعا، فالمجموع: خمسة عشر موضعا عندنا. و عند الشافعي: أربعة عشر موضعا، كلها سنه. ثم يفصل في أحكام سور العزائم، مما يخص مذهب الإمامية، و يذكر مواضع سجود السهو للصلاة، و مذهب سائر المذاهب في ذلك. و يذكر علائم المؤمن الخمس: الصلاة إحدى و خمسين، و زيارة الأربعين - في اليوم العشرين من شهر صفر بكر بلاء - و التختم باليمين، و تعفير الجبين، و الجهر بسم الله الرحمن الرحيم. و يذكر سبب استحباب زيارة (١) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٦٤.

(٢) راجع مباحثه عن «الضلال و الإضلال» ذيل تفسير قوله تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»، البقرة/ ٢٦. راجع: التفسير ج ١، ص ١١٤-١١٥.

(٣) - البقرة/ ٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٩

الحسين عليه السلام في يوم الأربعاء بكربلاء، و هو يوم ورود جابر بكربلاء، بعد مقتل الحسين بأربعين يوما «١». و مما يمتاز به هذا التفسير، إحاطة صاحبه بالتاريخ و السيرة الكريمة، و كذلك بالأحاديث الشريفة في مختلف شؤون الدين، و من ثم تراه في شتى المناسبات يخوض المعركة، و يأتي بلباب القول باستيفاء و شمول. و قد يأتي على حوادث قل ما يوجد في سائر الكتب. من ذلك حادثه يوم الصريخ، جاء بها ذيل الآية رقم (٥٤) من سورة المائدة؛ حيث قوله تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ. فذكر أولا غزوة خيبر و فتحها على يد الإمام أمير المؤمنين، و شعر حسان بن ثابت فيه:

و كان عليّ مرمد العين يبتغي دواء فلما لم يحس مداويا

رماه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيا و بورك راقيا

و قال سأعطى الراية اليوم صارما كميًا محبًا للرسول مواليا «٢»

يحب الإله و الإله يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا «٣»

فأصفي بها دون البرية كلها علينا و سماه الوزير المؤاخيا

و بعد ذلك يذكر غزوة الصريخ، و فيها: خرج «أسد عويلم» مبارزا، متترسا (١) أبو الفتوح، ج ١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) الكمي: البطل الكفي.

(٣) الأوابي: جمع آبيه، أي حصينه ممتنعة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٠

بترس حديدي، يبلغ وزنه مئات الأمان، و كان يعادل أربعين فارسا، و هو يرتجز و يقول:

و جرد شعال و زغف مزال و سمر عوال بأيدي رجال «١»

كآساد ديس و أشبال خيس غداة الخميس بيض صقال «٢»

تجيد الضراب و حرّ الرقاب أمام العقاب غداة النزال

يكيد الكذوب و يجرى الهبوب و يروى الكعوب دما غير آل «٣»

فبرز إليه على عليه السلام فقدّه نصفين، ثم أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقول:

ضربته بالسيف وسط الهامة بشفرة صارمة هدامه «٤»

فبتكت من جسمه عظامه و بينت من أنفه إرغامه «٥»

أنا عليّ صاحب الصمصامة و صاحب الحوض لدى القيامة «٦»

أخي نبي الله ذو العلامة قد قال إذ عمّنى العمامة

«أنت الذي بعدى له الإمامة» «٧» (١) الجرد: الفرس القصار الشعر و هو من صفات حسنهنّ. و الشعال: ما كان في أعالي ذيلها بياض. و

الزغف: السرد. و المذال: الواسعة. و السمر: جمع أسمر: القناة. و العوالي:

جمع عالية.

(٢) آساد: جمع أسد. و الديس: الشجعان. و الأشبال: جمع شبل ولد الأسد. و الخيس: الغابة.

- و الخميس: الجند عند ما تتهياً و تترتب للقتال.
 (٣) العقاب: راية النضال. و غير آل: غير مقصّر.
 (٤) الهامة: عظم فوق الرأس. و الشفرة: حد السيف.
 (٥) بتكت: فرقت. و إرغام الأنف: تعفيره بالتراب.
 (٦) الصمصامة: السيف الصارم.
 (٧) راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ٤، ص ٢٣٧ - ٢٤١.
 التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠١

و هذه الغزوة بهذا الاسم غير معروفة، و لا أثبتها أصحاب السير بهذا الشكل، و إنما ذلك من اختصاصات هذا الكتاب، و كم له من نظير.

و «أسد عويلم» غير معروف، سوى ما ذكره المحقق الشعراني في هامش الكتاب «١» و لم نجده فيما أرجعه من مصدر. و مما امتاز به هذا التفسير أنه لم يترك موضعاً جاءت مناسبة الوعظ و الإرشاد إلّا و قد استغلّ الفرصة، و أخذ في الوعظ و الزجر و الترغيب و الترهيب.

من ذلك عند ذكره لقصة آدم و توبته، و أنه إنما تقبل الله منه التوبة بأمر ثلاثة تمثلت في آدم، فليكن ذلك من كل تائب، و هي: الحياء، و الدعاء، و البكاء ... ثم أخذ في الوعظ و الإرشاد، متمثلاً بقول محمود الوراق:

يا ناظرا يرنو بعيني راقداً و مشاهداً للأمر غير مشاهد
 متّك نفسك ضلّ فأبحثها سبل الرجاء و هنّ غير قواصد
 تصل الذنوب إلى الذنوب و ترتجى درك الجنان بها و فوز العائد
 و نسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد «٢»

كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدى

هو الميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي الأصل، المشتهر بالمشهدى؛ حيث نشأ و تربى بمشهد الإمام الرضا عليه السلام - و ميرزا:

مخفف «ميرزاده» بمعنى «وليد الأمير» - كان فاضلاً أديباً جامعاً، و محدثاً فقيهاً، (١) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢٤٠، رقم ١.
 (٢) المصدر، ج ١، ص ١٤٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٢

علما من أعلام القرن الثاني عشر، توفي حدود سنة (١١٢٥).

و يظهر من تفسيره هذا أنه كان متبحراً في شتى العلوم الإسلامية التي كانت دارجةً ذلك العهد، من الفلسفة و الكلام، و الأدب و اللغة، و الفقه و الحديث.

و قد اضطلع بعلم التفسير و التأويل.

و تفسيره هذا من خير تفاسير ذلك العهد، و هو كما كتبنا في المقدمة حصيله ما سبقه من أمهات تفاسير أصحابنا الإمامية: النقليه و الاجتهادية، قد جمع فيه من لباب البيان و عباب التعبير، أينما وجدته طى الكتب و التفاسير السابقة عليه، و التي كانت راقيةً لديه. فقد اختار حسن تعبير البيضاوى، اقتداءً بشيخه الفيض الكاشانى في تفسيره الصافى. كما انتخب من أسلوب الطبرسى في «مجمع البيان» توبيبه و ترتيبه، مضيفاً إليه ما استحسنته من «كشاف» الزمخشري و حواشى العلامة الشيخ البهائى، و كثيراً من تأويلات جاءت في تفاسير

أهل الرمز والإشارات.

وقد قرظ تفسيره علمان من أعلام الأمة: المجلسي العظيم، و الخوانساري الكبير، مما يدلّك على جلاله قدر هذا التفسير الفخيم. وبحق إنه تفسير جامع كامل، مع إيجازه وإيقاظه، شمل جوانب مختلفه من الكلام حول تفسير كلام الله، فلم يترك شاردة ولا واردة من الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام إلا أوردها وتعرض لها بتفصيل، ثم الأدب واللغة بشكل مستوعب، ثم مسائل الكلام والفلسفة والفقه في مجالاته المناسبة، وأخيرا يتعرض لتأويل الآيه وتفسير بطونها حسب تعبيره، ومن ثم فإنه يعدّ من التفاسير الجامعة الشاملة لكل جوانب التفسير المعهود ذلك الحين.

وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات أنيقة في عهدنا الحاضر، وهو في متناول العموم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٣

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، توفي سنة (٦٧١). كان من العلماء العارفين، صاحب تصانيف ممتعة، منها هذا التفسير الذي يعدّ من أمثل التفاسير وأجودها تصنيفا وتأليفا وجمعا للآراء والأقوال، مع العناية التامة باللغة والأدب والفقه والكلام، ومن ثم عدّه بعضهم من التفاسير الفقهية كما فعله الذهبي ولعله لمناسبة عنوان الكتاب. وقد وصف المؤلف تفسيره هذا بما يلي: رأيت أن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمّن نكتا من التفسير، واللغات والإعراب، والقراءات، والردّ على أهل الزيغ والضلالات، جامعا بين المعاني، ومبينا ما أشكل منها بأقوال السلف، ومن تبعهم من الخلف. و انتهج في تفسيره منهج سائر التفاسير الجامعة، فيذكر الآيه أولا، ويعقبها بذكر مسائل، يأتي فيها على شرح مواضع الآيه جملة جملة، فيشرحها ويبين مواضع إغلاقها، وربما تعرض لأسباب النزول، وذكر القراءات واللغة والإعراب، وأحيانا جاء بأقوال السلف أو الخلف إن مسّت الحاجة إلى ذلك.

وهو تفسير جيد نافع، جمع بين الاختصار والإيفاء بجوانب الكلام، بما يفيد المطالع إفادة تامة، تجعل المراجع في غنى عن مراجعة أمّهات كتب التفسير، على و جازته.

وجعل لتفسيره مقدمة جامعة في عشرين بابا، ذكر فيها مسائل تفيد المراجع قبل الخوض في التفسير.

وحاول القرطبي في تفسيره هذا نبذ الإسرائيليات والموضوعات، فتركها حسب وسعه، كما فعله ابن عطية في «المحرر الوجيز». وكانا موقّفين في هذا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٤

السبيل بعض الشيء.

تفسير الماوردي (النكت والعيون)

لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفّي سنة (٤٥٠).

والنسبة إلى «ماء ورد» كان يعمل به والده وبيعه. ولد بالبصرة، ثم ارتحل إلى بغداد، وفيها سمع الحديث وأخذ الفقه وانضم إلى حلقات أبي حامد الأسفراييني. ولما بلغ أشده تصدّر للتدريس آونة في بغداد وأخرى في البصرة، وتقلّ في البلاد لنشر العلم، ثم استقرّ به المقام في بغداد، فقام بالتدريس والتحديث وتفسير القرآن. وألّف فيها كتبه في الأدب والفقه والحديث والتفسير.

وتفسيره هذا يعدّ من أوجز التفاسير التي عنيت باللغة والأدب ونقل الآراء ونقدها، والمشى على طريقة أهل النظر في التفسير. قال في مقدّمة تفسيره:

«و لما كان الظاهر الجليّ مفهوماً بالتلاوة، و كان الغامض الخفى لا يعلم إلّا من وجهين: نقل، و اجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصوداً على تأويل ما خفى علمه، و تفسير ما غمض تصوّره و فهمه. و جعلته جامعاً بين أقاويل السلف و الخلف، و موضّحاً عن المؤتلف و المختلف، و ذاكر ما سنح به خاطر من معنى يحتمل.

عبرت عنه بأنه محتمل، لتمييز ما قيل مما قلته، و يعلم ما استخرج مما استخرجته» (١).

و يعتبر تفسير الماوردي من أهم كتب التفسير، و قد اهتم به كثير من المفسرين المتأخرين عنه، كابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»، و القرطبي في (١) النكت و العيون، ج ١، ص ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٥

«الجامع لأحكام القرآن».

و مفسرنا هذا لم يأل جهداً في إعمال رأيه و إبداء نظره في شرح معاني الآيات على طريقة تحكيم العقل الرشيد نافياً أن يكون ذلك من التفسير بالرأى الممنوع؛ حيث يقول:

«تمسك بعض المتورّعة، ممّن قلت في العلم طبقتة، و ضعفت فيه خبرته، و استعمل هذا الحديث على ظاهره، و امتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، عند وضوح شواهدة، إلّا أن يرد بها نقل صحيح، و يدلّ عليها نصّ صريح. و هذا عدول عما تعبد الله تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين، قد تبه على معانيه ما صرح من اللغز و التعمية، التي لا يوقف عليها إلّا بالمواضع إلى كلام حكيم، أبان عن مراده، و قطع أعدار عبادته، و جعل لهم سبلاً إلى استنباط أحكامه، كما قال تعالى: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (١) و لو كان ما قالوه صحيحاً، لكان كلام الله غير مفهوم، و مراده بخطابه غير معلوم، و لصار كاللغز المعنى، فبطل الاحتجاج به، و كان ورود النص على تأويله مغنياً عن الاحتجاج بتنزيله، و أعوذ بالله من قول في القرآن يؤدّي إلى التوقف عنه، و يؤول إلى ترك الاحتجاج به» (٢).

و قد أخذ ذلك بعضهم عليه، زاعماً سدّ باب الاجتهاد في القرآن، تاركاً وراءه قوله تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

«٣» (١) النساء / ٨٣.

(٢) النكت و العيون، ج ١، ص ٣٤.

(٣) محمد / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٦

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)

إشارة

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، المعروف بابن الخطيب، من أصل طبرستانى، نزل والده الرى و اشتهر بها. في ظاهره أشعري شافعي المذهب، صاحب تصانيف ممتعة في فنون المعارف الإسلامية، مضطلعاً بالأدب و الكلام و الفلسفة و العرفان. قال ابن خلكان: إن كتبه ممتعة، و قد انتشرت تصانيفه في البلاد، و رزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها و رفضوا كتب المتقدمين، توفي سنة (٦٠٦).

و تفسيره هذا من جلائل كتب التفسير، و قد استوفى الكلام فيه، بما وسعه من الاضطلاع بأبناء المعارف و فنون العلوم، و لم يدع براعته متجولة في مختلف مسائل الأصول و الفلسفة و الكلام، و سائر المسائل الاجتهادية النظرية و العقلية، و أسهب الكلام فيها، بما ربما أخرجه عن حدّ الاعتدال. و كثيراً ما يترك وراءه لمة من تشكيكات و إبهامات بما يعرقل سبيل الباحثين في التفسير، و لكنّه مع ذلك فإنه فتّاح لكثير من مغالقات المسائل في أبحاث إسلامية عريقة.

أما منهجه في التفسير، فإنه يذكر الآية أولاً، و يعقبها بموجز الكلام عنها بصورة إجمالية، و يذكر أن فيها مسائل، يبحث في كل مسألة

عن طرف من شئون الآية: قراءة، و أدبا، و فقها، و كلاما، و ما أشبه من المباحث المتعلقة بتفسير الآية، و يستوفى الكلام فى ذلك فى نهاية المطاف. و هو من أحسن الأساليب التفسيرية، تتجزأ المسائل و تتركز الأبحاث، مفصلة كلاً فى محلها، من غير أن يختلط البحث أو تتشابك المطالب، و من ثم لا يترك القارئ حائراً فى أمره من البحث الذى ورد فيه.

و من طريف الأمر أنه لم يجعل لتفسيره مقدمة ليشرح فيها موضعه من

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٧

التفسير، و الغاية التى أقدم لأجلها على كتابة مثل هذا التفسير الضخم، و السفر الجلل العظيم، و كان لا بد أن يشرح ذلك. كما لم يذكر منابعه فى التفسير، و لا الكتب التى اعتمدها فى مثل هذا التصنيف، فى حين أننا نعلم أنه اعتمد خير المؤلفات لذاك العهد، و أحسن المصنفات فى ذلك الزمان، فى مثل تفسير أبى مسلم الأصفهاني و الجبائي و الطبري و أبى الفتوح الرازي، و أمثالهم من مشايخ عظام و علماء أجلة معروفين حينذاك.

و تفسيره هذا، يغلب عليه اللون الكلامي الفلسفي، لاضطلاعه بهذين العلمين، و من ثم نجده يكثر الكلام فى ذلك كلما أتاحت له الفرصة، فيغتمها، و يسهب الكلام فى مسائل فلسفية بعيدة الأغوار، بما ربما أخرجه عن حد تفسير القرآن، إلى مباحث جدلية كلامية، و ربما كانت فارغة.

و هل أكمل تفسيره أم تركه ناقصاً ليكملة غيره من تلاميذ و أحفاد، كما قيل؟

قال ابن خلكان: له التصانيف المفيدة فى فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب و غريبه، و هو كبير جدا، لكنه لم يكمله «١».

قال ابن حجر: الذى أكمل تفسير فخر الدين الرازي، هو أحمد بن محمد بن أبى حزم نجم الدين المخزومي القمولى، المتوفى سنة (٧٢٧)، و هو مصرى «٢».

و قال حاجى خليفة: صنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولى تكمله له، و قاضى القضاء شهاب الدين أحمد بن خليل الخوئى الدمشقى كمل ما (١) وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٢٤٩، رقم الترجمة ٦٠٠.

(٢) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ج ١، ص ٣٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٨

نقص منه أيضا. توفى سنة (٦٣٩) «١».

و قال ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة (٦٦٨) فى ترجمة أحمد بن خليل الخوئى: و لشمس الدين الخوئى من الكتب، تتمه تفسير القرآن لابن الخطيب «٢».

و أما إلى أى موضع بلغ الإمام الرازي من تفسيره ليترك البقية لغيره، فهذا مختلف فيه اختلافا غريبا:

يقول الأستاذ محمد حسين الذهبى: وجدنا على هامش كشف الظنون ما نصه: «الذى رأته بخط السيد مرتضى نقلا عن «شرح الشفا» للشهاب، أنه وصل فيه إلى سورة الأنبياء» «٣».

و احتمال بعضهم أن الرازي أتم تفسيره ما عدا سورة الواقعة؛ حيث فيها بعض التعليق من غيره، مثلا جاء ذيل تفسير قوله تعالى: جزاء بما كانوا يعملون «٤» و فيه مسائل، المسألة الأولى أصولية، ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله فى مواضع كثيرة، و نحن نذكر بعضها «٥».

قال الأستاذ الذهبى تعقيبا على هذا الكلام: و هذه العبارة تدل على أن الإمام الرازي لم يصل فى تفسيره إلى هذه السورة «٦».

ثم أبدى رأيه فى حل الاختلاف قائلا: «والذى أستطيع أن أقوله كحل لهذا الاضطراب هو أن الإمام الرازي كتب تفسيره إلى سورة الأنبياء، فأتى بعده شهاب (١) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٥٦.

(٢) عيون الأنبياء، ج ٢، ص ١٧١. (الرازي مفسراً لمحسن عبد الحميد، ص ٥٢).

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

(٤) الواقعة / ٢٤.

(٥) راجع: التفسير الكبير، ج ٢٩، ص ١٥٦.

(٦) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٩

الدين الخوئي فشرع في تكملة هذا التفسير، ولكنه لم يتمه، فأتى بعده نجم الدين القمولى فأكمل ما بقى منه. كما يجوز أن يكون الخوئي أكمله إلى النهاية، والقمولى كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الخوئي. وهذا هو الظاهر من عبارة كشف الظنون «١».

قلت: وعلى ذلك، فإن الإمام الرازي لم يبلغ من تفسيره سوى حوالى النصف، الأمر الذى لا يمكن تصديقه، بل الظاهر أنه فسّر القرآن كله حتى آخر سورة منه، نظراً لوحدة الأسلوب والمنهج والقلم والبيان، فضلاً عن الشواهد الموفرة، على أن الإمام الرازي قد أكمل تفسيره حتى النهاية، اللهم إلا بعض التعليق مما أضيف إليه بعد ذلك، فألحق بالمتن فى الاستنساخات المتأخرة.

ونذكر شاهداً على ذلك أنه عند تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر (رقمها ٣٩ و رقم سورة الأنبياء ٢١) فى تفسير قوله تعالى: أَمْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ «٢» يقول: واعلم أنا بالغنا فى تفسير سورة الأنعام فى تفسير قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ «٣» فى تفسير شرح الصدر، و فى تفسير الهداية «٤».

و أمثال هذه العبارة كثيرة فى القسم المتأخر من التفسير. (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) الزمر / ٢٢.

(٣) الأنعام / ١٢٥.

(٤) راجع التفسير الكبير، ج ٢٦، ص ٢٦٥-٢٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٠

عنايته بأهل البيت

له عناية خاصة بآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يذكرهم بإجلال وإكبار، ويفخّم من شأنهم؛ مما ينبؤك عن ولاء متين بالنسبة إلى العترة الطاهرة، الذين هم عدل القرآن العظيم.

تجده يقول عند الكلام عن الجهر بسم الله الرحمن الرحيم: وأما أن على بن أبى طالب عليه السّلام كان يجهر بالتسمية، فقد ثبت بالتواتر، و من اقتدى فى دينه بعلى بن أبى طالب فقد اهتدى، و الدليل عليه قوله عليه السّلام: «اللهم أدر الحقّ مع على حيث دار».

ثم يقول عند ترجيحه للقول بوجوب الجهر: إن راوى قولنا على بن أبى طالب عليه السّلام، و أخيراً يقول: و عمل على بن أبى طالب عليه السّلام معنا، و من اتخذ علينا إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى فى دينه و نفسه «١».

و من دأبه تعقيب أسماء أئمة أهل البيت ب «السلام عليهم» كتعقبه لاسم النبى صلى الله عليه وآله وسلم. و قد عرفت تعقيب اسم على ب «السلام عليه»، و هكذا فى تعقيب أسماء سائر الأئمة. هو عند ما يروى عن الإمام جعفر بن محمد، يصفه أولاً بلقبه الفخيم «الصادق» ثم يعقبه ب «السلام عليه». قال فى تفسير النعيم:

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: النعيم: المعرفة و المشاهدة، و الجحيم: ظلمات الشهوات «٢».

و فى كثير من عباراته: محمد عليه السّلام، على عليه السّلام على سواء، راجع تفسيره (١) راجع: تفسير سورة الفاتحة، ج ١، ص ٢٠٤-

٢٠٧ من التفسير الكبير.

(٢) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١١

لسورة النصر (١). وهكذا نجده يذكر أئمة أهل البيت يا كبار و إجلال، هو عند ما يتعرض لوفرة ذرية الرسول في تفسير سورة الكوثر، يقول: انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء، كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السّلام، و النفس الزكية و أمثالهم (٢) و الذي يجلب النظر أنه عقب أسماء الأئمة الأربعة فقط ب «السلام عليهم»، الأمر الذي يدل بوضوح على مبلغ تشييعه لآل البيت عليهم السلام.

هو عند ما يتعرض لآية المتعة من سورة النساء (٢٤) يقول: إنها نسخت في حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و يقول: إنا لا نكر أن المتعة كانت مباحة، إنما الذي نقوله:

إنها صارت منسوخة. و يقول بصدده نهى عن عمر عنها: إنه لو كان مراده أن المتعة كانت مباحة في شرع محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يحاربه و ينازعه، و يفضى ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه و لم يرد ذلك القول عليه (٣).

المقصود من «أمير المؤمنين» هو الإمام على بن أبى طالب عليه السّلام يصفه بهذا اللقب الفخم أيام عهد عمر، و يعتقد في شخصيته الكريمة حراسة لدين الله و حفظا لحدوده، الأمر الذي جرى عليه أهل الولاء لهذا البيت الرفيع، و هكذا تعتقد الشيعة الإمامية في أئمتها الأبطال.

و هكذا تمثله بأبيات شعرية تنوّه من شأن أهل البيت عليهم السّلام في كثير من مواضع تفسيره، منها: استشهاده بشعر حسان بن ثابت، لغرض بيان أن السجدة ليوسف إنما كان من جهة أنهم جعلوه قبله في سجودهم، و استشهد لذلك بقوله: (١) التفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٥٣.

(٢) المصدر، ص ١٢٤.

(٣) المصدر، ج ١٠، ص ٥٣-٥٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٢

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبى الحسن

أليس أول من صلى لقبلكم و أعرف الناس بالقرآن و السنن (١)

و أما ما نجده أحيانا من تحامله على الشيعة و ربما لعنهم بعنوان «الروافض» (٢) فلعله من عمل النساخ؛ إذ لا يليق بقلم كاتب أديب، و علامة أريب أن يهدر في سفه الهذر، من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه، و لم يحد عن سبيل الحلم و الأدب.

ذكر عند تفسير آية المودة نقلا عن صاحب الكشاف

الحديث المعروف: «من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا و من مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمنا، مستكمل الإيمان، ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه: آيس من رحمة الله».

قال بعد نقل ذلك: و أنا أقول: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل، و لا شك أن فاطمة و عليا و الحسن و الحسين كان التعلق بينهم و بين رسول الله أشدّ التعلقات، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

و أيضا اختلف الناس في «الآل» فقيل: هم الأقارب، و قيل: هم أمته. فإن حملناه على القرابة فهم الآل، و إن حملناه على الأمية الذين

قبلوا دعوته فهم أيضا آل، فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل. و أما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه! (١) التفسير الكبير، ج ١٨، ص ٢١٢.

(٢) راجع: المصدر، ج ١٢، ص ٢١ و ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٣

و

روى صاحب الكشاف: أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: «علي و فاطمة و ابناهما»،

فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم. و يدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى و وجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يحب فاطمة عليها السلام

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها».

و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه كان يحب عليا و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله، لقوله:

«وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (١) و لقوله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» (٢) و لقوله: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (٣) و لقوله سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (٤).

الثالث: إن الدعاء «للآل» منصب عظيم، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، و هو

قوله: «اللهم صل على محمد و على آل محمد، و ارحم محمدا و آل محمد»

، و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل. فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

و قال الشافعي رضي الله عنه: (١) الأعراف / ١٥٨.

(٢) النور / ٦٣.

(٣) آل عمران / ٣١.

(٤) الأحزاب / ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٤

يا راكبا قف بالمحصب من منى و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفاض

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضي «١»

و نقل ابن حجر العسقلاني عن ابن خليل السكوني في كتابه «الرد على الكشاف» أنه أسند عن ابن الطباخ: أن الفخر كان شيعيا، يقدم

محبة أهل البيت، كمحبة الشيعة، حتى قال في بعض تصانيفه: «و كان على عليه السلام شجاعا بخلاف غيره» (٢).

و قال الطوفي: إنه يورد شبه المخالفين في المذهب، على غاية ما يكون من القوة و التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة و الحق على

غاية من الوهاء (أو الدهاء). قال: و بعض الناس يتهمه في هذا، و ينسب ذلك إلى أنه كان ينصر بهذا الطريق، ما يعتقده، و لا يجسر

على التصريح به «٣».

و قال الشيخ محمد بهاء الدين العاملي في حوادث شهر شوال، يوم عيد الفطر: «و فيه سنة ست و ستمائة، توفي فخر الدين الرازي،

الملقب بالإمام، وأصله من مازندران، وولد بالرّي، و كان يميل إلى التّشيع، كما لا يخفى على من تصفّح تفسيره الكبير. وقبره بمدينة هرات» (٤). (١) التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) لسان الميزان، ج ٤، ص ٤٢٩.

(٣) الإكسير في علم التفسير للطوفى، ص ٢٦. و اللسان، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٤) راجع: رسالته الوجيزة «توضيح المقاصد»، ص ٢٥، المطبوعة ضمن رسائل باسم «المجموعة النفيسة»، ص ٥٨٣، من مطبوعات مكتبة المرعشي بقم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٥

إمام المشككين

و مما اختص به الإمام الرازي خوضه في أنحاء المسائل، من أدب و كلام و فلسفة و أصول، و لكنه لا يخرج منها في الأكثر إلّا و يترك وراءه لثمة من تشكيكات و إبهامات في وجه المسألة، إنه ربما أثار إشكالا أو إشكالات، لكنه لا يجب عليها إلّا إجابات ضعيفة و موهونة، يترك القارئ في حيرة، هل إن مثل الإمام الرازي عاجز عن الإجابة لمثل تلك المسائل، أم هناك تعمد لغرض تقرير الإشكال حسب نظره؟! المعروف عن الرازي أنه أشعري المذهب في أصول العقيدة، جبري ظاهري، لكنه عند عرضه لمسائل الكلام، يقرّر من مذاهب الخلاف بما يضعف به المذهب الأشعري أحيانا، و ربما إلى حدّ الوهن و الافتضاح.

قال نجم الدين الطوفى البغدادي- من أعلام القرن السابع-: و أجمع ما رأيته من التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبي، و كتاب «مفاتيح الغيب» للإمام الرازي، و لعمرى كم فيه من زلّة و عيب. و حكى لى الشيخ شرف الدين النصيبى المالكي: أن شيخه الإمام الفاضل سراج الدين المغربي صنّف كتاب «المآخذ على مفاتيح الغيب» و بين فيه من البهرج و الزيف في نحو مجلدين، و كان ينقم عليه كثيرا، خصوصا إيراد شبة المخالفين في المذهب و الدين، على غاية ما يكون من القوّة، و إيراد جواب أهل الحق منها على غاية ما يكون من الدهاء. قال الطوفى: و لعمرى إن هذا لدأبه في غالب كتبه الكلامية و الحكمية، كالأربعين، و المحصل، و النهاية، و المعالم، و المباحث المشرقية، و نحوها. و بعض الناس يتهمه في هذا و ينسبه إلى أنه ينصر بهذا الطريق ما يعتقدده، و لا يجسر على التصريح به.

و قال في سبب ذلك: إنه كان شديد الاشتياق إلى الوقوف على الحق- كما

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٦

صرح به في وصيته التي أملاها عند موته- فلهذا كان يستفرغ وسعه، و يكّد قريحته في تقرير شبه الخصوم، حتى لا يبقى لهم بعد ذلك مقال، فتضعف قريحته عن جوابها على الوجه، لاستفراغه قوتها في تقرير الشبه. و نحن نعلم بالنفسية الوجدانية، أن أحدنا إذا استفرغ قوّة بدنه في شغل ما من الأشغال، ضعف عن شغل آخر، و قوى النفس على وزان قوى البدن غالبا. و قد ذكر في مقدمته كتاب «نهاية العقول» ما يدل على صحّة ما أقول؛ لأنه التزم فيه أن يقرّر مذهب كل خصم، لو أراد ذلك الخصم تقريره، لما أمكنه الزيادة عليه أو أوفى بذلك. و لهذا السبب قرر في كتاب «الأربعين» أدلّة القائلين بالجهّة، ثم أراد الجواب عنها، فما تمكن منه على الوجه، فغالط فيه في موضعين قبيحين، ذكرهما في مواضع كثيرة (١).

و مما بحث على أصول مذهبه الأشعري في ظاهر الأمر ما ذكر عند تفسير الآية إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢).

قال: احتج أهل السنّة- يعنى بهم الأشاعرة- بهذه الآية و كل ما أشبهها من قوله: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣)، و قوله: دَرَنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً- إِلَى قَوْلِهِ- سَأَرْهُقُهُ صِعُوداً (٤)، و قوله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ (٥) احتجوا بأمثال هذه الآيات على جواز

تكليف ما لا يطاق.

ثم أخذ في تقرير هذا الاحتجاج من وجوه خمسة: (١) الإكسير في علم التفسير، ص ٢٦-٢٧. تحقيق عبد القادر حسين.

(٢) البقرة/ ٦.

(٣) يس / ٧.

(٤) المدثر/ ١٧.

(٥) تبت / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٧

أولاً: أنه تعالى أخبر عن أشخاص معينين أنهم لا يؤمنون قط، فلو صدر منهم الإيمان، لزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذبا.

و ثانياً: أنه تعالى لما علم منهم الكفر، فكان صدور الإيمان منهم مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً.

و ثالثاً: أن وجود الإيمان يستحيل أن يوجد مع العلم بعدم الإيمان؛ لأنه إنما يكون علماً لو كان مطابقاً للمعلوم، و العلم بعدم الإيمان

إنما يكون مطابقاً لو حصل عدم الإيمان، فلو وجد الإيمان مع العلم بعدم الإيمان، لزم أن يجتمع في الإيمان كونه موجوداً و معدوماً

معاً، و هو محال، فالأمر بالإيمان مع وجود علم الله تعالى بعدم الإيمان، أمر بالجمع بين الضدين، بل بالجمع بين العدم و الوجود، و

كل ذلك محال.

و رابعاً: أنه تعالى كلف هؤلاء- الذين أخبر عنهم بأنهم لا- يؤمنون- بالإيمان البتة، و الإيمان يعتبر فيه تصديق الله تعالى في كل ما

أخبر عنه، و مما أخبر عنه أنهم لا- يؤمنون قط، فقد صاروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون قط، و هذا تكليف بالجمع بين النفي و

الإثبات.

و خامساً: أنه تعالى عاب الكفار على أنهم حاولوا فعل شيء على خلاف ما أخبر الله عنه في قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ

تَبَدِّلُوا كَلِمَاتِ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ «١» فثبت أن القصد إلى تكوين ما أخبر الله تعالى عن عدم تكوينه، قصد لتبديل كلام الله، و ذلك

منهى عنه. و هاهنا أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون البتة، فمحاولة الإيمان منهم تكون قصداً إلى تبديل كلام الله، و ذلك منهى

عنه. و ترك (١) الفتح/ ١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٨

محاولة الإيمان يكون أيضاً مخالفة لأمر الله تعالى، فيكون الذم حاصلًا على الترك و الفعل.

قال: فهذه هي الوجوه المذكورة في هذا الموضع. و هذا هو الكلام الهادم لأصول الاعتزال. و لقد كان السلف و الخلف من المحققين

معوليين عليه في دفع أصول المعتزلة و هدم قواعدهم. و لقد قاموا- أى المعتزلة- و قعدوا و احتالوا على دفعه فما أتوا بشيء مقنع.

هذه هي الوجوه الخمسة التي زعم منها دلائل ثابتة تدعم نظرية أصحابه في جواز التكليف بغير المستطاع، و حسب أن خصومهم

أصحاب الاعتزال عجزوا عن ردّها مهما أتوا من حول و قوّة.

في حين أن آثار الوهن بادية عليها، لأنّ أساسها العلم الأزلي الإلهي المتعلق بعدم إيمان الكافر الجاحد. و الحال أن العلم مهما يكن

فإنه ليس سبباً لوقوع المعلوم، بل إن وقوع المعلوم في وقته سبب لحصول هذا العلم، فالعلم تبع للمعلوم. فلو فرض أنهم كانوا يؤمنون؛

لكان العلم حاصلًا بإيمانهم. فليس العلم القديم أصلاً، بل هو فرع تحقّق المعلوم في حينه المتأخر، كما قال أبو الحسين البصري: إن

العلم تبع المعلوم، فإذا فرض الواقع من العبد الإيمان، عرف أن الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيمان، و العمدة أن العبد مختار

في الكفر و الإيمان، فأى منهما تحقّق منه، علمه الله في الأزل، و ليس علمه تعالى سبباً قهرياً يسلب عن العبد اختياره في العمل.

و هذا واضح لمن تدبّر، و لا أظنّ خفاءً على مثل الإمام الرازي صاحب الذهبيّة الوقّادة، و لكن تظاهراً بالدفاع عن مذهبه الرسمي

المفروض عليه من قبل السلطات، دعاه إلى ذكر مثل هذه الوجوه البادية عليها الضعف و الوهن. و تماشياً

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٩

مع الجوّ الحاكم أجبر على الانسجام مع الوضع الراهن.

و من ثم نراه- عند ما يذكر دلائل أصحاب الاعتزال- نراه يذكرها بقوة و دقّة و إحاطة و تفصيل، بما لا يدع مجالاً في إمكان قبول تلكم الوجوه الأشعرية.

ذكر دلائل أهل الاعتزال في ثلاث مقامات، أولاً: عدم المانع من الإيمان و الكفر، و ثانياً: أن العلم لا يوجب مانعاً في العمل، الثالث: نقض تلكم الوجوه الخمسة. ذكرهن بإسهاب و تفصيل، نقتطف منها ما يلي:

قال: و أنا أذكر أقصى ما ذكره أصحاب الاعتزال بعونه تعالى و توفيقه. و ذكر وجوهاً خمسة، في المقام الأول؛ و خلاصتها: أن القرآن مملوء من الآيات الدالة على أنه لا مانع لأحد من الإيمان، قال تعالى: «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ» (١)، و ما ذا عَلَيْنَهُمْ لَوْ آمَنُوا (٢)، فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣) قال صاحب ابن عباد: كيف يأمر العبد بالإيمان و قد منعه عنه؟! و ينهاه عن الكفر و قد حمّله عليه؟! و أيضاً فإنّ الله تعالى قال: رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (٤)، و قال: وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنَّبَعِ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى (٥).

فلما بين تعالى أنه ما أبقى لهم عذراً إلّا و قد أزاله عنهم، فلو كان علمه بكفرهم و خبره عن كفرهم مانعاً لهم عن الإيمان، لكان ذلك من أعظم الأعداء، (١) الإسراء/ ٩٤.

(٢) النساء/ ٣٩.

(٣) الانشقاق/ ٢٠.

(٤) النساء/ ١٦٥.

(٥) طه/ ١٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٠

كما أن الذم على الكفر و الجحود، هو خير دليل على اختياريته، و عدم وجود مانع قاهر عن الإيمان.

و ذكر في المقام الثاني وجوهاً عشرة على أنّ المعلوم لا ينقلب عما هو عليه بسبب العلم؛ لأن العلم إنما يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه، فإن كان ممكناً علمه ممكناً، و إن كان واجبا علمه واجبا، و لا شك أن الإيمان و الكفر كل واحد بالنظر إلى ذاته ممكن الوجود، فلو صار واجبا بسبب العلم، كان العلم مؤثراً في المعلوم، و هو باطل بالضرورة.

و أيضاً فإن الله تعالى قال: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (١) و قال: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (٢) و قَالَ: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (٣) فكيف يكلف الله العبيد ما لا يطيقون؟! و في المقام الثالث، نقل عن القاضي عبد الجبار جواب المعتزلة عن الأشاعرة، و تخطئة انقلاب العلم جهلاً و الصدق كذباً. قال الكعبي و أبو الحسين البصري: إن العلم تبع المعلوم، فإذا فرضت الواقع من العبد الإيمان عرفت أنّ الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيمان، و متى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلا عن الإيمان عرفت أنّ الحاصل في الأزل هو العلم بالكفر بدلا عن الإيمان.

فهذا فرض علم بدلا عن علم آخر، لا أنه تغير العلم. قال الإمام الرازي: فهذا الجواب هو الذي اعتمده جمهور المعتزلة.

قلت: و قد عرفت قوّة استدلالهم، و ضعف دلائل خصومهم، غير أنّ الإمام (١) البقرة/ ٢٨٦.

(٢) الحج/ ٧٨.

(٣) الأعراف/ ١٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢١

الرازي ترك و هن تلك الوجوه و قوّة هذه الدلائل بمعرض القارئ و مسمعه، ليحكم هو حسب ذهنيته الفطرية الحاكمة بأنّ العبد

مختار في فعله. و الله تعالى لا يكلف بما لا يستطاع، الأمر الذي يجعل من دلائل أهل الاعتزال هي الكفة الراجحة، و هذا شيء فعله الإمام الرازي، عن حسن نية و عن عمد فعله- حسب الظاهر- إذ الظاهر أنه ليسى الظن بمذاهب أصحابه الأشعريين. و مما يدل على ذلك، أنه لم يطعن في دلائل أهل الاعتزال، و ذكرها تامه وافية، كما هي عادته في كل أمر يعتقد صحيفا. ثم إنه بعد إيراد دلائل الطرفين، أورد شبهاته في المسألة و ذكر مقالات تشكيكية، و أسندها إلى أهل التشكيك، ممن فرضهم أهل العناد في مسائل الكلام.

قال: و اعلم أن هذا البحث صار منشأ لضلالات عظيمة، فمنها: أن منكرى التكليف و النبوات قالوا: قد سمعنا كلام أهل الجبر- يعنى بهم الأشاعرة- فوجدناه قويا قاطعا. و هذان الجوابان اللذان ذكرهما المعتزلة يجريان مجرى الخرافة، و لا يلتفت العاقل إليهما! و سمعنا كلام المعتزلة في أن مع الجبر يقبح التكليف، و الجواب الذي ذكره أهل الجبر ضعيف جدا، فصار مجموع الكلامين كلاما قويا في نفى التكليف، و متى بطل ذلك بطل القول بالنبوات.

هكذا يلقي التشكيك، عند عرض الآراء، سواء المخالف أم المؤلف.

ثم يذكر مطاعن آخر وجهها الطاعنون في القرآن و في الإسلام، على أثر هذه المناظرة بين أهل الجبر و القدر، و يستنتج: أن الرجوع إلى العقليات يورث الكفر و الضلال، و لهذا قيل: من تعمق في الكلام ترندق.

ثم يذهب في تشكيكاته حيث يشاء، و يذكر في أثنائها حكاية طريفة

يرويها

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٢

عن ابن عمر، أن رجلا- قام إليه فقال: يا أبا عبد الرحمن إن أقواما يعملون الكبائر و يقولون: كان ذلك في علم الله فلم نجد بدا منه. فغضب و قال: سبحان الله، قد كان في علمه أنهم يفعلونها، فلم يحملهم على الله على فعلها. حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم، و الأرض التي أقلتكم. فكما لا تستطيعون الخروج من السماء و الأرض، فكذلك لا تستطيعون الخروج عن علم الله تعالى، و كما لا تحملكم السماء و الأرض على الذنوب، فكذلك لا يحملكم علم الله تعالى عليها.

و المقصود: أن علمه تعالى الأزلي محيط بأفعال العباد، و لكن من غير أن يكون علمه تعالى سببا و علما في إيجادها؛ لأن علمه تعالى السابق، تبع لعمل العبد اللاحق، فكيفما يعمل يعلمه تعالى من غير أن يكون هذا العلم مؤثرا في إرادة العبد.

و هذا المعنى الواضح، لم يدركه مثل الإمام الرازي؟ و لعله تظاهر بعدم الفهم! قال تعقبا على هذه الحكاية: إن في الأخبار التي يرويها الجبرية و القدرية كثرة، و الغرض من رواية هذا الحديث بيان أنه لا يليق بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يقول مثل ذلك؛ لأنه متناقض و فاسد، أما المتناقض فلأن الصدر يدل على الجبر، و الذيل صريح في القدر. و أما أنه فاسد فلأن العلم بعدم الإيمان و وجود الإيمان متنافيان، فالتكليف بالإيمان مع وجود العلم بعدمه تكليف بالجمع بين النفي و الإثبات «١».

قلت: و لعل إمامنا الرازي طاعن في ضلاله القديم أو متظاهر بذلك.

و من ذلك أيضا، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: (١) راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤٢-٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٣

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. قَالَ فِيمَا أَعُوذُ بِكَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ «١».

قال: احتج أصحابنا بهذه الآية في بيان أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه و لا في دنياه، و تقريره: أن إبليس استمهل الزمان الطويل فأمهله الله تعالى، ثم بين أنه إنما استمهله لإغواء الخلق و إضلالهم و إلقاء الوسوس في قلوبهم، و كان تعالى عالما بأن أكثر الخلق يطيعونه و يقبلون وسوسته، كما قال تعالى: وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «٢» فثبت بهذا أن

إنظار إبليس و إمهاله هذه المدّة الطويلة يقتضى حصول المفساد العظيم و الكفر الكبير، فلو كان تعالى مراعيًا لمصالح العباد لا تمتنع أن يمهله و أن يمكّنه من هذه المفساد، فحيث أنظره و أمهله، علمنا أنه لا يجب عليه شيء من رعاية المصالح أصلاً. و مما يقوى ذلك أنه تعالى بعث الأنبياء دعاءً إلى الخلق، و علم من حال إبليس أنه لا يدعو إلّا إلى الكفر و الضلال، ثم إنه تعالى أمات الأنبياء الذين هم الدعاء للخلق، و أبقى إبليس و سائر الشياطين الذين هم الدعاء للخلق إلى الكفر و الباطل، و من كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك.

قالت المعتزلة: اختلف شيوخنا في هذه المسألة، فقال الجبائي: إنه لا يختلف الحال بسبب وجوده و عدمه، و لا يضلّ بقوله أحد إلّا من لو فرضنا عدم إبليس لكان يضلّ أيضاً. و الدليل عليه قوله تعالى: (١) الأعراف / ١٤ - ١٦. (٢) سبأ / ٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٤

ما أنتم عليه بفاتنين إلّا من هو صال الجحيم «١»؛ و لأنه لو ضلّ به أحد لكان بقاؤه مفسدة. و قال أبو هاشم: يجوز أن يضلّ به قوم، و يكون خلقه جارياً مجرى خلق زيادة الشهوة، فإنّ هذه الزيادة من الشهوة لا توجب فعل القبيح إلّا أن الامتناع منها يصير أشقّ، و لأجل تلك الزيادة من المشقّة تحصل الزيادة في الثواب، فكذا هنا بسبب إبقاء إبليس يصير الامتناع من القبائح أشدّ و أشقّ، و لكنه لا ينتهي إلى حد الإلجاء و الإكراه.

و أجاب الرازي: أن الشيطان لا بدّ أن يزّين القبائح، و معلوم أن حال الإنسان مع هذا التزيين لا يكون مساوياً مع عدمه. فحصول هذا التزيين يوجب الإقدام على القبائح، و هو إلقاء في المفسدة. و مسألة الزيادة في الشهوة حجة أخرى لنا في أن الله لا يراعى مصلحة العباد بسبب خلق تلك الزيادة في شهوة الإنسان، و حصول الزيادة في الثواب لا- حاجة إليه؛ حيث دفع العقاب المؤيّد من أعظم الحاجات، فلو كان إله العالم مراعيًا لمصالح العباد لاستحال أن يهمل الأكمل الأعظم؛ لطلب الزيادة التي لا حاجة إليها و لا ضرورة «٢».

انظر كيف فضح أصحابه بهذا النمط من البحث، و الخوض في مسألة تمسّ جانب حكمته تعالى، فينفى كونه تعالى حكيمًا لا يفعل إلّا عن مصلحة، و المصلحة التي يراعيها الخالق تعالى إنما تعود إلى العباد أنفسهم؛ حيث في ذاته تعالى الغناء المطلق. كما أنه يتنافى و قاعدة اللطف الناشئة عن مقام حكمته تعالى، بفعل ما يقرب العباد إلى الطاعة، و يبعدهم عن المعصية. و هو أساس التشريع و بعث الأنبياء و إنزال الكتب، الأمر الذي يعترف به الإمام الرازي.

نعم لا شك أنه تعالى حكيم لا يفعل إلّا عن مصلحة تعود إلى العباد أنفسهم؛ (١) الصفات / ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) التفسير الكبير، ج ١٤، ص ٣٩ - ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٥

حيث إنه تعالى غنيّ بالذات.

قال تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - إلى قوله - رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا «١».

فقد كان الله تعالى عزيزاً لا يغالب على أمره، لكنّه لا يفعل إلّا ما تقتضيه حكمته، مراعيًا فيها مصلحة العباد. فقد كان في مصلحتهم بعث الرسل و الأنبياء و إنزال الشرائع، و كان في طبيعتهم اقتضاء ذلك. فقد أجاب طلبهم اتماماً للحجّة عليهم، فلا تكون للناس على الله حجّة بعد الرسل.

و قد جاء في القرآن حوالى ثمانين موضعاً، جاء التصريح فيها بأنه تعالى حكيم عليم، و حكيم خبير، و عزيز حكيم؛ مما ينبؤك عن علم و حكمه لا يفعل شيئاً إلّا عن إحاطة و قدرة و حكمه شاملة.

و أما مسألة خلق إبليس و إمهاله و تسليطه على إغواء الناس، فهذا أمر يعود إلى مصلحة النظام القائم في الخلق، لا شيء إلّا و هو واقع بين قطبين: سلب و إيجاب، جذب و دفع؛ و بذلك استوى الوجود. فلولا دوافع الشرور، لم يكن في الاندفاع نحو المطلوب الخير كثير فضل، بل لم يكن هنا اندفاع نحو الخير؛ حيث لا دافع إلى الشر.

فالإنسان واقع بين دوافع الخير و دوافع الشر على سواء، و هو مختار في الانجذاب إلى أيهما شاء، و يملك قدرته في الاختيار و عقله و إرادته التامة في اختيار الخير أو الشر. فإذا اختار الخير فعن إرادته و تحكيم عقله فكانت فضيلة، و إذا اختار الشر فعن إرادته و الاستسلام لهوى نفسه فكانت رذيلة. و لا فضيلة (١) النساء / ١٦٣ - ١٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٦

و لا رذيلة إلّا إذا كانت هنا دوافع للخير و للشر معا، و كان الإنسان يملك إرادته في الاختيار.

أما الشيطان فلا سلطة له على الإنسان سوى دعوته و بعثه إلى فعل الشرور و ما كان لى عليكم من سلطان إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لى «١»، نعم كان كيد الشيطان ضعيفا «٢». و أن الله لهو القوى العزيز «٣» كتب الله لأغلبن أنا و رؤسلى إن الله قوى عزيز «٤»، إنا لننصر رؤسنا و الذين آمنوا فى الحياة الدنيا «٥».

و عند تفسير قوله تعالى: و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين «٦».

نراه يبحث عن مسائل الإمامة على مذهب الشيعة الإمامية، و اشتراطهم العصمة فى إمام المسلمين، و يذكر حججهم القاطعة فى المسألة، ثم يجيب عليها لا بتلك القوة و المتانة.

قال عند الكلام عن قوله تعالى: قال لا ينال عهدى الظالمين: احتج الروافض بهذه الآية على القدر فى إمامة الشيخين؛ حيث كانا كافرين و كانا حال كفرهما ظالمين؛ لأن الشرك ظلم عظيم. فوجب أن يصدق عليهما فى تلك الحالة:

أنهما لا ينالان عهد الإمامة البتة، و أيضا فإنهما لعدم عصمتهما حال الإمامة، كانا غير صالحين لها. (١) إبراهيم / ٢٢.

(٢) قال تعالى: إن كيد الشيطان كان ضعيفا، النساء / ٧٦.

(٣) قال تعالى: إن ربك هو القوى العزيز - هود / ٦٦

(٤) المجادلة / ٢١.

(٥) غافر / ٥١.

(٦) البقرة / ١٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٧

ثم حاول الإجابة على ذلك من وجهين: أحدهما: أن الاستدلال مبني على كون المشتق حقيقة فيمن انقضى عنه المبدأ، كما هو حقيقة فيمن تلبس. و ليس الأمر كذلك؛ لأن المشتق حقيقة فيمن تلبس باتفاق الأصوليين؛ و لا يصدق على من انقضى عنه المبدأ. و الثانى: أن المراد بالإمامة هنا هى النبوة، فمن كفر بالله طرفه عين فإنه لا يصلح للنبوة «١».

لكن استدلال الإمامية لا يتوقف على كون المشتق حقيقة فى الأعم ممن تلبس أو انقضى عنه المبدأ، بل كما صرح هو أيضا: إنه فى حال التلبس يتوجه الخطاب بعدم اللياقة. و النفى تأييد شمل الظالم و وصمه بوصمة العار: أنه غير صالح للإمامة أبدا. و من ثم فإن الكافر لا يصلح للنبوة حتى و لو تاب و آمن، و لا دليل عليه سوى شمول هذه الآية، حسبما صرح به الرازى نفسه. إذن فالآية صالحة لسلب الصلاحية أبدا عن كفر و أشرك بالله طرفه عين.

فمن كفر بالله و أشرك فقد ظلم ربه و ظلم نفسه، و الظالم مسلوب الصلاحية أبدا، حتى بعد توبته و إيمانه أيضا؛ إذ يتوجه إليه حينذاك - أى حين ظلمه -

لا ينالك عهدى أيها الظالم الخائن لربّه. و هو نفى تأييد مترتب على ظلم، صادر من المكلف. و هذا من خاصية الظلم؛ حيث يترتب عليه حكم عام، نظير السرقة يترتب عليها حكم القطع، فيجب إجراؤه سواء حال سرقة أم بعدها. نعم إذا تاب السارق قبل إمكان القبض عليه، فإنه يسقط حكم القطع، ولكنه بدليل خاص، و إلا كان الحكم ثابتا على عمومته.

و مسألتنا الحاضرة من هذا القبيل، أى من قبيل السرقة و الزنى و شرب الخمر، يثبت أحكامها بمجرد الصدور و صدق الموضوع خارجا، و يدوم حتى (١) التفسير الكبير، ج ٤، ص ٤٥-٥٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٨
الإجراء.

فقوله تعالى: الظالم لا يناله عهدى، نظير قوله: السارق تقطع يده، و الزانى يجلد، و الشارب يحدّ، يجرى الحكم بعد انقضاء المبدأ، و لا يختص بحال التلبس.

و الإمامة- هنا- شىء وراء النبوة، و هو القدوة للناس، التى ليست سوى إمامة الأمة مطلقه؛ لأن هذه الإمامة إنما جاءت إبراهيم، حال كونه نبيا، فهى رتبة الإمامة جاءت بعد النبوة، و من ثم فإنها تشمل الخلافة التى هى إمامة عامة.

و إذا كانت الإمامة بهذا المعنى لا تنال من كفر بالله طرفه عين، فلا يصلح للإمامة إلا من كان معصوما من الخطأ و الزلل.

و دليل آخر تمسك به الإمامية، أغفله الرازى، و هو: أن هذه الآية نفت صلاحية من كان يظلم نفسه، و لو بارتكاب الكبائر، غير الكفر و الشرك. فمن يحتمل فى شأنه ارتكاب المعصية- أى لم يكن معصوما- لم يطمئن خروجه عن شمول الآية بنفى لياقة الإمامة.

و من ثم فإنه يشترط فى الإمام سواء النبى أم خليفته أن يكون معصوما.

مباحث تافهة

و هناك تجد فى هذا التفسير الضخم الفخم بعض أبحاث تافهة، لا تمسّ مسائل الإنسان فى الحياة، و لا تفيده علما و لا عملا، تعرّض لها الإمام الرازى، و أظنه قد تفكّر بها، و لم يردّها عن جدّ عقلاى، هذا فضلا عن تلكم المجادلات العنيفة التى أضع بها كثيرا من صفحات تفسيره، و لقد كان الكفّ عنها أجدر.

من ذلك تفصيله الكلام حول مسألة تافهة للغاية، و هى: المسألة السادسة،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٩

فى أن السماء أفضل أم الأرض؟! و يأتى لتفضيل كل منهما بوجوه «١».

و هكذا عند تفسير قوله: «السماء بناء» يأتى فى المسألة الثانية بفضائل السماء من وجوه خمسة. ثم يأتى فى المسألة الثالثة بفضائل السماء، و بيان فضائل ما فيها من الشمس و القمر و النجوم، و يذكر لكل منها وجوها من فضائل «٢».

و بهكذا أمور لا طائل تحتها يسود كثيرا من صفحات تفسيره، الأمر الذى يدلّ على فراغ و جدة كان يتمتع بهما مفسرنا الخبير.

و ربما يردّ المسائل، هى بالهزل أشبه منه إلى الجدّ مما لا يتناسب و مقام علميته الرفيعة.

مثلا: عند تفسير قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «٣» يحاول توجيه نزول القرآن فى شهر رمضان- ليلة القدر- نزوله الدفعى جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزوله التدريجى إلى الأرض نجوما. يقول: إنما جرت الحال على ذلك لما علمه الله من المصلحة، فإنه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكّان سماء الدنيا مصلحة، أو كان فيه مصلحة للرسول عليه السّلام فى توقّع الوحي من أقرب الجهات، أو كان فيه مصلحة لجبرئيل؛ حيث كان هو المأمور بإنزاله و تأديته «٤». (١) حول الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة،

التفسير الكبير، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٩.

(٣) البقرة/ ١٨٥.

(٤) التفسير الكبير، ج ٥، ص ٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٠.

تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)

المؤلف هو القاضى ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن على، البيضاوى الشافعى، نسبة إلى بيضاء، مدينه كانت مشهوره بفارس، بينها و بين شيراز ثمانيه فراسخ، ولى قضاء شيراز، و كان إماما بارزا نظارا خيرا كما قال السبكي توفي سنة (٦٨٥). له مصنفات جیده أهمها هذا التفسير الذى اعتمد فيه على تفسير «الكشاف» للزمخشري.

و هو تفسير جيد لطيف، جمع فيه بين حسن العبارة و قوة البيان، و من ثم اعتمده كثير من المفسرين، كالمولى الفيض الكاشانى فى تفسيره الصافى، و له نظرات و آراء دقيقه فى حلّ معضلات الآيات، هو عند تفسير قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ من سورة الحمد، ينوع الهدايه إلى مراحل أربعة، مترتبه بعضها إثر بعض، فإنما يسأل العباد النيل إلى مراتب أعلى من هدايه الله للعباد. و هذا تفسير طريف يوجه سؤال الهدايه فى أمثال هذه الآيه، ربما لم يسبقه إليه أحد من المفسرين.

يقال: إنه أشعري المسلک، و من ثم إنه أخذ من تفسير الكشاف كثيرا، لكنه ترك ما فيه من اعتزال، و هذا غير صحيح؛ لأنه يذهب فى تفسيره مذهب أهل العدل و التنزيه، و من ثم نراه يؤول كثيرا من ظواهر آيات تنافى دليل العقل.

مثلا- عند تفسير قوله تعالى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (١) وجدناه يقول: إلاً قياما كقيام المصروع، و هو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخطب الإنسان فيصرع. ثم يفسر «المس» بالجنون، و يقول: و هذا أيضا من زعماتهم أن الجنى يمسّ الرجل فيختلط (١) البقرة/ ٢٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣١.

عقله «١».

و هذا الذى مشى عليه موافق مع مذهب الاعتزال الذى مشى عليه الزمخشري من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان، فيما عدا الوسوسة و الإغواء؛ حيث قوله تعالى حكاية عن إبليس فى مشهد القيامة: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي (٢) و قوله تعالى: وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ (٣).

و هذا التفسير كما ذكرنا مختصر من تفسير «الكشاف» للزمخشري و قد استمد أيضا من «التفسير الكبير» للإمام الرازى، و من «تفسير الراغب» الأصفهاني، و ضم إلى ذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابه و التابعين، لكنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتا بارعه، و لطائف رائعة، و استنباطات دقيقه، كل هذا فى أسلوب رائع موجز، و عبارة تدق أحيانا و تخفى إلاً على ذى بصيره ثاقبه، و فطنه تيره. و هو يهتم أحيانا بذكر القراءات، و ربما ذكر الشواذ أيضا، كما أنه يعرض للصناعة النحويه، و لكن بدون توسع و استفاضه، كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهيّه بدون توسع منه فى ذلك.

و مما يمتاز به البيضاوى فى تفسيره أنه مقلّ جدا من ذكر الروايات الإسرائيليه، و هو يصدر الروايه بقوله: روى أو قيل، إشعارا منه بضعفها.

ثم إنه إذا عرض للآيات الكونيه، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض فى مباحث (١) البيضاوى، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢) إبراهيم/ ٢٢.

(٣) سبأ/ ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٢.

الكون الطبيعية، و لعل هذه الظاهرة سرت إليه عن طريق «التفسير الكبير» للإمام الرازي.

و إليك من نص عبارته الشارحة لمنهجه في التفسير، و المبيّنة للمصادر التي اعتمدها أو اختصرها في تفسيره، قال في مقدّمه تفسيره: «و لطالما أحدثت نفسي بأن أصنّف في هذا الفنّ - أي التفسير - كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة، و علماء التابعين، و من دونهم من السلف الصالحين. و ينطوي على نكات بارعة و لطائف رائعة، استنبطتها أنا و من قبلي من أفاضل المتأخرين، و أمثال المحققين، و يعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزّية إلى الأئمة الثمانية المشهورين، و الشواذ المروية عن القراء المعبرين».

و يقول في خاتمة الكتاب ما نصه: «و قد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوى الألباب، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، و صفوة آراء أعلام الأئمة، في تفسير القرآن و تحقيق معانيه، و الكشف عن عويصات ألفاظه و معجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، و التلخيص العارى عن الإضلال...».

يقول عنه صاحب كشف الظنون: «و تفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غنى عن البيان، لخص فيه من «الكشاف». ما يتعلق بالإعراب و المعانى و البيان، و من «التفسير الكبير» ما يتعلق بالحكمة و الكلام، و من «تفسير الراغب» ما يتعلق بالاشتقاق و غوامض الحقائق و لطائف الإشارات. و ضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن الصريرة، و زاد في العلم بسطة التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٣

و بصيرة...» (١).

غير أننا نجد البيضاوى قد وقع فيما وقع فيه «الكشاف» و غيره من المفسرين، من ذكرهم في نهاية كل سورة حديثاً أو أحاديث في فضلها و فضل قارئها، و قد عرفنا قيمة هذه الأحاديث، و إنها موضوعة باتفاق أهل الحديث.

و لسنا نعرف كيف اغتر بها أمثال البيضاوى فرواها، و تابع الزمخشري و أمثاله في ذكرها، مع ما لهم من مكانة علمية و حصانة عقل و دراية.

و قد اعتذر عنه صاحب كشف الظنون بقوله: «و أما أكثر الأحاديث التي أوردتها في أواخر السور، فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه، و تعرّض لنفحات ربه، تسامح فيه، و أعرض عن أسباب التجريح و التعديل، و نحا نحو الترغيب و التأويل، عالماً بأنها مما فاه صاحبه بزور و دلي بغرور...» (٢). لكنه اعتذار غير عاذر.

ثم إن هذا الكتاب رزق بحسن القبول عند الجمهور، فعكفوا عليه بالدرس و التحشية، فمنهم من علّق تعليقه على سورة منه، و منهم من حشّى تحشية تامة، و منهم من كتب على بعض مواضع منه.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التأويل)

تأليف أبى البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، نسبة إلى «نسف» من بلاد ماوراء النهر (٣). كان إمام زمانه، رأساً في الفقه على المذهب الحنفي، بارعاً (١) كشف الظنون لحاجي خليفة، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) المصدر، ص ١٨٨.

(٣) نسف معرّب «نخش» ببلاد السند، بين جيحون و سمرقند.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٤

في الحديث و التفسير، و له تصانيف في الفقه و الأصول، و منها هذا التفسير الذي اختصره من «تفسير البيضاوى» و من «الكشاف» للزمخشري، جمع فيه من وجوه الإعراب و القراءات، و ضمّنه ما اشتمل عليه «الكشاف» من النكت البلاغية و المحسنات البديعية، و أورد فيه ما أورده الزمخشري من الأسئلة و الأجوبة، لكن لا صريحاً بل مدرجاً ضمن شرحه للآية. توفّي سنة (٧٠١ هـ ق)، و دفن بأيدج - وزان أحمد معرّب «ايد» - بلدة بين أهواز و أصفهان، من محافظة خوزستان.

و هناك تفسير آخر بهذا الاسم، لأبي حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي الحنفي أيضا، توفي سنة (٥٣٨ هـ ق) و قد طبع هذا التفسير أيضا في مجلدين. و له ترجمة للقرآن بالفارسية، طبعت سنة (١٣٥٣ ش) بتصحيح الدكتور عبد الله الجويني. و النسفيون كثيرون، غير أن المعروف منهم هما هذان المفسران.

تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

لأبي السعود محمد بن محمد بن المصطفى العمادي، توفي سنة (٩٨٢). كان من العلماء الترك و لازم السلطان سليمان القانوني، و تقلد القضاء، و أنيط إليه الافتاء سنة (٩٥٢). كان حاضر الذهن، سريع البديهة، يكتب باللغات العربية و الفارسية و التركية، و قد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من المؤلفات.

كان منهوما بتدريس «الكشاف» و «البيضاوي» معجبا بهما، و من ثم وضع التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٥

تفسيره على منوالهما، فجاء صورة أخرى عنهما مع تغييرات يسيرة. و مع ذلك فهو من أجود التفاسير المشتملة على النكات الأدبية و الدقائق البلاغية، فكان غاية في حسن الصوغ و جمال التعبير، و من ثم ذاعت شهرته بين أهل العلم، و شهد له كثير من العلماء بأنه من خير التفاسير.

و المطالع في تفسيره هذا يجده لا بالطويل الممل، و لا بالقصير المخل، و سطا مشتملا على لطائف و نكات، و فوائد و إشارات. و من مميزات هذا التفسير إقلاله من القصص الإسرائيلية، و إن ذكر منها شيئا فإنه يذكره مضجعا له أو منكرا، و مبينا منشأ بطلانه و ذلك كما صنع في قصة هاروت و ماروت؛ حيث فند ما جاء حولها من أساطير إسرائيلية، و لهذا نراه قد صنف فيها رساله خاصة و بين فيها جهات ضعفها. و مع ذلك نجده لم يخل من قصص إسرائيلية، كما نجده في قصة داود و أوريا، و الخرافات التي حيكت حولها، و قد زعم المؤلف: أن ذلك كان جائزا في شريعة داود «١». هكذا يبزر من غير تبرير. و هو أشعري في مسلكه، و يفسر الآيات في ضوء ذاك المذهب البائد.

تفسير الألوسي (روح المعاني)

للسيد محمود أفندي الألوسي البغدادي المتوفى سنة (١٢٧٠). كان شيخ علماء الأحناف ببغداد، جمع بين المعقول و المنقول، حسبما أوتى من حظ عظيم في التوسع و التتبع. كان عالما بمبادئ الأصول و الفروع، محدثا و مفسرا خيرا. و كان ذا حافظه غريبه، كان لا يحفظ شيئا إلّا و قد حضره. كان يقول: ما استودعت ذهني شيئا فخانني. تقلد إفتاء الحنفية سنة (١٢٤٢)، و تولّى أوقاف مدرسته (١) راجع: القصة في تفسير أبي السعود، ج ٧، ص ٢٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٦

المرجانية ببغداد. و في سنة (١٢٦٣) انفصل عن منصب الإفتاء و بقي مشغلا بتفسير القرآن، حتى أتمه، و سافر به إلى القسطنطينية، ليعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان، لينال إعجابه و رضاه.

و تفسيره هذا جامع لآراء السلف و أقوال الخلف، مشتملا على مقتطفات كثيرة من تفاسير من تقدمه، كتفسير ابن عطية، و تفسير أبي حيان، و تفسير الكشاف، و أبي السعود، و ابن كثير، و البيضاوي، و الأكثر من الفخر الرازي.

و ربما نقد المنقول من هذا التفسير، و لكن قليلا.

و هو في تفسيره يتعصب للمذهب السلفي أصولا و فروعا، باد عليه تعصبه، و لذلك نراه لم يراع أدب الكتابة في كثير من الأحيان. مثلا عند تفسيره لقوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ «١». يقول بعد كلام طويل و لججاج عنيف: و إضافته - أي

الطغيان - إليهم؛ لأنه فعلهم الصادر منهم، بقدرهم المؤثرة بإذن الله تعالى، فالاختصاص المشعرة به الإضافة، إنما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحلية والاتصاف، فإنه معلوم لا حاجة فيه إلى الإضافة، ولا باعتبار الإيجاد استقلالاً من غير توقّف على إذن الفعّال لما يريد، فإنه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار. فلا تهولئك جعجعة الزمخشري وقعقعتة «٢».

وهو تفسير فيه تفصيل وتطويل، وأحياناً بلا طائل. إنه يستطرد إلى الكلام في الصناعة النحويّة، ويتوسّع في ذلك ربّما إلى حدّ يكاد يخرج به عن وصف (١) البقرة/ ١٥.

(٢) روح المعاني، ج ١، ص ١٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٧

كونه مفسراً. قال الذهبي: ولا أحيلك على نقطة بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك «١».

وهكذا يستطرد في المسائل الفقهيّة مستوعباً آراء الفقهاء ومناقشاتهم بما يخرجهم عن كونه كتاب تفسير إلى كتاب فقه. أمّا المسائل الكلاميّة فحديثه عنها مسهب مملّ لا يكاد يخرج من التعصب في الغالب.

كما لم يفتّه أن يتكلّم عن التفسير الإشاري، بعد الفراغ عن الكلام في تفسير الظاهر من الآيات، وهو في ذلك يعتمد التفسير النيسابوري والقشيري وابن العربي وأضرابهم، وربّما يتيه في وادي الخيال.

وجملة القول فهذا التفسير موسوعه تفسيرية مطوّلة تطويلاً يكاد يخرجهم عن مهمته التفسيرية في كثير من الأحيان. فتفسير آلوسى هذا هو أوسع تفسير ظهر بعد الرازي على الطريقة القديمة، بل هو نسخة ثانية من تفسير الرازي مع بعض التغيير - ليس بالمهم - إذ كل من قرأ تفسير آلوسى يجده معتمداً تفسير الرازي كل الاعتماد، وكان مصدره الأول من مصادره في التفسير، كما قال الأستاذ عبد الحميد «٢».

تفسير البلاغي (آلاء الرحمن)

للإمام المجاهد والعلماء الناقد الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي. ولد سنة (١٢٨٢) وتوفّي سنة (١٣٥٢ هـ). كان - رحمه الله - قد قضى حياته الكريمة في (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥٨.

(٢) الرازي مفسراً لعبد الحميد، ص ١٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٨

النضال والدفاع عن حاميّة الإسلام، قلما وقدا «١». وله في كلا المجالين مواقف مشهودة. ومصنفاته في الدفاع عن حريم الإسلام معروفة. منها: «الرحلة المدرسية»، في ثلاثة أجزاء، حاول فيها الرد على شبه المسيحيين ضدّ الإسلام. ومنها: «الهدى إلى دين المصطفى»، دافع فيه عن كرامة القرآن العتيده في جزئين كبيرين. وغيرهما من كتب ورسائل عنيت بأهمّ المسائل الإسلاميّة العريقة. وهذا التفسير من أفضلها؛ حيث كان من آخر تأليفه، فكان أدقّها وأمتنها.

سوى أنه من المؤسف جدّاً إذ لم يمهل الأجل، فقضى نحبه عند بلوغه لتفسير قوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا «٢». فأكمل تفسير الآيه ولحق بجوار ربّه الكريم ليوفيه أجره حسبما وعد في الآيه، والكريم إذا وعد وفى.

وكان شيخنا العلامة البلاغي عارفاً باللغات العبريّة والإنجليزيّة والفارسيّة إلى لغته العربيّة. مجيداً فيها، مما ساعده على مراجعة أهمّ المصادر للتحقيق عن (١) شارك في حركة العراق الاستقلاليّة ضدّ الإنجليز، في ثورة (١٩٢٠ م) الدّامية.

(٢) الآيه رقم ٥٧ من سورة النساء.

لكن هنا للأستاذ الذهبي إساءة تعبير بشأن هذا المفسر الجليل، ينبؤك عن خبث طويّة.

يقول في صفافته: «و ينتهي تفسير البلاغى عند قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا... (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤).

و لعلّ القضاء صبّ عليه البلاء (عام ١٩٧٧ م) حيث هلكه في شرّ قتلته مغبته تجاسره على أمثال هذا العبد الصالح الذى قضى حياته فى الدفاع عن حريم الإسلام. لكن شيخنا البلاغى عمل عمله لله، فكان مصداقا لقوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (الحجر / ٢٩٤).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٩

مبادئ الأديان القديمة، و الوقوف على مبادئها. فكانت تأليفه فى هكذا مجالات ذوات إسناد متين و أساس ركين.

و تفسيره هذا هادف إلى بيان حقائق كلامه تعالى و إبداء رسالة القرآن، فى أسلوب سهل متين، يجمع بين الإيجاز و الإيفاء، و الإحاطة بأطراف الكلام، بما لا يدع لشبه المعاندين مجالاً، و لا لتشكيك المخالفين مسرباً. هذا إلى جنب أدبه البارع و معرفته بمباني الفقه و الفلسفة و الكلام و التاريخ، و لا سيّما تاريخ الأديان و أعراف الأمم الماضية، و التى حلّ بها كثيرا من مشاكل أهل التفسير. و من ثمّ كان منهجه فى التفسير ذا طابع أدبى كلامى بارع، فرحمه الله عليه من مجاهد مناضل فى سبيل الإسلام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٠

التفسير فى العصر الحديث

إشارة

لم يترك الأقدمون لمن تأخر عنهم كبير جهد فى تفسير كتاب الله، و الكشف عن معانيه و مرامييه، فقد تناولوه من أول أمرهم بدراسته التفسيرية التحليلية دراسة توسّعت و أطردت مع الزمن على تدرّج ملحوظ، و تلوّن بألوان مختلفة حسبما عرفت. و لا شك أنّ كلّ ما يتعلّق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفّاه هؤلاء المفسرون القدامى حقّه من البحث و التحقيق، فالنواحي اللغوية و البلاغية و الأدبية و النحوية، و حتى الفقهية و الكلامية و الكونية الفلسفية، كل هذه النواحي و غيرها تناولوها بتوسّع ظاهر ملموس، لم يتركوا لمن جاء بعدهم إلى ما قبل عصرنا بقليل من عمل جديد أو أثر مبتكر يقومون به فى تفاسيرهم التى دوّنوها، سوى أعمال ضئيلة لا يعدو أن يكون جمعا لأقوال المتقدمين، أو شرحا لغامض آرائهم، أو نقدا أو تفنيدا لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأى على رأى؛ مما جعل التفسير يقف وقفه طويلاً مليئاً بالركود، خالية من التجديد و الابتكار.

و لقد ظلّ الأمر على هذا، و بقى التفسير واقفا عند هذه المرحلة - مرحلة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤١

الركود و الجمود - لا - يتعداها، و لا يحاول التخلص منها. حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فأتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرّروا من قيد هذا الركود، و يتخلّصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا فى كتاب الله نظرة فاحصة من جديد و إن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل فى التفسير أثرت فى الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً ملموساً، و غيرت من اتجاهاته القديمة، و ألبسته ثوبا جديدا لا ينكر؛ إذ عملت فى التخلص من كل الاستطرادات التى حشرت فى التفسير حشرا و مزجت به على غير ضرورة لازمة، و ثابرت على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية التى كادت تذهب بجمال القرآن و جلاله، و تمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أو على أصحابه و الأئمة من بعده عليهم السّلام و إلباس التفسير ثوبا أدبياً اجتماعياً، فى صياغة جديدة أظهرت روعة القرآن و جمال بهائه، كما كشفت عن كثير من مرامييه الدقيقة و أهدافه السامية، فى تعرفه الإنسان و الحياة و السياسة و الاجتماع، و هكذا حاولت التوفيق بجهد بالغ و جهد بين، بين ظواهر

القرآن و ما جدّ من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموقفين في الغلوّ و الاعتدال. كل ذلك من أجل أن يعرف المسلمون و من ورائهم الناس جميعاً أنّ القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشى مع الزمان في جميع أطواره و مراحلها. و لقد أجادوا و أفادوا في هذا المجال، و لكنهم توسّعوا في ذلك، و ربّما بلغ ببعضهم حدّ الإفراط و الغلوّ، بما أخرجهم عن حدّ الاعتدال.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٢

ألوان التفسير في العصر الحديث

إشارة

كان الجرى مع الزمن في التفسير استدعى تنوّعه مع تنوّع متطلّبات العصر و متقلباته، بما نستطيع أن نجمل القول في ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة التالية، و هي أهمها:

أولاً: اللون العلمي: و هو أول الألوان التي ظهرت إلى الوجود، متأثراً بمكتشفات العصر الحديث.

ثانياً: اللون الأدبي الاجتماعي: و هو ثاني الألوان، المتأثر بالأدب المعاصر، و المظاهر الاجتماعية الحاضرة.

ثالثاً: اللون السياسي: و قد ظهر هذا اللون على أثر التشعبات الحزبية السياسية الحديثة في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: اللون العقلي: فقد رافقت الألوان المتقدّمة هذا اللون من التفسير العقلي، الذي كان فيه بعض المحاولات لتأويل آيات، كانت بظاها متنافية مع مظاهر العلم أو العقيدة الإلحادية، التي أورتها النهضة الصناعية العلمية، منذ القرن التاسع عشر للميلاد.

و إليك بعض الكلام عن اللونين العلمي و الأدبي الاجتماعي، فقد ازدهر العصر الحديث بهما، نتيجة الوعي الديني الذي ساد أكثر أبناء هذا العصر. أمّا اللونان الآخران: السياسي و العقلي، فهما حصيلة أفكار سياسية متطرفة و أخرى إلحادية كافرة، سيطرت على نفوس ضعيفة، أو تشكّلات حزبية منحرفة، و لم تكن لهم تفاسير شاملة، سوى بضع آيات التقطوها، كانت من المتشابهات، و من ثمّ اتبعوها ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويلها. فهي تفاسير مقطوعة الدابر منبوذة لا يعتدّ بها، فلم نعمدها و لا كان لها شأن.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٣

١- اللون العلمي

إشارة

إن هذا اللون من التفسير الذي يرمى إلى جعل القرآن مشتملاً على إشارات عابرة إلى كثير من أسرار الطبيعية، التي كشف عنها العلم الحديث، و لا تزال على مسرح الاكتشاف قد استشرى أمره في العصر الأخير، و راج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية و شغف بالعلوم، إلى جنب عنايتهم بالقرآن الكريم. و كان من أثر هذه النزعة التفسيرية الخاصة، التي تسلّطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب و الرسائل التي يحاول أصحابها فيها أن يحمّلوا القرآن كثيراً من علوم الأرض و السماء، و أن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح، اعتقاداً منهم أنّ هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه، و إعجازه، و صلاحيته للبقاء.

أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون

من أهم هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية، كتاب «كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، و الأرضية، و الحيوانات، و النباتات، و الجواهر المعدنية» تأليف الطبيب الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني، أحد رجال القرن الثالث عشر الهجري، برع في الطب الروحاني و الجسماني، و كانت له علاقة شديدة في دفع شبهات الأجانب التي كانت تثار ضد الدين، و

كان له إلمام بالعلوم الحديثة التي كانت معروفة على عهده، من طب و صناعة، و العلوم الطبيعية و الكيمياء، و طبقات الأرض و الحيوان و النبات.

و من ثم حاول إثبات أن لا منافاة بين الدين و العلم، بل أن أحدهما ليكمل الآخر و يؤيده. توفي سنة (١٣٠٦ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٤

و كتابه هذا من أوليات الكتب التي ظهرت في هذا الشأن، و هو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاث مجلدات، لكن من غير أن يستوعب جميع آي القرآن، سوى ما يتعلق بموضوع دراسته الخاصة. بحث في الجزء الأول عن الحياة و خلق الأحياء في الأرض، و في الجزء الثاني، عن الأجرام السماوية و عن مظاهر الكون في الأرض و السماء، و في الجزء الثالث، عن أسرار النباتات و المعادن، و ما إلى ذلك.

و قد ذكر الإسكندراني في هذا الكتاب أن القرآن يحتوي على علوم جمّة، على ما جدّ من نظرات علمية تؤيد إعجاز القرآن، و يثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق الكون، و خلق الحيوان، و أسرار النباتات و المعادن. و أبان في المقدمة غرضه من هذا التأليف، قائلا:

«و كنت منذ زالت عنى توائم الطفولية، و نطت بي عمائم الرجولية، ممن شغف بتعلم الطب ليالي و أياما، أنهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين و أعواما، ثم أقمت بدمشق الشام معنيا بمداواة أهلها الأماثل الأعلام، إلى أن اجتمعت في محفل سنة (١٢٩٠ هـ) كان حافلا ببعض الأطباء المسيحيين، فشرعوا يتحدّثون في كيفية تكوّن الأحجار الفحمية، و في أنها هل أشير إليها في التوراة و الإنجيل أم لا؟! فلم يحصلوا على شيء، لا- صريحا و لا- إشارة، ثم وجّهوا إلى السؤال عن القرآن الكريم هل فيه إشارة إلى ذلك؟ فتصدّرت للجواب و تطلّفت في التفهيم و الخطاب، قدر طاقتي و وسعي، و تتبعت كلام كثير من العلماء، و تفرّدت في طلبه من كتب التفسير و الطب، مع زيادة الاجتهاد».

و هو كتاب لطيف في بابه، طريف في أسلوبه، اعتمد فيه آراء القدماء و المحدثين، و جدّ في ذلك حسب إمكانه، و أفاد، جزاه الله خيرا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٥

و هناك مختصرات في هذا الشأن كثيرة جرت على نفس المنوال، فهناك الأطباء و المهندسون و علماء اختصاصيون كانت لهم عناية بالدين و بالقرآن الكريم، حاول كلّ حسب وسعه و حسب طاقته العلمية، في الإبانة عن وجه إعجاز القرآن، من ناحية اختصاصه. و الكتب و الرسائل من هذا القبيل كثيرة و منبّهة، ربّما تفوق الحصر، و لا تزال تزداد حسب أطراد الزمان «١».

و في العلماء الدينين أيضا كثير ممن قام بهذا الأمر، و كتب في جوانب علمية من القرآن الكريم، أمثال العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني المتوفّي سنة (١٣٨٦ هـ) قام بتأليف رسالة يقارن فيها بعض مسائل الهيئة و الفلكيات حسب إشارات جاءت في الشريعة و في نصوص القرآن الكريم. طبعت طبعتها الأولى في بغداد سنة (١٣٢٨ هـ) و ترجمت عدة ترجمات منها بالفارسية، مما يدل على إعجاب العلماء بهذا الكتاب.

و رسالة الأستاذ عبد الله باشا فكري في مقارنته بعض مباحث الهيئة. طبعت بالقاهرة سنة (١٣١٥ هـ).

و رسالة السيد عبد الله الكواكبي، و هي عبارة عن مجموعة مقالات له، نشرها في بعض الصحف عند ما زار مصر سنة (١٣١٨ هـ) ثم جمعت ضمن كتاب باسم «طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد».

و رسالة إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، عقد فيه بحثا عن (١) لدى رسالتان قيمتان فيما يخص مسائل الطب و القرآن الكريم، إحداهما: «القرآن و الطب الحديث» تأليف صديقنا الفاضل الدكتور صادق عبد الرضا علي، طبعت في بيروت.

و الأخرى: «مع الطب في القرآن الكريم» تأليف الدكتورين عبد الحميد دياب و أحمد قرقوز، طبعت في دمشق. رسالة أعدت لنيل

إجازة دكتورا فى الطب.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٦

القرآن و العلوم.

و رساله الأستاذ رشيد رشدى العابرى، مدرس الجغرافيه فى ثانويه التفويض ببغداد، قام بنشرها سنه (١٩٥١ م).

و رسائل من هذا القبيل مبنوئه فوق حد الإحصاء.

هذا، و أكثر علماء العصر الحديث نزعه إلى التفسير العلمى، و أكبرهم انتاجا هو الشيخ طنطاوى جوهرى، فإنه أكثر من جمع فى هذا المجال و أطال فى تفسيره «الجواهر» و ربما أسهب بما يخرج عن طور التفسير أحيانا. يقع فى خمس و عشرين جزءا، و ألحقه بجزء آخر هو المتمم للجزء السادس و العشرين. و إليك بعض الكلام عن هذا التفسير العجيب.

الجواهر فى تفسير القرآن للطنطاوى

هو الشيخ طنطاوى بن جوهرى المصرى، توفى سنه (١٣٥٨ هـ). و تفسيره هذا يعتبر أطول و أول من فسر القرآن الكريم فى ضوء العلم الحديث، و من قبله محمد أحمد الإسكندراني، و لكنه بصورة غير شامله، و كذلك جاء بعده مفسرا للقرآن بطريقه علميه حديثه محمد عبد المنعم الجمال فى صورة أوجز، حسما يأتى.

و يرى الشيخ الجوهرى أن معجزات القرآن العلميه لا زالت تنكشف يوما بعد يوم، كلما تقدمت العلوم و الاكتشافات، و أن كثيرا من كنوز القرآن العلميه ما زالت مذخوره، يكشف عنها العلم شيئا فشيئا على مر العصور.

و الشيخ الجوهرى كان منذ صباه مولعا بهكذا كشاف علميه دينيه، مغرما بالعجائب الكونيه، و معجبا بالبدائع الطبيعيه، مشوقا إلى ما فى السماء و الأرض من جمال و كمال و بهاء كمال يقول هو عن نفسه قال فى مقدمه تفسيره:

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٧

«لما تأملت الأئمة الإسلاميه، و تعاليمها الدينيه، ألفت أكثر العقلاء و بعض أجلة العلماء، عن تلك المعانى معرضين، و عن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر فى خلق العوالم و ما أودع فيها من الغرائب. فأخذت أولف كتبا لذلك شتى، كنظام العالم و الأمم، و جواهر العلوم، و التاج المرصع، و جمال العالم ... و مزجت فيها الآيات القرآنيه بالعجائب الكونيه، و جعلت آيات الوحي مطابقيه لعجائب الصنع ...» (١).

لكنه وجد أن هذه الكتب رغم كثرتها و انتشارها و ترجمتها إلى اللغات الأخرى كالأوردية و القازانية الروسيه لم تشف غليله، فتوجه إلى الله أن يوفقه إلى تفسير القرآن تفسيرا ينطوى على كل ما وصل إليه البشر من علوم، فوفقه الله لتحرير هذا التفسير الجليل.

و مفسرنا هذا يقرر فى تفسيره أن فى القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة و خمسين (٧٥٠) آيه، فى حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحه على مائة و خمسين (١٥٠) آيه (٢).

و نجده كثيرا ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا فى آيات القرآن التى ترشد إلى علوم الكون، و يحثهم على العمل بما فيها، و يندد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها، و ينعى على من أغفلها من السابقين الأولين.

منهج المؤلف فى التفسير

إنه يذكر الآيات فيفسرها أولا لفظيا مختصرا، لا يكاد يخرج بذلك عما فى كتب التفسير المألوفه، لكنّه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذى يسميه تفسيرا (١) الجواهر فى تفسير القرآن، ج ١، ص ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٨

لفظيًا و يدخل في أبحاث علمية مستفيضة، يسميها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة آراء علماء الشرق، و الغرب في العصر الحديث، ليبين للمسلمين و غيرهم أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، و تبه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء. و نجده يضع لنا في تفسيره كثيرا من صور النباتات، و الحيوانات، و مناظر الطبيعة، و تجارب العلوم، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول، توضيحا، يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس، و لقد أفرط في ذلك، و جاز حد المجاز. و مما يؤخذ عليه: أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينيّة بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، و هو حين ينقلها يبدي رضاه عنها و تصديقه بها، في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون الأشاعرة «١». و هكذا نراه قد يستخرج كثيرا من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل، الذي لا نكاد نصدّق بأنه يوصل إلى حقيقة ثابتة. قال الذهبي: و إنما هي عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين، فتسلطت على عقول الكثير منهم.

هذا، و إنّنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة، غير مستقرة في ذاتها، و لم تمض فترة التثبت منها، و هذا ضرب من التكلّف ارتكبه المؤلف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا، فلا- أقلّ من أن يذهب بروائه و بهائه. (١) الأمر الذي جعل الحكومة السعودية أن أصدرت الأمر بمصادرة الكتاب، و عدم السماح بدخوله إلى الحجاز. يجد القارئ ذلك في نص الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبد العزيز آل سعود في الجزء ٢٥، ص ٢٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٩

و تكفيك مراجعة عبري إلى هذا التفسير لكي تعرف مغزى هذا النقد الخطير، و قد أتى الذهبي بنماذج من هذا النمط العليل، و استنتج أخيرا: أنّ الكتاب في ذاته موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الإمام الرازي؛ إذ قيل عنه: «فيه كل شيء إلّا التفسير» بل هو أحقّ من تفسير الرازي بهذا الوصف و أولى به. و إن دلّ الكتاب على شيء، فهو أنّ المؤلف إنما يحلّق في أجواء خياله، و يسبح حسب زعمه في ملكوت السماوات و الأرض، و يطوف في نواح شتى من العلم بفكره و عقله، ليحلّي للناس آيات الله في الآفاق و الأنفس، و ليظهر لهم أنّ القرآن قد جاء بكل ما جاء به الإنسان من علوم و نظريات، تحقيقا لقوله تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شيء «١». و لكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، و انحراف به عن هدفه، و لعله إطاحة بشأته في كير من الأحيان، و يبدو من خلال التفسير أنّه لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه هذا الذي سلكه في تفسيره، و لم تلق هذه النزعة التفسيرية قبولا لدى كثير من المثقفين.

التفسير الفريد

و يتلو تفسير الجواهر، تفسير علمي آخر أوجز منه، هو «التفسير الفريد» تأليف العالم الفقيه محمد عبد المنعم الجمال. تفسير تحليلي موجز، شامل لجميع آيات القرآن، اهتم مؤلفه بالتوفيق بين الدين و العلم، و أن يفسر القرآن على ضوء العلم الحديث، مسترشدا في ذلك بأبحاث من العلماء و المفسرين، من دون بسط و استطراد. يقول في المقدمة: (١) الأنعام/ ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٠

«في سنة (١٩٤٩ م) اجتمعت في مدينة لندرة ببعض الإنجليز، الذين أسلموا حديثا، و كانوا يلحون عليّ في أن أوافيهم ببعض التفاسير القرآنية، فاضطرت إلى اقتناء بعض الكتب التي اهتمت بترجمه و تفسير الآيات القرآنية. و قد لاحظت على كثير منها. أنها لا تستجلي معاني القرآن، أو لا تستوعب النواحي العلمية. فسألت الله أن يوفّقني إلى تفسير كتابه على ضوء العلم الحديث».

ثم بين معيار التوفيق بين الدين و العلم، و حدوده قائلا:

«و لا مشاحه في أنّ العلوم مهما تقدّمت فهي عرضة للزلل، فينبغي أن لا يطبق على آياته الكريمة إلّا ما يكون قد ثبت منها قطعيا، و كلّ

نظريّة علميّة تختلف مع آية من آي الذكر الحكيم، لا بدّ أنّها لم تصل بعد إلى سبر غور الحقيقة، فلا زالت معجزات القرآن الكريم يكشفها العلم، ولا زالت العلوم كلما تقدمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين».

هذا وقد سلك المؤلف في تفسيره المسلك العلمي الاجتماعي، الملائم للثقافة العربية في وقته، بما ييسر للناشئة من الشباب المثقف التعرف إلى دين الإسلام، والوقوف على أسرار القرآن وعظمته. وهو تفسير جيّد في ذاته، سهل التناول لذوي الثقافات المختلفة، خال عن الإطالة والاستطرادات المملّة، جزى الله المؤلف خيرا.

والتفسير يقع في أربع مجلّدات، وطبع في القاهرة سنة (١٩٧٠ م)، (١٣٩٠ هـ).

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥١

٢- اللون الأدبي الاجتماعي

إشارة

يمتاز التفسير في هذا العصر، بتلّونه باللون الأدبي الاجتماعي، ونعني بذلك أنّ التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع التقليدي الجافّ، من معالجة مسائل شكلية، كادت تصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وانشغالهم بمباحث فارغة لا تمسّ روح القرآن وحقائقه. وإنّما ظهر عليه طابع آخر و تلّون بلون يكاد يكون جديدا و طارئا على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ تلك المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون والحياة من سنن الاجتماع ونظم العمران.

هذه النهضة الأدبية الاجتماعية قامت بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، قربت القرآن إلى أفهام الناس، في مستوى عام كان أقرب إلى الواقعية من الأمس الدابر.

و إليك من امتيازات هذه المدرسة التفسيرية الحديثة: إنها نظرت إلى القرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين القدامى من التأثير بالمذهب، إلى درجة كانت تجعل القرآن تابعا لمذهبه، فيؤول القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلا متكلفا و بعيدا.

كما أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوّه التفسير بما شوّه به في كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه و جرّأت الطاعنين عليه.

كذلك لم تغتّر هذه المدرسة بما اغتّر به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، التي كان لها أثر سيّئ في التفسير.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٢

ولقد كان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الإسرائيلية، والأحاديث الموضوعية أنّها لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن، من مثل الحروف المقطّعة، وبعض الألفاظ المبهمة الواردة في القرآن، مما أبهمه القرآن إبهاما، ولم تكن غاية في إظهاره حينذاك، كما لم تجرأ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، التي لا تعرف إلّا من جهة النصوص الصحيحة الصريحة، بل قرّرت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملا، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات، في مثل الحياة البرزخية والجنة والنار والحدود والقصور والغلمان وما شابه ذلك، وهذا مبدأ سليم، يقف حاجزا منيعا دون تسرّب شيء من خرافات الغيب المظنون، إلى المقطوع والمعقول من العقائد.

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثير باصطلاحات العلوم والفنون والفلسفة والكلام، التي زجّ بها في التفسير، بدون أن يكون في حاجة إليها، ولم تتناول من ذلك إلّا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط. هذه كلها من الناحية السلبية التي سلكتها هذه المدرسة.

و أما من الناحية الإيجابية، فإن هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا، فكشفت عن بلاغة القرآن و إعجازه في البيان، و أوضحت معانيه و مراميه، و أظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم و نظم الاجتماع، و عالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، و مشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية و تعاليم، و التي جمعت بين خيري الدنيا و الآخرة.

كما وفقت بين القرآن و ما أثبتته العلم من نظريات صحيحة و ثابتة، و جلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني و البشري، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

كما دفعت ما ورد من شبه على القرآن، و فندت ما أثير حوله من شكوك

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٣

و أوهام، بحجج قوية، قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق.

كل ذلك بأسلوب شيق جذاب يستهوى القارئ، و يستولى على قلبه، و يحبب إليه النظر في كتاب الله، و يرغبه في الوقوف على معانيه و أسرار.

و أيضا فإن هذه المدرسة فتحت في وجه التفسير بابا كان مغلقا عليه، منذ زمن سحيق، إنها أعطت لعقلها حرية واسعة النطاق، و أتاحت للعقل و الفكر البشري مجاله الواسع الذي منحه الله له، و رغبه في ذلك. و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون «١».

و من ثم حكمت العقل الرشيد على كل مظاهر الدين، فتأولت ما ظاهره المنافاة مع الحقائق الشرعية الثابتة، و التي دعمها العقل، و عدلت بها عن إرادة الحقيقة إلى المجاز و التمثيل، و بذلك و بهذه الحرية العقلية الواسعة، جارت أهل العدل في تعاليمها و عقائدها، و التي كان عليها السلف النابهنون، و قذفت بتعاليم الأشاعرة المتجمدة وراء الظهور، و بذلك لم تترك مجالاً لأحاديث أهل الحشو أن تتدخل في التفسير، و لا في عقائد المسلمين في شيء من الأصول و الفروع.

فقد طعنت في بعض الأحاديث بالضعف تارة و بالوضع أخرى، رغم ورودها في المجاميع الحديثية الكبرى، أمثال البخاري و مسلم و غيرهما؛ إذ أن خبر الواحد لا تثبت به عقيدة إجماعا، و لا هو حجة في هذا الباب عند أرباب الأصول.

أهم روآد هذه المدرسة

رائد هذه المدرسة الأول و زعيمها و عميدها، هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الذي بنى أساس هذا البنيان الرفيع، و فتح باب الاجتهاد في التفسير بعد ما (١) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٤

كان مغلقا طيلة قرون، فقد نبذ طريقة التقليد السلفي، و أعطى للعقل حرته في النقد و التمحيص. و سار على منهجه الأجلء من تلامذته، أمثال السيد محمد رشيد رضا، و الشيخ محمد محمد القاسمي، و الشيخ أحمد مصطفى المراغي، و من جاء بعدهم جاريا على نفس التعاليم، أمثال السيد قطب، و الشيخ محمد جواد مغنية، و الشيخ محمد الصادقي، و السيد محمد حسين فضل الله، و السيد محمد الشيرازي، و الشيخ سعيد حوى، و الأستاذ محمد علي الصابوني، و السيد محمد تقى المدرسى، و الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. و الذي فاق الجميع في هذا المجال، هو العلامة الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار.

و إليك بعض الكلام عن أهم ما كتب من جلائل التفسير المدون في هذا العصر:

المنار (تفسير القرآن العظيم)

تفسير حافل جامع ولكنه غير كامل، يشتمل على اثني عشر مجلداً وينتهي عند الآية (٥٣) من سورة يوسف. كان من أول القرآن إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء بإنشاء الشيخ محمد عبده (المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ) وإملاء السيد رشيد رضا (المتوفى سنة ١٣٥٤) ومن بعده سار السيد في التفسير متبعا منهج الشيخ في تفسيره للآيات حتى سورة يوسف.

كان الشيخ يلقي دروسه في التفسير بالجامع الأزهر على الطلاب لمدة ست سنوات، وكان السيد رشيد رضا يكتب ما سمعه ويزيد عليه بما ذكره مع الشيخ، وقام بنشر ما كتب في مجلته «المنار» وذلك بعد مراجعة الأستاذ ليقوم بتنقيحه و تهذيبه، أو إضافة ما يكمله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٥

قال الذهبي: كان الأستاذ الإمام، هو الذي قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد، والتحرر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحرّ في كتاباته وبحوثه، ولم يجر على ما جمد عليه غيره من أفكار المتقدمين وأقوال السابقين، فكان له من وراء ذلك آراء وأفكار خالف بها من سبقه. وهذه الحرية العقلية، وهذه الثورة على القديم، كان لهما أثر بالغ في المنهج الذي نهجه الشيخ لنفسه، و سار عليه في تفسيره «١».

قد رسم محمد عبده في تفسيره منهجا تربويًا للأمة الإسلامية، يبعث مقوماتها، ويثير أمجادها، وينادي بآداب القرآن من الشجاعة و الكرامة و الحفاظ، قد حارب جمود الفقهاء و تقليدهم، و تقديم المذاهب على القرآن و السنّة مكانهما الأول من التشريع، و دعا المسلمين إلى استخدام عقولهم و تفكيرهم «٢».

و من خصائص هذا التفسير العناية بمشاكل المسلمين الحاضرة، و التوجّه إلى معالجة أسباب تأخر المجتمع الاسلامي، و إلى إيمان ببناء مجتمع قوى، و عودة الأمة إلى ثورة حقيقية قرآنية على أوضاعها المتخلفة، و مواجهة الحياة مواجهة علمية صحيحة، و العناية التامة إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإسلامية من جديد، و مواجهة أعدائها، و ردّ الغزوات الفكرية الاستعمارية التي شنت على الإسلام عقيدة و تاريخا و حضارة و رجالا، و مناقشتها بالأدلة العلمية و الوقائع التاريخية، و تنفيذها و إثبات بطلانها من ذاتها.

و يتلخص منهج تفسير المنار في البنود التالية: (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٥٤-٥٥٥.

(٢) منهج الإمام محمد عبده- لشحاته- المفسرون، ص ٦٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٦

١- الإسلام هو دين العقل و الشريعة، و هو مصدر الخير و الصلاح الاجتماعي.

٢- القرآن لا يتبع العقيدة، و إنما تؤخذ العقيدة من القرآن.

٣- عدم وجود تعارض بين القرآن و الحقائق العلمية الراهنة.

٤- اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة.

٥- التحفظ في الأخذ بما سُمى بالتفسير المأثور، و التحذير من الأفاصيص الإسرائيلية و المكذوبة.

٦- عدم إغفاله الوقائع التاريخية، و التي لها دخل في فهم معاني القرآن الكريم.

٧- استعمال الذوق الأدبي النزيه في فهم مرامي الآيات الكريمة.

٨- معالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق و السلوك.

٩- تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث القطعي الثابت.

١٠- حذره عن الخوض في الأمور المغيبية عن الحسّ و الإدراك.

١١- موضعه النزيه تجاه سحر السحرة، و لا سيما بالنسبة إلى التأثير في شخصية الرسول.

١٢- موقفه الصحيح من روايات أهل الحشو، حتى و لو كانت في الكتب الصحاح.

موقفه من حقيقة الملائكة والشياطين

و لقد كان من أثر إعطاء الشيخ عبده لنفسه الحرية الواسعة في فهم القرآن الكريم، أنا نجده يخالف رأى جمهور أهل السنة «١»، و يذهب على خلاف مذهب (١) راجع: الذهبى فى التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٧٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٧

الأشعرى فى الأخذ بالظواهر و الجمود عليها، و ترك الخوض فى فهم حقيقتها أو تأويلها، نراه يخالف هذا المسلك السلفى، و يذهب إلى ما ذهب إليه أهل رأى و النظر و التمحيص و أصحاب التأويل، و قد عبر عنهم الذهبى بالمعتزلة و ليسوا هم وحدهم بل و أهل القول بالعدل و تحكيم العقل مطلقا فىرى من الملائكة و الشياطين، القوى الفعالة المودعة فى عالم الطبيعى، فى صالح الحياة أو فسادها، أما إنها موجودات مستقلة ذوات شمائل و أعضاء كشمائل الإنسان و أعضائه، حسب ما فهمه الظاهريون من تعبير الشرع التى هى أمثال و استعارات فلا، نظرا لأنها موجودات لا تسانخ وجود الإنسان بذاته، و لا هى على شاكلته.

قال فى قصة سجود الملائكة لآدم و امتناع إبليس (البقرة: ٣٤):

«و ذهب بعض المفسرين مذهبا آخر فى فهم معنى الملائكة، و هو: أن مجموع ما ورد فى الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات و خلقه حيوان و حفظ إنسان و غير ذلك، فيه إيماء إلى الخاصّة بما هو أدقّ من ظاهر العبارة، و هو أن هذا النموّ فى النبات لم يكن إلّا بروح خاص، نفخه الله فى البذرة، فكانت به الحياة النباتية المخصوصة، و كذلك يقال فى الحيوان و الإنسان، فكلّ أمر كلّى قائم بنظام مخصوص تمتّ به الحكمة الإلهية فى إيجادها، فإنما قوامه بروح إلهى، سمى فى لسان الشرع ملكا، و من لم يبال فى التسمية بالتوقيف يسم هذه المعانى «القوى الطبيعية»، إذا كان لا- يعرف من عالم الإمكان إلّا ما هو طبيعى، أو قوة يظهر أثرها فى الطبيعة. و الأمر الثابت الذى لا نزاع فيه، هو أن فى باطن الخلقه أمرا هو مناطها، و به قوامها و نظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، و إن أنكر غير المؤمن بالوحى تسميته ملكا، و زعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحى تسميته قوةً طبيعىة أو ناموسا طبيعىا؛ لأنّ هذه الأسماء لم ترد فى الشرع، فالحقيقة واحدة و العاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات، و إن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٨

كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا لا يدرك كنهه، و الذى لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح، و لكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها، و لا يعلم إلّا الله، على م يختلف الناس، و كل يقتر بوجود شىء غير ما يرى و يحسّ، و يعترف بأنه لا يفهمه حقّ الفهم، و لا يصل بعقله إلى إدراك كنهه؟ و ما ذا على هذا الذى يزعم أنه لا- يؤمن بالغيب- و قد اعترف بما غيب عنه- لو قال: أصدق بغيب أعرف أثره، و إن كنت لا أقدر قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، و يفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحى، و يحظى بما يحظى به المؤمنون؟

«يشعر كل من فكّر فى نفسه، و وازن بين خواطره، عند ما يهّم بأمر فيه وجه للحقّ أو للخير، و وجه للباطل أو للشر، بأنّ فى نفسه تنازعا، كأنّ الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد و ذاك يدفع، و أحد يقول: افعل، و آخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، و يترجّح أحد الخاطرين، فهذا الشىء الذى أودع فى أنفسنا و نسّميه: قوة و فكرا، و هى فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، و روح لا- تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله ملكا، أو يسمّى أسبابه ملائكة، أو ما شاء من الأسماء، فإنّ التسمية لا حجر فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة، و السلطان النافذ و العلم الواسع! قال: «إذا صحّ الجرى على هذا التفسير، فلا يستبعد أن تكون الإشارة فى الآية إلى أنّ الله تعالى لما خلق الأرض و دبّرها بما شاء من القوى الروحانية التى بها قوامها و نظامها، و جعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات، لا يتعداه و لا يتعدى ما حدّد له من الأثر الذى خصّ به، خلق بعد ذلك الإنسان، و أعطاه قوةً يكون بها مستعدّا للتصرف بجميع هذه القوى، و تسخيرها فى عمارة الأرض، و عبر عن تسخير هذه القوى

له بالسجود، الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له، والتصرف الذي

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٩

لم يعط لغيره، خليفة الله في أرضه؛ لأنه أكمل الموجودات في الأرض، واستثنى من هذه القوى قوة واحدة، عبر عنها بإبليس، و هي القوة التي لزمها الله بهذا العالم لزمًا، و هي التي تميل بالمستعد للكمال، أو بالكامل إلى النقص، و تعارض مدّ الوجود لترده إلى العدم، أو تقطع سبيل البقاء، و تعود بالموجود إلى الفناء، أو التي تعارض في اتباع الحق، و تصدّ عن عمل الخير، و تنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع و المصالح التي تتمّ بها خلافته، فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدًا للوصول إليها، تلك القوة التي ضلّت آثارها قوما فرعموا أنّ في العالم إلها يسمّى إله الشر، و ما هي ياله، و لكنها محنة إله لا يعلم أسرار حكمته إلّا هو. قال: «و لو أن نفسا مالت إلى قبول هذا التأويل، لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك، و العمدة على اطمينان القلب و ركون النفس إلى ما أبصرت من الحق» (١).

ثم يعود في موضع آخر إلى تقرير التمثيل في القصة، فيقول: «و تقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: إنّ إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض و قوى هذا العالم و أرواحه التي بها قوامه و نظامه، لوجود نوع من المخلوقات يتصرّف فيها، فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض. و سؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنه يعمل باختياره، و يعطى استعدادا في العلم و العمل لا حدّ لهما، هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك، و تمهيد لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض. و تعليم آدم الأسماء كلها، بيان لاستعداد الإنسان لعلم كل شيء في هذه الأرض، و انتفاعه به (١) تفسير المنار، ج ١، ص ٢٦٧-٢٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٠

في استعمارها. و عرض الأسماء على الملائكة و سؤالهم عنها و تنصّلهم في الجواب، تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبّرة للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته. و سجود الملائكة لآدم، عبارة عن تسخير هذه الأرواح و القوى له، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك. و إباء إبليس و استكباره عن السجود، تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشرّ و إبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع و التخاصم، و التعدي و الإفساد في الأرض. و لو لا ذلك لجا على الإنسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم، أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري» (١).

انكاره على أهل الحديث في روايتهم للطامات

ثم إنّ الشيخ عبده كان ممن يرى تساهل أهل الحديث في رواياتهم الغثّ و السمين، غير مباليين في متونها أ هي مخالفة لأصول العقيدة أم متنافية مع مباني الإسلام الركنية، الأمر الذي يؤخذ على أهل الحشو في الحديث في ذلك.

قال بشأن قصة زكريا و بشارة الملائكة له بيحيى، و طلبه من الله أن يجعل له آية:

«و من سخافات بعض المفسرين زعمهم أنّ زكريا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحى الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجب، ثم طلب آية للتثبت. و روى ابن جرير عن السديّ و عكرمة: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنّ من الشيطان، قال: «و لو لا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزل و السخف، الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه، و لو لم يكن لمن يروى مثل هذا إلّا هذا (١) تفسير المنار، ج ١، ص ٢٨١-٢٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦١

لكفى في جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه. فعفى الله عن ابن جرير إذ جعل هذه الرواية مما ينشر» (١).

و قال فيما جاء من الروايات في سحر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«و قد رووا هنا أحاديث في أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سحره لبيد بن أعصم، و أثر سحره فيه، حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء و هو لا يفعله، أو يأتي شيئاً و هو لا يأتيه، و أن الله أنباه بذلك و أخرجت مواد السحر من بئر، و عوفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مما كان نزل به من ذلك، و نزلت هذه السورة (سورة الفلق) «٢».

قال: «و لا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً و هو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، و لا- من قبيل عروض السهو و النسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماسّ بالعقل، آخذ بالروح، و هو مما يصدق قول المشركين فيه: **إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** «٣».

و ليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، و خيل له أن شيئاً يقع و هو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى إليه، و لا يوحى إليه.

«و قد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة و لا ما يجب لها:

أنّ الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحّ، فيلزم الاعتقاد به، و عدم التصديق به من بدع المبتدعين؛ لأنه ضرب من إنكار السحر، و قد جاء القرآن بصحة السحر. أنظر كيف ينقلب الدين الصحيح، و الحق الصريح، في نظر المقلد (١) تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) راجع: الدر المنثور، ج ٦، ص ٤١٧. و رواه البخاري و مسلم و ابن ماجه (روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٨٢-٢٨٣).

(٣) الفرقان / ٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٢

بدعته، نعوذ بالله، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، و يعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و عدّه من افتراء المشركين عليه، و يؤوّل في هذه و لا- يؤوّل في تلك، مع أن الذي قصده المشركون ظاهر؛ لأنهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلبسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و ملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم، و ضرب من ضرابه و هو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد، فإنه خولط في عقله و إدراكه، في زعمهم. و الذي يجب اعتقاده، أن القرآن مقطوع به، و أنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت، و عدم الاعتقاد بما ينفيه، و قد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، و وبّخهم على زعمهم هذا، فإذا هو ليس بمسحور قطعاً. و أما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد، و الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، و عصمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، و لا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن و المظنون، على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده. أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة.

«و على أي حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث، و لا نحكمه في عقيدتنا، و نأخذ بنص الكتاب و دليل العقل، فإنه إذا خولط النبي في عقله- كما زعموا- جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً و هو لم يبلغه، أو أن شيئاً نزل عليه و هو لم ينزل عليه، و الأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان «١».

قال الذهبي ناقماً على هذه الطريقة التي هي طريقة أهل الاعتزال: (١) ذكر ذلك في تفسيره لجزء عم ص ١٨٥-١٨٦. و تعرض له في تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٣

«و هذا الحديث الذي يردّه الأستاذ الإمام، رواه البخاري و غيره «١» من أصحاب الكتب الصحيحة، و ليس من وراء صحته ما يخلّ بمقام النبوة. (و علّل عدم الإخلال بأنه من قبيل المرض، و قد عرفت ردّ الإمام عليه بأحسن ردّ) و أضاف قائلاً:

«ثم إن الحديث رواية البخاري و غيره من كتب الصحيح، و لكن الأستاذ الإمام، و من على طريقته، لا يفرقون بين رواية البخاري و

غيره، فلا مانع عندهم من عدم صحته ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد، لا يثبت به إلا الظن، وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبين، وقد قالوا: إن البيان يلتحق بالمبين، قال: «و ليس هذا الحديث وحده الذي يضعفه الشيخ، أو يتخلص منه بأنه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسي»، فمن ذلك أيضا حديث الشيخين «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم و ابنها» فإنه قال فيه: «إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة» (٢).

«فهو لا يثق بصحة الحديث رغم روايته الشيخين له، ثم يتخلص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة، بجعل الحديث من باب التمثيل، وهو ركون إلى مذهب المعتزلة، الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء فقط» (٣).

قلت: الحق أحق أن يتبع، حتى ولو كان القائل به أصحاب الاعتزال؛ إذ الحق (١) صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٧٨. و مسلم ج ٧، ص ١٤. فتح الباري، ج ١٠، ص ١٩٣.

(٢) راجع: تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٤

ضالة المؤمن، أخذها حيث وجدها. فإن كان مذهب أهل الجمود يقضى بالأخذ بالظواهر الظنية، حتى في باب العقائد، التي تستدعي اليقين فيها، فإن مذهب أهل النظر والاجتهاد، يرى وجوب التدبر في آياته تعالى و التعمق فيها؛ ذلك أنه دستور القرآن الكريم، و الذي هدى إليه العقل الرشيد.

نعم لا تقاس عقلية مثل شيخنا الإمام الكبيرة، مع ذهنية أمثال الذهبي الهزيله التي اقتنعت بتقاليد أشعريه سلفيه، رغم منافاتها لأصول الشرع و محكمات القرآن الكريم.

أولا: لا سلطان لإبليس على أحد، سوى وسوسته و إغوائه، قال تعالى فيما يحكيه عن إبليس لما قضى الأمر: «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلَا تَلْمُؤُنِي وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ» (١).

ثانيا: ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» (٢) فلم يكن لإبليس على عباد الله المخلصين حتى سلطان الوسوسة و الإغواء، فكيف بالاستحواذ على عقليتهم الكريمة (٣).

ثالثا: أتى للبيد أن يستحوذ على عقلية مثل الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و هو مثال العقل الأول في عالم الإمكان.

إذن فلا يصح ما ورد في ذلك من تأثير السحر على عقله عليه السلام و لم يثبت شيء من ذلك من طرق أهل البيت عليهم السلام. أما الوارد في جامع البخاري (ج ٧، ص ١٧٨) (١) راجع: المنار، ج ٧، ص ٥١٢-٥١٣. إبراهيم / ٢٢.

(٢) الحجر / ٤٢.

(٣) وقد أنكر الشيخ الإمام إمكان استحواذ الشيطان على عباد الله المخلصين. راجع: المنار، ج ٣، ص ٢٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٥

و فتح الباري (ج ١٠، ص ١٩٣) و مسلم (ج ٧، ص ١٤) فمردود على قائله، و هو من المفتعلات (١).

رأى صاحب المنار في الجن

يرى السيد رشيد رضا ما يراه شيخه و أستاذه في الجن، و أنه لا يرى، و كل من ادعى رؤية الجن فهو مخطئ في إدراكه، و لم يصح في ذلك حديث. و يرجح أن من ادعى رؤية الجن فذلك وهم منه و تخيل، و لا حقيقة له في الخارج، أو لعله رأى حيوانا غريبا كبعض القرود، فظنه أحد أفراد الجن، يقول هذا ثم يعرض في الهامش لذكر حديث أبي هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة، و إخبار

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له بأنه شيطان- وهو في البخارى- وغيره من الأحاديث التي تدل على أن الإنسان يرى الجنى و يبصره، ثم يقول بعد أن يفرغ من سرده للروايات:

و الصواب أنه ليس في هذه الروايات كلها حديث صحيح «٢».

بل و نجده يزيد على ذلك فيجوز أن تكون ميكروبات الأمراض نوعا من الجن؛ و ذلك حيث يقول عند ما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتَّخِذُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُونَ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ: «و المتكلمون يقولون: إن الجن أجسام حيّة خفيّة لا ترى. و قد قلنا في «المنار» غير مرّة: إنه يصحّ أن يقال: إن الأجسام الحيّة الخفيّة التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة و تسمى بالمكروبات، يصحّ أن تكون نوعا من الجن، و قد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض «٣». (١) تكلمنا عن ذلك في التمهيد (ج ١، ص ١٦٣-١٦٩) عند الكلام عن سورتي المعوذتين.

(٢) تفسير المنار، ج ٧، ص ٥١٦، التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٨٤.

(٣) تفسير المنار، ج ٣، ص ٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٦

تفسير القاسمي (محاسن التأويل)

لجمال الدين أبي الفرج محمد بن محمد المعروف بالقاسمي. توفى سنة (١٣٣٢ هـ). ولد في دمشق، و كان معروفا في الفقه و التفسير و الحديث، و كان من زعماء النهضة السياسية ضد الاستعمار في بلاد الشام. كان قد تلمذ على يد الأستاذ الشيخ محمد عبده، فأخذ عنه العلم و السياسة و علم الاجتماع، و أفرغه في تفسيره هذا الممتع. التزم فيه المؤلف بمتابعة آراء السلف و الاهتمام بنظراتهم في الفقه و التفسير، مراعيًا ما توصل إليه العلم، في شيء من الحذر. و من ثم فهو من خير التفاسير المعاصرة، الجامعة بين آراء السلف و نظرات الخلف، مراعيًا جوانب الاحتياط؛ و بذلك قد جمع بين المأثور و المعقول، في سبك رائع و جزالة في الألفاظ و دقة في الآراء. و قد تكلم بلغه أهل عصره في براعة فائقة، و من ثم طار صيته و أصبح من التفاسير المشار إليها بالبنان.

و من ميزات هذا التفسير، اهتمامه البالغ بجانب الإشارات العلمية التي جاءت في القرآن، إنه يعتقد اشتغال القرآن على أسرار من علوم الكون، و من ثم افتتح فصلا في مقدمته تفسيره اختصاصا بالكلام عن المسائل الفلكية الواردة في القرآن، و يتعرّض للقضايا الكونية في الخلق و التدبير، و في النهاية يقول: «من عجب أمر هذا القرآن أن يذكر أمثال هذه الدقائق العلمية العالية، التي كانت جميع الأمم تجهلها، بطريقة لا تقف عندها في سبيل إيمان أحد به، في أي زمن كان، مهما كانت معلوماته، فالناس قديما فهموا أمثال هذه الآيات بما يوافق علومهم، حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنهم كانوا واهمين، و فهمنا معناها الصحيح. فكأن هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين، تظهر لهم كلما تقدمت علومهم ... و هو معجزات للمتأخرين يشاهدونها، و تتجلى لهم كلما

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٧

تقدموا في العلم الصحيح» (١). فرغ من تأليف التفسير سنة (١٣٢٩ هـ).

تفسير المراغي

هو الشيخ أحمد مصطفى المراغي، شقيق الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر في وقته، و تلميذ الإمام الشيخ محمد عبده صاحب تفسير «المنار»، و الذي وضع تفسيره هذا مشاكلا له، و استفادا من بحوث شيخه الأستاذ. توفى سنة (١٣٧١ هـ).

و تفسيره هذا من أشمل التفاسير لحاجة العصر في أسلوبه و في طريق سرد المطالب و نضد المقاصد، متجنبًا القصص الإسرائيلية

المدسوسة و الخرافات الدخيلة. و لا يغفل في أى مناسبة اللجوء إلى علوم الطبيعة فيما يمس فهم كتاب الله العزيز، و من ثم فهو تفسير جيد مفيد في ذاته.

قال الذهبي: «لم نعرف من رجال هذه المدرسة- مدرسة الشيخ محمد عبده- رجلا تأثر بروح الأستاذ الإمام، و نهج على طريقته من التجديد و إطراح التقليد، و العمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي ألصقت به، و تنبيه الغافلين عن هديه و إرشاده، مثل الأستاذ المراغى. تربى هذا الرجل في مدرسة الأستاذ الإمام، و تخرّج منها و هو يحمل بين جنبيه قلبا مليئا بالرغبة في الإصلاح، و الثورة على كل ما يقف في سبيل الإسلام و المسلمين» (٢).

و قد نهج في تفسيره منهج شيخه، نراه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل، و لا يدخل في جزئيات سكت عنها القرآن و أعرض عنها (١) راجع: محاسن التأويل، ج ١، ص ٣٣٧.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٨

الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلّم فلا الروايات الموضوعه أو الضعيفه بكافيه عنده حتى يزجّ بها في تفسيره، و لا الأخبار الإسرائيليه بمقبوله لديه، حتى يجعل منها شروحا لما أجمله القرآن و سكت عن تفصيله.

و ممّا يمتاز به هذا التفسير، عنايته بإظهار أسرار التشريع، فراه يهتم اهتماما كبيرا بإظهار سر التشريع الإسلامى، و حكمه التكليف الإلهى، ليظهر محاسن الإسلام، و يكشف عن هديته للناس.

كما نجده يعرض لمشاكل المجتمع و أسباب الانحطاط في دول الإسلام، فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله عليه من بيان هداية القرآن و إرشاده. فقد كان بصيرا بمواطن الداء و أسباب الشفاء، فكان يهدف في دروسه إلى علاجها و استئصالها، و كان كثيرا ما يوجه الخطاب إلى أرباب الحلّ و العقد في الدولة.

و هكذا وفق في التوفيق بين القرآن و العلم الحديث، رغم اعتقاده أنّ القرآن قد أتى بأصول عامه لكلّ ما يهم الإنسان معرفته و العلم به، و كراهته أن يسلك المفسر للقرآن مسلك من يجزّ الآيه القرآنيه إلى العلوم، أو العلوم إلى الآيه، كى يفسرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريات العلم الحديث، و لكن مع ذلك كان يرى أن يكون المفسر على شىء من العلم ببعض نظريات العلم الحديث، ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً على قدرة الله، و يستلهم منها مكان العبرة و العظة.

في ظلال القرآن

لسيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلى، المستشهد سنة (١٣٨٦ هـ) على يد طغاة مصر الحاكمة حينذاك. نشأ المؤلف في بيئه إسلاميه عريقه، و كان والده من المؤمنين المتعهدين، ولد سنة (١٣٢٦ هـ) في قرية موشا من محافظة أسيوط، ثم ارتحل إلى القاهره و كانت دراساته العليا هناك. كان كاتباً إسلامياً مجيداً، له في

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٩

الإسلاميات كتب و رسائل مفيدة، تهدف إلى الحركة الإسلاميه المتناسبه مع النهضه العلميه الحديثه، فكان تفسيره هذا من خير التفاسير الأدبيه الاجتماعيه الهادفه إلى إحياء الحركة الإسلاميه العتيده. فمن أهدافه إزاحة الفجوة العميقه بين مسلمى العصر الحاضر و القرآن الكريم، و تعريف المسلمين إلى المهمه العلميه السياسيه التي قام بها القرآن، و بيان الحميه الجهاديه التي يهدفها القرآن الكريم.

إلى جنب تربية الجيل المسلم تربية قرآنيه إسلاميه كامله، و بيان معالم هذا الطريق الذى يجب على المسلمين سلوكه.

و كان منهجه في التفسير: أولاً، عرض آيات مترابطه بعضها مع البعض، فى مجموعه منسجمه، و بيان الهدف الكلى للسوره، ثم للآيات

المعروضة. و تقسيم السور إلى دراسات، تقسيماً موضوعياً، لتعتبر كل مجموعة من الآيات ذات وحدة موضوعية، و ذات هدف معين خاص.

ثم يحاول تفسير الآيات- في ذوق أدبي خالص- ببيان الأهداف الكلية التي ترمى إليها الآيات، من غير تعرض للجزئيات، كما يجتنب من ذكر الإسرائيليات، و الروايات الموضوعية أو الضعيفة، كما يجتنب الخوض في مسائل الخلاف، و هكذا يتجنب التعرض للعلوم القديمة و الحديثة التي لا- علاقة لها بفهم معاني الآيات الكريمة، و يعتبر التعرض لها جفاء بالقرآن؛ لأنه في غنى عنها، يقول هو في ذلك:

«و أنى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، و أن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، و أن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب و الكيمياء و الفلك و ما إليها، كأنما يعظموه بهذا و يكبروه. إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، و موضوعه أضخم من تلك العلوم كلها؛ لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات و ينتفع بها، و البحث و التجريب

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٠

و التطبيق من خواص العقل في الإنسان، و القرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته و ضميره و عقله و تفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأنه يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه» (١).

الميزان في تفسير القرآن

تأليف العلامة الحكيم السيد محمد حسين الطباطبائي، من رجالات الفكر الإسلامي القلائل الذين انتجهم الحياة العلمية الإسلامية في العصر الأخير. ولد بتبريز سنة (١٣٢١ هـ) و توفي بقم سنة (١٤٠٢ هـ).

و هو تفسير جامع حافل بمباحث نظرية تحليلية ذات صبغة فلسفية في الأغلب، جمع فيه المؤلف إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة، أموراً مما أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، و ما يضلّلون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم، و فهم عميق لنصوصه الحكيمه. و لهذا التفسير القيم مزايا جمّة نشير إلى أهمها:

١- جمع بين نمط التفسير: الموضوعي و الترتيبي، فقد فسّر القرآن آية فآية و سورة فسورة. لكنه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع البعض، لبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلما مرّ بآية ذات هدف موضوعي، و كانت لها نظائر متبثّة في سائر القرآن.

٢- عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن، كل سورة هي ذات هدف أو أهداف معينة، هي تشكّل بنية السورة بالذات، فلا تتم السورة إلّا (١) راجع: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٦٠، ج ٢، ص ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧١

عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة، و بذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها. يقول هو في ذلك: «إن لكل طائفة من هذه الطوائف من كلامه تعالى التي فضّلها قطعاً قطعاً و سمّى كل قطعة سورة نوعاً من وحدة التأليف و الائتلاف، لا يوجد بين أبعاض من سورة، و لا- بين سورة و سورة، و من هنا نعلم أن الأغراض و المقاصد المحصّلة من السور مختلفة، و أنّ كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص و لغرض محصّل، لا تتم السورة إلّا بتمامه» (١).

٣- نظرية «الوحدة الكلية» الحاكمة على القرآن كلّها، باشماله على روح كلية سارية في جميع آياته و سوره، و تلك الروح هي التي تشكّل حقيقة القرآن الأصلية السائدة على أبعاضه و أجزاءه. يرى المؤلف: أنّ وراء هذا الظاهر من ألفاظ و كلمات و حروف روحاً

كلياته، كانت هي جوهر القرآن الأصيل، و كانت بمثابة الروح في الجسد من الإنسان.

قال في ذلك: «فالمحصل من الآيات الشريفة أن وراء ما نقرؤه و نعقله من القرآن، أمرا هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد، و المتمثل من المثال، و هو الذي يسميه تعالى بالكتاب الحكيم، و هو الذي تعتمد عليه معارف القرآن، و ليس من سنخ الألفاظ و لا المعاني» (٢).

و بذلك و بالذي قبله، تتشكّل وحدة السياق في القرآن، كما لا يخفى.

٤- الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن». فقد حقق المؤلف هذا الأمر و أوجده ببيان؛ اذ نراه يعتمد في تفسيره على القرآن ذاته، فيرى أن غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان هو تبيانا لكل شيء فيا ترى كيف يكون (١) الميزان، ج ١، ص ١٤ (ط. طهران) و ص ١٦ (ط. بيروت).

(٢) الميزان، ج ٣، ص ٥٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٢

القرآن تبيانا لكل شيء و لا يكون تبيانا لنفسه؟! لكن التزام تفسير القرآن بنفسه، يتطلب جهدا بالغا و إحاطة تامه، و قد لمسناه في مفسرنا العلامة، و وجدناه على قدره فائقه في ذلك.

يقول هو في ذلك: «الطريقة المرضية في التفسير هي أن نفسّر القرآن بالقرآن، و نشخص المصاديق و نتعرّفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» (١) و حاشا القرآن أن يكون تبيانا لكل شيء و لا يكون تبيانا لنفسه» (٢).

الفرقان في تفسير القرآن

تأليف الشيخ محمد الصادق الطهراني، و قد تمّ تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧-١٤٠٧ هـ)، و كان بصورة محاضرات يلقيها على طلبة العلوم الدينية في الحوزتين النجف و قم. و هو تفسير جامع شامل، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الإمكان، و هو تحليلي تربوي اجتماعي، مع الاستناد إلى أحاديث يراها صحيحة و أخرى ملائمة مع ظواهر القرآن، و لذا احترز عن الإسرائيليات بشكل قاطع، و كذا عن الأحاديث الموضوعية و الضعيفة. و بما أن المؤلف يعدّ من الفقهاء، فإن في تفسيره الشيء الكثير من التعرّض لمسائل الفقه و الأحكام بصورة مبسّطة، و هكذا تجده يفصّل في المسائل الكلامية الاعتقادية في نزاهة، كما و يجتنب تحميل القرآن بنظرات العلم الحديث، و يرى أن القرآن في غنى عن ذلك، اللهم إلّا إذا رفع بذلك إبهام في إشارات عابرة جاءت في القرآن، على (١) النحل / ٨٩.

(٢) الميزان، ج ١، ص ٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٣

شرط أن تكون النظرية ثابتة؛ و لذلك نراه يحمل على الشيخ طنطاوي في ولعه بحمل النظريات العلمية على القرآن. و في ذلك يقول: «و من ذلك كثير عند المتفرنجين من المفسرين الذين غرقوا في العلوم و النظريات الجديدة، و نسوا أن القرآن هو علم الله، فلن يتبدّل، و العلم دوما في تبدّل و تحوّل من خطأ إلى صواب و من صواب إلى أשוב» (١).

من هدى القرآن

تفسير تربوي تحليلي شامل، يبحث فيه المؤلف هو السيد محمد تقى المدرسى عن الربط الموضوعي بين الواقع المعاش، و بين الحقائق الراهنة و الدلائل البينة التي أبانها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، كمنهج تربوي و أخلاقي، يستهدف وضع الحلول الناجعة

لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام الساعة. قال المؤلف: «و اعتمدت فيه على منهج التدبر المباشر، انطلاقا مما بينته في التمهيد، أى منهج الاستلهاً مباشرة من الآيات، و العودة إلى القرآن ذاته، كلما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذى علمنا إياه الرسول الكريم و أئمة أهل البيت عليهم السّلام حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه» «٢» فكان تفسيراً تحليلياً تربوياً، لم توجد فيه المعجمات الجدلية، و لا الخرافات الإسرائيلية، معتمداً شرح الآيات و ذكر مقاصدها العالیه و أهدافها السامية، و معالجة أدواء المجتمع معالجةً ناجعةً موفقةً.

تم تأليف الكتاب سنة (١٤٠٥ هـ)، فى (١٨) مجلداً، و طبع سنة (١٤٠٦) (١) الفرقان فى تفسير القرآن، ج ١، ص ٣١.

(٢) من هدى القرآن، ج ١، ص ٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٤

ب طهران.

من وحى القرآن

تفسير تربوى اجتماعى شامل، و يعدّ من أروع التفاسير الجامعة، النابعة من روح حركية نابضة بالحويّة الإسلامية العريقة. انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله، من ألمع علماء الإسلام فى القطر اللبناى يعمل فى إحياء الجوّ القرآنى فى كل مجالات الحياة المادية و المعنوية، نظير ما صنعه سيد قطب فى تفسيره «فى ضلال»، مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت فى تربية الجيل المسلم، و متناسبا مع كل دور من أدوار الزمان.

و قد بدأ المؤلف بمقدمة فى بيان هدفه من التفسير و الخطوات الأساسية التى مشى عليها، قال: «هل هذا كتاب تفسير، و هل نحن بحاجة إلى تفسير جديد أمام هذا الحشد من التفاسير، التى لم تترك جانباً من جوانب المعرفة القرآنية، إلّا و أفاضت فى تحليله و توسيعه و تعميقه، من الجوانب اللغوية، إلى الجوانب البلاغية و الفلسفية، و النفسية و الاجتماعية ... و ما تزال المحاولات مستمرة فى استحداث آفاق جديدة لتفاسير جديدة؟ و الجواب: إننا لم نكتب هذه الأبحاث فى البداية كمحاولة تفسيرية جديدة، بل كانت دروساً قرآنية تلقى على مجموعة من الطلاب المؤمنين المثقفين، من أجل خلق وعى قرآنى يركّز الوعى الإسلامى على قواعد ثابتة. انطلقت هذه الدروس فى خط عملى متحرك يركّز على استيحاء أجواء القرآن، من أجل أن نعيش تلك الأجواء فى حياتنا الإسلامية الصاعدة؛ لأن القرآن ليس كلمات لغوية تتجمّد فى معناها اللغوى، بل هى كلمات

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٥

تتحرك فى أجواء روحية و عملية ...» «١».

و من ثم يغلب على التفسير الطابع التربوى بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحى، يتجسّد فى الارتقاء بالإنسان فى كل مجالاته المختلفة، و يسعى إلى إحداث عملية التكيف و التفاعل بين الكائن الأدمى و بيئته الطبيعية و الاجتماعية، لتحقيق خلافة الله فى الأرض «٢».

و هكذا يمتاز هذا التفسير بأسلوبه الأدبى الرائع، مع المزج بينه و بين الأسلوب العلمى المتأدّب التزيه، مما يجعل الكتاب رائعا يجذب القارئ إليه جذبا، و يجعله يتفاعل معه مغرما به.

و قد تم تأليف هذا التفسير القيم عام (١٣٩٩ هـ)، و طبع عدة طبعات، و لا تزال تعاد طبعاته، حسب رغبة الجيل المثقف من الأمة فى اقتنائه و الاستضاءة بأنواره، لا زال المؤلف مؤيدا مسدداً.

تفسير نمونه (الأمثل)

هو أول تفسير نموذجي ظهر إلى الوجود، و كان قد تعاون عليه جمع من فضلاء الحوزة العلمية بقم المقدسة؛ و ذلك خلال مدة (١٤) سنة (١٣٩٦-١٤١٠ هـ) و لهذا كان التفسير عملا جماعيا، قد بذلت في تدوينه جهود، و لكن تحت إشراف العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، أحد أعلام العصر، و من المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية، صاحب تأليف إسلامية عريقة، و صاحب نظر و رأي و اجتهاد. (١) تفسير من وحى القرآن، ج ١، ص ٨.

(٢) رسالة القرآن، العدد الرابع، مقال: الملامح العامة لتفسير «من وحى القرآن»، ص ٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٦

و هذا التفسير إنما دوّن و كتب ليكون غذاء نافعا للجيل المعاصر؛ و لذلك جاء بالأهم من المواضيع الإسلامية، التربوية و الأخلاقية، و متناسبا مع المستوى العام، فكانت خدمته جليلة أسداها الشيخ مكارم و أعوانه، و قدّموها للجيل المتعطّش إلى فهم معاني القرآن بشكل واسع، و الاستقاء من مناهله العذبة. جاء في المقدمة: «لكل عصر خصائصه و ضروراته و متطلباته، و هي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية و الفكرية السائدة في ذلك العصر، و لكل عصر مشاكله و ملاسباته الناتجة عن تغيير المجتمعات و الثقافات، و هو تغيير لا ينفك عن مسيرة المجتمع التاريخية، و المفكر الفاعل في الحياة الاجتماعية، هو ذلك الذي فهم الضرورات و المتطلبات، و أدرك المشاكل و الملاسبات. و قد واجهنا دوما أسئلة وردت إلينا من مختلف الفئات، و خاصّة الشباب المتعطّش إلى نبع القرآن عن التفسير الأفضل، كانت هذه الأسئلة تنطوي ضمنا على بحث عن تفسير يبيّن عظمة القرآن عن تحقيق لا عن تقليد، و يجيب على ما في الساحة من احتياجات و تطلّعات و آلام و آمال. تفسير يجدي كل الفئات، و يخلو عن المصطلحات العلمية المعقّدة، و نحن نفتقر إلى تفسير مثل هذا. فالسلف و المعاصرون كتبوا في ذلك كثيرا، و لكنها بأساليب خاصة بالعلماء و الأدباء، و على مستويات رفيعة» (١). فمن هنا لم يجدوا بدّا من الإقدام على مثل هذا التفسير بهذا الشكل الصالح للفهم العام، الأمر الذي يجعل من هذا التفسير على أهمية كبرى في سبيل التثقيف العام، خدمة جليلة مشكورة.

و هذا التفسير قد كتب بالفارسية في (٢٧) مجلدا، و ترجم إلى العربية باسم «الأمثل» في (٢٠) مجلدا. و طبع عدة مرات. (١) الأمثل، ج ١، ص ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٧

الكاشف

للكتاب العلامة الشيخ محمد جواد مغنّيه، من كبار علماء لبنان (١٣٢٢-١٤٠٠ هـ) المتخرّجين من حوزة النجف الأشرف. عيّن قاضيا شرعيا في بيروت، ثم مستشارا للمحكمة العليا، فريسا لها بالوكالة. و عرضت عليه الرئاسة، لكنّه رفض و انعزل، و انصرف إلى التأليف، فأخرج العديد من المؤلفات ذوات الاعتبار، منها هذا التفسير القيم، أخرجه في سبع مجلدات، و طبع عدة طبعات. و كان الشيخ مغنّيه من الدعاة إلى التقريب بين المذاهب، و كتب رسالات و مقالات في مجلّة «رسالة الإسلام» بهذا الشأن، و أحسن و أفاد.

و يعدّ تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلائم و حاجة المسلمين في هذا العصر. و لقد أجاد في هذا المضمار، و أوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلّبات الزمن، في عبارات شيقه رصينه، و دلائل متينة معقولة، من غير أن يتغافل عمّا حقّقه المفسرون السلف و زاد عليه الخلف. فكان تفسيرا جامعا و شاملا و مجيبا على أسئلة الجيل الحديث، فجراه الله خير الجزاء.

و هناك تفسير آخر بنفس الاسم «كاشف» تفسير فارسي، تعاون على تأليفه، كلّ من الأستاذ السيّد محمد باقر حجتى، و الأستاذ عبد الكريم الشيرازي، من أساتذة جامعة طهران. يقع في ١٢ مجلدا، و طبع منذ عام (١٤٠٤ هـ) عدة طبعات.

و يعدّ تفسيرا جديدا في بيان الشكل الموزون لسور القرآن و نظمها، و مناسبات الآيات و السور و تبيينها و تفسيرها، مع الاهتمام بالبيان

اللغوى، و ترجمته تفسيرية موجزة، و ذكر الصور و الأشكال و الجداول الإحصائية و الرسوم الجغرافية لتوضيح المعنى، مما تتطلبه حاجة الطلبة الجامعيين اليوم و قد حاولوا

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٨

جهدهما فى عرض معلومات قرآنية هى بحاجة للجيل الجديد، مما لا يتاح غالبا العثور عليها فى سائر التفاسير أو هى بعيدة عن متناول الشباب المثقف فى العصر الحاضر. فقد كانا موقفين فى هذا الهدف السامى، جزاهما الله خيرا.

مخزن العرفان

تفسير حافل جامع، هو من خير التفاسير التى أنتجها الجيل الجديد، فى أسلوب رائع بديع، فى خمسة عشر مجلدا، باللغة الفارسية السهلة السلسة، وضعتها مفخرة النساء الإيرانيات، السيدة نصرت بنت السيد محمد على أمين، من كبار علماء أصفهان.

و قد تفرّدت أصفهان من بين البلاد الإسلامية، بهذه السيدة الجليلة، التى انصرفت بمجهودها نحو العلوم الإسلامية، حتى نالت درجة عالية من الاجتهاد فى الفقه و فى سائر العلوم الأدبية و الفلسفية و العرفان، فى أرقى درجات.

و هذه السيدة المعروفة ب «بانو امين» قد بذلت جهدها البالغ فى تربية النساء الفاضلات فى شتى مناحى إيران الإسلامية. و قد ازدهر البلاد بكثرة من هذه النساء العالمات، و لا تزال تزدهر البلاد بالتوسع فى سبيل تثقيف المرأة المسلمة ثقافة إسلامية عريقة و راقية؛ كل ذلك بفضل جهود هذه السيدة الفاضلة الواعية.

و توفيت سنة (١٤٠٣ هـ) عن عمر ناهز التسعين، فلقد عاشت سعيدة و ماتت حميدة. فرحمة الله عليها و بارك فى علمها باقيات صالحات.

و لها فى شتى العلوم و المعارف الإسلامية كتب و رسائل قيمة، لا تزال موضع انتفاع طلاب العلم و رواد المعرفة. و التفسير وضع على أسلوب تربوي، يعمد إلى تركية النفس، ثم إلى تهذيب الأخلاق، فى شكل جيد بديع. و يعدّ من خير الآثار، فجزاها الله خير الجزاء

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٩

الصالحات.

و هناك تفاسير أخر باللغتين الفارسية و العربية، دؤنت أخيرا على أثر النهضة الدينية و الحركة الثقافية، فى ربوع إيران الإسلامية. نظوى الكلام عن ذكرها، و نحيل الطالب إلى ما جمعه الفاضل العلامة السيد محمد على أيازى فى موسوعته القيمة «المفسرون حياتهم و منهجهم». و هو كتاب حافل جامع لأنواع التفاسير التى زحرت بها البلاد الإسلامية و لا سيما فى العصر الحاضر، جزاه الله خيرا.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٠

تفاسير أدبية

إشارة

هناك تفاسير غلب عليها الطابع الأدبي، النحو و البلاغة و سائر علوم اللغة، و امتازت بالتعرض لهذه الجوانب من تفسير القرآن، نذكر الأهم منها:

الكشاف

إشارة

للعلامه جار الله الزمخشري. هو أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي. ولد سنة (٤٦٧) و توفي سنة (٥٣٨ هـ) كان معتزلي الاعتقاد، متجاهرا بعقيدته، و بنى تفسيره هذا على مذهب الاعتزال، طاعنا في تفاسير حادت عن جادة العقل بطواهر هي متنافية مع نصّ الشرع. و هو تفسير قيم لم يسبق له نظير في الكشف عن جمال القرآن و بلاغته و سحر بيانه، فقد امتاز المؤلف بإلمامه ببلغه العرب و المعرفة بأشعارهم و الإحاطة بعلوم البلاغة و البيان و الإعراب. و لقد أضفى هذا النبوغ العلمي الأدبي على تفسير الكشاف ثوبا جميلا، لفت إليه أنظار العلماء، و علق به قلوب المفسرين، و من ثمّ أثنى عليه كثير من أولى البصائر في الأدب و التفسير و الكلام. غير أن أصحاب الرأي الأشعري نقموا عليه صراحته بمذهب الاعتزال، و تأويله لكثير من ظواهر الآيات المنافية مع دليل العقل.

إنّ نظرة الزمخشري في دلالة الآيات الكريمة نظرة أدبيّة فاحصة، و كان فهمه لمعاني الآيات فهما عميقا غير متأثر بمذهب كلامي خاص، فهو لا ينظر في الآيات من زاوية مذهب الاعتزال، كما رموه بذلك. بل من زاوية فهم إنسان حرّ، عاقل أريب، و يحلّل الآيات تحليلا أدبيا في ذوق عربي أصيل، الأمر الذي التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨١ يتحاشاه أتباع مذهب الأشعري.

مثلا عند ما تعرّض لتفسير قوله تعالى: «وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» (١) يقول: و الوجه عبارة عن الجملة. و الناصرة: من نضرة النعيم. إلى ربها نظرة: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره. و هذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: «إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمُسْتَقَرُّ» (٢)، «إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمَسَاقُ» (٣)، «إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» (٤)، «وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» (٥)، «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (٦)، «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (٧). كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، و معلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، و لا تدخل تحت العدد، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فاخصاصه بنظرهم إليه، لو كان منظورا إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. و الذي يصح معه، أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقّع و الرجاء. و منه قوله القائل:

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك زدنتي نعمًا

و سمعت سرويةً مستجديّة بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم، (١) القيامة / ٢٢-٢٣.

(٢) القيامة / ١٢.

(٣) القيامة / ٣٠.

(٤) الشورى / ٥٣.

(٥) آل عمران / ٢٨، النور / ٤٢، فاطر / ١٨.

(٦) البقرة / ٢٤٥.

(٧) الشورى / ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٢

و يأوون إلى مقائلهم، تقول: «عينتي نويظرة إلى الله و إليك». و المعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة و الكرامة إلّا من ربّهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجون إلّا إياه (١).

أنظر إلى هذا التحقيق الأنيق الذي سمحت به قريحه مثل الزمخشري العلامة الأديب الأريب، و لكن أصحاب الرأي المعوج لم يرقهم هذا البيان الكافي الشافي، فجعلوا يهرولون حوله في ضجيج و عويل، زاعمين أنه خالف رأى أهل السنة، و أوّل القرآن وفق مذهب الاعتزال.

هذا ابن المنير الاسكندري تراه يهاجم الزمخشري في لحن عنيف، قائلا: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يدندن و يطبل في جحد الرؤية، و يشقق القباء و يكثر و يتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاها، صنع في مصادمتها بالاستدلال ... و ما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، و لا يؤثر عليه غيره، كما لا يصرف العاشق إذا ظفر برؤية محبوبه النظر عنه، فكيف بالمحب لله عزّ و جل إذا أحطاه النظر إلى وجهه الكريم. نسأل الله أن يعيدنا من مزلق البدعة و مزلات الشبهة «٢».

و يقول الشيخ محمد عليان- في الهامش أيضا:- عدم كونه تعالى منظورا إليه، مبنى على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنة جوازها.

و قال الشيخ أحمد مصطفى المراعى إلى ربّها ناظرة: أى تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب. قال جمهور أهل العلم: المراد بذلك ما تواترت به الأحاديث (١) تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٦٦٢.

(٢) بهامش التفسير، ج ٤، ص ٦٦٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٣

الصحيحة، من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر. قال ابن كثير: و هذا بحمد الله مجمع عليه من الصحابة و التابعين و سلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام و هداة الأنام. و روى البخارى: «أنكم سترون ربكم عيانا». و روى الشيخان: «أن ناسا قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون فى رؤية الشمس و القمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا: لا، قال: فانكم ترون ربكم كذلك» «١».

و قد أكثر أهل الحديث من روايات بهذا الشأن، أخذ بظاهرها السلف، و من تبعهم من أهل الظاهر «٢».

و استدل شيخ أهل السنة أبو الحسن الأشعري بهذه الآية على جواز رؤية الله فى الآخرة، و استشهد بموضع «إلى» من هذه الآية، قال: و جوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة أى رائية؛ إذ ليس يخلو النظر من وجوه ثلاثة: إما نظر الاعتبار، كما فى قوله تعالى: أ فلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت «٣»، أو نظر الانتظار، كما فى قوله تعالى: ما ينظرون إلا صيحة واحدة «٤»، أو نظر الرؤية. أما الاول فلا يجوز؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار. و كذا الثانى؛ لأن النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه؛ و لأنّ نظر الانتظار لا يقرن ب «إلى»، كما فى قوله تعالى: فناظرة بم يزجج المرسلون «٥». قال: فان قال قائل: لم لا يجوز أن يراد «إلى ثواب ربها ناظرة»؟ قيل له: ثواب الله غيره، و قد قال تعالى: (١) تفسير المراعى، ج ١٠، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) راجع: الطبرى، ص ٧٣-٧٥. و ابن كثير، ج ٢، ص ٤١٤. و كذا القشيري، ج ٣، ص ٩١.

(٣) الغاشية / ١٧.

(٤) يس / ٤٩.

(٥) النمل / ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٤

إلى ربها ناظرة، و لم يقل: إلى غيره ناظرة، و القرآن على ظاهره، و ليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة «١».

أما أهل العدل و التنزيه فكانت نظرتهم فى توحيد الله نظرة فى غاية السموّ و الرفعة، فطبّقوا قوله تعالى: ليس كمثله شيء «٢» أبداع تطبيق، و فضّلوه خير تفصيل، و حاربوا الأنظار الوضعية التى تثبت أن لله تعالى جسما، و أنّ له وجها و يدين و عينين، و له جهة فوقية، و عرش يستوى عليه جالسا، و أنه يرى بالأبصار، إلى آخر ما قالته الأشاعرة و أذناهم من المشبهة و المجسمة. فأتى أهل العدل و سموا على هذه الأنظار، و فهموا من روح القرآن: تجريد الله عن المادية، فساروا فى تفسيرها تفسيراً دقيقاً واسعاً، و أولوا ما يخالف هذا المبدأ، و سلسلوا عقائدهم تسلسلا منطقياً.

و قد فضّل الكلام- فى نفي رؤيته تعالى- القاضى عبد الجبار فى كتابه «شرح الأصول الخمسة» «٣» و أوفى البحث حقّه. و هكذا

الخوارجا نصير الدين الطوسي في مختصر العقائد «التجريد» (٤).

و ملخص الكلام في نفى الرؤية: أن النظر بالعين عبارة عن إشعاع نورى يحيط بالجسم المرئى، الأمر الذى يستدعى مقابلة و مواجهة، و هو يلزم الجسمية. و الآية الكريمة تصف موقف المؤمنين فى ذلك اليوم، أنهم على رغم (١) راجع: كتاب «الإبانة» لأبى الحسن الأشعري، ص ١٠-١٩. و «اللمع» له أيضا ص ٦١-٦٨.

(٢) الشورى / ١١.

(٣) باب نفى الرؤية، ص ٢٣٢-٢٧٧.

(٤) شرح تجريد العقائد للعلامة الحسن بن المطهر الحلى، ص ١٦٣-١٦٥. ط. بمبئى.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٥

أهواله الجسم مبهجون مسرورون، ليس لشيء إلما لأنهم منصرفون بكليتهم عن غيره تعالى، و متوجهون بكل وجودهم إلى الله. و النظر بهذا المعنى يتعدى ب «إلى» كما جاء فى قوله السروية، و قول الشاعر:

إنى إليك لما و عدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

و كانت عائشة تنكر أشد الإنكار إمكان رؤيته تعالى بالأبصار. ففى حديث مسروق عنها المتفق عليه قال: قلت لعائشة: يا أمتاه، هل رأى محمد ربه ليلة المعراج؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، و قد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت لا تُدرِكُه الأبصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأبصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ... «١»، و من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَدًا «٢»، و من حدثك أنه ... كتم شيئا من الدين، فقد كذب ثم قرأت يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... «٣»

هذا حديث متفق عليه رواه الشيخان و غيرهما من أصحاب الصحاح «٤».

و هكذا كان مجاهد يقول فى آية القيامة إلى ربها ناظرة: تنتظر ثواب ربها. فى حديث رواه عبد بن حميد عنه، قال الحافظ ابن حجر: سنده إلى مجاهد صحيح «٥». (١) الأنعام / ١٠٣.

(٢) لقمان / ٣٤.

(٣) المائدة / ٦٧.

(٤) تفسير المنار، ج ٩، ص ١٥٣.

(٥) المصدر، ص ١٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٦

و من ثم فإن النابهن من الأمة، و لا سيما فى عصر متأخر، هبوا ينكرون إمكان رؤيته تعالى على الإطلاق؛ إذا كان المقصود من الرؤية الإحاطة بذاته المقدسة بتحديد العين إليه، فإنه محال البتة، فإنه ملازم للتقابل و الجسمية المحالين عليه سبحانه.

قال صاحب المنار فى وجل من أصحابه فى الخروج من مذهب أسلافه:

و أما رؤية الرب تعالى فربما قيل بادئ الرأى: إن آيات النفى فيها أصرح من آيات الإثبات، كقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، و قوله تعالى: لا تُدْرِكُه الأبصارُ فهما أصرح دلالة على النفى من دلالة قوله تعالى: وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إلى ربها ناظرة على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار، كثير فى القرآن و كلام العرب، كقوله: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً «١»، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ «٢»، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ «٣». و ثبت أنه استعمل بهذا المعنى متعديا ب «إلى»؛ و لذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الآخر- و هو توجيه الباصرة، إلى ما تراد رؤيته- أنه أسند إلى الوجوه، و ليس فيها ما يصح إسناد النظر إليها إلما العيون الباصرة، و هو فى الدقة كما ترى (أى ليس ذلك ظاهر الآية ظهورا عرفيا) «٤». و لصاحب المنار هنا فى توجيهه و تأويله كلام أهل

- السنة كلام طويل، لا يستغنى الباحث عن مراجعتها.
- و لنا أيضا بحث مستوف بمسألة الرؤية عرضناه في بحث المتشابهات «٥». (١) يس / ٤٩.
- (٢) الأعراف / ٥٣.
- (٣) البقرة / ٢١٠.
- (٤) تفسير المنار، ج ٩، ص ١٣٤.
- (٥) راجع: التمهيد، ج ٣، ص ٩٠ - ١١١.
- التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٧

اعتماده على التأويل و التمثيل

و هكذا نجد الزمخشري يعتمد في تفسيره على ضروب من التأويل و المجاز و التمثيل، فيحمل ما ظاهره التنافي مع العقل أو الأصول المتلقاة من الشرع، على ضرب من التمثيل و الاستعارة و المجاز، الأمر الذي أثار نعرات خصومه أهل السنة و الجماعة، ناقمين عليه تصريحه لظواهر آيات القرآن الحكيم.

مثلا نجده عند تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب، يقول:

قوله: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ وَ هُوَ يَرِيدُ بِالْأَمَانَةِ الطَّاعَةَ، فَعَظَّمَ أَمْرَهَا وَ فَحَّمَ شَأْنَهَا، وَ فِيهَا وَجْهَان:

أحدهما: أَنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامَ الْعِظَامَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ، قَدْ انْقَادَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ عَلَا، انْقِيَادَ مِثْلِهَا، وَ هُوَ مَا يَتَأْتَى مِنَ الْجَمَادَاتِ، وَ أَطَاعَتْ لَهُ الطَّاعَةَ الَّتِي تَصَحَّحُ مِنْهَا وَ تَلِيْقُ بِهَا؛ حَيْثُ لَمْ تَمْتَنِعْ عَلَى مَشِيئَتِهِ وَ إِرَادَتِهِ إِيجَادًا وَ تَكْوِينًا وَ تَسْوِيَةً عَلَى هَيَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ أَشْكَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ، كَمَا قَالَ: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ «١». وَ أَمَا الْإِنْسَانُ فَلَمْ تَكُنْ حَالَهُ - فِيمَا يَصَحَّحُ مِنْهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَ يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الْانْقِيَادِ لِأَوْامِرِ اللَّهِ وَ نَوَاهِيهِ، وَ هُوَ حَيْوَانٌ عَاقِلٌ صَالِحٌ لِلتَّكْلِيفِ - مِثْلَ حَالِ تِلْكَ الْجَمَادَاتِ فِيمَا يَصَحَّحُ مِنْهَا وَ يَلِيْقُ بِهَا مِنَ الْانْقِيَادِ، وَ عَدَمِ الْاِمْتِنَاعِ.

و المراد بالأمانة، الطاعة؛ لأنها لازمة الوجود، كما أنّ الأمانة لازمة الأداء.

و عرضها على الجمادات، و إباؤها و إشفاقها: مجاز.

و أما حمل الأمانة، فمن قولك: فلان حامل للأمانة و محتمل لها، تريد أنه لا يؤدّيها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته و يخرج عن عهدها؛ لأنّ الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها و هو حاملها. ألا تراهم يقولون: ركبتة الديون. ولى عليه (١) فصلت / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٨

حق، فإذا أذاها لم تبق راكبة له و لا هو حامل لها. و نحوه قولهم: لا يملك مولى لمولى نصرا، يريدون أنه يبذل النصرة له و يسامحه بها، و لا يمسكها كما يمسك الخاذل. و منه قول القائل:

أخوك الذي لا تملك الحسّ نفسه و ترفض عند المحفظات الكنائف «١»

أى لا يمسك الرقة و العطف إمساك المالك الضنين ما فى يده، بل يبذل ذلك و يسمح به. و منه قولهم: أبغض حق أخيك؛ لأنه إذا أحبّه لم يخرج به إلى أخيه و لم يؤدّه، و إذا أبغضه أخرجه و أذاه.

فمعنى فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ «٢»: فأين إلّا أن يؤدّيها، و أبى الإنسان إلّا أن يكون محتملا لها لا يؤدّيها، ثم وصف بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة، و بالجهل، لإخطائه ما يسعده مع تمكّنه منه، و هو أداؤها.

و الثانى: أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه و ثقل محمله، أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام و أقواه و أشدّه، أن يتحمّله و يستقلّ به، فأبى حملة و الاستقلال به و أشفق منه. و حملة الإنسان على ضعفه و رخاوة قوّته. إنه كان ظلوما جهولا؛ حيث حمل الأمانة

ثم لم يف بها، و ضمنها ثم خاس بضمانه فيها «٣».

قال: و نحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب، و ما جاء القرآن إلّا على (١) هو للقطامى، و قيل: لذى الرمة. و حس له حسًا: رق له و عطف. و الحس أيضا: العقل و التدبير و النظر فى العواقب. و الرفضاض: الترشش و التناثر. و أحفظه إحفاظا: أغضبه. و الكتائف جمع كتيفة، و هى الضغينة و الحقد. يقول: أخوك هو الذى لا تملك نفسه الرحمة، بل يبذلها لك و يسرع إليك بغته و تذهب ضغائنه.

(٢) الأحزاب / ٧٢.

(٣) خاس به يخيس و يخوس: غدر به. خاس بالعهد، إذا نكث.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٩

طرقهم و أساليبهم. و من ذلك قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب، لقال: أسوى العوج. و كم لهم من أمثال على السنة البهائم و الجمادات. و تصوّر مقاله الشحم محال، و لكن الغرض أن السمن فى الحيوان ممّا يحسن قبيحه، كما أن العجف مما يقبح حسنه. فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع فى نفس السامع، و هى به آنس، و له أقبّل، و على حقيقته أوقف.

و كذلك تصوير عظم الأمانة و صعوبة أمرها و ثقل حملها و الوفاء بها.

و هنا تقوم أمام الزمخشري صعوبات و مشاكل، يصورها لنا فى سؤاله:

فإن قلت: قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد: أراك تقدّم رجلا و تؤخّر أخرى؛ لأنه مثلت حاله فى تميله و ترجحه بين الرأيين، و تركه المضى على أحدهما بحال من يتردد فى ذهابه، فلا يجمع رجليه للمضى فى وجهه. و كل واحد من الممثل و الممثل به، شىء مستقيم، داخل تحت الصحة و المعرفة. و ليس كذلك ما فى هذه الآية، فإنّ عرض الأمانة على الجماد و إباءه و إشفاقه محال فى نفسه، غير مستقيم، فكيف صحّ بناء التمثيل على المحال. و ما مثال هذا إلّا أن تشبه شيئا، و المشبه به غير معقول.

و لكنّ الزمخشري لا توقعه هذه الصعوبات، بل نراه يتخلص منها بكل دقة و براعة؛ حيث يقول:

قلت: الممثل به فى الآية و فى قولهم: «لو قيل للشحم أين تذهب...» و فى نظائره، مفروض، و المفروضات تتخيل فى الذهن كما المحققات: مثلت حال التكليف فى صعوبته، و ثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السماوات و الأرض و الجبال لأبين أن يحملنها و أشفقن منها «١». (١) الكشاف، ج ٣، ص ٥٦٤-٥٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٠

قال الذهبى: و هذه الطريقة التى يعتمد عليها الزمخشري فى تفسيره أعنى طريقة الفروض المجازية، و حمل الكلام الذى يبدو غريبا فى ظاهره، على أنه من قبيل التعبيرات التمثيلية أو التخيلية قد أثارت حفيظة خصمه السنّى ابن المنير الإسكندرى عليه، فاتهمه بأشنع التهم فى كثير من المواضع التى تحمل هذا الطابع، و نسبه إلى قلة الأدب و عدم الذوق «١».

فمثلا- عند ما يعرض الزمخشري لقوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (٢) نراه يقول: هذا تمثيل و تخيل، كما مرّ فى آية عرض الأمانة، و قد دلّ عليه قوله تعالى: «وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ...» و الغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه و قلة تخشعه عند تلاوة القرآن، و تدبّر قوارعه و زواجه «٣».

و لكن هذا قد أغضب ابن المنير، فقال معقبا عليه: و هذا مما تقدم إنكارى عليه فيه، أ فلا كان يتأدّب بأدب الآية، حيث سمي الله هذا مثلا، و لم يقل: و تلك الخيالات نضربها للناس. ألهمنا الله حسن الأدب معه، و الله الموقّق.

غير أنّ الزمخشري ولع بهذه الطريقة، فمضى عليها من أوّل تفسيره إلى آخره، و لم يقبل المعانى الظاهرة التى أخذ بها أهل السنة و حسبوا أقرب إلى الصواب، كما لا ينفك عن التنديد بأهل السنة الذين يقبلون هذه المعانى الظاهرة و يقولون بها، و كثيرا ما ينسبهم

من أجل ذلك إلى أنهم من أهل الأوهام و الخرافات، كما عرفت من هجوه لهم في الشعر المتقدم. و قد سمّاهم أهل الحشو، عند تفسيره (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٤٤٩.

(٢) الحشر / ٢١.

(٣) الكشف، ج ٤، ص ٥٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩١

لآيَه (٣٦) من سورة آل عمران وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

قال: و ما يروى من

الحديث: «ما من مولود يولد إلّا و الشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخا من مسّ الشيطان إياه إلّا مريم و ابنها»

فالله أعلم بصحته. فإن صحّ فمعناه: أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلّا مريم و ابنها، فإنهما كانا معصومين. و كذلك كل من كان في صفتهم، كقوله تعالى: لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ «١». و استهلاله صارخا من مسّه، تخيل و تصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه و يضرب بيده عليه، و يقول: هذا ممن أغويه، و نحوه من التخيل قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

و أما حقيقة المسّ و النخس كما يتوهم أهل الحشو فكلاً. و لو سلط إبليس على الناس بنخسهم، لامتألت الدنيا صراخا و عياطا مما يبولونا به من نخسه «٢».

و إليك أمثلة أخرى لتقف على مقدار تمسكه بهذه الطريقة:

ففي سورة البقرة عند قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ «٣» يذكر الزمخشري في معنى «الكرسي» أربعة أوجه، و يقول في الوجه الأول منها:

إن كرسية لم يضق عن السماوات و الأرض لبسطته و سعته، و ما هو إلّا تصوير لعظمته و تخيل فقط، و لا كرسى ثمّة، و لا قعود، و لا قاعد، كقوله تعالى: (١) الحجر / ٣٩-٤٠.

(٢) الكشف، ج ١، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) الآية ٢٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٢

وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ «١» من غير تصوّر قبضه و طي و يمين، و إنما هو تخيل لعظمته شأنه، و تمثيل حسي، ألا ترى إلى قوله: وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ «٢»؟! الأمر الذي لم يرتض ابن المنير، و من ثم عقبه بقوله: «إن ذلك تخيل للعظمة» سوء أدب في الإطلاق، و بعد في الإصرار، فإن التخيل إنما يستعمل في الأباطيل و ما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحاً فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة، لا مدخل لها في الأدب الشرعي. و سيأتي له أمثالها مما يوجب الأدب أن يجتنب.

و في سورة الأعراف عند تفسير آية الميثاق يقول: و قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا «٣» من باب التمثيل. و معنى ذلك: أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته و وحدانيته، و شهدت بها عقولهم و بصائرهم التي ركبها فيهم، و جعلها مميزة بين الضلالة و الهدى، فكانت أشهدهم على أنفسهم و قرّهم، و قال لهم:

أ لست بربكم، و كأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا و أقررنا بوحدانيتك. و باب التمثيل واسع في كلام الله تعالى و رسوله عليه السلام و في كلام العرب. و نظيره قوله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٤»، فقال لها و للأرض اثتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين «٥».

و قوله: (١) الزمر / ٤٧.

(٢) الكشاف، ج ١، ص ٣٠١.

(٣) الآية ١٧٢.

(٤) النحل / ٤٠.

(٥) فصلت / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٣

إذ قالت الأنساع للبطن الحق قدوما فأضت كالفتيق المحقق «١»

و قوله:

قالت له ربح الصبا قرقار و اختلط المعروف بالإنكار «٢»

قال الذهبي: و لكن ابن المنير السني لم يرض هذا من الزمخشري بطبيعة الحال، و لذا تعقبه بقوله: إطلاق التمثيل أحسن. و قد ورد الشرع به. أما إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فمردود، و لم يرد به سمع، و قد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة.

ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فذلك أقره الأكثرون على ظاهره و حقيقته، و لم يجعلوه مثالا. أما كيفية الإخراج و المخاطبة فالله أعلم بذلك «٣».

و مسألة «التمثيل» و «التخييل» يستعملها الزمخشري بحريّة أوسع فيما ورد من الأحاديث التي يبدو ظاهرها مستغربا، و قد مرّ كلامه في حديث مسّ الشيطان و نخسه للمواليد، الأمر الذي أثار ثائرة خصمه السنّي الذي لم يرتض هذا الصنيع من خصمه المعتزلي، فتراه يتورّك عليه بقوله: أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذن عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله، (١)- هو لأبي النجم العجلي. و النسخ- بالكسر-: حزام عريض يشدّ به وسط الدابة و ستر اليهودج. و الحق: فعل أمر، أي التصق يا ظهر بالطن و انضمر. و قدوما مصدر منصوب بمحذوف أو بما قبله على أنه مفعول له. و آض يئض: صار بصير. و الفتيق: الفحل المنعم المكرم. و المحقق: المغيظ من الحق، و هو الغيظ.

(٢)- أيضا لأبي النجم. و قرقار: اسم فعل بمعنى قرقر، أمر السحاب لتنزله منزلة العاقل، أي صوت بالرعد. و المقصود من الإنكار: المواضيع غير المعروفة، أي سوّ بين الإمكان المعهودة بالإمطار و غير المعهودة.

(٣) الكشاف، ج ٢، ص ١٧٦-١٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٤

جنوحا إلى اعتزال منتزع، في فلسفة منتزعة، في إلحاد، ظلمات بعضها فوق بعض «١».

امتنانه بشأن القراء

و هكذا نجد الزمخشري قد أفاض خصومه أهل الظاهر و المقلّدة من أهل السنّة و الجماعة؛ حيث رفض حجّية القراءات حجّية تعبدية، حتى و لو كانت على خلاف الفصحى من اللّغة؛ إذ لم تثبت حجّيتها بهذه السعة و الإطلاق، فإذا ما تعارضت قراءة مع المقرر من لغة العرب الفصحى، نجد العلماء المحققين أمثال الزمخشري يرفضون تلك القراء، حفاظا على سلامة القرآن، من خلل في فصاحته العليا، الأمر الذي لم يرتضه المقلّدة من أهل الظاهر، فهبوا يهاجمونه بأشنع القذائف.

هذا ابن عامر قارئ دمشق، و هو أحد القراء السبعة قرأ: وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ «٢» برفع «قتل» و نصب «أولادهم» و جرّ «شركائهم» باضافة «قتل» إلى «شركائهم» مع الفصل بالمفعول به، و قراءة «زين» مبنيا للمفعول.

فأنكر عليه الزمخشري و عدّ قراءته هذه سمجة مردودة، قال: و أما قراءة ابن عامر ... فشىء لو كان في مكان الضرورات و هو الشعر،

لكان سمجا مردودا، كما سمج و ردّ:

فزوجتها بمزجّة زجّ القلوص أبي مزادة «٣»

(١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٤٥٢.

(٢) الأنعام/ ١٣٧.

(٣) الزجّ: الطعن. و المزجّة: الرمح القصير لأنه آله للزجّ. و القلوص: الناقه الشابه، و هو مفعول

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٥

فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته.

قال: و الذى حملة على ذلك، أنّ رأى في بعض المصاحف «شركائهم» مكتوبا بالياء. و لو قرأ بجر الأولاد و الشركاء؛ لأنّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب «١».

و في ذلك امتهان بشأن ابن عامر «٢» و استهانته بشأن قراءته غير المستنده إلى حجة معتبرة «٣»، الأمر الذى أثار نعرات القوم ضده و جعلوه يقذفونه بأقبح الشتائم. هذا ابن المنير الإسكندري الهائم فى تيه ضلاله، يعلو بنشيجه فى ذلك، يقول فى حده و غضب: لقد ركب المصنف فى هذا الفصل متن عمياء، و تاه فى تيهاء، و أنا أبرأ إلى الله، و أبرئ حملة كتابه و حفظه كلامه مما رماهم به، فإنه تخيل أن القراء- أئمة الوجوه السبعة- اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا فاصل بين المضاف و المضاف إليه.

(١) الكشف، ج ٢، ص ٧٠.

(٢) هو عبد الله بن عامر اليحصبي قارئ الشام، توفى سنة (١١٨). كان حامل النسب حامل الذكر، لم يعرف نسبه كما لم يعرف له شيخ، تعلم القراءة عفوا، و قد كرهه الناس و كرهوا قراءته، كان يؤمّ الناس بالمسجد الأموى، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث إلى مهاجر و قال: قف خلف ابن عامر فإذا تقدّم فخذ بثيابه و اجذبه، فلن يتقدم منا دعوى، و صلّ أنت يا مهاجر، ففعل. راجع: التمهيد، ج ٢، ص ١٨٦، و طبقات الفراء، ط ٣، رقم ٨.

(٣) و قد تكلمنا عن القراءات السبع و أنها غير متواترة، و إنما هى اجتهادات للقراء، لا حجية فيها ذاتية فى سوى قراءة عاصم برواية حفص، فإنها لوحدها القراءة المتواترة التى توارثها المسلمون من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا حجية فى غيرها إطلاقا. راجع: التمهيد، ج ٢، ص ٦٠-٨٤، مبحث القراء و القراءات.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٦

و سماعا، فلذلك غلط ابن عامر فى قراءته هذه. و لم يعلم الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ بها، يعلم ضرورة أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قرأها على جبرائيل كما أنزلها عليه كذلك، و تواترت عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و لو لا عذر أن المنكر ليس من أهل الشائين: علم القراءة و علم الأصول، لخيف عليه الخروج من ربة الدين، و أنه على هذا العذر لفى عهده خطرة و زلة منكرا «١».

و قال أبو حيان الأندلسي: «و أعجب لعجمي ضعيف فى النحو يردّ على عربى صريح محض قراءة متواترة، موجود نظيرها فى «لسان العرب» فى غير ما بيت، و أعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا و غربا، و قد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم و معرفتهم و ديانتهم. و لا التفات لقول أبى على الفارسى: هذا قبيح قليل فى الاستعمال.

و قال قبل ذلك: و لا التفات إلى قول ابن عطية: و هذه قراءة ضعيفة فى استعمال العرب «٢».

و قال الكواشى- هو أحمد بن يوسف أبو العباس الموصلى صاحب تفسير، توفى سنة (٦٨٠هـ):- «كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظورا، و أنه غير ثقة؛ لأنه يأخذ القراءة من المصحف لا من المشايخ، و مع ذلك أسندها إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و ليس الطعن فى ابن عامر طعنا فيه، و إنما هو طعن فى علماء الأمصار؛ حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية، و فى الفقهاء حيث لم ينكروا عليه، و أنهم يقرءونها فى محاريبهم، و الله أكرم من أن يجمعهم على الخطأ».

و قال التفتازاني: هذا أشد الجرم؛ حيث طعن في أسناد القراء السبعة (١) هامش الكشاف، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان، ج ٤، ص ٢٢٩-٢٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٧

و رواياتهم، و زعم أنهم إنما يقرءون من عند أنفسهم. و هذه عادته، يطعن في تواتر القراءات السبع، و ينسب الخطأ تارة إليهم، كما في هذا الموضوع، و تارة إلى الروايات عنهم. و كلاهما خطأ» (١).

و تقلد الآلوسى عبارة ابن المنير: «و قد ركب في هذا الكلام عمياء و تاه في تيهاء، فقد تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقلاً و سماعاً، كما ذهب إليه بعض الجهلة، فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه و أخذ يبين منشأ غلظه، و هذا غلط صريح يخشى منه الكفر و العياد بالله تعالى فإن القراءات السبع متواترة جملة و تفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه و آله و سلم فتغليط شيء منها في معنى تغليط رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بل تغليط الله عز و جل، نعوذ بالله سبحانه من ذلك» (٢).

تهاجمه على أهل السنة

كما و لم يقصر الزمخشري في تهاجمه على خصومه من أهل السنة، فلم يدع فرصة أثناء تفسيره إلا و قذفهم بقذائف لاذعة و قرعهم بمقامع دامغة. قال الذهبي: و إن المتتبع لما في «الكشاف» من الجدل المذهبي، ليجد أن الزمخشري قد مزجه في الغالب بشيء من المبالغة في السخرية و الاستهزاء بأهل السنة، فهو لا يكاد يدع فرصة تمرّ بدون أن يحقرهم و يرميهم بالأوصاف المقذعة، فتارة يسميهم المجرّة، و أخرى يسميهم الحشوية، و ثالثة يسميهم المشبهة، و أحيانا يسميهم القدرية، تلك التسمية التي أطلقها أهل السنة على منكري القدر، فرامهم بها الزمخشري، لأنهم يؤمنون بالقدر. كما جعل حديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الذي (١) بنقل الشيخ يوسف البحراني في الكشكول، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٢) روح المعاني، ج ٨، ص ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٨

حكم فيه على القدرية أنهم مجوس هذه الأئمة، منصباً عليهم؛ و ذلك حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى و أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى (١): و لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأئمة، بشهادة نبيها صلى الله عليه و آله و سلم - و كفى به شاهداً - إلا هذه الآية لكفى بها حجة (٢).

كما سّمّاهم بهذا الاسم و رامهم بأنهم يحيون لياليهم في تحمّل الفاحشة، ينسبون لها إلى الله تعالى؛ حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٣): و أما قول من زعم أن الضمير في «زكى» و «دسى» لله تعالى، و أن تأنيث الضمير الراجع إلى «من» لأنه في معنى النفس، فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون (٤) على الله قدرا هو برىء منه و متعال عنه. و يحيون لياليهم في تحمّل فاحشة ينسبون لها إليه (٥).

و الظاهرة العجيبة في خصومة الزمخشري، أنه يحرص كل الحرص على أن يحول الآيات القرآنية التي وردت في حق الكفار، إلى ناحية مخالفيه في العقيدة من أهل السنة، ففي سورة آل عمران حيث يقول تعالى: وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اختلفوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ (٦)، نجد الزمخشري بعد ما يعترف بأن الآية واردة في حق اليهود و النصارى يجوز أن تكون واردة في حق مبتدعي (١) فصلت / ١٧.

(٢) الكشاف، ج ٤، ص ١٩٤.

(٣) الشمس / ٩-١٠.

(٤) ورك فلان ذنبه على غيره، إذا قرفه به، أى اتهمه به ظلماً.

(٥) الكشف، ج ٤، ص ٧٦٠.

(٦) الآية ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٩

هذه الأمة، و ينص على أنهم «المشبهة» و «المجبرة» و «الحشوية» و أشباههم «١».

و فى سورة يونس، حيث يقول تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ «٢»، يقول: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن و فاجئوه فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه و يعلموا كنه أمره، و قبل أن يتدبروه و يقفوا على تأويله و معانيه؛ و ذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم، و شرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشئ على التقليد من «الحشوية» إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه و ألفه و إن كانت أضواً من الشمس فى ظهور الصحة و بيان الاستقامة أنكراها فى أول وهلة، و اشمازٌ منها قبل أن يحس إدراكها بحاسه سمعه، من غير فكر فى صحة أو فساد؛ لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه و فساد ما عدها من المذاهب «٣».

و لقد أظهر الزمخشري تعصبا قويا لمذهبه، إلى حد جعله يخرج خصومه السنيين من دين الله، و هو الإسلام؛ و ذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ «٤»: فإن قلت: ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه و مع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته و عدله؟

قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته و عدله بالحجج الساطعة و البراهين القاطعة، و هم علماء العدل و التوحيد- يريد أهل مذهبه-.

فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد يعنى فى قوله: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (١) الكشف، ج ١، ص ٣٩٩.

(٢) الآية ٣٩.

(٣) الكشف، ج ٢، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٤) آل عمران / ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٠

قلت: فائدته أن قوله: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هو توحيد، و قوله: قائماً بالقسط تعديل، فإذا أردفه بقوله: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ فقد آذن أن الإسلام هو العدل و التوحيد، و هو الدين عند الله، و ما عدها فليس عنده فى شىء من الدين.

و فيه: أن من ذهب إلى تشبيهه، أو ما يؤدى إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذى هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذى هو الإسلام، و هذا بين جلي كما ترى «١».

و عند تفسيره لقوله تعالى: قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ «٢»، قال: «ثم تعجب من المتسمين بالإسلام، المتسمين بأهل السنة و الجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا، و لا يعزرك تسترهم بالبلكفة «٣» فإنه من منصوبات أشياخهم! و القول ما قال بعض العدلية فيهم:

لجماعة سموا هواهم سنة و جماعة حمر لعمرى موكفة «٤»

قد شبهوه بخلقه و تخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

و حمل الآية على أنها ترجمه عن مقترح قومه و حكاية لقولهم.

و تفسير آخر، و هو: أن يريد بقوله: ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ عرْفنى نفسك تعريفا واضحا جليا، كأنها إراءة فى جلائها بآية، مثل آيات القيامة التى تضطر (١) الكشف، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥. و راجع: التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٤٦٥-٤٦٧.

(٢) الأعراف / ١٤٣.

(٣) لأنهم قالوا: إنه يرى بلا كيف، أى لا تسأل عن كيفية رؤيته تعالى. و البلكفة مخففة ذلك.

و عد الزمخشري ذلك ذريعة للتخلص من مأزق القول بالجسمية و القول بالجهة، فهو من منصوبات أشياخهم، أى شبكات يتصيّدون

بها الضعفاء.

(٤) أى موضوع عليها الإكاف و هى البرذعة. و هى بمنزلة السرج للفرس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠١

الخلق إلى معرفتك، أنظر إليك: أعرفك معرفة اضطرار، كأنى أنظر إليك، كما جاء فى

الحديث «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»

بمعنى: ستعرفونه معرفة جليئة هى فى الجلاء كإبصاركم للقمر إذا امتلأ و استوى «١».

و قد أثار ذلك ثورة أحمد الإسكندري، فجعل يقابل هجاءه لأهل السنة بهجاء أهل العدل، قال: «و لو لا الاستناد بحسان بن ثابت

الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و شاعره، و المنافع عنه و روح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المتلقين بالعدلية و

بالناجين سلاما، و لكن كما نافع حسان عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعداءه، فنحن ننافع عن أصحاب سنة رسول الله

صلى الله عليه و آله و سلم أعداءهم فنقول:

و جماعة كفروا برؤية ربهم حقاً و وعد الله ما لن يخلفه

و تلقبوا عدلية قلنا: أجل عدلوا برّبهم فحسبهم سفة

و تلقبوا الناجين، كلاً إنهم إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفاه «٢».

البحر المحيط

لأثير الدين محمد بن يوسف بن على الحياتى الأندلسى النحوى، كان من أقطاب سلسلة العلم و الأدب، و أعيان المبصرين بدقائق ما

يكون من لغة العرب.

حكى أنه سمع الحديث بالأندلس و إفريقية و الإسكندرية و مصر و الحجاز، من نحو أربعمئة و خمسين شيخاً، و كان شيخ النحاة

بالديار المصرية، و أخذ عنه أكابر عصره. فعن الصفدى أنه قال: لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب (١) تفسير الكشاف، ج ٢،

ص ١٥٢-١٥٦.

(٢) هامش تفسير الكشاف، ج ٢، ص ١٥٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٢

أو ينظر فى كتاب. و كان ثبنا صدوقاً حجة، سالم العقيدة من البدع و القول بالتجسيم، و مال إلى مذهب أهل الظاهر و إلى محبة الإمام

أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. كثير الخشوع و البكاء عند قراءة القرآن. توفى بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ).

و من شعره:

هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها و هم نافسونى فاكسبت المعاليا

يروى عنه شيخنا الشهيد الثانى بواسطة تلميذة جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل البغدادى «١».

و تفسيره هذا من أجمع التفاسير على النكات الأدبية الرائعة التى اشتمل عليها القرآن الكريم، و أوفرهم بحثاً وراء كشف المعانى

الدقيقة التى حواها كلام الله العزيز الحميد. و قد امتاز بالاهتمام البالغ بجهات اللغة و النحو و الأدب البارع، و يعدّ تفسيره ديواناً حافلاً

بشواهد تفسير الكلمات و اللغات و التعابير العربية و الوجوه الإعرابية، كما اهتم بالقراءات و اللهجات؛ إذ كان عارفاً بها، و نقل أقوال

الأئمة و آراء الفقهاء، فكان تفسيراً جامعاً و شاملاً يروى الغليل و يشفى العليل.

و قد أبان عن منهجه فى المقدمة، قائلاً:

«و ترتيبى فى هذا الكتاب أنى ابتدأت أولاً بالكلام على مفردات الآيه التى أفسرها لفظه لفظه، فيما يحتاج إليه من اللغة و الأحكام

النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، و إذا كان لكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل (١) الكنى و الألقاب للقمي، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٣

عليه. ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكرًا سبب نزولها إذا كان لها سبب و نسخها و مناسبتها و ارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها القراءات، شاذها و مستعملها، ذاكرًا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلا- أقاويل السلف و الخلف في فهم معانيها، متكلمًا على جليها و خفيها؛ بحيث إنني لم أعادر منها كلمة و إن اشتهرت، حتى أتكلّم عليها، مبديا ما فيها من غوامض الإعراب و دقائق الأدب، من بديع و بيان، مجتهدا. ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي أفسرها أفرادا و تركيبا، بما ذكروا فيها من علم البيان و البديع ملخصا «١».

معاني القرآن

لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة (٢٠٧ هـ). كان تلميذ الكسائي و صاحبه، و أبرع الكوفيين و أعلمهم بالنحو و اللغة و فنون الأدب. قال ثعلب:

لولا الفراء لما كانت عربيّة؛ لأنه خلصها و ضبطها. و كانت له حظوة عند المأمون، كان يقدمه، و عهد إليه تعليم ابنه، و اقترح عليه أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو و ما سمع من العربيّة، و أمر أن تفرد له حجره في الدار و وكل بها جوارى و خدما للقيام بما يحتاج إليه، و صير إليه الوراقين يكتبون ما يمليه، و قد عظم قدر الفراء في الدولة العباسيّة.

كان الفراء قويّ الحافظة، لا يكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناء بحفظه.

و بقيت له قوة الحفظ طوال حياته، و كان يملئ كتبه من غير نسخه. قيل عنه: إنه أمير المؤمنين في النحو. يقول ثمامة بن الأشرس المعتزلي عنه- و هو يتردد على باب المأمون:- فرأيت أبهه أديب، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، (١) مقدمة تفسير البحر المحيط، ج ١، ص ٤-٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٤

و فاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، و عن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم، و بالنحو ماهرا، و بالطب خيرا، و بأيام العرب و أشعارها حاذقا.

و كان سبب تأليفه لكتاب معاني القرآن على ما حكاه أبو العباس ثعلب أن عمر بن بكير كان من أصحابه و كان منقطعًا إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه فعلت. فأجابته الفراء، و قال لأصحابه: اجتمعوا حتّى أمّل عليكم كتابا في القرآن، و جعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم و كان في المسجد رجل يؤذن و يقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب، ففسّرها، ثم توفى الكتاب كله، يقرأ الرجل و يفسّر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله، و لا أحسب أن أحدا يزيد عليه. و عن أبي بديل الوصّاحي: فأردنا أن نعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء الكتاب فلم يضبط، قال: فعددنا القضاء فكانوا ثمانين قاضيا.

و عن محمد بن الجهم: كان الفراء يخرج إلينا- و قد لبس ثيابه- في المسجد الذي في خندق عبويه، و على رأسه قلنسوة كبيرة، فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عشرا من القرآن، ثم يقول: أمسك، فيملئ من حفظه المجلس. ثم يجيء سلمة بن عاصم من جلة تلامذته بعد أن ننصرف نحن، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه و يغيّر و يزيد و ينقص.

يقول محمد بن الجهم السيمري راوى الكتاب في المقدمة: هذا كتاب فيه معاني القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء- يرحمه الله- عن حفظه من غير نسخه، في مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاوات و الجمع، في شهر رمضان و ما بعده من سنة اثنتين، و

فى شهور سنة ثلاث، و شهور من سنة أربع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٥

و مائتين «١».

فقد تم إملاء الكتاب خلال ثلاث سنوات، كل يوم الثلاثاء و الجمعة من الأسبوع فى كل شهر، ابتداء من شهر رمضان المبارك، فى سنين اثنتين و ثلاث و أربع بعد المائتين.

و هو أجمع كتاب أتى على نكات القرآن الأديبة: اللغة و النحو و البلاغة، لا يستغنى الباحث عن معانى القرآن من مراجعته و الوقوف على لطائفه و دقائقه.

و قد اعتنى المفسرون بهذا الكتاب و جعلوه موضع اهتمامهم، سواء صرّحوا بذلك أم لم يصرّحوا. فإنه أحد مباني التفسير، و كان معروفاً بذلك.

و الكتب فى «معانى القرآن» كثيرة، أولها: «معانى القرآن» لأبان بن تغلب بن رباح البكرى التابعى، من خواص الإمام على بن الحسين السجاد عليه السلام المتوفى سنة (١٤١ هـ)، و هو أول من صنّف فى هذا الباب. صرّح به النجاشى و ابن النديم.

و الثانى: «معانى القرآن» لإمام الكوفيين فى النحو و الأدب و اللغة، و أولهم بالتصنيف فيه، أستاذ الكسائى و الفراء، هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، أبو سارة الرواسى الكوفى، الراوى عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، و قد نسبته إليه الزبيدى. و عدّ النجاشى من كتبه «إعراب القرآن» و لعلهما واحد، ذكره ابن النديم.

و الثالث: «معانى القرآن» لأبى العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الثمالى الأزدي البصرى المتوفى سنة (٢٨٥ هـ) إمام العربية، الملقّب من أستاذه (١) معانى القرآن، للفراء، ج ١، ص ٩-١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٦

المازنى بالمبرّد، أى المثبت للحق «١».

و قد كتب فى معانى القرآن كثير من الفحول، يقول الخطيب بصدّد الحديث عن معانى القرآن لأبى عبيد و أنه احتذى فيه من سبقه: «و كذلك كتابه فى معانى القرآن، و ذلك أنّ أول من صنّف فى ذلك من أهل اللغة أبو عبيد معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش. و صنّف من الكوفيين الكسائى ثم الفراء.

فجمع أبو عبيد (القاسم بن سلام الإمام) من كتبهم، و جاء فيه بالآثار و أسانيدها، و تفاسير الصحابة و التابعين و الفقهاء، توفى سنة (٢٢٤ هـ) بمكة المكرمة «٢».

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات فى جميع القرآن

لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى المتوفى سنة (٦١٦ هـ).

هو أخصر و أشمل كتاب حوى على بيان إعراب الأهمّ من ألفاظ القرآن و أنحاء قراءاته. و لقد أوجز المؤلف فى ذلك، و أوفى الكلام حول إعراب القرآن فى أشكال مواضعه، فيما يحتاج إليه المفسّر أو الناظر فى معانى القرآن الكريم. يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب:

إنّ أولى ما عنى باغى العلم بمراعاته، و أحق ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، و حاكماً عليها، و ذلك هو القرآن المجيد، و هو المعجز الباقي على الأبد، و المودع أسرار المعانى التى لا تنفذ. فأول مبدوء به من ذلك تلقّف ألفاظه من حفظه، ثم تلقّى معانيه ممن يعانیه. و أقوم طريق يسلك (١) جاء ذكر هؤلاء الثلاثة فى الذريعة للطهرانى، ج ٢١، ص ٢٠٥-٢٠٦، رقم ٤٦٣٢ و ٣٣ و ٣٤.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٧

في الوقوف على معناه، و يتوصّل به إلى تبيين أغراضه و مغزاه، معرفة إعرابه و اشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، و النظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات.

و الكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جدًّا، فمنها المختصر حجما و علما، و منها المطول بكثرة إعراب الظواهر، و خلط الإعراب بالمعاني، و قلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدت على ما وصفت، أحببت أن أملى كتابا يصغر حجمه و يكثر علمه، اقتصر فيه على ذكر الإعراب و وجوه القراءات، فأثبت به على ذلك.

و الكتاب مرتب حسب ترتيب السور، متعرضا لإعراب القرآن آية فآية و كلمة فكلمة، حتى يأتي إلى آخره.

و الكتب في إعراب القرآن كثيرة، أفضلها ما كتبه المتقدمون، و قد استرسل فيها المتأخرون، فأتوا بما لا طائل تحته في كثير من تصانيفهم بهذا الشأن.

و من أحسن كتب السلف في إعراب القرآن، كتاب «البيان» في غريب إعراب القرآن، تأليف كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبي البركات.

المعروف بابن الأنباري، المتوفى سنة (٥٧٧ هـ). و قد انتهت إليه زعامة العلم في العراق، و كان قبله الأنظار بين أساتذة المدرسة النظامية في بغداد، يرحل إليه العلماء من جميع الأقطار، و قد تخاطف الطلاب و الأدباء تصانيفه، و طولب بالتأليف في مختلف علوم اللغة. و قد وضع كتابه هذا على أحسن أسلوب و أجمل ترتيب، في بيان أعراب القرآن، منتهجا ترتيب معاني القرآن للقراء، و أسلوبه في شرح مواضع الكلمات، و بيان تفاصيل وجوهها. و هو مرتّب حتى نهاية القرآن الكريم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٨

و من الكتب المؤلفة في هذا الباب، و يعدّ من أجملها: كتاب «إعراب القرآن» المنسوب إلى الزجاج المتوفى سنة (٣١٦ هـ). لكن من المحتمل القريب أنه من تأليف أبي محمد مكى بن أبي طالب القيسى المغربي، صاحب التأليف الكثيرة في القرآن، و في الأدب و اللغة، توفى سنة (٤٣٧ هـ) «١».

هذا الكتاب وضع على تسعين بابا، جاء الكلام فيها في مختلف شئون النكات الأدبية و النحوية و اللغوية، كل باب بنوع خاص من المسائل الأدبية. و قد استوفى الكلام حول مسائل اللغة في القرآن و بعض مسائل البلاغة و البديع كالباب التاسع عشر، فيما جاء في التنزيل من ازدواج الكلام و المطابقة و المشاكلة و غير ذلك. و الباب الخامس و الثلاثين، فيما جاء في التنزيل من التجريد.

و الباب الثالث و الثمانين، فيما جاء في التنزيل من تفنن الخطاب و الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة إلى التكلم. كما تعرض لبعض القراءات، كالباب السابع و الثمانين فيما جاء في التنزيل من القراءة التي رواها سيبويه في كتابه. و الباب الثامن و الثمانين في نوع آخر من القراءات.

و سائر الأبواب متمخّصة في النحو و الاشتقاق.

و على أي حال، فهو كتاب ممتع، و مفيد للباحثين، عن نكات القرآن الأدبية و الدقائق اللغوية البارعة.

و لمكى بن أبي طالب، كتاب آخر في «مشكل إعراب القرآن» طبع في جزئين. و هو تأليف لطيف وضعه على ترتيب السور، تعرّض للمشكل من أعراب ألفاظ القرآن الكريم، هادفا وراء ذلك إيضاح المعاني؛ حيث وضّح (١) راجع: ملحق الكتاب، برقم ٥، ص ١٠٩٦-١٠٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٩

الإعراب هو خير معين في فهم المعنى. قال في المقدمة: «إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني و ينجلي الإشكال، فتظهر

الفوائد و يفهم الخطاب و تصح معرفة حقيقته المراد. و قد رأيت أكثر من ألف في الإعراب، طوله بذكره لحروف الخفض و حروف الجزم، و بما هو ظاهر من ذكر الفاعل و المفعول، و اسم إن و خبرها، في أشباه لذلك يستوى في معرفتها العالم و المبتدئ، و أغفل كثيرا مما يحتاج إلى معرفته من المشكلات، فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب، و ذكر علله و صعبه و نادره «١».

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٠

تفاسير لغوية

إشارة

هناك كتب تعرضت لغريب اللغة في القرآن، و فسرت معاني الكلمات التي جاءت غريبة في كتاب الله. و قد فسرنا فيما مضى معنى «الغريب» الواقع في القرآن، و أنها اللفظة المستعملة و المعروفة في لغة قبيلة دون أخرى، فجاء استعمالها في القرآن غريبا على سائر اللغات، و ذلك في مثل «الودق» بمعنى المطر، لغة جرهم. و «المنساء» بمعنى العصا، لغة حضرموت. و «آسن» بمعنى منتن، لغة تميم. و «سعر» بمعنى جنون، لغة عمان. و «بست» بمعنى تفتت، لغة كندة، و هلم جزا. و عليه فالذي جاء منه في القرآن الشيء الكثير، هو الغريب العذب و الوحش السائح، الذي أصبح بفضل استعماله ألوفا، و صار بعد اصطیاده خلوبا، دون البعيد الركيك، و المتوغر النفور. و قد بحثنا عن ذلك مستوفى عند الكلام عن إعجاز القرآن البياني «١».

و المؤلفون في غريب القرآن كثير، أولهم: محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة، من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام المتوفى سنة (١٤٦ هـ) ثم أبو فيد مؤرخ بن عمر النحوي السدوسي البصري المتوفى سنة (١٧٤ هـ)، و أبو الحسن النضر بن شميل المازني البصري المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) و استمر الحال و تسلسل تأليف رسائل و كتب في غريب القرآن طول القرون، على أيدي علماء أدباء و لغويين نهاء، أوضحوا الكثير من غريب ألفاظ القرآن الكريم، (١) التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ص ١٠٨-١٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١١

و عنوا بذلك عناية بالغة، جزاهم الله عن الإسلام و القرآن خير جزاء.

و أقدم كتاب وصل إلينا في تفسير غريب القرآن، ما هو المنسوب إلى الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، و هو برواية الشيخ الإمام العالم الزاهد الفقيه أبي جعفر محمد بن منصور المقرئ رضي الله عنه، و كان شيخ الزيدية بالكوفة.

رواه عن أحمد بن عيسى، و القاسم بن إبراهيم، و الحسن بن يحيى، و عبد الله بن موسى، و محمد بن علي، و زيد بن علي، و جعفر بن محمد.

و هو تفسير موجز لطيف، و تبين شاف لمواضع الإبهام من الذكر الحكيم، تجده وافيًا بإيفاد المعاني في تسلسل ترتيب حسب ترتيب السور و الآيات؛ مما ينبؤك عن علم غزير و ذوق ظريف و دقة فائقة «١».

و خير كتاب وجدته تعرض للمشكل من معاني القرآن، متصديا لتأويله و تبينه، هو كتاب «تأويل مشكل القرآن» تأليف العلامة الناقد البصير أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري المروزي المتوفى سنة (٢٧٦ هـ).

و قد استوفى المؤلف الكلام حول أنواع المتشابه في القرآن، و شرحها شرحا وافيًا. تكلم عن الطاعنين في القرآن، و ما ادعى فيه من التناقض و الاختلاف، و التكرار و الزيادة و مخالفة الظاهر، و ما ادعى فيه من فساد النظم و الإعراب. كما تعرض للأشبه و النظائر في معاني ألفاظ القرآن (و لعله كان المرجع لحبيش التفليسي في تأليفه الآتي) و تكلم في حروف المعاني و ما شاكلها من أفعال، و استعمال بعض الحروف مكان البعض، و أخيرا الكلام عن مشكل القرآن و ما شابه ذلك. (١) و أخيرا قام بتحقيقه و تنميته زميلنا الفاضل السيد محمد جواد الجلالى. و طبع طبعه أنيقة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٢

فهو كتاب فريد في بابه، لم يسبق له نظير في مثله، كما لم يخلفه بديل.

و أحسن كتاب في هذا الباب، هو كتاب «المفردات» لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفى سنة (٥٠٢ هـ)، فإنه أول كتاب فتح باب الاجتهاد في اللغة و أعمل الرأي و الاستنباط في فهم معاني اللغات. و لقد أجاد في ذلك و أفاد، و استقصى لغات القرآن كلها و استوعب الكلام في الجمع و التفريق، و البسط و التفصيل، في المعاني و مفاهيم الكلمات.

و لأبي الفضل حبش بن إبراهيم التفليسي من أعلام القرن السادس كتاب لطيف، كتبه في وجوه معاني القرآن، تعرّض فيه للمعاني المحتملة من تعابير جاءت في القرآن الكريم، وضعه بالفارسية، و هو موجز مختصر طريف في بابه. حقه الأستاذ الدكتور مهدي محقق، و طبع و نشر أخيرا في عدّة طبعات بطهران.

و أجمع كتاب ظهر أخيرا جامعا لمعاني القرآن و شاملا و مستوعبا لغرائب ألفاظه الكريمة، هو كتاب «تفسير غريب القرآن الكريم» للفقيه المفسر اللغوي الأديب الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي المتوفى سنة (١٠٨٥ هـ). و هو كتاب شاف و واف بالموضوع، طبع طبعه أئيقه، بتحقيق الأستاذ محمد كاظم الطريحي، بالنجف الأشرف-العراق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٣

تفسير المتشابهات

إشارة

و يلحق بهذا الباب تفاسير خصّت الكلام حول متشابهات القرآن و ردّ المطاعن عنه، و هي كثيرة و متنوعة، كان من أهمها:

١- متشابه القرآن

للقاضي عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي المتوفى سنة (٤١٥ هـ). ولد في ضواحي مدينة همدان، في قرية أسدآباد، و خرج إلى البصرة في طلب العلم، و اختلف إلى مجالس العلماء، حتى برع في الفقه و الحديث و الأدب و التفسير، و تكلم على مذهب الاعتزال، و تولّى القضاء في الرى، على عهد الصاحب بن عباد في دولة بني بويه؛ حيث كان الصاحب لا يرى تولية القضاء في دولته الشيعية إلا لمن كان معروفا من أهل القول بالعدل.

كان عبد الجبار إمام المعتزلة في عصره، و اتصل بالصاحب، و وقع تحت عنايته، و من ثم كتب له عهدا بتولية رئاسة القضاء في الرى و قزوين و غيرهما، من الأعمال التي كانت لفخر الدولة، ثم أضاف إليه بعد ذلك في عهد آخر إقليمى جرجان و طبرستان. و له تصانيف قيمة و جيدة، و لا سيما في الأصول و الكلام، مثل «المغنى»، و «شرح الأصول الخمسة»، و كتاب «الحكمة و الحكيم»، و غير ذلك.

و من جيّد تصانيفه: كتابه في متشابهات القرآن، يستعرض فيه سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، و يقف في كل منها عند نوعين من الآيات: الآيات المتشابهة التي يزعم الخصم أن فيها دلالة على مذهبه الباطل، و الآيات المحكمة الدالة على مذهب الحق، و ذلك ما ألزم به نفسه في مقدمه الكتاب، و استمر عليه حتى نهاية الكتاب. و لقد أجاد فيما أفاد، و استوعب الكلام فيما أراد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٤

٢- تنزيه القرآن عن المطاعن

أيضا للقاضي عبد الجبار. كتبه في دفع الشكوك عن القرآن الكريم، و رتبته حسب ترتيب السور، و تكلم في إيراد الإشكالات الأدبية

و المعنوية الواردة، أو المحتملة على القرآن، ثم الإجابة عليها إجابة شافية و كافية، حسبما أوتى من حول و قوّة. و لقد استوفى الكلام فى ذلك حتى نهاية القرآن.

٣- مشابهاة القرآن و مختلفه

للشيخ الجليل رشيد الدين أبى جعفر محمد بن على بن شهر آشوب السرورى المازندرانى المتوفى سنة (٥٨٨ هـ). كان علما من أعلام عصره، و ضاء كثير التصنيف و التأليف، فى مختلف العلوم الإسلامية، و كان خبيرا ناقدا و بصيرا بشئون الدين و الشريعة. قال المحقق القمى بشأنه: فخر الشيعة و مروّج الشريعة، محب آثار المناقب و الفضائل، و البحر المتلاطم الزخار الذى لا يساجل، شيخ مشايخ الإمامية. و عن الصفدى: حفظ أكثر القرآن و لم يبلغ الثامنة من عمره، كان يرحل إليه من البلاد، له تقدم فى علم القرآن و الغريب و النحو. و وعظ على المنبر أيام المقتفى العباسى ببغداد، فأعجبه و خلع عليه. و كان بهي المنظر، حسن الوجه و الشبية، صدوق اللّهجة، مليح المحاوره، واسع العلم، كثير الخشوع و العبادة و التهجد، لم يكن إلّا على وضوء. عاش عيشته الحميدة مائة عام، و توفى بحلب. و قبره مزار بمشهد السقط على جبل جوشن خارج حلب «١».

أما كتابه هذا فهو من خير ما كتب فى مشابهاة القرآن، و أجمعها و أشملها، و أتقنها إحكاما و بيانا و تفصيلا، وضعه على أسلوب طريف، يبدأ بمسائل (١) الكنى و الألقاب للقمى، ج ١، ص ٣٣٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٥

التوحيد و صفات الذات و الفعل، و عالم الذر و القلب و الروح و العقل، و القضاء و القدر، و السعادة و الشقاء، و النبوة و العصمة، و تاريخ الأنبياء، و الكلام على إعجاز القرآن، و المحكم و المتشابه، و الوحي و الخلافة و التكليف، و الجن و الملك و الشياطين، و مسائل الإمامة و الولاية، ثم بأصول الفقه و الأحكام و الشرائع، و النسخ، و الاستثناء و الشرط، و الحقيقة و المجاز، و الكناية و الاستعارة و التشبيه، و سائر المسائل الأدبية و اللغوية، و ما إلى ذلك، ترتيبا طبيعيا منسجما، سهل التناول قريب المنال، فى عبارات سهلة جزلة، فله درّه و عليه أجره.

٤- أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها

تأليف زين الدين محمد بن أبى بكر الرازى المتوفى سنة (٦٦٦ هـ)، يشتمل على ألف و مأتى سؤال و جواب حول مشابهاة القرآن، أوردتها بصورة موجزة و موفية بالمقصود، و كانت معروفة بمسائل الرازى.

كان المؤلف - و هو من مواليد الرى، و من ثم نسب إليه - على غاية من الذكاء و سعة الاطلاع، و له تأليف جيدة، مثل «الذهب الإبريز فى تفسير الكتاب العزيز»، و «روضه الفصاحة» فى البديع و البيان، و «مختار الصحاح»، و «شرح مقامات الحريرى» و «تحفة الملوك» فى العبادات، مما ينبؤك عن أدب جم و خبرة واسعة.

وضع كتابه على ترتيب السور، يتعرض للشبهة بصورة سؤال، ثم يجيب عليها إجابة وافية، حسبما أوتى من علم و بصيرة، و هو تأليف لطيف فى بابه، حسن الأسلوب، بديع فى مثله.

و للشيخ خليل ياسين، من أبرز علماء لبنان فى العصر الأخير، كتاب حافل

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٦

و شامل، حوى ألفا و ستمائة سؤال و جواب حول شبهات القرآن، عرضها حسب ترتيب السور و الآيات، عرضا علميا أدبيا، و كانت الأجوبة موفية حسب إمكان المؤلف العلمى، بصورة موجزة و وافية. و جاء اسم الكتاب «أضواء على مشابهاة القرآن» اسما متطابقا مع المسمى. طبع فى بيروت - لبنان - سنة (١٣٨٨ هـ) و هو كتاب جليل جميل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٧

التفسير الموجز

إشارة

هناك تفاسير اتخذت طريقة الإيجاز في تفسير القرآن و تبين معانيه، ابتعدت عن طريقة التفصيل التي مشى عليها أكثر المفسرين الكبار، محاولين بذلك إلى تقريب معاني القرآن إلى الأذهان في خطوات سريعة و متقاربة، و الأكثر أن يكون ذلك خدمة للناشئة من طلبة العلوم الدينيّة، و من قاربهم من ذوى الثقافات العامّة.

[١- الوجيز:]

١- و ممن حاز قصب السبق في هذا المضمار، هو (السيد عبد الله شبر) في تفسيره الوجيز الذي قدّمه للملاّ من المسلمين خدمة موفّقة إلى حدّ بعيد، فهو على و جازته يحتوى على نكات و دقائق تفسيرية رائقه، مما قد يفوت بعض التفاسير الضخام. فإنه لا يفوته أن يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية و البيانية و المعنوية، مع الخوض أحيانا في المعاني اللغوية و المسائل النحوية، كل هذا- كما قال الأستاذ الذهبي- في أسلوب ممتع لا يملّ قارئه من تعقيد و لا يسأم من طول (١).

و قد حرص المؤلف على أن يكون جلّ اعتماده على ما ورد من التفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام و إن كان لا يعزو كل قول إلى قائله في الغالب، كما حرص على أن ينصر المذهب و يدافع عنه سواء في ذلك ما يتعلق بأصول المذهب أم بفروعه. و هو بعد ذلك يشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحا يتفق مع مذهب أهل العدل، أو الظاهر المتفق عليه لدى أهل الحديث، ثم لا يفوت (١) راجع: التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٨

المؤلف في تفسيره هذا أن يشير إلى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم، و يجيب عنها إجابة سليمة عن تكلف أهل البدع. و لا غرو فإنّه الأديب البارع و الفقيه المحدث الجامع. و لقد وصف المؤلف تفسيره هذا، و بيّن مسلكه فيه، جاء في مقدمته:

«هذه كلمات شريفة، و تحقيقات منيفة، و بيانات شافية، و إشارات وافية، تتعلق ببعض مشكلات الآيات القرآنية، و غرائب الفقرات الفرقانية، و تحزّي غالبا ما ورد عن خزان أسرار الوحي و التنزيل، و معادن جواهر العلم و التأويل، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل، بأوجز إشارة و لطف عبارة، و فيما يتعلق بالألفاظ و الأغراض و النكات البيانية، تفسير وجيز. فإنه لطف التفاسير بيانا، و أحسنها تبيانا، مع و جازة اللفظ و كثرة المعنى» (١).

و لقد و في المؤلف بما وعد، فقد أسند جواهر تفسيره و جيّد آرائه إلى معينه الأصل من علوم أئمة أهل البيت عليهم السّلام. كما أوجز و أوفى في البيان و إبداء النكت و الظرائف في عبارات سهلة قريبة وافية.

قال الأستاذ حامد حفنى (أستاذ كرسى الأدب في كليّة الألسن العليا بالقاهرة) في مقدمته التفسير المطبوع بالقاهرة: «و العالم بهذا الفن يدرك لأوّل وهلة دقة المفسّر و إمساكه بخطام هذه الصناعة، و جمعه لأدوات المفسر. و لعلك و أنت تقرأ تفسير الفاتحة في تفسيره هنا و توازن ذلك بما جاء في «تفسير الجلالين» تقف بنفسك على قدرات المفسّر، و لا سيّما في الأصول اللغوية، حين يردّ لفظ الجلالة «الله» إلى أصله اللغوي، و حين يفرّق في حصافة منقطعة النظر بين معنى اسمه تعالى «الرحمن» و اسمه تعالى «الرحيم». و حين لا يكتفى بالفروق اللغوية، (١) تفسير القرآن، سيد عبد الله شبر، ص ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٩

فيزيدك إيضاها بما حفظه من نصوص و أدعية مرفوعة إلى أئمة أهل البيت النبوي عليهم السلام. و هو في ذلك كله سهل الجانب، معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم، و ليس في ثورة المتعصب. كما لا ينسى و هو يفسر أن يشرح الآية بآيات أخرى، و أن يذكر سبب النزول كلما دعا الأمر إلى ذلك، و كان عوناً له على توضيح المعنى المطلوب من الآية، و هكذا نلاحظ هذا الصنيع في سائر عبارات هذا التفسير الجليل» (١).

هذا، و قد أتم المؤلف تفسيره هذا- كما قال في خاتمته- في جمادى الأولى سنة تسع و ثلاثين و مائتين بعد الألف من الهجرة (١٢٣٩ هـ ق). و قد طبع عدة طبعات، و لا يزال.

هذا ما يرجع إلى التفسير ذاته، و أما المؤلف، فهو المولى المحقق العلامة السيد عبد الله بن محمد رضا العلوي الحسيني الشهير بشير. ولد بالنجف الأشرف سنة (١١٨٨ هـ)، ثم ارتحل مع والده إلى الكاظمية، و مكث بها إلى أن مات بها سنة (١٢٤٢ هـ). كان من أفاضل العلماء، فقيهاً و محدثاً نبهاً و مفسراً متبحراً، جامعاً لعلوم كثيرة، آية في الأخلاق النبيلة. كان يعتبر علماً من أعلام الشيعة، و شخصية علمية بارزة، لها مكانتها و مقادراها. و لقد عكف مدة حياته العلمية على التأليف و التصنيف، حتى أخرج للناس- مع سنه الذي لم يتجاوز الأربع و الخمسين- كتباً كثيرة و مصنفات عديدة، كلها ذوات فوائد و ممتعة، لا تزال رائجة في الأوساط العلمية، فرحمه الله عليه من فقيه محدث خبير، و مفسر ناب بصير. (١) تفسير شير، مقدمة الدكتور حامد حفي داود.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٠

٢- الأصفى:

أوسط التفاسير الثلاثة التي ألفها العلامة المحدث الفيض الكاشاني المتوفى سنة (١٠٩١ هـ)، انتخبه من تفسيره «الصافي» و أجزه، و أنهار إلى أحد و عشرين ألف بيت. اقتصر فيه على المأثور من تفاسير أهل البيت عليهم السلام. أوله: «الحمد لله الذي هدانا للمسك بالثقلين و جعل لنا القرآن و المودة في القربى قرءة عين...». فرغ منه سنة (١٠٧٦ هـ). و هو تفسير موجز لطيف يحتوي على أمهات المسائل التفسيرية، على مشرب أهل الحديث، مقتصر على فيه لباب الكلام و عباب المرام، يكفي المراجع في تبين معاني القرآن و شرح مبانيه. طبع طبعات حجرية، و هي منتشرة. و أخيراً طبع في مجلدين طبعه أنيقة.

[٣- المصفي:]

٣- و لخص الأصفى أيضاً، و سماه «المصفي»، و هو أوجز تفسير يوجد في هذا الباب.

٤- التسهيل لعلوم التنزيل،

لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى توفى سنة (٧٤١ هـ). كان من مشاهير العلماء بغرناطة عاكفا على العلم و الاشتغال بالنظر و التحقيق و التدوين، و قد ألف في فنون من علوم القرآن و الفقه و الحديث و التفسير. كان المؤلف ممن يرغب في الجهاد، فقتل شهيداً في معركة «طريف» بالقرب من «جبل طارق».

و تفسيره هذا موجز شامل لتفسير القرآن كله، مع إيضاح المشكلات و بيان المجملات و شرح الأقوال و الآراء بصورة موجزة وافية. قال في المقدمة:

«و صنت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، و سائر ما يتعلق به من العلوم، و سلكت مسلماً نافعاً؛ إذ جعلته وجزاً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد،

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢١

تتضمن أربعة فوائد: ١- جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم. ٢- ذكر نكت عجيبة و فوائد غريبة. ٣- إيضاح المشكلات، و بيان المجملات. ٤- تحقيق أقوال المفسرين، و تمييز الراجح من المرجوح» (١).

وجعل المؤلف لتفسيره مقدمة و جيزة ذكر فيها ما يتعلق بشئون القرآن و علومه الشىء الوفير، و حَقَّق فيها مسائل كثيرة نافع، جعلها في اثني عشر بابا، و هى أشبه بمقدمة «المحرّر الوجيز» لابن عطية، و لعلها مأخوذة منها. فإنَّ المؤلف اعتمد في تفسيره هذا الوجيز على تفسير ابن عطية، و الكشاف للزمخشري، و غيرهما من تفاسير أدبية و لغوية كانت معروفة آنذاك، و على أى تقدير فهو تفسير لطيف و جامع كامل في بابه. و قد طبع عدة طبعات.

٥- تفسير الجلالين،

اشترك في تأليف هذا التفسير، جلال الدين المحلى، و جلال الدين السيوطي. فقد ابتداء جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعي - المتوفى سنة (٨٦٤ هـ) و كان علامة عصره - في تفسير القرآن من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن، ثم شرع في تفسير الفاتحة، و بعد أن أتمها اخترمته المنية فلم يفسر ما بعدها. فجاء جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ) فأكمل التفسير، فابتداء بتفسير البقرة و انتهى عند آخر سورة الإسراء، و وضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقه به. و قد نهج السيوطي في التفسير منهج المحلى، من إيجاز المطالب، و ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، و الاعتماد على أرجح الأقوال، و إعراب ما يحتاج إليه، و التنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، و تعبیر و جيز، بحيث لا يكاد قارئ تفسير الجلالين (١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٢

يلمس فرقا بينا بين طريقة الشيخين فيما فسراه، اللهم في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة. و التفسير قيم في بابه، و حظى بكثرة الانتشار و رواجه بين رواد العلم، و قد طبع مرارا و طار صيته.

٦- التفسير المقارن،

و هو خلاصة التفاسير الإسلامية المشهورة. قام بتأليفه العلامة المعاصر الشيخ محمد باقر الناصري - من أهل الناصرية بالعراق - اعتمد ما يقرب من ثلاثين تفسيراً فلخصها و جمع لبابها و حوى على عباها، في تفسير مختصر و جيز، حسن الأسلوب، جيد العبارة، سهل التناول، مما يطلعك على قدرة المؤلف العلمية و الأدبية. و كان منهجه: أن يذكر المعاني اللغوية النادرة أولاً، ثم يتتقى أوضح النصوص و أجمعها لما حوت الآيه من دلالة، مع إدخال بعض التعديلات في عبارات السلف، لتناسب مع لغة العصر، و يعتمد أهم كتب التفسير عند الشيعة الإمامية، و خيرة تفاسير أهل السنة و الجماعة. و قدّم مباحث تمهيدية قبل الورود في التفسير، مما يهّم للمفسر رعايتها لدى تفسير الآيات.

و قد قام بطبعه و نشره مركز البحوث و الدراسات العلمية، التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - في قم المقدسة - في شهر رجب المرجب سنة (١٤١٦ هـ) و كان تاريخ التأليف (١٤١٥ هـ).

٧- صفوة التفاسير

تأليف الأستاذ محمد على الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة. كان له نشاط في علوم القرآن و التفسير، و من ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير و علوم القرآن، أكثرها مختصرات، كمختصر تفسير ابن كثير، و مختصر تفسير الطبري، و التبيان في علوم القرآن، و روائع البيان في

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٣

تفسير آيات الأحكام، و قبس من نور القرآن، و صفوة التفاسير؛ و هو الكتاب الذى نحن بصددده. و هو تفسير موجز، شامل جامع بين المأثور و المعقول، مستمد من أوثق التفاسير المعروفة كالتبرى و الكشاف و ابن كثير و البحر المحيط و روح المعانى، فى أسلوب ميسر سهل التناول، مع العناية بالوجوه البيانية و اللغوية. قال فى المقدمة: و قد أسميت كتابى «صفوة التفاسير»؛ و ذلك لأنه جامع لعيون ما فى التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار و الترتيب، و الوضوح و البيان. فهو تفسير توسّط فيه المؤلف فى مسلكه العلمى، ليسهل فهمه على طلبة العلم بأسلوب سهل و عبارات ميسرة، و إيضاحات جيدة فى بيان تحليلى تربوى قريب التناول. طبع الكتاب فى ثلاث مجلدات، و كان تاريخ التأليف سنة (١٤٠٠ هـ).

٨- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز

تأليف الأستاذ محمد على دخيل، من ذوى النشاطات الدينية الحريضة على الإسلام و الدفاع عنه، إلى جنب تربية النشء الجديد تربية إسلامية عريقة، و من ثم كانت تأليفه تدور حول هذا المحور، مثل: ثواب الأعمال و عقابها، على فى القرآن، دراسات فى القرآن الكريم، قصص القرآن الكريم، المصحف المفسر، الوجيز- الذى هو مورد دراستنا-. فقد تم تأليفه سنة (١٤٠٥ هـ)، و طبع سنة (١٤٠٦ هـ)، فى مجلد واحد كبير، فى (٨٢٩) صفحة. و هو تفسير موجز شامل، يغلب عليه اللون التربوى التحليلى، متناسبا مع مستوى الجيل الحاضر. التزم فيه بنص الطبرى فى مجمع البيان مع مراعاة الاختصار. يبين فيه مجمل المعنى من دون أن يتوسّع فيه أو يتعرّض للأدب و البلاغة، و إنما يذكر اللغة و التفسير الموجز، مع ذكر الأحاديث الواردة، عن النبى أو أحد الأئمة عليهم السلام بحذف الأسناد، أحيانا، كما يتعرّض لمواضع الاستدلال التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٤ فى المذهب الإمامى فى ظرافة و إيفاء. و قد ألحق بآخره بحثا حول العقائد و الأخلاق و القصص، كدراسات موضوعية فى التفسير، كما تعرّض فى الختام لجانب من التفسير العلمى لآيات متناسبة فى ذلك. و من ثم فهو تفسير جامع فى وضعه، و شاف كاف لأبناء الجيل الحاضر، لمن أراد الإيجاز و الاختصار.

٩- تقريب القرآن إلى الأذهان

تفسير مزجى لطيف، شرح معانى الآيات على طريقة المزج بين الأصل و الشرح، مع بيان اللغة و أسباب النزول لدى الحاجة، و تعرّض لمسائل الفقه و الكلام عند المناسبة بصورة موجزة. يقع فى ثلاثين جزء حسب تجزئة القرآن، و كان تأليفه سنة (١٣٨٣ هـ) و تم طبعه سنة (١٤٠٠ هـ). تأليف الفقيه العلامة السيد محمد الشيرازى، من أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، صاحب بحوث و دراسات إسلامية موسّعة، و فى متنوع جوانبها. و له حول القرآن كتابات غير هذا، منها: «تسهيل القرآن» فى عشرة أجزاء، و «توضيح القرآن» فى ثلاثة أجزاء، و «تبيين القرآن»، و «الجنة و النار فى القرآن»، لم تخرج إلى عالم الطباعة.

١٠- النهر المادّ من البحر المحيط

تفسير أدبى، و نحوى لغوى، تأليف أبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى الغرناطى، المتوفى سنة (٧٤٥ هـ). اختصره من تفسيره الكبير «البحر المحيط» و طبع على هامشه، و هو تفسير لطيف حوى النكات الأدبية الرائعة التى كان أودعها فى تفسيره الكبير، و حذف منه

الأبحاث الجدلية المسهبة، و لخصها في هذا التفسير. قال في المقدمة: لما صُنفت كتابي الكبير المسمى ب «البحر المحيط»، عجز عن قطعه لطوله السابح. فأجريت منه نهرا تجري عيونته، و تلتقى بأبكاره فيه عيونته، لينشط الكسلان في اجتلاء جماله،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٥

و يرتوي الظمان بارتشاف زلاله. و ربما نشأ في هذا النهر مما لم يكن في البحر، و ذلك لتجدد نظر المستخرج للآلية، المبتهج بالفكرة في معانيه و معاليه. و ما أخليته من أكثر ما تضمنه البحر من نقوده، بل اقتصرت على يواقيت عقوده، و نكبت فيه عن ذكر ما في البحر من أقوال اضطربت بها لججه، و إعراب متكلف تقاصرت عنه حججه «١».

و هناك مختصر آخر للبحر المحيط لنتاج الدين الحنفى النحوى تلميذ أبي حيان، سماه «الدرّ اللقيط من البحر المحيط» مطبوع بالهامش أيضا. (١) مقدمة النهر الماد، بهامش البحر المحيط، ج ١، ص ٤ - ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٦

تفسير عرفانية (التفسير الرمزي و الإشاري)

إشارة

هناك لأهل العرفان الباطني تفاسير وضعت على أساس تأويل الظواهر، و الأخذ ببواطن التعبيرات دون دلالاتها الظاهرة، اعتمادا على دلالة الرمز و الإشارة فيما اصطلحوا عليه، مستفاداً من عرض الكلام و جانبه، و ليس من صريح اللفظ و صميم صلبه. فقد فرضوا لظواهر التعبير بواطن حملوها حملا على القرآن الكريم، استنادا إلى مجرد الذوق العرفاني الخاص، وراء الفهم المتعارف العام.

و هي نزعة صوفية «١» قديمة، دخيلة على الإسلام، بعد أن ترجمت الفلسفة (١) الصوفية، نسبة إلى الصوف: اسم رمزي لفئات جعلت شعارها التقشف في الحياة و التزهيد عن مباحها، و منه الاجتزاء بلبس الصوف بدلا من فاخر الثياب، كناية عن الإعراض عن مطلق الترفه في الحياة. و كان من مبتدعاتهم أن جعلوا «الطريقة» في مقابلة «الشريعة»، فرعموا: من أهل الشريعة هم أهل الظواهر، و أهل الطريقة هم أهل البواطن، و حسبوا من أنفسهم الجمع بين الطريقة و الشريعة، و لكن مفضلين الطريقة على الشريعة، زعما بأن الأصل هو الباطن، و أن الظاهر عنوان الباطن.

و قد تسربت النزعة الصوفية إلى بعض أوساط الخواص، حاملة اسم «العرفان» كانت طريقتهم في السلوك و العرفان أمتن و أدق ظرافة من طرائق العامة، و كانت تأويلاتهم لظواهر الكتاب و السنة أقرب و أضبط.

و لكلا الطائفتين تفاسير مبتنية على أساس التأويل، كل على شاكلته، سوف نتعرض إلى أمثلتها إن شاء الله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٧

اليونانية، في القرنين الثاني و الثالث، و تفتت في أوساط عامية كانت بعيدة عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام. و نحن إذ نستنكر على هؤلاء تأويلاتهم غير المستندة، نرى أن للقرآن ظهرا و بطنا، كما جاء في حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أسبقنا الكلام عنه، و كان «الظهر» عبارة عن المعنى المستفاد من تنزيل الآيات، و من ظاهر التعبير حسب الأصول المقررة في باب التفهيم و التفهم. و أما «البطن» فهو عبارة عن المفهوم العام الشامل، المستنبط من فحوى الآية و تأويلها إلى حيث تنطبق عليه من موارد مشابهة، حسب مَرّ الدهور. و كان للتأويل ضوابط ذكرنا حدودها و شرائطها، و ليس حسب الذوق المختلف حسب تنوع السلائق، كما ارتكبه القوم مع الأسف.

كان الصوفي إنما ينظر إلى القرآن نظرة تمشي مع أهدافه و تتفق مع تعاليمه، حسب النزعة الصوفية الباطنية، و لم يكن من السهل أن يجد في القرآن صراحة تتفق مع نظره، أو يتمشى بوضوح مع نزعته؛ حيث القرآن جاء لهداية الناس إلى معالم الحياة الكريمة، و جاء بتعاليم تتفق مع واقعيات الحياة. و لم يأت لإثبات أو دعم نظريات و تعاليم جاءت غير مألوفة، و لا هي ماسية بواقع الإنسان في هذه

الحياة، وإنما هي أشياء فرضوها فرضاً واحتملوها احتمالاً مجرداً عن الواقعيّات، وربما كانت متنافرة مع الفطرة والعقل السليم. غير أن الصوفي، زعماً منه في إمكان الجمع بين الشريعة والطريقة، يحاول أن يعثر على مقصوده حيثما وجد إلى ذلك سيلاً ولو بالفرض والاحتمال، و من ثمّ تراه يتعسف في تأويل ظواهر الكتاب والسنة من غير هوادة، و يتكلف في حمل الآيات القرآنية على معاني غريبة عن روح الشريعة، و يتخبط خبط عشواء بلا توجّه. و كان ذلك مصداقاً لامعا

لقوله صلى الله عليه وآله و سلم: «من فسّر القرآن برأيه فإن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٨

أصاب فقد أخطأ»

حيث أخطأ الطريق لا محالة.

و أولى سمات التفسير الصوفي البارزة، هو التكلم بلا- هوادة، و الأخذ في التأويل من غير ضابطه، و الاعتماد على سجع الكلام في تكلف ظاهر.

إن التفسير الصوفي لا يعتمد على مقدمات علمية و لا براهين منطقيّة، و لا يعلّله سبب معقول، و إنما هو شيء حسبه قد أفيض عليه بسبب إشراقات نوريّة، جاءته من محلّ أرفع. أنه يرى من مقامه الصوفي العرفاني و صلا إلى درجة الكشف و الشهود، لتكشف له المعاني من سجع العبارات، و تظهر له الإشارات القدسيّة، و تنهلّ على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات القرآنية و السنة النبويّة، من معارف سبحانية متعالية عن أفهام العامّة، هكذا يزعم الصوفي في هواجس خياله.

و بذلك افترت طرائق الصوفية عن مذاهب العلماء و الفقهاء، و طريقتهم القويمة في فهم الكتاب و السنة الشريفة، و من ثمّ لم يعتبر العلماء شيئاً من تأويلات الصوفية و من مشى على طريقتهم من أهل العرفان الباطني المجرد. و سيّضح هذا الجانب عند التعرّض لتفاسيرهم.

هذا القشيري- في تفسيره «لطائف الإشارات»- يفسّر كل بسملة من كل سورة حسبما يحلو له من مقال أو يتوح له من خيال، من غير ضابطه يعتمد عليها أو حجة مقبولة.

هو عند تفسير البسملة من سورة الحمد يقول:

الباء في «بسم الله» حرف التضمين، أي بالله ظهرت الحادثات، و به وجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، و حاصل منسوق، من عين و أثر و غبر، و غير من حجر و مدر، و نجم و شجر، و رسم و طلل، و حكم و علل، إلّا بالحق

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٩

وجوده، و الحق ملكه و من الحق بدؤه، و إلى الحق عوده، فبه وحد من وحد، و به جحد من ألد، و به عرف من اعترف، و به تخلف من اقترف «١».

لم نعرف حرف التضمين، و لم نعرف كيف فسّر البسملة من هذه السورة بهذه المعاني، و لكنه في سائر السور يفسرها بمعانٍ أخرى، و لعله يدعى أنّ هكذا ألهم و أشرق عليه، انظر إلى تفسيره لبسملة سورة البقرة:

الاسم مشتق من السموّ و السمّة، فسيبيل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهرة بأنواع المجاهدات، و يسمو بهمته إلى محالّ المشاهدات، فمن عدم سمّة المعاملات على ظاهره، و فقد سموّ الهمة للمواصلات بسرّائه، لم يجد لطائف الذكر عند قائلته، و لا كرائم القرب في صفاء حالته «٢».

و في بسملة سورة آل عمران:

اختلف أهل التحقيق- يعني بهم الصوفية و أهل التأويل- في اسم «الله» هل هو مشتق من معنى أم لا؟ فكثير منهم قالوا: إنه ليس بمشتق من معنى، و هو له سبحانه على جهة الاختصاص، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره، فإذا قرع بهذا اللفظ أسمع

أهل المعرفة لم تذهب فهو مهم و لا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه و حقه. و حق هذه القالة أن تكون مقرونة بشهود القلب، فإذا قال بلسانه: «الله» أو سمع بأذانه شهد بقلبه «الله».

و كما لا- تدلّ هذه الكلمة على معنى سوى «الله» لا يكون مشهود قائلها إلّا «الله»، فيقول بلسانه «الله»، و يعلم بفؤاده «الله»، و يعرف بقلبه «الله»، و يحبّ بروحه «الله»، و يشهد بسره «الله»، و يتملق بظاهره بين يدي «الله»، و يتحقق بسرّه (١) لطائف الإشارات، ج ١، ص ٥٦.

(٢) المصدر، ص ٦٤-٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٠

«الله»، و يخلو بأحواله «الله» و «فى الله»، فلا يكون فيه نصيب لغير «الله»، و إذا أشرف على أن يصير محوا فى الله، لله، بالله، تداركه الحق سبحانه برحمته، فيكاشفه بقوله: «الرحمن الرحيم» استبقاء لمهجته أن تلتف، و إرادة فى قلوبهم أن تنقى، فالتلطف سنّه منه سبحانه؛ لثلا يفنى أولياؤه بالكلية «١».

و فى بسملة النساء:

اختلفوا فى «الاسم» عما إذا اشتق، فمنهم من قال: إنه مشتق من السمّ، و هو العلوّ، و منهم من قال: إنه مشتق من السمّة، و هى الكيّة. و كلاهما فى الإشارة؛ فمن قال: إنه مشتق من «السمّ» فهو اسم من ذكره سمت رتبته، و من عرفه سمت حالته، و من صحبه سمت همّته، فسمو الرتبة يوجب و فور المثوبات و المبارّ، و سمو الحالة يوجب ظهور الأنوار فى الأسرار، و سمو الهيمّة يوجب التحرز عن رقّ الأغيار.

و من قال: أصله من «السمّة»، فهو اسم من قصده وسم بسمّة العبادة، و من صحبه وسم بسمّة الإرادة، و من أحبّه وسم بسمّة الخواصّ، و من عرفه وسم بسمّة الاختصاص. فسمّة العبادة توجب هيبّة النار أن ترمى صاحبها بشررها، و سمّة الإرادة توجب حشمة الجنان أن تطمع فى استرقاق صاحبها، مع شرف خطرها، و سمّة الخواص توجب سقوط العجب من استحقاق القرية للماء و الطينة على الجملة، و سمّة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة.

و يقال: اسم من و اصله سما عنده عن الأوهام قدره سبحانه. و من فاصله (١) لطائف الإشارات، ج ١، ص ٢٢٩-٢٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣١

و سم بكى الفرقة قلبه، و على هذه الجملة يدلّ اسمه «١».

و فى بسملة المائدة:

سما اسم «الله» يوجب الهيبّة، و الهيبّة تتضمّن الفناء و الغيبة، و سما «الرحمن الرحيم» يوجب الحضور و الأوبة، و الحضور يتضمن البقاء و القرية.

فمن أسمع «بسم الله» أدهشه فى كشف جلاله، و من أسمع «الرحمن الرحيم» عيشه بلطف إفضاله «٢».

و هكذا عند كل بسملة يأتى بجمل و عبارات ذات تسجيع متكلف فيه إلى تمام السور، لكنه عند سورة قريش، يغيّر الاتجاه، و ينسى منهجه الدائر، و يقول:

«بسم»، الباء فى «بسم» تشير إلى براءة سرّ الموحدين عن حسابان الحدثان، و عن كل شىء مما لم يكن فكان، و تشير إلى الانقطاع إلى الله فى السرّاء و الضراء و الشدّة و الرّخاء. و السين تشير إلى سكونهم فى جميع أحوالهم تحت جريان ما يبدو من الغيب، بشرط مراعاة الأدب. و الميم تشير إلى منّة الله عليهم بالتوفيق، لما تحقّقوا به من معرفته، و تخلّقوا من طاعته «٣».

و لم هذا التغيير فى الاتجاه؟ و لعله ألهم إليه إلهاما! نعم هناك ما يبرّر موقف الصوفية من هذه التأويلات، بأنها من تفسير الباطن للقرآن وراء تفسيره الظاهري، مع العلم أن للقرآن ظهرا و بطنا، و لا- يعنى التفسير الباطنى نفى التفسير الظاهري، بل هما معا ثابتان

جميعاً، و معه لا موضع للإنكار (١) لطائف الإشارات، ج ٢، ص ٥-٦.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ٩١.

(٣) المصدر، ج ٤، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٢

عليهم.

قال الأستاذ حسن عباس زكي «١» بصدد الدفاع عن مواضع الصوفية في تأويل القرآن:

فالمفسرون من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ و ما دلّ عليه الكلام من الأمر و النهى و القصص و الأخبار و التوحيد، و غير ذلك، و أهل التحقيق أو الصوفية يقرون تفسيرهم هذا، و يرونه الأصل الذي نزل فيه القرآن. و لكن لهم في كلام الله مع الأخذ بهذا التفسير الظاهري مذاقات لا يمكنهم إغفالها؛ لأنها بمثابة واردات أو هواتف من الحق لهم. فلا ينبغي أن نقف القرآن على تفسير معين على أنه المراد، فلا نقول كما يقول البعض: إن التفسير الظاهري وحده هو المقصود، كما لا يرى أهل التحقيق أنّ تفسيرهم وحده هو المراد؛ لأن القول بالتفسير الظاهري و حسب، تحديد لكلام الله غير المحدود، و إخضاع القرآن للغة التي مقياسها العقل المحدود، و الوقوف في تفسير كلام الله عند العقل المحدود، عقاب عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، و إغلاق الباب لمذاقات ليس العقل مجالها؛ لأنها لا تخضع لمقاييسه و إنما تخضع لشيء آخر فوقه، و تدرك بلطفه أخرى سواه، إذن فهناك ما فوق العقل إلا و هو القلب؛ فإن للقلب لغته كما أنّ للعقل لغته. و إذا كانت لغة العقل تدرك بالألفاظ، و يعبر عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق؛ لأنه لا يحيط بالتعبير عنها اللفظ.

و لنقرب إلى الفهم، فلغة القلب مثل التفاحة، فلن يستطيع من أكلها و أحسّ حلاوتها أن يترجم باللفظ أو يعبر بالوصف- لمن لم يأكلها قبل- عن طعمها (١) وزير الاقتصاد و التجارة الخارجية بمصر، له تعريف بتفسير القشيري أثبتته في مقدمة الكتاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٣

و مذاقتها، و هكذا لا تدرك لغة القلب بوصف أو بلفظ، و إنما يدركها ذو قلب متذوق؛ و لذلك لا تحيط بالتعبير عن لغة القلب العبارة، و إنما يعبر عنها بالإشارة.

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجليات و مشاهدات، و تلويح لما يفيض به الله على صفوته و أحبابه من أسرار في كلام الله، و كلام رسوله.

و من هنا كانت مذاقات الصوفية و أهل التحقيق في القرآن الكريم، و هم لا- يرون أنّ تلك المذاقات وحدها هي المرادة، و إنما يأخذونها إشارات من الله لهم بعد إقرار ما قاله أهل الظاهر من تفسير، باعتباره أصل التشريع.

و جليّ بعد ذلك أنه لا مجال لمتعرض ممن ينكر عليهم مذاقاتهم، و يراها ميلا بكلام الله عن مجراها، ما داموا لا يأخذون بمذاقاتهم وحدها، و إنما يأخذون بهما مع إقرارهم لتفسير أهل الشرع. فلا يعنينا من ذي جدل أن يقول عن هذه الإشارات: إنها إحالة لكلام الله و تغيير لسياقه و مجراه؛ لأنّ ذلك يصدق لو قالوا:

إنه لا معنى للآية إلّا هذا، و هم لا يقولون ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها، و يفهمون عن الله ما أفهمهم.

و ذلك مصداق الحديث الشريف: «لكل آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع» فالباطن لا يعارض الظاهر، و الظاهر لا يعارض الباطن.

و ذلك النهج بعيد كل البعد عما نادى به «الباطنية» من الأخذ بباطن القرآن لا ظاهره، و قصرهم معاني القرآن على ما ادعوه من تفسيراتهم دون غيره؛ لأنهم بذلك لا يقرون الشريعة و يبطلون العمل بها، و هم لا يخضعون دعواهم للنص القرآني، بل يخضعون النص القرآني لدعواهم.

و هنا يزول ما التبس على البعض من أن مذاقات الصوفية في القرآن الكريم، نزعة باطنية، فيبينهم و بينها آما و أبعاد، بل أنهم لبريثون

منها، و لينكرونها كل الإنكار، و واضح ذلك من أنهم يأخذون بالباطن بعد الأخذ بالظاهر، و يقرون

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٤

الحقيقة بعد الأخذ بالشريعة، و يرون أن الحقيقة نفسها أساسها الشريعة، فالفرق ثمة كبير، و البون شاسع و عظيم.

و لا مجال بعد هذا الإيضاح لإنكار من ينكر على الصوفية مذهبهم في الإشارات و ما يختصهم الله به في كلامه و كلام رسوله صلى الله عليه و آله و سلم من الأسرار و الفيوضات.

على أن تلك الإشارات أمر مشروع أقره الحديث المذكور آنفا «لكل آية ظاهر و باطن و حدّ و مطلع» فأربابها متبعون لا مبتدعون، اختصهم الله بأسراره في آياته، ليكونوا مصايح الهدى في غسق الدجى، كما أقره عمد الدين و ذوو العلم من المؤلفين:

قال سعد الدين التفتازانى، في شرح العقائد النسفية: «و أما ما ذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص مصروفة على ظواهرها، و مع ذلك فيها إشارات خفية إلى حقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان و محض العرفان» (١).

و قال الشيخ زروق: «نظر الصوفى أخص من نظر المفسر و صاحب فقه الحديث؛ لأن كلا منهما يعتبر الحكم و المعنى ليس إلّا، و هو يزيد بطلب الإشارة بعد إثبات ما أثبتاه».

فإذا دار المفسر في حدود اللفظ القرآنى، و استنبط منه الفقهاء ما استنبطوا من أحكام، فأولى الأبواب و ذوى البصائر فيه بعد ذلك من الأسرار و الحقائق ما لا ينكشف لسواهم و لا يدرکه غيرهم، و ذلك لتجدد واردات الحق عليهم، و دوام (١) شرح العقائد النسفية، ص ١٢٠ (ط كابل).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٥

تنزل الفيوضات على قلوبهم؛ لأنهم أهله و محبوه (١).

و لقد أبدع الأستاذ زكى و أبدى براعته في الدفاع عن حريم الصوفية و تأويلاتهم لنصوص الشريعة، لكنه تطوع في الدفاع محاولا التغطية على انحرافات القوم و عدم الإفشاء، مروراً عليها مرور الكرام، صونا على عرضهم و عدم هتك نوايسهم. و هل الواقعية تساند هذا الدفاع؟ هذا شيء آخر، و لعل الأمر بخلافه.

إن شريعة الله، ظاهرة و باطنة، ذات حقيقة واحدة، و تتجلى خلال أوامره و نواهيه و أحكامه و تكاليفه، من عبادات و فرائض و أصول معارف و فروع مسائل، إن قام بها المكلف عن إيمان و إخلاص، فقد احتضن الحقيقة و أصابها و استضاء بنورها، و كانت له فيها السعادة و النجاة في الدارين، كما سعد السلف الصالح و بلغوا ساحل النجاة.

أمّا أن هناك طريقة وراء الشريعة، فمن سلك الطريقة بلغ الحقيقة، و من اقتصر على الشريعة لم ينل سوى المظاهر دون اللب و الصميم. فهذا أمر غريب و مبتدع ابتدعه أهل التأويل. في عهد متأخر عن دور الصحابة و التابعين لهم بإحسان.

و ما هذه الحقيقة الكامنة وراء الشريعة، و التي اتخذها الصوفية طريقة في السلوك و عرفانا إلى الواقع الصميم؟! هل هي تلك الخلسات و الجلسات العجيبة، و الأوراد و الأذكار المبتدعة في أطوارها و كيفياتها، مما لم يأت الله بها من سلطان، و إنما هي شيء ابتدعوها ابتداعاً لا مستند لها. (١) مقدمة تفسير القشيري، ج ١، ص ٤-٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٦

أما الواردات (إلهامات) التي أشار إليها الأستاذ، فشيء تدعيه الصوفية و أرباب السلوك الصوفى المجرد، و ليست سوى خواطر و أوهام و هواجس و تخيلات بحتة، لو لم نقل إنها من همزات الشياطين.

نعم السلوك إلى الله كامن وراء الإخلاص في العمل بتكاليف الشريعة و الالتزام بتعاليمه القيمة محضاً، و ليس في غير ذلك سوى ابتداع و انحراف عن الحقيقة، أيّا كان نمطه و لونه، فرب عمل كان في أصله مشروعاً، لكنه أصبح بسبب ملبسات و زيادات كماً أو

كيفاً ضلالةً و بدعةً؛ إذ لم يرد بشأنها نص في الكتاب أو السنة الشريفة.

و بالجملة فإن الأعمال التي يزاولها أهل القشف في السلوك الصوفي، أعمال غريبة عن روح الإسلام، و لا ينبغي أن نصفها بصفة الحقيقة الربانية كما يزعمون.

و كل يدعى وصلاً بليلي و ليلي لا تقر لهم جواباً

هذا مضافاً إلى وفرة شطحات هؤلاء ملأت دفاترهم و سجلاتهم، لا تدع مجالاً لأى تبرير لمواضعهم، حتى و لو كان شكلياً. و سيوافيك نقم العلماء على مواضع الصوفية في تأويلاتهم الباطلة، عند الكلام عن تفسير السلمى، شيخ القشيري و مقتداه في التفسير. و نتعرض هناك لتأويلات لا تنسجم مع روح الشريعة، و لا هي تتوافق مع لفظ القرآن، لا في ظاهره و لا في باطنه.

و الحديث الشريف: «إن للقرآن ظهراً و بطناً...»، و «أن ظهره تنزيله و بطنه تأويله...» لا- يعنى هواجس أهل التصوف أو تخيلاتهم المزعومة. و قد أسبقنا أن للتأويل (كشف باطن الآية) شروطاً كما أن للتفسير (فهم ظاهر الآية) أيضاً شروطاً، و ليس هذا أو ذاك مطلق العنان، يجرى حسبما يشتهي أهل الأهواء.

و عليك بمراجعة ما يأتى من نماذج من تأويلاتهم التي لا تعدو تخيلات.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٧

أيها المدعى سليمى هواها لست منها و لا قلامه ظفر

إنما أنت فى هواها كواو ألصقت فى الهجاء ظلماً بعمرو

و يجدر بنا أن ننبه على أن تفاسير الصوفية ليست على نمط واحد من الاعتبار أو السقوط، بل بين رفيع و وضع، و أسلم تفاسيرهم، هو تفسير القشيري نسبياً؛ حيث خلّوه عن أكثر شطحات الصوفية المعروفة عنهم. و أسلم منه تفسير الميبدى الموسوم ب «كشف الأسرار و عدة الأبرار» على ما سنذكره.

التنوع فى التفسير الباطنى

قد ينوع التفسير الصوفى إلى نوعين: نظرى و فيضى، حسب تنوع المتصوفة إلى تصوف نظرى و عملى، ليكون التصوف النظرى مبتنياً على البحث و الدراسة، أما التصوف العملى فهو الذى يقوم على التقشف و التزهد و التفانى فى العبادة (الأذكار و الأوراد).

و عليه فالتفسير الصوفى النظرى، تفسير أولئك المتصوفة الذين بنوا تصوفهم على مباحث نظرية فلسفية، ورثوها من يونان القديمة، و من الصعب جداً أن يجد هؤلاء فى القرآن ما يتفق و تعاليمهم، و هى بعيدة عن روح القرآن و تعاليم الإسلام، اللهم إلا إذا حملوا نظرياتهم على القرآن و أقحموا عليه إجحاماً.

قال الأستاذ الذهبى: و نستطيع أن نعتبر الأستاذ الأكبر محبى الدين بن عربى، شيخ هذه الطريقة فى التفسير؛ إذ إنه أظهر من خب فيها و وضع، و أكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظرى «١». (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٨

و أما التفسير الفيضى، فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات رمزيّة، تظهر لأرباب السلوك و الرياضة النفسية، من غير ما دعم بحجة أو برهان.

قال الذهبى: و الفرق بينه و بين التفسير الصوفى النظرى من وجهين.

أولاً: أن النظرى يبنى على مقدمات علمية تنقح فى ذهن الصوفى أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك. أما التفسير الفيضى الإشارى فيرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية، و تنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانيا: أنّ التفسير الصوفي النظري، يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه. أمّا التفسير الفيضى الإشارى فلا يرى الصوفى أنه كل ما يراد من الآية، بل يرى أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية، ويراد منها أولا وقبل كل شيء، و ذلك هو المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره «١».

لكننا لا نرى تفاوتاً فى تفاسير الصوفية، سوى الشدة و الضعف فى تأويلاتهم التى يتكلفونها حسب أذواقهم و سلاتقهم، بلا استناد و لا أساس، و كلّها معدود من التفسير بالرأى المقيت.

إذ لم نر من استند منهم على مقدّمه علمية و لا برهان واضح، سوى سوانح و خواطر عارضه، يحسبونها إشراقات جاءتهم من مكان على، و ليس سوى (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٩

ادّعاءات فارغة كسرابٍ بقيقَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ ماءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً «١».

نعم هناك منهم من يحاول الجمع بين الظاهر و الباطن، تأليفاً بين الشريعة و الطريقة، كالقشيري فى تفسيره، و منهم من يقتصر على الباطن معرضاً عن الظاهر، إما منكرًا له كالباطنية المحضة، أصحاب الحسن السباح، و هم الملاحدة، و على نظيرهم الخوارج و القرامطة. و كذا بعض تفاسير الصوفية ممن اقتصروا على محض الباطن، كمحبي الدين بن عربى فى تفسيره الباطنى المنسوب إليه.

لكنه مع ذلك لم ينكر الظواهر، و قد فسر القرآن أثناء كتبه تفسيراً آخر حسب الظاهر المعروف «٢».

و مثله تفسير أبى محمد الشيرازى «عرائس البيان» جرى فى تفسيره على نمط واحد هو التفسير الإشارى، و لم يتعرض للتفسير الظاهر بحال، و إن كان يعتقد أنه لا بدّ منه أولاً، كما صرح بذلك فى مقدمه تفسيره، و سنذكره.

أهم تفاسير الصوفية و أهل العرفان

إشارة

لأهل العرفان الباطنى تفاسير متنوعة فى البناء على تأويل الآيات، حسب مشاربهم فى التصوّف و العرفان، فمنهم من جمع بين تفسير الظاهر و الباطن فاصلاً بينهما كلّاً على حدّه، و منهم من مزج بين الأمرين من غير فصل بينهما، و ربما حصل خلط من ذلك بحيث لا يعرف القارئ أنه تفسير أو تأويل، و منهم (١) النور/ ٣٩.

(٢) جمعه محمود الغزّاب من علماء دمشق المعاصرين حسبما نذكر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٠

من اقتصر على مجرد التأويل محضاً، حسبما نذكر من تفاسيرهم.

١- تفسير التستري

و لقد بدأ التفسير الباطنى اعتماداً على تأويل الآيات منذ القرن الثالث على يد أبى محمد سهل بن عبد الله التستري من مواليد سنة (٢٠٠ هـ) و المتوفى سنة (٢٨٣ هـ). فإن له تفسيراً على طريقة الصوفية جمعه أبو بكر محمد بن أحمد البلدى، و قد طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة (١٩٠٨ م) فيما لا يزيد على مائتى صفحة.

كان التستري من كبار العارفين، و قد ذكرت له كرامات، و لقي الشيخ ذا النون المصرى بمكة، و كان صاحب رياضة و اجتهاد وافر. أقام بالبصرة زمناً طويلاً، و توفى بها.

و تفسيره هذا مطبوع فى حجم صغير، لم يتعرض فيه المؤلف لتفسير جميع القرآن، بل تكلم عن آيات محدودة و متفرقة من كل سورة. و يبدو أنّ التفسير مجموعة من أقوال سهل فى التفسير، جمعها البلدى المذكور فى أول الكتاب، و الذى يقول كثيراً: قال أبو

بكر: سئل سهل عن معنى آية كذا، فقال: كذا.

وللكتاب مقدمة جاء فيها توضيح معنى الظاهر و الباطن و معنى الحدّ و المطلع، فيقول: ما من آية في القرآن إلّا و لها ظاهر و باطن و حد و مطلع. فالظاهر:

التلاوة، و الباطن: الفهم. و الحد: حلالها و حرامها، و المطلع: إشراق القلب على المراد بها، فقها من الله عزّ و جل فالعلم الظاهر علم عام، و الفهم لباطنه، و المراد به خاص. و يقول في موضع آخر: قال سهل: إن الله تعالى ما استولى وليا من أمه محمد صلى الله عليه و آله و سلم إلّا علمه القرآن، إما ظاهرا و إما باطنا. قيل له: إن الظاهر نعرفه،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤١

فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، و إن فهمه هو المراد «١».

و نجده أحيانا لا- يقتصر على التفسير الإشارى وحده، بل ربما ذكر المعانى الظاهرة ثم يعقبها بالمعانى الإشارية. و حينما يعرض للمعانى الإشارية لا يكون واضحا فى كل ما يقوله، بل تارة يأتى بالمعانى الغريبة التى يستبعد أن تكون مرادة لله تعالى، كالمعانى التى يذكرها فى تفسير البسمة:

الباء: بهاء الله. و السين: سناء الله. و الميم: مجد الله. و الله: هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها، و بين الألف و اللام منه حرف مكئى، غيب من غيب إلى غيب، و سرّ من سرّ إلى سر، و حقيقة من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلّا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواما ضرورة الإيمان. و الرحمن: اسم فيه خاصية من الحرف المكئى بين الألف و اللام. و الرحيم: هو العاطف على عباده بالرزق فى الفرع، و الابتداء فى الأصل، رحمة لسابق علمه القديم «٢».

و بهذا النسق فسّر «الم»، و تبعه على ذلك أبو عبد الرحمن السلمى، و من بعدهما من مفسرى الصوفية و أهل العرفان «٣».

و ربّما فسّر الآية بما لا يحتمله اللفظ، و ليس سوى الذوق الصوفى حمله على الآية حملا، من ذلك ما ذكره فى تفسير الآية و لا تقربا هذه الشجرة «٤»:

لم يرد الله معنى الأكل فى الحقيقة، و إنما أراد معنى مساكنة الهممة لشىء هو غيره، أى لا تهتم بشىء هو غيرى. قال: فآدم عليه السلام لم يعصم من الهممة و الفعل فى الجنة، (١) تفسير التستري، ص ٣.

(٢) المصدر، ص ٩-١٢.

(٣) حقائق التفسير للسلمى، ص ٩.

(٤) البقرة/ ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٢

فلحقه ما لحقه من أجل ذلك. قال: و كذلك كل من ادعى ما ليس له و ساكنه قلبه ناظرا إلى هوى نفسه، لحقه الترك من الله عزّ و جل مع ما جبلت عليه نفسه، إلّا أن يرحمه الله، فيعصمه من تدبيره و ينصره على عدوّه و عليها. قال: و آدم لم يعصم عن مساكنة قلبه إلى تدبير نفسه للخلود لَمَّا أدخل الجنة، ألا ترى أن البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما و سوست به نفسه، فغلب الهوى و الشهوة العلم و العقل و البيان و نور القلب، لسابق القدر من الله تعالى، كما قال صلى الله عليه و آله و سلم: الهوى و الشهوة يغلبان العلم و العقل «١».

و فى أغلب الأحيان يجرى فى تفسيره مع ظاهر الآية أولا، ثم يعقبه بما سنح له من خواهر صوفية يجعلها تأويلا و تفسيريا لباطن الآية. من ذلك تفسيره للآية و الجارِ ذى القربى و الجارِ الجنبِ و الصّاحِبِ بالجنبِ و ابنِ السبيلِ «٢» حيث يقول بعد ذكره للتفسير الظاهر: و أما باطنها، فالجارِ ذى القربى هو القلب، و الجارِ الجنب هو الطبيعة، و الصّاحِبِ بالجنب هو العقل المقتدى بالشرعية، و ابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله «٣».

و عند تفسيره للآية ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبُرِّ وَ الْبُحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ «٤» يقول: مثل الله الجوارح بالبر، و مثل القلب بالبحر، و هم أعم نفعاً و أكثر خطراً. هذا هو باطن الآية، ألا ترى أن القلب إنما سمى قلباً لتقلبه، و بعد غوره «٥». (١) تفسير التستري، ص ١٦-١٧.

(٢) النساء / ٣٦.

(٣) تفسير التستري، ص ٤٥.

(٤) الروم / ٤١.

(٥) تفسير التستري، ص ٤٥. و راجع: الذهبي، ج ٢، ص ٣٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٣

٢- حقائق التفسير للسلمي

و ثانياً تفاسير الصوفية التي ظهرت إلى الوجود، تفسير أبي عبد الرحمن السلمي، المسمى بـ «حقائق التفسير» هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، المولود سنة (٣٣٠) و المتوفى سنة (٤١٢). كان شيخ الصوفية و رائدهم بخراسان، و له اليد الطولى في التصوف، و كان موفقاً في علوم الحقائق حسبما اصطلح عليه القوم و كان على جانب كبير من العلم بالحديث، أخذ منه الحاكم النيسابوري و القشيري صاحب التفسير.

و هذا التفسير من أهم تفاسير الصوفية، و يعدّ من أمّهات المراجع للتفسير الباطني لمن تأخر عنه، كالقشيري و الشيرازي و أضرابهما من أقطاب الصوفية.

و هو امتداد للتفسير الصوفي الذي ابتدعه التستري من ذي قبل و تفصيل فيه، و تحرير واسع للذوق الصوفي في فهمه لمعاني كلمات الله في القرآن العظيم.

يقول في مقدمته:

«لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات و تفاسير و مشكلات و أحكام، و إعراب و لغة، و مجمل و مفصل، و ناسخ و منسوخ، و لم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً استحسنها من ذلك، و أضمت أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، و أرتبه على السور، حسب وسعي و طاقتي» (١).

غير أن الاقتصار على المعاني الإشارية، و الإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا التفسير، ترك للعلماء مجالاً للطعن عليه، و لقي معارضات شديدة من معاصريه و ممن أتوا بعده، فاتهم بالابتداع و التحريف و القرمطة، و وضع (١) حقائق التفسير للسلمي، ص ١-٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٤

الأحاديث على الصوفية.

يقول ابن الصلاح «١» في فتاواه و قد سئل عن كلام الصوفية في القرآن:

وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السلمي «حقائق التفسير» فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير، فقد كفر.

قال: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، و لا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك، كانوا قد سلخوا مسلك الباطنية، و إنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير، و من ذلك قتال النفس في الآية الكريمة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ «٢» فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس و من يلينا من الكفار، و مع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإبهام و الإلباس «٣».

قال أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ) - و هو قريب عهد به- قال لى محمد بن يوسف القطان

النيسابوري: كان السلمي غير ثقة. قال الخطيب: و كان يضع للصوفية الأحاديث «٤». (١) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام في قطره و عصره، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتى صلاح الدين عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الموصلى. ولد سنة (٥٧٧ هـ) و توفي سنة (٦٤٣ هـ) بدمشق، و دفن بمقبرة الصوفية، و كان قبره ظاهرا يزار. (سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٢٣، ص ١٤٠، رقم ١٠٠) (٢) التوبة/ ١٢٣.

(٣) فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٩. (الذهبي، ج ٢، ص ٣٦٨).

(٤) تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٢٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٥

و هكذا وصفه أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة (٧٢٨ هـ) بالوضع و الاختلاق. قال: و ما ينقل في «حقائق» السلمي من التفسير عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عامته كذب على جعفر، كما قد كذب عليه غير ذلك «١».

قال الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) في «تذكرة الحفاظ»: «ألف السلمي حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب و تأويلات الباطنية، نسأل الله العافية» «٢».

و قال في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «و للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ و الرواة سؤال عارف. و في الجملة ففي تصانيفه أحاديث و حكايات موضوعة. و في «حقائق التفسير» أشياء لا تسوغ أصلا، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، و عدّها بعضهم عرفانا و حقيقة، نعوذ بالله من الضلال و من الكلام بهوى» «٣».

و من ثمّ عدّ السيوطى المتوفى سنة (٩١١) تفسير السلمي في كتابه «طبقات المفسرين» ضمن التفاسير المبتدعة. قال: و إنما أوردته في هذا القسم لأنه غير محمود «٤».

و هكذا ذكر الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي المتوفى سنة (٩٤٥ هـ) في «طبقات المفسرين»، قال: و كتاب «حقائق التفسير» للسلمي قد (١) منهاج السنة، ج ٤، ص ١٥٥.

(٢) تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٥٢.

(٤) طبقات المفسرين للسيوطى (ط ليدن) ص ٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٦

كثر الكلام فيه، من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات و محامل للصوفية، ينبو عنها ظاهر اللفظ «١».

و إليك الآن نماذج من تأويلات السلمي، مما ينبو عنها لفظ القرآن الكريم:

قال في الآية و لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ «٢»: قال محمد بن الفضل: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أى اخرجوا حب الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل منهم فى العدد، كثير فى المعانى، و هم أهل التوفيق و الولايات الصادقة «٣».

و فى سورة الرعد عند قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ «٤» يقول: قال بعضهم: هو الذى بسط الأرض و جعل فيها أوتادا من أوليائه و سادة من عبيده، فإليهم الملجأ و بهم النجاة، فمن ضرب فى الأرض يقصدهم فاز و نجا، و من كان بغيته لغيرهم خاب و خسر. سمعت على بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الحريرى يقول: كان فى جوار الجنيد إنسان مصاب فى خربة، فلما مات الجنيد و حملنا جنازته، حضر الجنازة، فلما رجعنا تقدّم خطوات و علا موضعا من الأرض عاليا، فاستقبلنى بوجهه، و قال: يا أبا محمد، إنى لراجع إلى تلك الخربة، و قد فقدت ذلك السيد، ثم أنشد شعرا:

و ما أسفى من فراق قوم هم المصاييح و الحصون

(١) طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) النساء / ٦٦.

(٣) تفسير السلمى (حقائق التفسير)، ص ٤٩.

(٤) الرعد / ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٧

و المدن و المزن و الرواسى و الخير و الأمن و السكون

لم تتغير لنا الليالى حتى توفتهم المنون

فكل جمر لنا قلوب و كل ماء لنا عيون «١»

و فى سورة الحج عند قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً «٢»، يقول: قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحاب القربة، و فتح إلى قلوب عباده عيوننا من ماء الرحمة، فأنبت فاحضرت بزينة المعرفة، و أثمرت الإيمان، و أينعت التوحيد، أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها، و اشتاقت إلى ربها فطارت بهمتها، و أناخت بين يديه، و عكفت فأقبلت عليه، و انقطعت عن الأكوان أجمع. ذاك آواها الحق إليه، و فتح لها خزائن أنواره، و أطلق لها الخيرة فى بساتين الأنس، و رياض الشوق و القدس «٣».

و فى سورة الرحمن عند قوله تعالى: فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ «٤» يقول: قال جعفر: جعل الحق تعالى فى قلوب أوليائه رياض أنسه، فغرس فيها أشجار المعرفة، أصولها ثابتة فى أسرارهم، و فروعها قائمة بالحضرة فى المشهد، فهم يجنون ثمار الأنس فى كل أوان، و هو قوله تعالى: فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ أَى ذَاتِ الْأُلْوَانِ، كل يجتنى منه لونا على قدر سعته، و ما كوشف له من بوادى المعرفة و آثار الولاية «٥». (١) تفسير السلمى، ص ١٣٨.

(٢) الحج / ٦٣.

(٣) تفسير السلمى، ص ٢١٢.

(٤) الرحمن / ١١.

(٥) تفسير السلمى، ص ٣٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٨

و فى سورة الانفطار إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ «١» يقول: قال جعفر: النعيم: المعرفة و المشاهدة، و الجحيم: النفوس، فإن لها نيرانا تتقد «٢».

و فى سورة النصر إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ «٣» يقول: قال ابن عطاء الله:

إذا شغلك به عمّا دونه فقد جاءك الفتح من الله تعالى، و الفتح: هو النجاة من السجن البشرى بقاء الله تعالى «٤».

٣- لطائف الإشارات للقشيري

هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابورى. ولد فى قرية من ضواحي نيسابور سنة (٣٧٦ هـ) و مات أبوه و هو صغير، فاتجهت به أسرته نحو طلب العلم، فبرع فيه حسبما دارت رحى العلم فى ذلك العهد، فى الفقه و الحديث و الأدب و الأصول و التفسير. و سار فى درب الصوفية على يد أبى الحسن ابن الدقاق المتوفى سنة (٤٤٨ هـ) من كبار مشايخ الصوفية ذلك العهد، و قد أشار عليه أن يحضر حلقات درس أبى بكر الطوسى، و ابن فورك، و الأسفرايينى. و فى أثناء ذلك كان يداوم على درس ابن الدقاق، و لما توفى انتقل إلى دروس عبد الرحمن السلمى المتوفى سنة (٤١٢ هـ) حتى أصبح شيخ خراسان فى الفقه و الكلام، مع تصدير فى الحديث و الوعظ و الإرشاد. و توفى سنة (١٣-١٤).

(٢) تفسير السلمى، ص ٣٨٥.

(٣) النصر / ١.

(٤) تفسير السلمى، ص ٤٠٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٩

(٤٦٥ هـ) بمدينة نيسابور.

و تفسيره هذا امتداد للتفسير الصوفى الباطنى، معتمداً فى أكثر الأحيان على تأويلات قد ينبو عنها ظاهر لفظ الآية الكريمة. لكنه مع ذلك حاول أن يوفق بين علوم الحقيقة - حسب مصطلحهم - و علوم الشريعة، قاصداً أن لا تعارض بينهما، و أن أى كلام يناقض ذلك فهو خروج على كليهما؛ إذ كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبول، و كل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصول، فالشريعة أن تعبد، و الحقيقة أن تشهد. كما جاء فى «الرسالة القشيرية» (١).

حاول فى هذا التفسير أن يبرهن على أن كل صغيرة و كبيرة فى علوم الصوفية، فإن لها أصلاً من القرآن. و يتجلى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفى صريحا فى النص القرآنى، كالذكر و التوكل و الرضا، و الولي و الولاية و الحق، و الظاهر و الباطن، و القبض و البسط. فإنك عند خلال قراءة التفسير لا تكاد تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم و فروعهم من كتاب الله الكريم، و أن علومهم ليست غريبة و لا مستوردة، كما يحلو لكثير من الباحثين، حين يرون التصوف الإسلامى متأثراً بالتيارات الأجنبية، اليونان و الفرس و الهند.

كذلك تلحظ عبقرية القشيري إزاء اللفظة أو الآية، حينما لا يكون فيها اصطلاح صوفى، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات فى الصحبة و الصاحب، و من علاقة النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأصحابه إشارات عن الشيخ و مريديه، و من مظاهر الطبيعة كالشمس و القمر و المطر و الجبال إشارات تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضات و المجاهدات، أو بالمواصلات و الكشوفات. (١) الرسالة القشيرية، ص ٤٦. و راجع: مقدمة تفسير القشيري، ج ١، ص ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٠

و من ثم فإنه من أوفق التفاسير الصوفية فى الجمع بين الشريعة و الطريقة، و أسلمها عن الخوض فى التأويلات البعيدة التى يأبأها اللفظ و ينفرها، كما فى سائر تفاسيرهم.

و لذلك فإن فيه بعض الشطحات أو التأويلات البعيدة، مما يعد تفسيراً بالرأى الممنوع منه شرعاً، مثلاً عند قوله تعالى: وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١) يقول: الأمر فى الظاهر بتطهير البيت، و الإشارة من الآية إلى تطهير القلوب. و تطهير البيت بصونه عن الأدناس و الأوضار، و تطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس و الأغيار.

و طواف الحجاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، و طواف المعانى معلوم لأهل الحق، فقلوب العارفين المعانى فيها طائفة، و قلوب الموحدين الحقائق فيها عاكفة، فهؤلاء أصحاب التلوين، و هؤلاء أرباب التمكين (٢).

و قلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة.

و قلوب الموحدين على بساط الوصل أبداً راکعة.

و قلوب الواجدين على بساط القرب أبداً ساجدة.

و يقال: صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم أبداً واقفة، و سوامى قصود (١) البقرة / ١٢٥.

(٢) التلوين و التمكين لفظان اصطلاحيان: التلوين صفة أرباب الأحوال، و التمكين صفة أهل الحقائق. فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقى من حال إلى حال، و ينتقل من وصف إلى وصف، و هو أبداً فى الزيادة. أما صاحب التمكين فوصل ثم اتصل، و أماره أنه اتصل أنه بالكليّة عن كليته بطل، و التغيير بما يرد على العبد إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه، و السكون إما لقوته

أو لضعف الوارد عليه. (الرسالة القشيرية، ص ٤٤).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥١

المريدين بمشهد الجود أبدا طائفة، و وفود همم العارفين بحضرة العزّ أبدا عاكفة «١».

وقال في قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَتْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيُغَلِّمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ - إلى قوله - يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ، وَ مَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ «٢»: و الإشارة فيه أن من قصد بيتنا فينبغي أن يكون الصيد منه في الأمان، لا يتأذى منه حيوان بحال؛ لذا قالوا: البرّ من لا يؤذى الذرّ و لا يضمّر الشرّ. و يقال: الإشارة في هذا أن من قصدنا فعليه نبد الأطماع جملة، و لا ينبغي أن تكون له مطالبة بحال من الأحوال. و كما أن الصيد على المحرم حرام إلى أن يتحلل، فكذلك الطلب و الطمع و الاختيار على الواجد حرام ما دام محرما بقلبه. و يقال: العارف صيد الحق، و لا يكون للصيد صيد.

و إذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفارة، و إذا لاحظ العارف الأغيار، أو طمع أو رغب في شيء أو اختار لزمته الكفارة، و لكن لا يكتفى منه بجزاء المثل و لا بأضعاف أمثال ما تصرّف فيه أو طمع، و لكن كفارته تجرّده على الحقيقة عن كل غير، قليل أو كثير، صغير أو كبير.

قوله عز و جل: أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ، وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ «٣» قال: حكم البحر خلاف حكم البرّ، و إذا غرق العبد (١) لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) المائة/ ٩٤ - ٩٥.

(٣) المائة/ ٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٢

في بحار الحقائق سقط حكمه، فصيد البحر مباح له؛ لأنه إذا غرق صار محوا، فما إليه ليس به و لا منه إذ هو محو، و الله غالب على أمره «١».

و قد تقدّم تفسيره للبسملة في كل سورة بمعنى يغيّر معناها في سورة أخرى، و هل هذا مستند إلى دليل، أو مجرد ذوق عرفاني لا أساس له؟!.

٤- كشف الأسرار و عدّة الأبرار (تفسير الميبدى) المعروف بتفسير الخواجا عبد الله الأنصاري

إشارة

أصل هذا التفسير للخواجة عبد الله الأنصاري، ثم بسطه و وضّح مبانيه المولى أبو الفضل رشيد الدين الميبدى، كما يقول في المقدمة: «أما بعد فإنني طالعت كتاب شيخ الإسلام، فريد عصره و وحيد دهره، أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري - قدس الله روحه - في تفسير القرآن، و كشف معانيه، و رأيت قد بلغ به حدّ الإعجاز لفظا و معنى و تحقّقا و ترصيعا، غير أنه أوجز غاية الإيجاز، و سلك فيه سبيل الاختصار، فلا يكاد يحصل غرض المتعلّم المسترشد، أو يشفى غليل صدر المتأمل المستبصر، فأردت أن أنشر فيه جناح الكلام، و أرسل في بسطه عنان اللسان، جمعا بين حقائق التفسير و لطائف التذكير، و تسهيفا للأمر على من اشتغل بهذا الفنّ، فصمّمت العزم على تحقيق ما نويت، و شرعت بعون الله في تحرير ما هممت، في أوائل سنة عشرين و خمسمائة، و ترجمت الكتاب بكشف الأسرار و عدّة الأبرار» «٢». (١) لطائف الإشارات، ج ٢، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) كشف الأسرار و عدّة الأبرار، ج ١، ص ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٣

أما الخوaja، فهو الإمام القدوة الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، من ذرية صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبي أيوب الأنصاري. مولده بهرات سنة (٣٩٦ هـ) وتوفي بها سنة (٤٨١ هـ) وقبره مزار مشهود هناك. كان علي حظاً وافراً من العربية والفقه والحديث والتاريخ والأنساب، إماماً كاملاً في التفسير، حسن السيرة في التصوف، غير مشغول بكسب، مكتفياً بما يباسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه في العام مرة أو مرتين على رأس الملأ فيحصل على ألوف من الدنانير وأعداد من الثياب والحلي، فأخذها وفرّقها على اللّحّام والخباز، وينفق منها، ولا يأخذ من السلطان ولا من أركان الدولة شيئاً. وقل ما يراعيهم، ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقى عزيزاً مقبولاً قبولاً أتم من الملك، مطاع الأمر نحواً من ستين سنة، من غير مزاحمة. وقد كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظّمونه ويتغالون فيه، ويبدلون أرواحهم فيما يأمر به. كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوراً راسياً في السينة لا يتزلزل ولا يلين. وقد امتحن عدّة مرات وأوذى في الله. وله مقامات وحكايات ذكرها أرباب التراجم «١».

وأما الميبدى فهو الإمام السعيد رشيد الدين أبو الفضل ابن أبي سعيد أحمد بن محمد بن محمود الميبدى «٢»، وكان أبوه جمال الإسلام أبو سعيد قد توفي قبل الخوaja بسنة - سنة ٤٨٠ هـ - ومن ثم فإن المترجم كان قد أدرك (١) راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ٣، ص ١١٨٣، رقم ١٠٢٨. و سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٥٠٣، رقم ٢٦٠. (٢) راجع: مقدمة التفسير بقلم الدكتور علي أصغر حكمت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٤

الخوaja، ومن ثم وصفه أصحاب التراجم بالتلمذة لديه «١». قد تصدّى تحرير تفسير شيخه عام (٥٢٠ هـ) أي بعد وفاة شيخه بأربعين سنة. و ميبدى بلدة من ضواحي يزد - إيران.

ويظهر من تأليفه هذا الفخيم أنه كان على مستوى رفيع من الفضيحة والأدب السامي، ولا سيما في الأدب الفارسي البديع؛ حيث تستجيعه المتين وترصيفه الرصين، في جزالة وسلاسة وسهولة في التعبير، ولا سيما في النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفاني العميق والأدب الرفيع، تجدهما قد امتزجا في كلامه، ف جاء شيئاً طريفاً يستدعي التحسين والإعجاب.

أما التفسير ذاته فيعدّ من أكبر وأضخم تفسير كتب على الطريقة العرفانية الصوفية، في عشر مجلدات ضخام، وضع على أحسن سببك وأجمل عبارات أدبيّة رصينة، فهو من التفاسير الأدبية الممتازة باللغة الفارسية، وقد كثر تداوله بين الأدباء وأفاضل العرفاء. وكان منهجه السير في ثلاث نوبات:

النوبة الأولى في التفسير الظاهري على حدّ الترجمة الظاهرية.

والنوبة الثانية في بيان وجوه المعاني والقراءات وأسباب النزول، و بيان الأحكام و ذكر الأخبار، والآثار الواردة بالمناسبة.

والنوبة الثالثة في بيان الرموز والإشارات العرفانية، ولطائف الدقائق (١) راجع: لغتنامه دهخدا حرف الراء، نقلاً عن تاريخ أدبي إيران لإدوارد براون ذيل صفحته ٣٧٥. وهكذا تاريخ أدبيات إيران للدكتور صفا، ج ٢، صص ٢٥٧ و ٨٨٣ و ٩٣٠ و ٩٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٥

والنكات الظريفة المستفادة من سجع العبارات، وهو بيت القصيد من التفسير.

كل ذلك بعبارات رائعة ذات تسجيع وترصيف لطيف، كما هو دأب أكثر أصحاب التفسير العرفاني.

ومما حظى به هذا السفر الجليل، كثرة استشهاده بالوجوه والنظائر من الآيات الكريمة، يوردها تباعاً في كل مناسبة، مما يدل على إحاطة المؤلف بمعاني القرآن، ومختلف أنواع آية الكريمة. هذا عند كل مناسبة، نذكر منها ما يلي:

مثلاً عند قوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ «١» يقول: ونظير ذلك في القرآن كثير، ويذكر الآيات التالية، ويترجم كل آية ترجمة رائعة، نذكرها مع الترجمة:

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ «٢» فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ «٣».

(بنده من درى بر گشای تا درى بر گشایم). (عبدى، افتح بابا حتى أفتح بابا).

.. وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى «٤».

(در انابت بر گشای تا در بشارت بر گشایم). (افتح باب الإنابة حتى أفتح باب البشارة).

وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ «٥».

(در انفاق بر گشای تا در خلف بر گشایم). (افتح باب الإنفاق حتى أفتح باب (١) البقرة / ٤٠).

(٢) غافر / ٦٠.

(٣) البقرة / ١٥٢.

(٤) الزمر / ١٧.

(٥) سبأ / ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٦

العوض).

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا «١».

(در مجاهدت بر گشای تا در هدایت بر گشایم). (افتح باب المجاهدة حتى أفتح باب الهداية).

ثُمَّ يَسْتَعْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا «٢».

(در استغفار بر گشای تا در مغفرت بر گشایم). (افتح باب الاستغفار حتى أفتح باب المغفرة).

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ «٣».

(در شکر بر گشای تا در زیادت نعمت بر گشایم). (افتح باب الشكر حتى أفتح باب الزيادة فى النعمة).

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ «٤».

(بنده من به عهد من واز آى تا به عهد تو واز آیم) «٥». (عبدى أوف بعهدى حتى أوفى بعهدك).

هكذا يحظى هذا السفر الجليل بوجوده سبكه و جمال أسلوبه الأدبى، الذى دأب المؤلف عليه فى عامّة تعابيره فى التفسير، و لا سيما

فى النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفانى اللطيف، و طراوة الأدب الفارسى الرفيع، تجدهما قد (١) العنكبوت / ٦٩.

(٢) النساء / ١١٠.

(٣) إبراهيم / ٧.

(٤) البقرة / ٤٠.

(٥) كشف الأسرار، ج ١، ص ١٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٧

امتزجا معا، فأصبح آية فى الجمال و البهاء. و يبدو براعة المؤلف و سعة تضلعه الأدبى الفائق، إذا ما وجدنا تلك الطلاوة الرائعة قد

أفرغت فى قالب الأدب الفارسى الجزل السلس السهل التعبير.

و إليك نموذجا من النوبة الثالثة العرفانية:

هو عند تفسير قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ «١» يقول:

«پير طريقت گفت: الهى! كار آن دارد كه با تو كارى دارد، يار آن دارد كه چون تو يارى دارد، او كه در دو جهان تو را دارد هرگز

كى تو را بگذارد! عجب آن است كه او كه تو را دارد از همه زارتر مى گدازد. او كه نيافت به سبب نيافت مى زارد، او كه يافت

باری چرا می گدازد.

در بر آن را که چون تو یاری باشد گر ناله کند سیاه کاری باشد» (٢) «وَإِيَّايَ فَازْهَبُونِ هَمَانِ اسْتِ كَهْ كَفْتِ: وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ.

رهبت و تقوی، دو مقام است از مقامات ترسندگان، و در جمله ترسندگان راه دین بر شش قسم اند: تائبانند و عابدان و زاهدان و عالمان و عارفان و صدیقان.

تایبان را خوف است، چنان که گفت: يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ. (١) البقرة / ٤٠.

(٢) قال شيخ الطريقة: إلهي، لا شغل إلا لمن كان شغله معك. و لا ناصر إلا من كان ناصره مثلك.

و من كان له مثلك في الدارين فلن يدعك. و العجب أن من كان له مثلك كان أكثرهم أنينا و و يئن من لم يجدهك بسبب عدم الكشف، أما الذي وجدك فلم يئن و يندب!؟

من كان معينه مثلك و شكافقد ظلم و جفا

(كشف الأسرار، ج ١، ص ١٧٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٨

و عابدان را وجل: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.

و زاهدان را رهبت: يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا.

و عالمان را خشیت: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.

و عارفان را اشفاق: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ.

و صدیقان را هیبت: وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ «١».

أما خوف، ترس تائبان و مبتدیان است، حصار ایمان و تریاق و سلاح مؤمن، هر که را این ترس نیست او را ایمان نیست، که ایمنی را روی نیست، و هر که را هست به قدر آن ترس ایمان است.

و وجل، ترس زنده دلاین است که ایشان را از غفلت رهایی دهد، و راه اخلاص بر ایشان گشاده گرداند، و أمل کوتاه کند، و چنانکه و جل از خوف مه (١) الَّذِي قَالَ: وَ إِيَّايَ فَازْهَبُونِ (البقرة / ٤٠) هو الذي قال وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ (البقرة / ٤١).

الرهبة و التقوى، منزلتان من منازل الخائفين. و الخائفون في طريق الدين على ست طوائف:

التائبون. العابدون. الزاهدون. العالمون. العارفون. الصديقون.

أما التائبون فعلى خوف، كما قال تعالى: يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ (النور / ٣٧).

و العابدون على وجل: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (الحج / ٣٥).

و الزاهدون على رهبة: يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا (الأنبياء / ٩٠).

و العالمون على خشية: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر / ٢٨).

و العارفون على اشفاق: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (المؤمنون / ٥٧).

و الصديقون على حذر: وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ (آل عمران / ٢٨).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٩

است، رهبت از وجل مه «١»، این رهبت عیش مرد برد، و او را از خلق برد، و در جهان از جهان جدا کند. این چنین ترسنده همه نفس خود غرامت بیند، همه سخن خود شکایت بیند، همه کرد خود جنایت بیند. گهی چون غرق شدگان فریاد خواهد، گهی چون نوحه گران دست بر سر زند، گهی چون بیماران آه کند.

و از این رهبت اشفاق پدید آید که ترس عارفان است، ترسی که نه پیش دعا حجاب گذارد، نه پیش فراست بند، نه پیش امید دیوار. ترسی گدازنده کشنده، که تا ندای **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا** «۲» نشنود نیارآمد. این ترسنده را گهی سوزند و گاه نوازند، گهی خوانند و گاه کشند، نه از سوختن آه کند و نه از کشتن بنالد.

کم تقتلوننا و کم نحبکم یا عجا کما نحب من قتلا «۳»

(۱) «مه» - بکسر المیم - بمعنی الکبیر و یقابله «که» بمعنی الصغیر.

(۲) فصلت / ۳۰.

(۳) أما الخوف الذي يمثل خوف التائبين و المبتدئين، فهو طوق الإيمان، و بلم المؤمن و سلاحه. و من لا خوف له لا إيمان له؛ إذ لا مأمّن هناك. و من كان له خوف فإيمانه بمقدار خوفه. و أما الوجل، فهو خوف أولى البصائر، ينقذهم من الغفلة، و يفتح لهم باب الإخلاص، و يقصر الأمل؛ و الرهبة أكبر من الوجل كما أنّ الوجل أكبر من الخوف. إنّ الرهبة تذهب بعيش المرء و تجعله وحيدا، تفصله عن الدنيا و هو في الدنيا. هذا الخائف يجد نفسه كلها غرما، و كلامه برمته شکوی، و عمله جمیعہ جرما. فهو تارة كالغريق يستصرخ، و أخرى كالنابض يضرب على رأسه. و ثالثه كالليل يتأوه.

و الإشفاق و لید هذه الرهبة، التي هي خوف العارفين، ذلك الخوف لا يضع حجابا يحول دون الدعاء، و لا قيادا يحول دون فراسة النفس، و لا حاجزا يحول دون الرجاء. إنه خوف ممضّ قاتل، و لو لا قوله تعالى: **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا لَمَّا قَرَّ لَهُ قَرَارٌ**.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۰

از پس اشفاق هیبت است - بیم صدیقان - بیمی که از عیان خیزد، و دیگر بیمها از خبر چیزی در دل تابد چون برق، نه کالبد آن را تابد، نه جان طاقت آن دارد که با وی بماند، و بیشتر این در وقت وجد و سماع افتد، چنانکه (کلیم) را افتاد به (طور) و **وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا** «۱» و تا نگویی که این هیبت از تهدید افتد که این از اطلاع جبار افتد.

یک ذره اگر کشف شود عین عیان نه دل برهد نه جان نه کفر و ایمان «۲»

هذا هو المشار إليه

بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» «۳».

و نموذج آخر أروع، عند قوله تعالى: **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ** «۴» يقول: و قد يحرق هذا الخائف حيناً، و قد يشفق عليه حيناً آخر و قد يقتل و قد يدعى فلا من الحرق يتأوه و لا من القتل يتوجع:

کم تقتلوننا و کم نحبکم یا عجا کما نحب من قتلا

(۱) الأعراف / ۱۴۳.

(۲) تأتي الهيبة بعد الإشفاق - و هي خوف الصّديقيين - ذلك الخوف المنبعث عن معانية، و غيره منبعث عن خبر يتألق في القلب، لا الجسم يتحمل ذلك الخوف و لا الروح تطيقه كي تبقى معه. و الأكثر أنّه يتفق حين الوجد و السماع، كما اتفق للكلیم عليه السلام في جبل طور و **وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا**. فلا تقل: إنها هيبة عن تهديد، و إنما هي عن معرفة الجبار جلّ عزّه.

لو كشفت ذرة عن عين عيان لا القلب ينجو، لا الروح، لا الكفر و لا الإيمان

(۳) كشف الأسرار، ج ۱، ص ۱۷۷ - ۱۷۸.

(۴) البقرة / ۱۱۲.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۱

«کار کار مخلصان است، و دولت دولت صادقان، و سیرت سیرت پاکان، و نقد آن نقد که در دستارچه ایشان. امروز بر بساط خدمت با نور معرفت، فردا بر بساط صحبت با سرور وصلت. **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ** «۱» می گوید: پاکشان گردانیم و از کوره امتحان

خالص بیرون آریم، تا حضرت را بشایند، که حضرت پاک جز پاکان را بخود راه نهد، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ» به حضرت پاک جز عمل پاک، و گفت پاک بکار نیاید، آنگه از آن عمل پاک، چنان پاک باید شد، که نه در دنیا بازجویی آن را و نه در عقبی، تا به خداوند پاک رسی. «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ» (۲).
سرّ این سخن آن است که «بو بکر زقاق» (۳) گفت: «نقصان کلّ مخلص فی إخلاصه رؤیة إخلاصه، فإذا أراد الله أن یخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤیته (۱) ص / ۴۶».

(۲) ص / ۲۵. العمل عمل المخلصین، و الدولة دولة الصادقین، و السیرة سیرة المطهرین. و النقد هو ما كان فی أیدیهم. و هم اليوم علی أریکة الخدمة یعلمهم نور المعرفة، و غدا علی أریکة الصحبة منعمین بسرور الوصل «إنا أخلصناهم بخالصة» ای: طهرناهم و أخرجنا لهم من یوتقه الاختبار الخالص؟ کی يتأهلوا للمثول أمام الله تعالی «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ»؛ إذ لا یلیق بساحة الطهارة إلّا من كان طاهرا فی قوله و عمله. و یطهر بذلك العمل الطاهر الطیب فلا تجده فی هذه الدنيا و لا فی دار العقبی، حتی یصل إلى ساحة قدس طهارته جلّ جلاله «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ».

(۳) هو من الطبقة الثالثة، و اسمه أحمد بن نصر، هو من مشایخ الصوفیة بمصر، و كان فی طبقة الجنید البغدادی و من أصحابه، و یلقب بالکبیر. أما الزقاق الصغیر فهو بغدادی تلمیذ الزقاق الکبیر. راجع: نفحات الأنس للمولی عبد الرحمن بن أحمد الجامی، ص ۱۷۶-۱۷۷. و لما توفی الزقاق الکبیر قال الکتانی بشأنه: «انقطعت حجة الفقراء فی ذهابهم إلى مصر».

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۲

لإخلاصه فیکون مخلصا لا مخلصا».

می گوید: اخلاص تو آنگه خالص باشد که از دیدن تو پاک باشد، و بدانی که آن اخلاص نه در دست تو است و نه بقوت و داشت تو است، بلکه سرّی است ربّانی و نهادی است سبحانی، کس را بر آن اطلاع نه، و غیری را بر آن راه نه.
احدیّت می گوید: «سرّ من سرّی استودعته قلب من أحببت من عبادی» گفت: بنده را برگزینم و به دوستی خود بیسندم، آنگه در سویداء دلش آن ودیعت خود بنهم، نه شیطان بدان راه برد تا تباہ کند، نه هوای نفس آن را بیند تا بگرداند، نه فرشته بدان رسد تا بنویسد.

جنید «۱» از اینجا گفت: «الإخلاص سرّ بین الله و بین العبد، لا یعلمه ملک فیکتبه، و لا شیطان فیفسده، و لا هوی فیمیله».
ذو النون مصری «۲» گفت: «کسی که این ودیعت به نزدیک وی نهادند نشان وی آن است که مدح کسان و ذمّ ایشان، پیش وی به یک نرخ باشد، آفرین و نفرین ایشان یک رنگ بیند، نه از آن شاد شود، نه از این فراهم آید. چنان که مصطفی صلی الله علیه و آله و سلّم شب قرب و کرامت، همه آفرینش منشور سلطنت او می خواندند، و او به گوشه چشم به هیچ نگرست و می گفت: شما که مقربان حضرتید می گوید: «السلام علی النبی الصالح الذی هو خیر من فی السماء و الأرض» و ما منتظریم تا ما را به آستانه جفاء بو جهل باز فرستند تا گوید: ای (۱) هو أبو القسم سعید بن محمد بن الجنید القواریری البغدادی، ملقب بسلطان الطائفة الصوفیة، کان شیخ وقته و فرید عصره فی الزهد و التصوّف، مات ببغداد سنه (۲۹۷ هـ).

(۲) اسمه ثوبان بن إبراهيم. کان أبوه نوبیا من موالی قریش. هو من الطبقة الأولى من مشایخ الصوفیة بمصر، توفی سنه (۲۴۵ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۳

ساحر، ای کذاب، تا چنانک درّ «خیر من فی السماء و الأرض» خود را بر سنگ نقد زدیم، درّ ساحر و کذاب نیز بر زنیم، اگر هر دو ما را به یک نرخ نباشد، پس این کلاه دعوی از سر فرونهم.

رو که در بند صفاتی عاشق خویشی هنوز گر بر تو عزّ منبر خوش تر است از ذلّ دار

این چنین کس را مخلص خوانند نه مخلص، چنانک بو بکر زقاق گفت:

«فيكون مخلصا لا- مخلصا» مخلص در دریای خطر در غرقاب است، نهنگان جان ربای در چپ و راست وی در آمده، دریا می بزد و می ترسد، تا خود به ساحل امن چون رسد و کی رسد. از اینجاست که بزرگان سلف گفتند: «و المخلصون فی خطر عظیم» و مخلص آن است که به ساحل امن رسید. «۱» «۱» «علاقة من أودعته هذه الوديعه (السرّ الإلهي) أن يتساوى عنده مدح الآخرين و ذمهم. و يرى الدعاء له و عليه سيين لا يسره ذلك و لا يحزنه هذا». كما كان النبي المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم ليلة القرب و الكرامة، إذ تغنى عالم الخليفة كله بميثاق مكنته، و هو صلى الله عليه و آله و سلم ينظر بطرف خفي، و يقول: أنتم أيها المقربون، تقولون: «السلام على النبي الصالح الذي هو خير من في السماء و الأرض». و أنا انتظر الإشخاص إلى بؤابة جفاء أبي جهل، كي يقول لي: أيها الساحر، أيها الكذاب. حتى إذا اخترنا درّ «خير من في السماء و الأرض» بمسبار النقد، توجنا بدرّة «الساحر الكذاب». فإذا لم يتكافأ عندنا الأمران معا، رفعنا قبعه الدعوى هذه من رءوسنا. اذهب فإنك في قيد النعوت ما قبئت لعشق نفسك. و إن كان عز المنبر أحلى لك من ذل الأعواد و من كان كذلك فهو «مخلص» لا «مخلص»، كما قال أبو بكر الزقاق «فيكون مخلصا لا مخلصا».

و المخلص غريق في بحر الأخطار، و قد حاقت به الحيتان المرعبة من كل جانب، و هو يشقّ عباب البحر خائفا حتى يصل إلى ساحل الأمن، و كيف يصل؟ و متى يصل؟ من هنا التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۴ رب العالمين، موسى را به هر دو حالت نشان کرد، گفت: إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا «۱» هم مخلصا- به كسر لام- و هم مخلصا- به فتح لام- خوانده اند «۲».

اگر به كسر خوانی بدایت كار اوست، و اگر به فتح خوانی نهایت كار اوست. مخلص آنگاه بود که كار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که كار نبوت بالا گرفت. و به حضرت عزت بستاخ «۳» شد. این خود حال کسی است که از اول او را روش بود و زان پس به کشش حق رسد، و شتان بین و بین نبینا محمد صلی الله علیه و آله و سلم چند که فرق است میان موسی و میان مصطفی علیهما السلام که پیش از دور گل آدم به کمند کشش حق معتمم گشت، چنانکه گفت: «كنت نبيا و آدم مجبول في طينته».

شبلی «۴» از اینجا گفت: در قیامت هر کسی را خصمی خواهد بود، و خصم قال أكابر السلف: «و المخلصون فی خطر عظیم». أما «المخلص» فهو الواصل إلى مرفا الأمن.

(۱) مریم / ۵۱.

(۲) قرأ أهل الكوفة بفتح اللام، و الباقون بالكسر. و الأولى هي المشهورة المعهودة لدى المسلمين، و الاستدلال في المتن بكتلة القراءتين، مبني على حجية القراءات أجمع، حتى مع التعارض، قياسا على مختلف الروايات. لكننا لا نقول بذلك حتى في متعارض الروايات فضلا عن القراءات، و أنّ الحجة واحدة، و هي قراءة حفص و من تبعه من الكوفيين. راجع: التمهيد، ج ۲، ص ۱۶۱-۱۶۶، مباحث القراءات.

(۳) «بستاخ» على وزان بستان، بمعنى الجرى أي العارف المقدام. و هو بالفارسيه بمعنى «گستاخ».

(۴) هو أبو بكر دلف بن جحدر الخراساني البغدادي. تولد في سامراء و نشأ في بغداد. صاحب

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۵

آدم منم که بر راه من عقبه کرد تا در گلزار وی بماندم.

شیخ الاسلام انصاری رحمه الله از اینجا گفت: دانی که محقق کی به حق رسد؟

چون سيل ربوبیت در رسد، و گرد بشریت برخیزد حقیقت بیفزاید، بهانه بکاهد، نه کالبد ماند نه دل، نه جان ماند صافی رسته از آب و گل، نه نور در خاک آمیخته نه خاک در نور.

خاک با خاک شود، نور با نور. زبان در سر ذکر شود و ذکر در سر مذکور. دل در سر مهر شود و مهر در سر نور. جان در سر عیان شود و عیان از بیان دور. اگر تو را این روز آرزو است از خود برون آی، چنانکه مار از پوست، به ترک خود بگویی که نسبت با خود نه نیکو است، همان است که آن جوانمرد گفت:

نیست عشق لایزالی را در آن دل هیچ کار کو هنوز اندر صفات خویش ماندست استوار

هیچ کس را نامده است از دوستان در راه عشق بی زوال ملک صورت ملک معنی در کنار «۱»

جنید و الحلّاج و خیر النساج. کان من کبار مشایخ الصوفیة، توفی ببغداد سنة (٣٣٤ هـ) و دفن بمقبرة الخیزران.

(۱) إِنَّهُ تَعَالَى قَدْ وَسَمَ نَبِيَّهٖ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَاتِ السَّمْتَيْنِ: «إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا». قرئت الآية بكسر اللام و بفتحها. إن قرأتها بالكسر، فهو مستهمل أمره. و إن قرأتها بالفتح فهو ختام أمره. لقد كان مخلصا حين حظى بمقام النبوة و شملته العناية الربانية كان مخلصا حين بلغت نبوته ذروتها و تشرف و بساحة العزة مقداما. و هذه هي حالة من انتهج منهج الحق لينال مرتبة الوصل بالحق في نهاية المطاف و شتان ما بين موسى و نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه و آله و سلم الذي نال مرتبة الوصل و اعتصم بحبل الحق قبل أن يخلق آدم عليه السلام

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٦٦

اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير

و من امتيازات هذا التفسير الجليل، استعماله اللغات الفارسية العتيده، و لكنها جاءت غريبة في هذا العهد، مما ينبؤك عن أدب رفيع و إحاطة واسعة كان يحظى بها المؤلف الكبير. و إليك نماذج منها:

جاء بشأن نبي الله موسى عليه السلام ذيل قوله تعالى: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ «۱» أنه كان مخلصا و مخلصا، قال: كما

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «كنت نبيا و آدم مجبول في طينته». من هنا قال «الشبلي»: لكل امرئ في القيامة خصيم، و خصيمي فيها آدم عليه السلام إذ عرقل طريقي، لأضلّ راسبا في وحله.

قال شيخ الإسلام الأنصاري رحمه الله: أو تدرى متى يبلغ المحقق الحق؟ ذاك حينما ينحدر سيل الربوبية، و يرتفع غبار البشرية، و تزداد الحقيقة، و تقلّ الأعداء، فلا الجسم يبقى و لا القلب، و لا الروح الصافية الخالصة من الماء و الطين، و لا النور الممتزج بالتراب، و لا التراب الممتزج بالنور.

فالتراب يصير مع التراب، و النور مع النور، و اللسان يصيح ذكرا في الرأس، و الذكر مذكورا في الرأس. القلب ينطبع في الرأس، و الانطباع ينقلب في الرأس نورا. الروح تتجلى في الرأس، و التجلى بعيد عن البيان.

فلو كنت ترجو ذلك اليوم فانخلع من نفسك، كما تنخلع الحيّة من جلدها، و دع ذاتك إذ الانتساب إليها مشين، كما قال الشاعر الشهم:

لا عشق لله في قلب ما انفك حبيس صفاته.

لم يتيسر الحظ من ملك المعاني لأحد من العشاق بدون زوال ملك الصور.

(كشف الاسرار، ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٩).

(١) البقرة/ ١١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٦٧

مخلص آنگاه بود که کار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که کار نبوت بالا گرفت، و به حضرت عزت بستاخ شد. (۱)

استعمل ثلاث كلمات هي من صنعة الأديب العتيد:

۱- «در پیوست» ای استقام امر نبوته.

۲- «نواخت احدیت» ای نداء الربوبية.

۳- «بستاخ شد» ای کملت معرفته.

وقد فسّر «بستاخ» به معنی «گستاخ» ای الجریء، فی حین أنّ هذا المعنى لا يناسب المقام؛ لأن فيه شائبة الوقاحة، غير اللاتقة بمقام النبوة. وإنما المراد هو نفس كمال المعرفة (آشنایی کامل). المعرفة بالأوضاع والأحوال.

و فی تفسیر سورة الفاتحة: بنده من مرا به بزرگواری و پاکی بستود، بنده من پشت و داد و کار و از من گذاشت، دانست که به سر برنده کار وی مائیم. (۲)

«پشت و از من داد» «وا» به معنی «با» (مع). ای اعتمد ظهره علیّ، و فعل معتمدا علیّ.

«به سر برنده»: پایان رساننده کار وی ماییم. بمعنی: «البالغ أمره».

و فی ص ۵: استعمل «شکافته» بمعنی «المشتق».

و ص ۱۱: «پیوسیدن» به معنی «امید داشتن»: «به هر چه پیوسند رسند».

بمعنی «الرجاء» (۱) إنّما المخلص من استقام أمر نبوته، و بلغه نداء الربوبية، و المخلص من ارتقت درجة نبوته و کملت معرفته.

(۲) عبدی مجدنی و نزه مقامی. عبدی اعتمد علیّ و وکل أمره إلیّ، و علم أنّی بالغ به أمره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۸

و ص ۱۷: «فرا» به معنی «به»: «در خبر است که مصطفی فرا ابن عباس گفت». بمعنی «قال له».

و ص ۹۶: «گاز» به معنی «البناء». قال فی ترجمه و السماء بناءً (۱):

«و آسمان گازی برداشته». و قال فی ترجمه رَفَع سَمَكُهَا (۲) - ص ۱۰۱: «گاز آن بالا داد».

و ص ۱۲۳: «و از او شید» فی ترجمه إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

و ص ۲۲۰: «کیان»: بوزینگان: قرده، فی ترجمه كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ (۳).

و ص ۲۹۶: «گوشوانان»: نگهبانان: حرسه.

و فی ص ۵۷۵: «خنور»: الوعاء.

و اللغات من هذا القبيل كثيرة في هذا التفسير.

و الأبداع: أنه ركب كلمات تركيبات أدبية، مما جعلها تفيد معاني جديدة ابتدعها مفسرنا العظيم.

من ذلك ما جاء في (ج ۱، ص ۱۱): «پس آورد»: عاقبة الأمر.

و فی ص ۲۶: «باز بریدن»: الاعتزال.

و فی ص ۹۶: «أرپس» فی ترجمه «فإن».

و فی ص ۱۰۶: «همسانی» همانندی: مثل. (۱) البقرة / ۲۲.

(۲) النازعات / ۲۸.

(۳) البقرة / ۶۵.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۹

و في ص ٣٢١: «بر آمد نگاه آفتاب»: المشرق. «فروشد نگاه آفتاب»:

المغرب.

و في ص ٣٥٥: «فرانياوم» في ترجمة: ثُمَّ أَضْطَرُّهُ «١».

و في ص ٥٨٩: «باز كاود»: فريضة گزارد: صَلَّى الصلاة الفريضة.

٥- تفسير الخوaja عبد الله الأنصاري

قد اسبقنا أن تفسير الميبدى «كشف الأسرار و عدّة الأبرار» وضع على أساس تفسير الخوaja عبد الله الأنصاري الذي كان مختصرا ففصله و زاد عليه.

ثم جاء الاستاذ حبيب الله (آموزگار) ليلخص بدوره هذا التفسير الكبير و يستخلص فيما حسب التفسير الأصل الذي صنعه الخوaja، و ذلك في سنة (١٣٨٥ هـ ق ١٣٤٤ هـ ش) و تم له ذلك خلال ثلاث سنوات، و أسماه «تفسير أدبي و عرفاني خواجه عبد الله أنصاري» و طبع في جزئين، في مجلد واحد ضخيم، الطبعة الأولى سنة (١٣٤٧ هـ ش)، و الطبعة الثانية سنة (١٣٥٣) في طهران.

٦- تفسير ابن عربي

إشارة

هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائفي الأندلسي، المعروف بابن عربي - بدون أداة التعريف - فرقا بينه و بين القاضي أبي بكر ابن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن. و هذا الفرق من اصطلاح المشاركة، أما أهل المغرب فيأتون باللام في كلا الموردين.

ولد بمرسیة سنة (٥٦٠ هـ) ثم انتقل إلى إشبيلية سنة (٥٦٨ هـ) و بقي بها نحو (١) البقرة / ١٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٠

من (٣٠) سنة تلقى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتى بزغ نجمه و علا ذكره.

و في سنة (٥٩٨ هـ) نرح إلى المشرق و طوف في كثير من البلاد، فدخل الشام و مصر و الموصل و آسيا الصغرى و مكة، و أخيرا ألقى عصاه و استقر به النوى في دمشق، توفي بها سنة (٦٣٨ هـ).

كان ابن عربي شيخ المتصوفة في وقته، و كان له أتباع و مريدون معجيين به إلى حد كبير، حتى لقبوه بالشيخ الأكبر و العارف بالله، كما كان له أعداء ينقمون عليه و يرفضون طريقته و يرمونه بالكفر و الزندقة، لما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة، التي تحمل في ظاهرها معاني الكفر و الإلحاد.

و كان إلى جنب تصوفه بارعا في كثير من العلوم، فكان عارفا بالآثار و السنن، و كان شاعرا أدبيا؛ و لذلك كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك الغرب.

و تلك مؤلفاته الكثيرة تدل على سعة باعه و وفرة اطلاعه و تبخره في العلوم الظاهرة و الباطنة، و كانت له حدة في النظر و دقة في الاستنباط، و لكن في الأكثر على مشربه الصوفي الباطني، و من ثم كانت له شطحات مالا كتبه و مصنفاته.

هل لابن عربي من تفسير؟

كانت له في التفسير و الحديث نظرات، و له فيها مقالات ضمن كتبه و لا سيما «الفتوحات المكية» و «الفصوص» و غيرها من أمهات كتبه. و لكن هل كان قد ألف كتابا في التفسير يخصه؟

يبدو من مواضع من كتبه و لا-سيما «الفتوحات»، أن له تأليفا في التفسير، ففي الجزء الأول من الفتوحات (ص ٥٩) عند الكلام على حروف المعجم في أوائل سور القرآن، يقول: «ذكرناه في كتاب الجمع و التفصيل في معرفة معاني التنزيل».

و في (ص ٦٣) يقول: «و قد أشبعنا القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧١

قوله تعالى: فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ «١» في كتاب الجمع و التفصيل».

و في (ص ٧٧) عند كلامه على حروف المعجم، يقول: «من أراد التشفي منها فليطالع تفسير القرآن الذي سميناه الجمع و التفصيل». و يقول عن كتاب آخر في التفسير أسماء «إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن» في الجزء الثالث من الفتوحات (ص ٦٤) عند الكلام عن «علم الإصرار»:

«قد بيناه في كتاب «إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن» في قوله تعالى في آل عمران: وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا «٢» فانظره هناك».

و هذا التفسير قد وجد منه جزء يسير من أوله إلى الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، و عليه في الخاتمة توشيح المؤلف هكذا:

«انتهى الجزء الثامن من «إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن» و يتلوه في التاسع قوله تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ «٣». و هذا الأصل بخط يدي من غير مسودة، و كتب محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن العربي الحاتمي الطائي، المترجم يوم الجمعة الثاني و العشرين من ذي القعدة، سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبيين، و على آله أجمعين آمين» «٤».

و قد طبع على هامش «رحمة من الرحمن» من كلام ابن العربي (الجزء الأول من ص ٧ إلى ص ٣٧٨). (١) طه / ١٢.

(٢) آل عمران / ١٣٥.

(٣) البقرة / ٢٥٣.

(٤) راجع: رحمة من الرحمن في تفسير و إشارات القرآن، تأليف محمود محمود الغراب، ج ١، ص ٣٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٢

و له أيضا إشارة، إلى تفسيرين، أحدهما بعنوان «التفسير الكبير» حيث يقول في الجزء الرابع من الفتوحات (ص ١٩٤):

«اعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه، فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكر، كما شرطناه في «التفسير الكبير» لنا».

و الثاني بعنوان «التفسير» أو «تفسير القرآن» كما جاء في الجزء الأول من الفتوحات (ص ٨٦) و (ص ١١٤) و الجزء الثالث (ص ٦٤).

و هل هما نفس التفسيرين الآنف ذكرهما، أم غيرهما، غير واضح.

غير أن الذي يستفاد من مجموع كلماته، أن له في التفسير تأليفا باستقلاله، و قد ضاع مع الأسف سوى النزر اليسير حسبما ذكرنا.

تفاسير منسوبة إلى ابن عربي

نعم هناك تفاسير تحمل اسم ابن عربي:

١- إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن، و هو في كمال الإيجاز و الاختصار، و قد طبع جزء يسير منه على هامش «رحمة من الرحمن» على ما أسلفنا.

٢- رحمة من الرحمن في تفسير و إشارات القرآن، من كلام الشيخ الأ-كبر محيي الدين بن عربي. جمع و تأليف محمود محمود الغراب، من علماء دمشق المعاصرين.

و هو تفسير غير شامل، التقطه المؤلف من كلام ابن عربي ضمن تأليفاته، و لا سيما «الفتوحات» حيثما تكلم عن تفسير آية أو إشارة إلى معنى من معاني القرآن، و من ثم لم يستوعب جميع آي القرآن.

و قد قام المؤلف بهذا الجمع خلال خمسة و عشرين عاما، قال: و لمحاولة الوقوف على فهم الشيخ الأكبر للقرآن الكريم، قمت بالعمل أكثر من خمس و

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٣

عشرين سنة، في جمع و تصنيف و ترتيب ما كتبه الشيخ الأكبر، في كتبه التي بين أيدينا، مما يصلح أن يكون تفسيراً لبعض آيات القرآن، سواء من الناحية الظاهرة على نسق التفاسير الأخرى من الأحكام الشرعية و المعاني العربية، أو ما يصلح أن يكون تفسيراً صوفياً لبعض آيات القرآن، و هو ما يسمى بالاعتبار و الإشارة في التوحيد و السلوك، و سميته «رحمة من الرحمن في تفسير و إشارات القرآن» تمثيلاً مع عقيدة الشيخ الأكبر في شمول الرحمة و عدم سرمدة العذاب «١».

و طبع هذا الأثر في أربع مجلدات، في دمشق سنة (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).

٣- تفسير القرآن الكريم في مجلدين اشتهرت نسبه إلى ابن عربي، و قد راج ذلك منذ زمن سحيق، و هو موضوع على مذاق الصوفية في التفسير الباطني المحض. و فيه بعض الشطحات مما أثار الريب في نسبه إلى الشيخ، و زعموا أنه من صنع الشيخ كمال الدين أبي الغنائم المولى عبد الرزاق الكاشي السمرقندي المتوفى سنة (٧٣٠ هـ).

قال الشيخ محمد عبده: من التفسير الإشاري ما ينسبونه للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، و إنما هو للقاشاني الباطني الشهير، و فيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله و كتابه العزيز «٢».

و أما الحاجي خليفة- صاحب كشف الظنون- فقد نسبه رأساً إلى القاشاني من غير ترديد، قال: كتاب «تأويلات القرآن» المعروف بتأويلات القاشاني، هو تفسير بالتأويل على اصطلاح أهل التصوف، للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد (١) راجع: المقدمة، ص ٥. (٢) تفسير المنار، ج ١، ص ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٤

الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي، أوله: «الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفائه» «١». و هذه العبارة هي المبدوء بها في التفسير المذكور.

و النسخة التي كانت عند حاجي خليفة، كانت إلى سورة ص. و توجد نسخ كاملة في سائر المكتبات، منها نسخة كاملة بالمكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم (١٧-١٨) و تحمل خاتم عبد الرزاق الكاشاني «٢».

و يتأيد نسبة الكتاب إلى القاشاني بما جاء في تفسير سورة «القصص» عند الآية رقم ٣٢: وَ اضْمُم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ، قوله: «و قد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد قدس سره في شهود الوحدة و مقام الفناء عن أبيه، أنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي «٣».

و نور الدين هذا هو: نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني، و المتوفى في أواخر القرن السابع، و كان شيخاً لعبد الرزاق القاشاني، المتوفى سنة (٧٣٠ هـ). و غير معقول أن يكون نور الدين هذا شيخاً لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ) «٤».

التعريف بهذا التفسير

قد أتى المؤلف فيه بالتفسير الرمزي الإشاري على طريقة الصوفية العرفانية و غالبه يقوم على أساس وحدة الوجود، ذلك المذهب الذي كان له أثره السيئ في (١) كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) مقدمة رحمة من الرحمن، ج ١، ص ٤.

(٣) التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٤) راجع: الذهبي، التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٨، ط. بيروت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٥

تفسير كلام الله، و الذي دعا بالقائلين أنه من صنع ابن عربي؛ حيث مذهبه في وحدة الوجود مشهور.

و هو تفسير مغلق العبارة، لا يفهم معناها، كما لا يوجد لها من سياق الآية أو فحواها ما يدلّ عليها، و لو أنّ المؤلف كان واضحاً في كلامه، أو كان جمع بين التفسير الظاهر و التفسير الباطن كما فعله الميبدى لهان الأمر، و لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، ممّا جعل الكتاب مغلقاً، كأكثر مواضع كتب ابن عربي و لا سيّما كتابه «الفتوحات» و من ثم كان دليلاً آخر على احتمال صحّة نسبته إليه. فهو في سورة آل عمران رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١)، يقول: ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلاً أى شيئاً غيرك، فإن غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماء ك و مظاهر صفاتك، سبحانك، نزهك أن يوجد غيرك، أى يقارن شيء فردائيتك، أو يشي وحدائيتك. فقنا عذاب نار الاحتجاب، بالأكوان عن أفعالك، و بالأفعال عن صفاتك، و بالصفات عن ذاتك، وقاية مطلقة تامة كافية (٢).

و في سورة الواقعة نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ (٣) يقول: نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا و ظهورنا في صوركم (٤).

و في سورة الحديد وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٥) يقول: و هو معكم أينما كنتم لوجودكم به، و ظهوره في مظاهركم (٦). (١) الآية / ١٩١.

(٢) تفسير ابن عربي، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٣) الآية / ٥٧.

(٤) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٣.

(٥) الآية / ٤.

(٦) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٦

و في سورة المجادلة ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (١) يقول: لا بالعدد و المقارنة، بل بامتيازهم عنه بتعنياتهم، و احتجابهم عنه بماهياتهم و إنياتهم، و افتراقهم منه بالإمكان اللازم لماهياتهم و هوياتهم، و تحقّقهم بوجوبه اللازم لذاته، و اتصاله بهم بهويته المندرجة في هوياتهم، و ظهوره في مظاهرهم، و تسرّه بماهياتهم، و وجوداتهم المشخّصة، و إقامتها بعين وجوده، و إيجابهم بوجوبه. فهذه الاعتبارات هو رابع معهم، و لو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم؛ و لهذا قيل: «لو لا الاعتبارات لارتفعت الحكمة»، و

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم نقطة كثرتها الجاهلون» (٢) و في سورة المزمل وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٣) يقول: و اذكر اسم ربك الذي هو أنت، أى اعرف نفسك، و اذكرها، و لا تنسها، فينساك الله، و اجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.

ربّ المشرق و المغرب، أى الذى ظهر عليك نوره، فطلع من أفق وجودك بإيجادك، و المغرب الذى اختفى بوجودك، و غرب نوره فيك، و احتجب بك (٤).

تلك نماذج تكشف لك عن واقع هذا التفسير، و أنه يقوم على مذهب صاحبه فى القول بوحدة الوجود، الأمر الذى يلتزم و إمكان نسبته إلى ابن عربي القائل بذلك، فليس غريباً منه أن يقوم بتأليف تفسير يعتمد على مذهبه الخاص. (١) الآية / ٧.

(٢) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٦١٢.

(٣) الآية / ٨ و ٩.

(٤) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٧٢٠-٧٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٧

فلا موضع لما استغربه أمثال الشيخ محمد عبده، و أن النزعات أو الشطحات التي تشاهد في هذا التفسير، ليست شيئا غريبا عن روح ابن عربي و مذهبه في وحدة الوجود.

و يقوم مذهب ابن عربي في التفسير- في سائر مؤلفاته- غالبا على نظرية «وحدة الوجود» التي يدّين بها، و على الفيوضات و الوجدانيات التي تنهلّ عليه من سحائب الغيب الإلهي، و تنقذ في قلبه من ناحية الإشراق الرباني، فنراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل، ليجعل الآية تتمشى مع هذه النظرية، فهو يبدّل فيما أراد الله من آياته و يفسرها على أن تتضمن مذهبه و تكون أسانيد له، الأمر الذي ليس من شأن المفسّر المنصف المخلص لله عمله؛ إذ يجب على المفسّر المخلص أن يبحث في القرآن بحثا مجردا عن الهوى و العقيدة، مما قلّ ما يوجد في أهل التصوّف و العرفان.

هذا و قد بالغ ابن عربي في دعواه الإشراقات الربانية المنهّلة على قلبه، و يدّعي أنّ كل ما يجري على لسان أهل الحقيقة- و يعني بهم الصوفية بالذات- من المعاني الإشارية في القرآن هو في الحقيقة تفسير و شرح لمراد الله، و أن أهل الله- و يعني بهم الصوفية- أحق الناس بشرح كتابه؛ لأنهم يتلقون علومهم عن الله مباشرة، فهم يقولون في القرآن على بصيرة، أما أهل الظاهر فيقولون بالظن و التخمين، و فضلا عن ذلك إنّه يرى أنّ تفاسير أهل الحقيقة لا يعترها شكّ، و أنّها صدق و حقّ على غرار القرآن الكريم، فإذا كان القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؛ لأنّه من عند الله، فكذلك أقوال أهل الحقيقة في التفسير، لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها؛ لأنها منزلة من عند الله يقرّر ابن عربي كل هذه المبادئ و يصرّح بها في فتوحاته.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٨

يقول: «و ما خلق الله أشقّ و لا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصّين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسرارهم في خلقه، و فهمهم معاني كتابه و إشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسول عليهم السّلام، و لما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم- كما ذكرنا- عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السّلام من أجل أهل الإفك و الإلحاد إلى الإشارة. فكلامهم رضى الله عنهم في شرح كتابه العزيز الذي لا- يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، إشارات، و إن كان ذلك حقيقة و تفسيراً لمعانيه النافعة، ورد ذلك كلّ إلى أنفسهم مع تقريرهم إياه في العموم و فيما نزل فيه. كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعّم به سبحانه عندهم الوجهين، كما قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ «١»، يعني الآيات المنزلة في الآفاق و في أنفسهم، فكل آية منزلة لها وجهان: وجه يروونه في نفوسهم، و وجه آخر يروونه فيما خرج عنهم، فيسمون ما يروونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، و لا يقولون في ذلك إنه تفسير، و قايه لشّرهم و تشنيعهم في ذلك بالكفر عليه؛ و ذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق، و اقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإنّ الله كان قادرا على تنصيب ما تأوله أهل الله في كتابه، و مع ذلك فما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامّة، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم «٢».

و تفاسيره بهذا النمط كثيرة و منبّئة في كتبه لا سيّما في «الفتوحات». خذ (١) فصلت / ٥٣.

(٢) راجع: الفتوحات المكية، ج ١، ص ٢٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٩

لذلك مثلا ما ذكره بشأن قوله تعالى: ن، وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ «١» بما لا يرجع إلى محصّل.

قال في الباب الستين الذي وضعه لمعرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي:

«اعلم أنّ الله تعالى لما تسمّى بالملك ربّ العالم ترتيب المملكة، فجعل له خواصا من عباده، و هم الملائكة المهيمنة جلساء الحق تعالى بالذكر لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون، يسبحون الليل و النهار لا يفترون. ثم اتخذ حاجبا من الكرويين واحدا أعطاه علمه في خلقه، و هو علم مفصّل في إجمال، فعلمه سبحانه كان فيه مجلّي له، و سمّى ذلك الملك «نونا» فلا يزال معتكفا في حضرة

علمه عزّ وجلّ و هو رأس الديوان الإلهي، و الحق من كونه عليما لا- يحتجب عنه. ثم عيّن من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة سماه «القلم» و جعل منزلته دون منزلة «النون» و اتخذها كتابا، فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة «النون»، و لكن من العلم الإجمالي، و مما يحوى عليه العلم الإجمالي علم التفصيل، و هو من بعض علوم الإجمال؛ لأن العلوم لها مراتب، من جملتها علم التفصيل. فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملّة إلّا علم التفصيل مطلقا، و بعض العلوم المفصّلة لا غير، و اتخذ هذا الملك كاتب ديوانه و تجلّى له من اسمه القادر، فأمدّه من هذا التجلّي الإلهي، و جعل نظره إلى جهة عالم التدوين و التسطير، فخلق له لوحا و أمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، و أنزله منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوجهت عليه هنا الإرادة الإلهية، فخصّصت له هذا القدر من العلوم المفصّلة، و له تجلّيات من الحق (١) القلم / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٠

بلا واسطة. و ليس للنون سوى تجلّل واحد في مقام أشرف، فإنه لا يدل تعدد التجليات و لا كثرتها على الأشرفية، و إنما الأشرف من له المقام الأعم. فأمر الله النون أن يمدّ القلم بثلاثمائة و ستين علما من علوم الإجمال، تحت كل علم تفاصيل، و لكن معيّنة منحصرة لم يعطه غيرها، يتضمن كل علم إجمالي من تلك العلوم ثلاثمائة و ستين علما من علوم التفصيل، فإذا ضربت ثلاثمائة و ستين في مثلها، فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا، لا يزيد و لا ينقص، و لهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاثمائة و ستين درجة، و كل درجة مجملّة لما تحوى عليه من تفصيل الدقائق و الثواني و الثوالت إلى ما شاء الله سبحانه، مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة، و سمي هذا القلم الكاتب.

ثم إنّ الله سبحانه و تعالى أمر أن يولّى على عالم الخلق اثنا عشر واليا، يكون مقرّهم في الفلك الأقصى منا في بروج، فقسّم الفلك الأقصى اثني عشر قسما، جعل كل قسم برجا لسكنى هؤلاء الولاة، مثل أبراج سور المدينة، فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها، كل وال على تخت في برجه، و رفع الله الحجاب الذي بينهم و بين اللوح المحفوظ، فأرأوا فيه مسطّرا أسماؤهم و مراتبهم و ما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة، فارتقم ذلك كله في نفوسهم و علموه علما محفوظا لا يتبدّل و لا يتغيّر (١). و قال في الباب الثاني الذي وضعه لمعرفة مراتب الحروف- الفصل الأول:-

«ثم إنّ في نفس النون الرقمية (ن) التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلّا من شدّ عليه مئزر التسليم، و تحقق بروح الموت الذي (١) الفتوحات المكيّة، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨١

لا يتصور ممن قام به اعتراض و لا تطع، و كذلك في نفس نقطة النون أوّل دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفليّة، التي هي النصف من الدائرة، و النقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعيّة، أوّل الشكل، التي هي مركز الألف المعقولة، التي بها يتميّز قطر الدائرة، و النقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون، و ينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهمة، فتقدر قيامها من رقدتها فترتكز لك على النون، فيظهر من ذلك حرف اللام، و النون نصفها زاي مع وجود الألف المذكورة، فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزل الإنساني، كما أعطاك الألف و الزاي و اللام في الحق. غير أنه في الحق ظاهر؛ لأنه بذاته أزلي لا أول له، و لا مفتتح لوجوده في ذاته، بلا ريب و لا شك.

و لبعض المحققين كلام في الانسان الأزلي، فنسب الإنسان إلى الأزل، فالإنسان خفي فيه الأزل فجهل؛ لأن الأزل ليس ظاهرا في ذاته، و إنما صخّ فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده، منها أنّ الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب: وجود في الذهن، و وجود في العين، و وجود في اللفظ، و وجود في الرقم. فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه، في العلم القديم الأزلي المتعلّق به في حال ثبوته، فهو موجود أزلا أيضا، كأنه بعناية العلم المتعلق به، كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجواهر، فصار متحيزا بالتبعيّة، فلهذا خفي فيه الأزل، و لحقائقه أيضا الأزلية المجردة عن الصورة المعيّنة المعقولة التي تقبل القدم و الحدود (١).

و قال في الباب (٣٥١) في معرفة اشتراك النفوس و الأرواح:

القلم و اللوح أول عالم التدوين و التسطير، و حقيقتهما ساريتان في جميع (١) الفتوحات المكية، ج ١، ص ٥٣-٥٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٢

الموجودات علوا و سفلا و معنى و حسا، و بهما حفظ الله العلم على العالم، و لهذا

ورد في الخبر عنه صلى الله عليه و آله و سلم: «قيدوا العلم بالكتابة»

. و من هنا كتب الله التوراة بيده، و من هذه الحضرة اتخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و جميع الرسل عليهم السلام كتاب

الوحي، و قال: كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ... «١»، و قال: مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا «٢»، و قال: وَ كُلُّ

شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «٣».

و قال: فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ «٤»، و قال: فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَيِّفَرَةٍ «٥»، و قال: وَ نَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آتَاهُمْ ... «٦» و

الكتب: الضم، و منه سميت الكتبية كتيبة، لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض. و بانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني و الأجسام،

فظهرت النتائج في الأعيان، فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص أفادته علوما لم تكن عنده، و من لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد

علم لم يحصل على طائل، و كان كلامه غير مفيد «٧».

و قال في ديوانه أبياتا بشأن النون و القلم نذكر منها:

إذا جاء بالإجمال نون فإنه يفصله العلام بالقلم الأعلى

(١) الانفطار / ١١-١٢.

(٢) الكهف / ٤٩.

(٣) يس / ١٢.

(٤) الواقعة / ٧٨.

(٥) عبس / ١٣-١٥.

(٦) يس / ١٢.

(٧) الفتوحات المكية، ج ٣، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٣

فيلقيه في اللوح الحفيظ مفضلا حروفا و أشكالا و آياته تتلى

و ما فضل الإجمال منه بعلمه و ما كان إلّا كاتباً حينما يتلى

عليه الذي ألقاه فيه مسطر لتبلى به أكوانه و هو لا يبلى

هو العقل حقاً حين يعقل ذاته له الكشف و التحقيق بالمشهد الأعلى «١»

و أشنع تفسير رأيته في كلامه ما ذكره بشأن إخفائه تعالى أوليائه في صفة أعدائه، فكانوا أولياء في صورة أعداء، و عبادا مخلصين في

زى عتاه متمردين. يقول في تفسير قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ

عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «٢»: إيجاز البيان فيه، يا محمد! إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَرُوا مَحَبَّتَهُمْ فِي، دَعَاهُمْ

فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتكَ به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري، و أنت تنذرهم بخلقى

و هم ما عقلوه و لا شاهدوه، و كيف يؤمنون بك و قد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري، و على سمعهم، فلا يسمعون

كلاما في العالم إلّا منى. و على أبصارهم غشاوة، من بهائي عند مشاهدتى فلا يبصرون سوى، و لهم عذاب عظيم عندى أرددهم بعد

هذا المشهد السننى إلى إنذارك، و أحجبهم عنى، كما فعلت بك بعد قاب قوسين (١) رحمة من الرحمن، للغراب، ج ٤، ص ٣٦٤

نقلا عن ديوان ابن عربي ص ١٦٤.

(٢) البقرة / ٦-٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٤

أو أدنى قربا، أنزلتك إلي من يكذبك و يرد ما جئت به إليه منى في وجهك، و تسمع في ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذى شاهده في إسرائيل فكذا أمنائى على خلقى الذين أخفيتهم رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبدا «١».

و إليك من تفاسير ابن عربي معتمده على نظرية وحدة الوجود، جاءت في سائر كتبه:

قال في تفسير قوله تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «٢»: لأنه لا ينطق إلّا عن الله، بل لا ينطق إلّا بالله، بل لا ينطق إلّا الله منه، فإنه صورته «٣».

و في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي «٤»، يقول: و ادخلي جنتى التى هى ستري، و ليست جنتى سواك، فأنت تسترني بذاتك الإنسانية، فلا- أعرف إلّا بك، كما أنك لا تكون إلّا بى، فمن عرفك عرفنى، و أنا لا- أعرف فأنت لا- تعرف، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التى عرفت حين عرفت ربك بمعرفتك إياها، فتكون صاحب معرفتين، معرفة به من حيث أنت، و معرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت، فأنت عبد و أنت رب لمن له فيه أنت عبد، و أنت رب و أنت عبد لمن له في الخطاب عهد «٥». (١) الفتوحات، ج ١، ص ١١٥.

(٢) النساء / ٨٠.

(٣) الفتوحات، ج ٤، ص ١٢٢.

(٤) الفجر / ٢٧-٣٠.

(٥) فصوص الحكم، ص ٩١-٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٥

و في تفسير قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا «١» يقول: إن النفس لا تزكو إلّا برّبها، فيه تشرف و تعظم في ذاتها؛ لأن الزكاة ربو، فمن كان الحق سمعه و بصره و جميع قواه، و الصورة في الشاهد صورة خلق، فقد زكت نفس من هذا نعته و ربت و أنبت من كل زوج بهيج، كالأسماء الإلهية لله، و الخلق كله بهذا النعت في نفس الأمر، و لو لا- أنه هكذا في نفس الأمر ما صح لصورة الخلق ظهور و لا- وجود؛ و لذلك خاب من دسّاه؛ لأنه جهل ذلك فتخيل أنه دسّاه في هذا النعت، و ما علم أن هذا النعت لنفسه نعت ذاتى لا ينفك عنه يستحيل زواله، لذلك وصفه بالخبيث؛ حيث لم يعلم هذا؛ و لذلك قال: قد أفلح، ففرض له البقاء. و البقاء ليس إلّا لله أو لما كان عند الله، و ما ثم إلّا الله أو ما هو عنده، فخرائنه غير نافذة، فليس إلّا صور تعقب صوراً، و العلم بها يسترسل عليها استرسالاً «٢».

و بعد فإذا كانت النزعات أو الشطحات التى كان الشيخ الأستاذ محمد عبده يستوحشها و يستغرب أن تكون صادرة من مثل ابن عربي، و من ثم استنكر انتساب التفسير إليه، فهذا هو مثلها أو أشد غرابه، ماثوثة في كتبه و لا سيما الفتوحات، فأين موضع الاستغراب. و من ثم فالأرجح صحة النسبة و لا سيما مع شهرتها و عدم وجود ما ينافى هذه النسبة، نظرا لشدة المشابهة بين محتويات هذا التفسير و سائر مؤلفات ابن عربي.

و أما ما ذكره الأستاذ الذهبي- لوجه المنافاة- من السماع من نور الدين عبد (١) الشمس / ٩-١٠.

(٢) الفتوحات، ج ٤، ص ١١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٦

الصمد النطنزى الأصفهاني المتوفى في أواخر القرن السابع، حيث يصلح أن يكون شيخا للمولى عبد الرزاق الكاشى المتوفى سنة

(٧٣٠ هـ) لا لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ).

فيمكن توجيهه، بأن الناسخ و هو المولى عبد الرزاق الكاشى زاد هذا الكلام هنا أو جعله على الهامش، ثم أدخل في المتن على يد النساخ المتأخرين، فلا منافاة.

٧- عرائس البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى

هو أبو محمد روزبهان بن أبى نصر البقلى الشيرازى المتوفى سنة (٦٦٦ هـ).

هو تفسير إشارى رمزى على الطريقة الصوفية العرفانية، جمع فيه من آراء من تقدمه من أقطاب الصوفية و أهل العرفان، فكان تفسيراً عرفانياً موجزاً، و فى نفس الوقت جامعاً و كاملاً فى حد ذاته. قال فى المقدمة: «و لما وجدت أن كلامه الأزلى لا نهاية له فى الظاهر و الباطن، و لم يبلغ أحد إلى كماله و غاية معانيه؛ لأن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار، و نهراً من أنهار الأنوار، فتعزّضت أن أعرف من هذه البحور الأزلية غرفات من حكم الأزليات، و الإشارات و الأبديات، ثم أردفت بعد قولى أقوال مشايخي مما عباراتها ألطف، و إشاراتها أظرف ببركاتهم، و سمّيته: عرائس البيان فى حقائق القرآن».

و هو يجرى فى تفسيره مع الذوق العرفانى المجرد، حتى نهاية القرآن، و طبع فى جزءين يضمهما مجلد واحد كبير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٧

٨- التأويلات النجمية لنجم الدين داية، و علاء الدولة السمنانى

ألف هذا التفسير نجم الدين داية، و مات قبل أن يتمه، فأكمّله من بعده علاء الدولة السمنانى.

أمّا نجم الدين فهو أبو بكر عبد الله الرازى المعروف بداية. توفى سنة (٦٥٤ هـ).

كان من كبار الصوفية، و كان مقيماً أول أمره بخوارزم، ثم خرج منها أيام هجوم چنگيزخان، إلى بلاد الروم، و يقال: إنه قتل اثناء تلك الحروب.

و أمّا علاء الدولة فهو أحمد بن محمد السمنانى، توفى سنة (٧٣٦ هـ). كان أحد الأئمة المعروفين، و كان ينتقص من ابن عربى كثيراً، و كان مليحاً ظريفاً حسن المجلس حسن المناظرة، عزيز الفتوة، كثير البرّ، و له مصنفات كثيرة ربما تبلغ الثلاثمائة. كان قد دخل بلاد التتار، ثم رجع و سكن تبريز ثم بغداد.

يقع هذا التفسير فى خمس مجلّادات كبار، و هو تفسير لطيف، وضع على أسلوب التفسير الإشارى، و لكن فى ظرافة بالغة و فى عبارات شائقة.

و هناك تفاسير ذوات اعتبار، جعلت قسطاً من منهجها للبيان العرفانى الإشارى للقرآن، و ساروا على منهج الاعتدال فى هذا المجال، أمثال النيسابورى فى تفسيره «غرائب القرآن»، و المولى محسن الفيض الكاشانى فى تفسيره «الصافى»، و السيد محمود آلوسى البغدادى فى «روح المعانى». على ما أسلفنا الكلام عليها، فلا نعيد ذكرها؛ و بذلك قد تمّ مقصودنا من هذا الكتاب، و الحمد لله.

و قد تمّ بتوفيقه تعالى تبييض هذه الصحائف عصر يوم الجمعة الثالث و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ألف و أربعمائة و ست عشرة هجرية. فى جوار مولانا الإمام أبى الحسن على بن موسى الرضا- عليه آلاف التحية و الثناء- على يد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٨

الفقيه إلى الله الغنى محمد هادى معرفة، و الحمد لله رب العالمين. و الصلاة و السلام على خير خلقه محمد و آله الطاهرين ٢٣/ع ٨١

١٣٧٥ / ٥ / ١٩ - ١٤١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٩

الفهارس

إشارة

* فهرس الآيات القرآنية* فهرس الأحاديث* فهرس الأعلام* فهرس المواضيع* تراجم القرآن الكريم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٠

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية/ الصفحة (٢) البقرة ٣ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ٣٩٧ ٦ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ٣١٤، ٣١٦، ٧ ٥٨٣ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ ٣١٦، ٣٨٠، ١٤ ٥٨٣ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ٣٩٥ ١٥ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ٤٣٦ ١٨ صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ٣٨٠ ٢٢ وَالسَّمَاءِ بِنَاءً ٥٦٨ ٢٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ٣٢٨، ٣٩٨ ٣٠ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ٢٤ ٣٤ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٨ ٣٥ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ٥٤١ ٣٦ فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ١٦٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩١

٤٠ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨ ٤١ وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ ٥٥٨ ٦٥ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ٥٦٨ ٦٧ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ٣٦٨، ٣٩٥ لِيَسْتَرْوَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ١٣٧ ١٠٢ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ ١٤٣، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ ١١٢ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ٥٦٠، ٥٦٦ ١٢٤ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ٤٢٦ ١٢٥ وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ٥٥٠ ١٢٦ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ ٥٦٩ ١٢٧ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ١٥٤ ١٥٢ فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ ٥٥٥ ١٧٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا ١١١ ١٨٥ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ٢٢، ١٨٧ ٤٢٩ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ٣٥٧ ٢٠٤ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٤٧ ٢٠٥ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ٤٧ ٢٠٧ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ٤٧ ٢١٠ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ٤٨٦ ٢١١ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ ٩٠ ٢٣٢ وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلْتُهُنَّ ٣٥٨ ٢٣٨ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ٣٢٤ ٢٤٥ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٤٨١ ٢٤٨ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ١٥٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٢

٢٥١ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ١٦٠ ٢٥٣ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ٥٧١ ٢٥٥ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ٤٩١ ٢٦٠ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ١٨٧ ٢٧٥ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي ٤٣٠، ٤٦٥ ٢٨٦ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ٤٢٠ (٣) آل عمران ١٨ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٤٩٩ ٢٨ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٨١، ٥٥٨ ٣١ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ ٤١٣ ٣٦ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنَحْوِهَا وَذَرِّيَتُهَا ٤٩١ ١٠٥ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا ٤٩٨ ١١٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ٨٣ ١٣٥ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ٥٧١ ١٨١ إِنَّ اللَّهَ فَخِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ٢٨٥ ١٩١ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ٥٧٥ (٤) النساء ١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ٣٢٩ ٢ وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّبِيبِ ٣٥٨، ٣٦٧ ٦ وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ٣٥٨ ٣٦ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ ٥٤٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٣

٣٩ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا ٤١٩ ٥٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ٤٣٨ ٦٦ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا ٥٤٦ ٧٦ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ٤٢٦ ٨٠ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ٥٨٤ ٨٣ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ٣٧٨، ٤٠٥

١١٠ ثُمَّ يَسْتَتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا ٥٥٦ ١٥٥ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ٣٨ ١٦٣ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ٤٢٥ ١٦٥ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ ٤١٩، ٤٢٥ (٥) المائدة ٢٢ قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ١٧١، ١٧٤ ٢٣ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ ... فَأِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ١٧٢ ٣١ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ١٦٨ ٣٣ إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ٢٣ ٥٤ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ ... لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ٣٩٩ ٥٥ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ٣٧٨، ٣٨٥ ٦٤ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ٢٨٥ ٦٧ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ٤٨٥ ٨٢ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ٨١ ٩٤-٩٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ ٩٦ ٥٥١ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ ٥٥١ ١١٢ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ١٧٩، ١٨٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٤

١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ١٧٩، ١٨٧ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعِيدٌ مِنْكُمْ ١٧٩، ١٨٨ (٦) الأنعام ٢٥ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ٣٨ ٣٨١ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ٤٤٩ ٦٨ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ١٣٢ ١٠٣ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ٤٨٥ ١٢٥ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ٤٠٩ ١٣٧ وَ كَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ ٤٩٤ ١٦٢-١٦٣ قُلْ إِنْ صِيَلَاتِي وَ نَسِيحِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٧٠ (٧) الأعراف ١٤-١٦ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ٤٢٣ ٥٣ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ٤٨٦ ٦٥ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ٣٦٣ ٦٩ وَ أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ٢٨٩ ٧٣ وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ٣٦٣ ١٣٩ إِنْ هُوَ إِلَّا مَسْتَبِرٌّ مَا هُمْ فِيهِ ٧٠ ١٤٣ وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ ١٨٩، ٥٠٠، ٥٦٠ ١٤٤ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ١٩٨ ١٤٥ وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ١٩٢، ١٩٨ ١٥٠ وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ١٩٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٥

١٥٧ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ٤٢٠ ١٥٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ٢٠١، ٤١٣ ١٥٩ وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ١٩٨، ١٩٩ ١٦٣ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ٩٠ ١٦٧ وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢٣٨ ١٧٢ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا مَا بَلََى شَهِدْنَا ٤٩٢ ١٨٩-١٩٠ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ٢٠٢ ١٩٨ وَ تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٣٨٠ (٨) الأنفال ١ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٨٧ ٢٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ ٢٣ ٥٨ فَإِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ٣١٤ (٩) التوبة ٤٠ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ١٥٩، ٣٧٩ ٩٣ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ٣٨١ ١٢٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٥٤٤ (١٠) يونس ٣٩ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ ٤٩٩ ٦١ وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ ٢١٥ ٧٤ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ٣٨١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٦

٩٤ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسِئَلِ ٨١، ٨٩، ٩٢ (١١) هود ٤٢-٤٣ وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْرَلٍ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ ١٧٢، ١٧٤ ٦٦ إِنْ رَبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ٤٢٦ ٧١ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ ٢٦٠ (١٢) يوسف ١-٣ الر، تَلَمَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١٢٤ ٤ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ٢١٣ ٢٤ وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا ٢١٤، ٢١٧ ٢٦-٢٨ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ٢١٨ ٣٢ لَنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيْسَجَنَّ ٢١٨ ٣٤-٣٣ قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ٢١٨ ٤٢ وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ٢٢٥ ٤٩ ثُمَّ رَأَيْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٍ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ٣١٨ ٥١ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٢١٧، ٢٢١ ٥٢ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ٢٢٠، ٢٢٢ ٥٣ وَ مَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ٢٢١، ٢٢٢ (١٣) الرعد ٣ وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ٥٤٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٧

١٢ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا ٣٠١ ١٣ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ٢٩٩، ٣٠١ ٢٩ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ ٢٢٨

٣٣ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ٢١٥ ٤١ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ٢٣ (١٤) إبراهيم ٧ لئن شكرتم لأزيدنكم ٥٥٧ ٢٢ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ٤٢٦، ٤٣١، ٤٦٤ (١٥) الحجر ٣٩ - ٤٠ لَأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٤٩١ ٤٢ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ٤٦٤ ٤٧ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ٧٣ ٢٩٤ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٤٣٨ (١٦) النحل ٤٠ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ٤٩٢ ٤٣ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ... فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ٨٢، ٨٩ ٩٣ ٤٤ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ١٩، ٢٦، ٤٥٣ ٨٩ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ٤٧٢ ١٠٨ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ٣٨١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٨

(١٧) الإسراء - بنى إسرائيل ٤-٨ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧ ١٢ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ ٢٩٣ ٣٢ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ٢١٦ ٤٦ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ٣٨١ ٩٤ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ٤١٩ ١٠١ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ٨٢، ٩٠ ١٠٤ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ١٩٩ ١٠٧ يَخْرُونَ لِلذَّقَانِ سَجْدًا ٣٦٤ (١٨) الكهف ٢٢ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ٢٣٩، ٢٤٠ ٣٧ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ٣٧٩ ٤٩ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ٥٨٢ ٥٧ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ٣٨١ ٨٣ وَيَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ ٢٤٠، ٢٤٢ ٩٤ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ ٢٤٤ ٩٧ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ٢٤٧ (١٩) مريم ٥١ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٩

(٢٠) طه ١٢ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ٥٧١ ٨٥ أَضَلَّهُمْ ٣٨١ ١٣٤ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكُنَا هُمْ بَعْدَ ٤١٩ (٢١) الأنبياء ٧ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ... فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ٨٢، ٨٩ ١٩-٢٠ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٤٩ ٢٦-٢٨ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ١٤٩ ٨٣-٨٤ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنَى ٢٨٢ ٩٠ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ٥٥٨ ١٠٥ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ١٣٩ (٢٢) الحج ٢٦ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ١٥٦ ٣٥ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ٥٥٨ ٣٩-٤١ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ٣٦١ ٦٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ٥٤٧ ٧٨ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ٤٢٠ (٢٣) المؤمنون ٥٠ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٤٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٠

٥٧ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٥٨ (٢٤) النور ١١ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٢ ٣٦-٣٧ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٦٩، ٥٥٨ ٣٩ كَسِيرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ٥٣٩ ٤٢ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٨١ ٥٥ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ٣٦١، ٣٩٧ ٦٣ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ٤١٣ (٢٥) الفرقان ٨ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْحُورًا ٤٦١ (٢٦) الشعراء ١١٩-١٢٠ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ١٧٤ (٢٧) النمل ٣٥ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ٢٥١، ٤٨٣ ٤٤ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ٢٤٩ (٢٨) القصص ٣٢ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ٥٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠١

(٢٩) العنكبوت ٦٩ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ٥٥٦ (٣٠) الروم ٢١ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ٣٣٠ ٤١ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ٥٤٢ (٣١) لقمان ١٥ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ١١٢ ٢٠ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ٢٤ ٣٤ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ٤٨٥ (٣٢) السجدة ٧-٨ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ٣٦٤ (٣٣) الأحزاب ٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ٤١٣ ٥٦ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ٣٦٤ ٧٢ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٤، ٤٨٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٢

(٣٤) السبا ٢٠ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ٤٢٣ ٢١ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ٤٣١ ٣٩ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ٥٥٥ (٣٥) فاطر - ملائكة ١٨ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٨١ ٢٨ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ٥٥٨ (٣٦) يس ٧ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٤١٦ ١٢ وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ... فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ٥٨٢ ٢٢ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ٨١ ٤٩ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ٤٨٣،

٤٨٦ ٦٩ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ١٧٠ (٣٧) الصافات ٦٥ كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ ٣٩٥ - ٩٩ - ١١٣ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ٢٥٤ ١١٢ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٦٠ - ١٢٣ - ١٣٢ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٦٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٣

(٣٨) ص ٢١- ٢٥ وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ ٢٦٧، ٥٦١ ٣٤ وَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ ٢٧٣ ٤١- ٤٤ وَ اذْكُرْ عِبَادِنَا آيُوبَ ... وَ لَا تَحْثُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ٢٧٩ ٤٦ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ٥٦١ ٨٢- ٨٣ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٢١٨ (٣٩) الزمر ١٧ وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ٥٥٥ ٢٢ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ٤٠٩ ٦٧ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٤٩٢ (٤٠) الغافر- المؤمن ٥١ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا ٤٢٦ ٦٠ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٥٥٥ (٤١) فصلت- سجده ١١ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثبأ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ٤٨٧، ٤٩٢ ١٥ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ٢٨٩ ١٧ وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ٤٩٨ ٣٠ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا ٥٥٩ ٥٣ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ ٥٧٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٤

(٤٢) الشورى ١٠ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ ١١ ٤٨١ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٢٥، ٤٨٤ ٥٣ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ٤٨١ (٤٣) الزخرف ١٨ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحُلِيِّهِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ٣٥٤ ٤٥ وَ سِئَلٌ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ٨٩ (٤٤) الدخان ١- ٣ حم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ٢٢ (٤٥) الجاثية ١٣ وَ سَيَخْرُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ ٢٤ (٤٧) محمد صلى الله عليه و آله وَ سَلَّمَ ١٦ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ٣٨١ ٢٣ فَاصْمَهُمْ وَ أَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ٣٨١ ٢٤ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ١٩، ٤٠٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٥

(٤٨) الفتح ٤ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥٩ ١٥ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ٤١٧ ٢٦ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ١٥٩ (٤٩) الحجرات ٦ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ٣٣ ٩ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا ٣٦١ (٥٠) ق ١ وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ٣٠٧ (٥١) الذاريات ٢٨ قَالُوا لَا- تَخَفْ وَ بَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٦٠ (٥٤) القمر ١٣ وَ حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحَانِ غَوًّا ٧٣ (٥٥) الرحمن ١١ فِيهَا فَآكِهَةٌ وَ النَّحْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ٥٤٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٦

(٥٦) الواقعة ٢٤ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٤٠٨ ٥٧ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تَصَدَّقُونَ ٥٧٥ ٧٨ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ٥٨٢ (٥٧) الحديد ٤ وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ ٥٧٥ (٥٨) المجادلة ٧ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ٥٧٦ ٢١ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَ رَسُولِي ٤٢٦ (٥٩) الحشر ١٩ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ٢٣ ٢١ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ٤٩٠ (٦٠) الممتحنة ١ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ٣٢١ (٦١) الصف ٥ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ٣٨١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٧

(٦٦) التحريم ٦ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ١٤٩ (٦٨) القلم ١ ن، وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ ٥٧٩ (٦٩) الحاقة ٦- ٨ بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا ٢٨٩ (٧١) نوح ١ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ٣٦٣ ٢٦ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ١٧٤ (٧٢) الجن ١٨ وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ٢٥ (٧٣) المزمل ٨- ٩ وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ ٥٧٦ (٧٤) المدثر ١٧ ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ٤١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٨

(٧٥) القيامة ١٢ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ٤٨١ ٢٢- ٢٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ٤٨١ ٣٠ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٤٨١ (٧٦) الإنسان- الدهر ٣٠ وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٧٤، ٣٦٣ (٧٩) النزعات ٢٨ رَفَعَ سَمَكَهَا ٥٦٨ (٨٠) عبس ١٣- ١٥ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ٥٨٢ (٨٢) الانفطار ١٠- ١١ وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ٢١٥، ٥٨٢ ١٢ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ٥٨٢ ١٣- ١٤ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ٥٤٨ (٨٣) المطفين ٨- ٩ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ كِتَابٍ مَرْفُوعٍ ٢٣٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٩

١٤ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٣١٧ ١٥ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ٣٦٣ ١٩ - ٢٠ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمُكِ كِتَابُ مَرْقُومٍ ٢٣٩ (٨٤) الانشقاق ٢٠ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٤١٩ (٨٨) العاشية ١٧ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ٤٨٣ (٨٩) الفجر ٦ - ٨ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٢٨٦ ٢٧ - ٣٠ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي ... وَادْخُلِي جَنَّتِي ٥٨٤ (٩١) الشمس ٩ - ١٠ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ٤٩٨، ٥٨٥ (٩٦) العلق ١٩ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ٣٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٠

(٩٧) القدر ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٢٢ (١١٠) النصر ١ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ٥٤٨ (١١١) تبت ١ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ٤١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١١

فهرس الأحاديث

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِمَامَ عَادِلٍ ٢٧٠ وَلِدَ لِسُلَيْمَانَ وَلِدٍ، فَقَالَ لِلشَّيْطَانِ: تَوَارِيهِ مِنَ الْمَوْتِ ٢٧٨ إِنْ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاوَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ٢٨٣ [إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ] كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْتِي إِلَى الصَّخْرَةِ ٢٩٠ إِنْ اللَّهُ لَمَّا أْبْرَمَ خَلْقَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٩٣ وَكُلٌّ بِالشَّمْسِ تَسْعَةً أَمْلاكَ، يَرْمُونَهَا بِالثَّلْجِ ٢٩٥ الْأَرْضُ عَلَى الْمَاءِ ٢٩٥ مَرْحَبًا بِالمُهَاجِرِ الْأَوَّلِ ٢٩٦ أَمَا ظَلَمَةُ اللَّيْلِ، وَضَوْءُ النَّهَارِ ٢٩٦ المَجْرَةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ هِيَ عِرْقٌ حَيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ ٢٩٨ يَا مَعَاذِي، إِنِّي مَرْسَلُكَ إِلَى قَوْمٍ أَهْلُ عِنَادٍ ٢٩٨ إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثورانَ فِي النَّارِ ١١٦ إِنْ اللَّهُ أذُنٌ لِي أَنْ أَحَدَّثَ عَنْ دِيكَ ١١٧ النِّيلُ وَالسِّحَانُ وَجِيحَانُ وَالفِرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ١١٧ خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ١١٨، ١١٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٢

إِنْ فِي الْجَنَّةِ لِشَجْرَةٍ يَسِيرُ الرَّابِكُ فِي ظِلِّهَا ١١٩ لَمَّا قَالَ يُوسُفُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٢٢١ أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ٢٢٦ لَمْ يَقُلْ - يَعْنِي يُوسُفَ - الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَهَا، مَا لَبِثَ فِي ٢٢٧ يَا عَائِشَةُ، إِنْ هَذِينَ يَمُوتَانِ عَلَيَّ غَيْرَ مَلْتِي ٤٥ يَا عَائِشَةُ، إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى رَجُلَيْنِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ ٤٥ إِنْ آلُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءِ ٤٦ لَاهَا اللَّهُ، لَا تَجْتَمِعُ ابْنَةُ وَلِيِّ اللَّهِ وَابْنَةُ عَدُوِّ اللَّهِ ٤٦ إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَإِنْ حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ ٤٦ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا ٤٧ اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالحِسَابَ ٤٨ سَتَفْتَحُ عَلَيْكَ الشَّامَ ٤٩ أَرْبَعُ مَدَائِنَ مِنَ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ: مَكَّةُ، وَالمَدِينَةُ، وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ، وَدِمَشْقُ ٤٩ إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ٤٩ - لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَيَّ الْحَقُّ ٥٠ - لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَيَّ الْحَقُّ ٥٠ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْهَا طَيْرًا ٥٩، ١٣٢ أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، إِلَّا مَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٦٣ بَعَثَ اللَّهُ جَبْرِئِيلَ إِلَى آدَمَ، فَأَمَرَهُ ١٥٦ إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ، وَطَوْلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ١٧٣ إِنَّهَا نَزَلَتْ خَبْرًا وَلَحْمًا، وَأَمْرًا أَنْ لَا يَخُونُوا ١٧٩ خَدَعَهُمَا مَرَّتَيْنِ: خَدَعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَخَدَعَهُمَا فِي الْأَرْضِ ٢٠٣ وَلَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ ٢٠٤ يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ ٣٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٣

مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ٢٠٥ حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا حَرَجَ ٩٠، ٩٣، ٩٤، ١١٠، ٢٠٨، ٣٦٨ كَانَتْ سَفِينَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا أَجْنَحَةٌ ٢١٠ سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ ٢١٠ أَكْرَمُوا قَرِيشًا فَإِنَّ عَالَمَهَا يَمَلَأُ طَبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا ٣٨ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ٣٨ إِنْ سَفِينَةُ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ٢١٢ هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا؟ ٢١٣ مِنْ كَذِبٍ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَيَتَبَوَّأُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ٤١ لَا سَبِقَ إِلَّا فِي خَفِّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ جَنَاحٍ ٤٢ إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا اعْتَدُوا، وَعَلُوا ٢٣٥ هَذَا مِنْ صَنْعِهِ حَلِيَّ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ٢٣٦ مَا لِي وَ مَا لَهُمْ، مَا لِي عِلْمٌ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ٢٤٢ إِنَّهُ كَانَ شَابًا مِنَ الرُّومِ، وَإِنَّهُ بَنِي الإسْكَندَرِيَّةَ ٢٤٣ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ أُمَّةٌ ٢٤٥ بَعَثَنِي اللَّهُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِلَى يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ ٢٤٦ إِنْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ٢٤٦ إِنْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ

يحفرون السد كل يوم ٢٤٧ فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن ٢٤٧ الذي إسحاق ٢٥٤، ٢٥٥ إن داود سأل ربه مسألة، فقال: اجعلني مثل إبراهيم ٢٥٥ إن الله تعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي ٢٥٥ قد كثرت علي الكذابة و ستكثر ٧٠ الأمان سبعة: اللوح، والقلم، وإسرايل، و ميكائيل، ... و معاوية ٧١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٤

أن الله ائتمن علي وحيه جبريل و أنا و معاوية ٧١ يا عم، إن الله جعل أبا بكر ٧٤ لما عرج بي إلى السماء، قلت ٧٤ أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا ٧٥ قال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب ٧٥ قال لبلال: هلم، علي بالناس. فاجتمع الناس ٧٦ قال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! ٨٣، ٩١ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٨٤ لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم ٨٥، ٩٠، ١٤١ بلغوا عني و لو آية ٨٨ لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم ٩١ الخضر هو إلياس ٢٦٥ إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة ٢٦٨ اقرأ بهذا ليلة، و بهذا ليلة ٩٥ أمتهوكون كما تهوكت اليهود و النصارى ٩٦ لا يقص علي الناس إلا أمير أو مأمور ٩٧ ليلزم كل إنسان مصلاه ١٠٥ تقتله الفئة الباغية ١١٢ أطع أباك حيا و لا تعصه ١١٢ ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب ٣٠١ اللهم لا تقتلنا بغضبك ٣٠٣ إذ سمعتم الرعد فسبحوا ٣٠٣ سبحان الله و بحمده ٣٠٣ سبحان الله العظيم ٣٠٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٥

ما هذا في يدك يا عمر؟! ... يا أيها الناس إنني ١٢٤ إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء في قلبه ٣١٧ إن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغفلتها ٣١٧ لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا و تهوكوا ١٢٥ علي و فاطمة و ابناهما ٣٢٢، ٤١٣ فيخبروكم بحق فتكذبوا به ١٤١ ان الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك علي بنى آدم في الخطايا ١٤٦ مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم ٤٢٢ هل تضارون في رؤية الشمس و القمر ٤٨٣ من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٣٥٢ و الله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أتباعي ٣٦٩ علماء أمتي كانبيا بنى إسرائيل ٣٨٩ أنت منى بمنزلة هارون من موسى ٣٨٩ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد ٣٩٧ اللهم أدر الحق مع علي حيث دار ٤١٠ فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ٤١٣ من فسّر القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ ٥٢٨ الهوى و الشهوة يغلبان العلم و العقل ٥٤٢ حجاب النور لو كشفها لأحرقت ٥٦٠ كنت نبيا و آدم مجبول في طينته ٥٦٤ قيدوا العلم بالكتابة ٥٨٢ ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي ٣٥١ العلماء ورثة الأنبياء ٣٨٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٦

علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم سئل عن المسوخ، فقال: ١٥٣ حيث ما جاء منه مبهما في موضع منه، قد جاء مفصلا و مبينا في موضع آخر ٢٢ هي ريح فجوج هفافة، لها رأسان ١٥٨ لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم، فقال: ١٦٩ و إنما هو تعلم من ذي علم ... علم علمه الله ٢٧ خلق الله آدم بيده ١٩٣ سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: عمر بن الخطاب نور في الإسلام ٥٣ من حدّث بحديث داود علي ما يرويه القصاص جلدته ٢٧٢ إن كعب الأخبار لكذاب ٩٨ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: قال الله عزّ و جلّ: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي» ٣٥١ من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٣٥٢ العلم نقطة كثرتها الجاهلون ٥٧٦ الباقر عليه السلام لما مات سليمان النبي عليه السلام وضع الشيطان السحر ١٥٠ «أو ينفوا من الأرض» فسره عليه السلام بفقد العلماء ٢٣ حافظوا على الصلوات و الصلاة ٣٢٤ هي أول صلاة صلّاها ٣٢٤ نزلت هذه الآية يوم الجمعة ٣٢٤ صلاة الظهر ٣٢٤ أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة ٣٧٠ أنهم الأئمة المعصومون، و قيل: هم أمراء السرايا ٣٧٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٧

الصادق عليه السلام كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة و المموهون ١٥٠ البرهان: النبوة التي أودعها الله في صدره ٢٢٤ نزل جبرئيل علي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عليه قباء أسود ٤٤، ٧١ الصلاة الوسطى الظهر ٣٢٤ إن ظاهرها: الحمد و باطنها: ولد الوالد ٣٢٥ فالبعوضة: أمير المؤمنين و ما فوقها: رسول الله ٣٢٨ أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة ٣٧٠ النعيم: المعرفة و

٢٥٩، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٦، ٣١٩، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦٩،

٣٨٧، ٥٦٨ ابن عبد الحكيم: ١٧١، ٢٤٣ ابن عدى: ٦٠، ٦٦، ٦٩، ٢٤٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢١

ابن عربي: ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٧ ابن عساكر: ١٦٩، ٢١٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩ ابن عطاء

الله: ٥٤٨ ابن عطية: ١٩٧، ٣٠١، ٣٤٣، ٤٠٣، ٤٣٦، ٤٩٦، ٥٢١ ابن عمران الحراني: ٢٩٦ ابن عوانة: ٢٤٧ ابن فورك: ٥٤٨ ابن فيلبس

المقدوني: ٢٤٤ ابن قتيبة: ١٠١، ١٣٠، ١٧٣، ٥١١ ابن قلابة: ٢٨٧، ٢٨٨ ابن قيم: ١٧٤، ٢٥٩ ابن كثير: ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٢٨، ١٤٧،

١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٧٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٧،

٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٣٥، ٣٣٩، ٤٣٦، ٤٨٣، ٥٢٣ ابن كريب: ٢٤٢، ٢٥٤ ابن لهيعة: ٣٦، ٣٧،

١٥٦، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٩ ابن ماجه: ٢٤٦ ابن مالك: ٣٥٧ ابن مبارك: ٣٦ ابن مردويه: ١٤٣، ١٤٣، ١٥٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢١،

٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٥، ٢٧٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤ ابن مسعود: ٢٦، ٨٦، ٩١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٧، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٥٥ ابن معين: ١٠٨، ٢٠٥،

٢١٤ ابن مته: ٩٧، ١٣٤ ابن مهران (ميمون): ١٧٠ ابن ميمون: ١١ ابن نجارة: ٢٤٥ ابن نمير: ٦٢، ٦٦ ابن وكيع: ٢٠٥، ٢٢٦ إرميا: ٢٣٤

إسحاق عليه السلام: ١٢٢، ١٤٢ إسحاق: ٨٠، ١٦٢، ١٦٥، ٢١٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ إسحاق بن بشر:

٢١٠ إسحاق بن راهب: ٤٨، ٥١ إسحاق بن ناصح: ٦٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٢

إسحاق بن نجيح: ٦٤، ٦٦ إسحاق بن وهب: ٦٦ الإسفرائيني: ٥٤٨ الإسكافي: ٤٥ الإسكندري ١٤١، ٢٤٠، ٢٤٤ الإسكندري الثاني: ٢٤٤

إسماعيل: ١٥٣، ٢٢٥، إسماعيل: ١٥٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ الأصبهاني (نعيم): ٧٨ إلياس عليه السلام: ١٤٢، ٢٦٢، ٢٦٣،

٢٦٤ إيشاء: ١٦١ أبا صلت: ٢٥٩ أبان البصري: ٦٥ أبان بن تغلب: ٥٠٥ ابن حجر: ١٢، ٥١، ٥٦، ٧٨، ٩١، ٩٥، ١٠١، ١٠٤، ١٠٨، ٢٨٣،

٢٨٤، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٨٦، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٨٥ أبو إسحاق مولى أسلم: ٦١، ١٨٩ أبو الأشنان: ٦٦ أبو الأعلى: ١٠٤، ٢٠٥ أبو البختری: ٤٢،

٤٣، ٤٤، ٦٩ أبو البقاء: ٥٠٦ أبو الجارود ابن المنذر: ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٨٧، ٣٢٥، ٣٢٦ أبو الجماهير: ٢٠٧ أبو

الحجاج المزني: ٢٣٦ أبو الحسن: ٤١٢ أبو الحسين البصري: ٤١٨، ٤٢٠ أبو السعود: ١٤٨، ٤٣٦ أبو الشيخ: ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٤١،

٢٤٣، ٣٠٨ أبو العالية: ٣٤١ أبو العباس محمد بن يزيد: ٥٠٥ أبو الفتح الخشاب: ٦٨ أبو الفداء: ١١٣ أبو الفضل العباس بن محمد: ٣٢٥،

٣٢٦، ٣٣١ أبو الهذيل: ١٩٩ أبو بكر: ٩٨، ١٠٣، ١١٣، ١٢٢، ٣٧٩ أبو بكر الصاغاني: ٦٢ أبو بكر الطوسي: ٥٤٨ أبو بكر بن مردويه:

٣٨٦ أبو بكر محمد بن أحمد البلدي: ٥٤٠ أبو جعفر: ٤٦، ٤٧، ١٦٦ أبو جهل: ٤٦ أبو حنيفة: ٣٧، ٣٨، ٤١، ٥٨، ٦٦، ٣٥٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٣

أبو حيان: ١٥، ١٤٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١١، ٣٤٤، ٤٣٦، ٤٩٦، ٥٢٤، ٥٢٥ أبو داود: ١٦٠، ٣٠٣ أبو ذر: ٣٨٧ أبو رية: ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩،

٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٩٨، ١٠٢، ١١٨، ١١٩، ١١٣، ١١٣ أبو زيد الطائي: ٣١٨ أبو زرعة: ٤١، ٢٠٤، ٢٤٣ أبو سعيد: ٥٥٣ أبو شاهد: ٣٩

أبو شهبة: ١٣٤، ١٣٧، ١٤٧، ١٥٩، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٥، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٧٧ أبو شهبة: ١٢٣ أبو صالح: ٥٦، ٢٥٩، ٢٩٠ أبو

صخرة: ١٧١ أبو طالب: ١٠٨ أبو طلحة الناقط: ٥٠٤ أبو عاصم: ١٨٠ أبو عبد الرحمن السلمى: ١٦، ٥٤، ٥٤٥، ٥٤٨ أبو عبد الله السلمى:

٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦ أبو عبيد: ٦، ٥٠٦ أبو عبيد (القاسم بن سلام): ٦٢، ١٠٣، ٥٠٦ أبو عبيدة معمر بن المثنى: ٥٠٦ أبو عمر: ٧٨ أبو

عمرو بن العلاء: ٢٥٩ أبو محمد الحريري: ٥٤٦ أبو محمد الغزالي: ١٣٢، ٢٠٤ أبو محمد مكي بن أبي طالب: ٥٠٨ أبو مسلم

الأصفهاني: ٤٠٧ أبو معاوية: ٢٧٦ أبو مغيرة: ٦٩ أبو موسى: ٢٩٧ أبو نجیح: ١٢ أبو نصر سابور: ٣٧٤ أبو نعيم: ١٠٣، ٢١٣ أبو هاشم:

٤٢٤ أبو هريرة: ٣٧، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ١٠١، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨،

١٢٩، ١٨٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٨، ٣٠٣، ٣١٧، ٤٦٥ أبو يعلى: ١١٦، ١٢٣، ٢١٣ أبي المعالي: ٣٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٤

أبي أمامة الباهلي: ٥٠، ٢٩٥ أبي بديل الوصاحي: ٥٠٤ أبي بن كعب: ٣٦، ٤٠، ١٢٨، ٢٠٧ أبي حاتم: ١٢، ٣٧، ٢٩٥ أبي حامد: ٣٩ أبي سعيد الخدري: ٢٥٤ أبي عثمان المهدي: ١٨١ أبي عصمة: ٤١ أبي علي الفارسي: ٤٩٦ أبي عيينة: ١٩٩ أبي قلابة: ٥٤ أبي يعقوب يوسف بن محمد: ٣٣١ أثير الدين محمد بن يوسف (اندلسي نحوي): ٥٠١ أحمد: ٩١، ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ٢٠٤، ٢٤٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٨ أحمد الإسكندري: ٥٠١ أحمد الهمداني المعتزلي: ٥١٣ أحمد أمين: ١٤، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٣٥، ١٣٦ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: ١٢٤ أحمد بن عيسى: ٥١١ أحمد بن محمد: ٦٠ أحمد بن محمد بن غالب الباهلي: ٦٦ أحمد بن معرب: ٤٣٤ أحمد بن يحيى: ٦٠ أحمد بن يوسف: ٤٩٦ الأحنف بن قيس: ٢٥٤ الأخفش: ٥٠٦ الأزرقى: ١٥٥ أرسطاطاليس: ٢٤٤ الأرنؤوط: ٩٦، ١٠١ أسباط: ١٧٣ الأسترابادي: ٦٦، ٣٩١ الأسلمي: ٩٥ الأشعري: ٤٨٣ الأعمش: ٤٦، ٥٦، ١٠٨ أفلاطون: ٤٤٨ أم كلثوم: ٩٩ أميني (علامة): ٤٨، ٦٤، ٦٩ أنس بن مالك: ٦٣، ٦٥، ١١٥، ١٣٢، ٢٢١، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٨٧ أوربا: ٢٧١ الأوزاعي: ١٤٥ الأهوازي: ٦٦، ٢٩٧ أيوب عليه السلام: ١٤٢، ١٨٥، ٢٢٥، ٢٧٩، ٢٨٠

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٥

٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤ (حرف الباء) الباقر عليه السلام: ٢٣، ٦١، ٧٨، ١٥٠، ٢٥٩، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٧٠، ٣٧٨، ٣٨٧، ٤١١، ٥٠٥، ٥١٠ بانو أمين: ٤٧٨ البحراني: ١٩، ٣٣٠ بحيرة الطبرية: ١٠٦ البخاري: ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٦٦، ٨٤، ٨٨، ٩١، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٨، ١٢٧، ١٥٥، ٢١٤، ٢٥٨، ٣٠٣، ٤٣٦، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٨٣ يختصر: ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧ البرقاني: ١٩، ٣٣٤ البزار: ٢٩٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢،

نوح بن أبي مريم: ٢٩٤ التّوى: ١٠٤ النهاوندى (أبو عبد الله): ٤٢ النيسابورى: ٤٣٧، ٥٤٣ (حرف الواو) الواحدى: ١٥، ٢١٩، ٥٤٤
الواقدى: ٦٠، ٦١، ٦٢، ٣٤٣ وكيع: ٥٦ وليد بن عتبة: ١١٩ الوليد بن مسلم: ٢٥٥ وهب: ٦٩، ١١١، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥٢،
٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٥ وهب بن جرير: ١٠٧ وهب بن منبه: ٧٨، ٧٩، ٨٧، ٩٤، ١٠٩، ١١٩، ١٣٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٩، ١٨٠،
١٨١، ١٨٩، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧ وهب بن وهب
القاضى: ٦٤ (حرف الهاء) هابيل: ١٦٨، ١٧٠ هاجر: ٢٥٧ هاروت: ١٢٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ٢٨٤،
٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٤٠

هارون: ١٤٠، ١٦٢، ٣٨٩ هارون بن رباب: ١٤٥ هاشم: ٤١٢ الهراسى: ٣٦٥ هشام بن عبد الملك: ٥٢ هشام بن عروة: ٤٣ الهلال: ٢٠٥،
٢٩٤ هلال بن فياض: ٢٠٤ همام بن منبه: ١١١ هود: ٢٨٩ الهيثمى: ٢٩٧، ٢٩٨ (حرف الياء) يافث: ٢١٠ يأجوج: ١١٧، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤،
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨ يحيى: ٧٩ يحيى بن سعيد: ٦٠، ١٠٧، ١٠٨ يحيى بن معين: ٤٣، ٤٤، ٥٩، ٦٢، ٦٧، ١٣٢ يحيى بن هاشم الغسانى:
٦٩ يزيد: ٢٠٥ يزيد بن أبان الرقاشى: ٢٦٩ يزيد بن أسلم: ١٧١ يزيد بن هارون: ٦٢، ١١٥ يعرب بن قحطان: ١٧٠ يعقوب: ٧٩، ٨٠،
١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٥٥، ٢٦٠ يعقوب بن سفيان: ٦١ يوسف: ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٧٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩،
٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٤١١ يوسف بن عمر: ١٠٩ يوشع بن نون: ١٧١، ١٩٤ يونس بن عبد الأعلى: ٦٢

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام - رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرِ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ
الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهايدة هذه
المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) و
بساحه صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠
الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقة لم ينطقي ومصباحها، بل تتبع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)
تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب
الجوامع، بالليل والنهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقليين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و
عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - فى المحاميل
(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت
-عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم
الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -
فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

- (الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه
 (ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
 (ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...
 (د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر
 (ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية
 (و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)
 (ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS
 (ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد
 جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

